حوادث الدهور

في مدى الأيام والشهور

لابن تغري بردي
(ت ٨٧٤ هـ - ١٤٧٠ م)

تحقيق
د. محمد كمال الدين عز الدين

الجزء الأول

عالم الكتب

حوادث الدهور

في مدى الأيام والشهور

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الإهداء

إلى أستاذتي الدكتورة

سيدة إسماعيل كاشف

رمز اعتزاز وتقدير

مُقَـــدّمَـة التَّحَقِـيْق

* تمهيد
* ابن تغري بردي، دراسة حياة
* مؤلفاته
* حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور

تمهيد

انقسمت الدولة الأيوبية على نفسها عقب وفاة «صلاح الدين الأيوبي» (ت ٥٨٩ هـ. /١١٩٣م.) فصارت مصر ودمشق وحلب وبعلبك وحمص وحماه والكرك وبصرى. . وغيرها مراكز لإمارات يحكمها بعض أبناء البيت الأيوبي.

لكن سرعان ما اختلفوا وثارت بينهم المنازعات والحروب، فضلاً عن خلافاتهم مع البيوت القديمة الحاكمة للموصل وسنجار وكيفا وآمد وخرتبرت وخلاط. . مما كان سبباً في استكثار هؤلاء الملوك والسلاطين من شراء المماليك ليكونوا لهم معتمداً في الاحتفاظ بملكهم، وفي رد عدوان جيرانهم.

فكان من بين هؤلاء «الصالح نجم الدين أيوب» (ت ٦٤٧ هـ. /١٢٤٩م.) الذي ترجع المصادر أصول الدولة المملوكية في مصر والشام إليه على اعتبار أنه كان «قد اشترى من المماليك الترك ما لم يشتر أحد من الملوك مثله من قبله حتى عاد أكثر جيشه مماليكه»[١] فضلاً عن اتخاذه منهم أمراء دولته وبطانته المختصين بدهليزه إذا سافر[٢].

لكن الحقيقة المستخلصة من استقراء التاريخ تشير إلى أن هؤلاء الذين كان مأمولاً فيهم أن يكونوا عدة وسنداً لمتملكهم سرعان ما غدوا خطراً يتهدده وملكه.

---

(١) ابن أيبك الدواداري. كنز الدرر وجامع الغرر ج ٧ ص ٣٧٠ .

(٢) المقريزي. السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠، علي مبارك. الخطط التوفيقية ج ١ ص ٧٩.

ولعل مرد ذلك إلى عوامل منها:

طبيعة تكوينهم التي جعلت منهم قوة ترتكز عليها الدولة في مهامها الحرجة، بالإضافة إلى انقسام البيت الأيوبي ـ الحاكم ـ على نفسه في وقت داهمت فيه البلاد الأخطار الداخلية ـ من مجاعات وأوبئة ـ والخارجية متمثلة في تحول الحملات الصليبية إلى مصر لسبب أو لآخر(١).

ويبدو أن انتصار الأيوبيين في فارسكور (٦٤٧هـ./١٢٥٠م.) على الحملة الصليبية السابعة كان بداية النهاية لهذه الدولة، فلقد كان ذلك عاملاً مساعداً في ظهور المماليك «كدولة»، حيث انفردوا بحكم مصر بعد سلسلة من الأحداث السريعة المتتابعة: من وفاة متملكهم «الصالح نجم الدين أيوب» (في ١٥ من شعبان سنة ٦٤٧ هـ./٢٣ من نوفمبر سنة ١٢٤٩م.) فمقتل «تورانشاه» (ت ٦٤٨هـ./١٢٥٠م.) وقد خلفته «شجْر الدر» (ت ٦٥٥هـ./١٢٥٧م.) على عرشه ممهدة بذلك لتولي «عز الدين أيبك» (ت ٦٤٨هـ./١٢٥٠م.) ـ أول سلاطين المماليك ـ حكم البلاد.

وساعدت الظروف المحيطة بسلاطين المماليك ـ آنذاك ـ على التمكين لدولتهم واستقرارها مما جعلهم يبسطون سلطانهم على مصر والشام ويمتدون بنفوذهم إلى سوبة والحجاز وأطراف آسيا.

بل لقد ذاع صيتهم في الممالك الأخرى ذيوعاً كان معه اتحاف ملوكها لهم بالهدايا والتحف.

ويمكن إجمال أهم هذه العوامل في الآتي:

ـ اعتراض الأيوبيين في الشام على قيام الدولة المملوكية في مصر أثر

---

(١) يجمل ذلك «يوشع براور» قائلاً: «... وكانت ثمة أسباب عديدة تحفز الصليبيين على الهبوط في دلتا النيل بدلاً من نهر الأردن القريب، أهمها سببان: الأول هو اهتمام المدن التجارية الإيطالية بالسيطرة على السوق الرئيسية في حوض البحر المتوسط، والثاني هو المذهب السياسي والعسكري للصليبيين» (عالم الحروب الصليبية. ط. القاهرة، ٨٣) ـ وهو ما يفسره د. سعيد عاشور (أضواء جديدة على الحروب الصليبية ص ٣٧) «برغبتهم القضاء ـ فيها ـ على قلب المقاومة الإسلامية».

مصرع «تورانشاه» وحربهم إياهم، مما أتاح لسلاطين المماليك فرصة التوسع على حساب ممالكهم، بل وانتزاع اعترافهم لهم بالتبعية.

- مجابهتهم للخطرين المغولي والصليبي.

وهذا العامل الأخير أعطاهم أمتيازاً فاق ما افتقدوه من حق السيادة اسساداً إلى المولد أو الثقافة أو الثراء لكونهم أرقاء اغتصبوا عرش متملكهم، حيث اعتبروا حماة الإسلام المدافعين عنه.

بل لقد ساقت إليهم الأقدار سوقاً الدعامة الشرعية التي قامت دولتهم عليها - فيما بعد - وجعلتهم يفرضون لأنفسهم مقاماً سامياً على ملوك العالم الإسلامي - آنذاك - باعتبارهم حماة الخلافة والمتمتعين ببيعتها. وذلك بعد سقوط بغداد على أيدي المغول (سنة ٦٥٦هـ. /١٢٥٨م.) وقتل آخر الخلفاء العباسيين بها[١] وإحياء الظاهر بيبرس للخلافة العباسية بالقاهرة، فلم يعد أي من سلاطينهم - بعد ذلك - في حاجة إلى تلمس الوصول إلى مبرر شرعي لجلوسه على العرش.

وهكذا فإن طبيعة تكوينهم، وما واكب ظهورهم من أحداث كانت سبباً في قيام دولتهم ورسوخها - قد صبغ فترة حكمهم بصفات رئيسة صارت علماً عليهم، وهي:

- طبيعة تكوينهم كأرستقراطية عسكرية، بوصفهم الجهاز الحربي الذي استأثر بحكم البلاد والدفاع عنها، ومن ثم بخيراتها.

- استنادهم إلى مبدأ القوة في صنع وتدبير الدسائس وصولاً إلى المنصب أو جلوساً على كرسي السلطنة، القوة في البطش والمصادرات وتوقيع صنوف العقوبات[٢]، القوة في المال والجاه تقلداً للكثير من الوظائف في ظل دولتهم.

---

(١) هو «المستعصم بالله أبو أحمد، عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر العباسي».

(٢) حيث عرفت لهم عقوبات قاسية من: تسمير وتوسيط وتسعيط وعصر.

وهذا أدى بهم للإنقسام إلى أحزاب متنازعة وإن جمعت بينهم في آن واحد العصبية.

- التظاهر بحماية الإسلام وتطبيق تعليماته بطرق ربما نبذها الإسلام ذاته، وما واكب ذلك - بالضرورة - من إقامة المنشآت الدينية والعمائر الإسلامية من تمهيد لطرق الحج وإصلاح مواطن مناسكه، وبناء الأسبلة والحمامات والخانات والبيمارستانات والجوامع والخوانق والمكاتب والمدارس.. وحبس الأوقاف عليها، فضلاً عن تشجيع العلم وأهله بالإغداق على الأساتيذ والطلاب، والحرص على حضور مجالس الحكم والسماع وتحصيل الإجازات فيه، ناهيك عن إقامة المواكب والزينات احتفاء ببعض المناسبات الدينية.

- بالإضافة إلى أن إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة - بعد سقوطها ببغداد - جعل مصر محلاً لسكن العلماء ومحط رحالهم بحيث «نفقت فيها أسواق العلم وزخرت بحارها»(١) على حد قول «ابن خلدون»، فقامت فيها حركة فكرية زاهرة، حيث إرتقاء العلوم والفنون وتنوعها.. وكان علم التاريخ من أبرز هذه العلوم وأميزها، بما ترك فيه العلماء والمؤرخون - آنذاك - من كم هائل تمثل في السير المفردة، والتراجم المجموعة في أعلام قرن واحد، والمعاجم الجامعة للتراجم حسب حروف الهجاء، والطبقات، والحوليات المشتملة على الحوادث والتراجم، سواء منها ما رتب حسب السنوات المتعاقبة، أو المنتظمة لذلك من خلال تراجم الحاكمين.

وهكذا ظلت هذه الدولة تحكم مصر زهاء قرنين ونصف قرن من الزمان تحت اسم «المماليك البحرية» التي حكمت المدة من ٦٤٨ هـ. /١٢٥٠م.-٧٨٤هـ. /١٣٨٢م. «والمماليك الجراكسة» التي حكمت المدة من ٧٨٤هـ. /١٣٨٢م.-٩٢٢هـ. /١٥١٧ م. وعاش «ابن تغري بردي» في كنفها(٢) نحواً من ستين عاماً.

---

(١) ابن خلدون. المقدمة ص ٤٣٥.

(٢) المقصود بذلك الدولة المملوكية الثانية «المماليك الجراكسة».

ابن تغري بردي
دراسة حياة

ولد جمال الدين، أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله البشبغاوي الظاهري بالقاهرة بعد سنة ٨١١هـ. /١٤٠٩م. ـ تقريباً[١] ـ بدار الأمير «منجك اليوسفي» (ت ٧٦٦هـ. /١٣٦٤م.) على مقربة من مدرسة «الناصر حسن»[٢].

فكان أصغر إخوته في الذكور والإناث، وهم على التوالي[٣]:

---

(١) أشار «ابن تغري بردي» في كل من المنهل الصافي ـ مخط. عارف حكمت ـ ج١ ق٢٧٤ ب والنجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٨ إلى أن مولده كان بعد سنة إحدى عشرة وثمانمائة ـ تخميناً ـ مما يشير إلى عدم تحققه من ذلك على وجه صائب، بينما يعزوّ إليه تلميذه «المرجي» في ترجمته له مذيلاً على نسخته من المنهل الصافي ـ مخط. عارف حكمت ـ أنه ولد في حدود السنة التي تليها، قائلاً: «... سألته عن مولده، فقال: مولدي بالقاهرة... في حدود سنة اثنتي عشرة وثمانمائة تقريباً»، وعنه «ابن العماد الحنبلي» في شذرات الذهب ج٧ ص٣١٧.
على حين أشار «ابن الصيرفي» في أنباء الهصر ص١٧٥ إلى أن مولده «في العشر الأخير من شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة تخميناً في الشهر لا في السنة»، بينما يشير «السخاوي» في الضوء اللامع ج١٠ تر ١١٧٨ ص٣٠٥ إلى أنه «ولد في شوال تحقيقاً سنة ثلاث عشرة وثمانمائة تقريباً»، وإن لم يوردا قرينة للتحقيق، أو ترجيحاً للتخمين، مما يجعل تقدير «ابن تغري بردي» أصلاً في التأريخ لمولده.

(٢) المرجي، مصدر سابق، ابن الصيرفي. أنباء الهصر ص١٧٥، السخاوي. الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٥. وبذلك يكون مولده في نطاق حي القلعة الحالي.

(٣) أوردهم «ابن تغري بردي» في النجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٨ بهذا الترتيب.

«فـاطمـة»[1]، و «قـاسم»[2]، و «حمـزة»[3]، و « بيـرم »[4] و « هـاجـر »[5]،

---

(١) ولدت لأم ولد رومية سنة ٧٩٥ هـ/١٣٩٢ م. (ابن تغري بردي. المنهل الصـافي ج ١ ق ٢٧٥ أ)، وعقد عليها الناصر فرج سنة ٨٠٨هـ. /١٤٠٥م. في غيبة أبيها (نفسه ج١ ق٢٧٤ب، والنجوم الزاهرة ج١٣ ص٤١)، وبنى عليها في السنة التالية لها (النحوم الزاهرة ج١٣ ص٥٣)، وظلت في عصمته إلى أن قتل في صفر سنة ٨١٥هـ. /١٤١٢م. (ابن تغرى بردي. حوادث الدهور. مخط. أيا صوفيا ج١ ق١٢٧، والنجوم الزاهرة ج١٣ ص١٣٨)، ثم تزوجت بعده من الأمير «سيف الـدين إينـال بن عبد الله النوروزي»، الذى تولى نيابة غزة، ثم حماه، ثم طرابلس، ومات عنها بالقاهرة فى ربيع الآخر سنة ٨٢٩هـ. /١٤٢٦م. على وظيفة أمير سلاح. (ابن تغري بردي. المنهل الصافى ح١ ق٢٠٢أ)، النجوم الزاهرة ج١٥ ص١٣٤ـ١٣٥، وظلت بعده إلى أن ماتت سنة ٨٤٦هـ. /١٤٤٢م.

(٢) ولد بحلب سنة ٧٩٨هـ. /١٣٩٥م. ـ تقريباً ـ وكان من أمراء الطبلخانات في حياة أبيه، ولم يؤرخ «ابن تغري بردي» وفاته. ـ راجع ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج١ ق٢٧٤ب، النجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٨.

(٣) مولده بالقاهرة في أواخر سنة ٨٠٠ هـ./١٣٩٨م. لأم ولد جراكسية ، ووفاته بها مطعوناً سنة ٨٤٩هـ. /١٤٤٥م (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج١ ق٢٧٤ب، النجوم الـزاهرة ج١٤ ص١١٨).

(٤) ولدت سنة ٨٠٧هـ. /١٤٠٤م. وزوجها أبوها من الأمير «سيف الدين، يشبك بن أزدمر الظاهري»، وهى فى نحو الرابعة من عمرها ـ تقريباً ـ لئلا يصل إلى الزوج من الناصر فرج سوء، ويلاحظ أن يشبك ـ هذا ـ قد ولي نيابة حماه، ثم حلب من قبل نوروز الحافظي، وظل على نيابته لحلب إلى أن قتله المؤيد شيخ المحمودي ضمن من قتل من أعيان الأمراء سنة ٨١٧هـ. /١٤١٥م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج١ ق١٧٥أ، النجوم الزاهرة ج١٤ ص١٢٩، السخاوى. الضوء اللامع ج١٠ تر١٠٧٤ ص٢٧٠)، وظلت بيرم بعده إلى أن مـاتت مطعـونة بـدمشق سنة ٨٢٦هـ. /١٤٢٢م. (ابن تغـرى بردى. المنهـل الصافى ج١ ق٢٧٥أ).

(٥) هى أخته شقيقته ـ إذ كل الأخوة والأخوات سواهما من أمهات متغايرات ـ ولـدت سنة ٨٠٧هـ. /١٤٠٤م. ـ تقريباً ـ وتزوجت فى حياة أبيها من قاضي القضاة الحنفي بالديار المصرية «ناصر الدين محمد بن عمر بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن العديم الحلبي »، ومات عنها فى ربيع الأول سنة ٨١٧هـ. /١٤١٤م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج١ ق٢٧٥أ، النجوم الزاهرة ج١٣ ص١٧١) ، فخلفه عليها قاضي القضاة الشافعي بالديار المصرية «جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني »، وتوفي عنها فى الحادي عشر من شوال سنة ٨٢٤هـ. /١٤٢١م. (ابن تغري بردي. النجوم الـزاهرة ج١٤ ص١٣٧ـ١٣٨)، ثم تزوجت بعده من الأمير «جانبك البشمقدار»، منجبة منه «عائشة» التى تزوجها « قلمطاي بن عبد الله الإسحاقي الأشرفي برسباي» (ت٨٧٧هـ. /١٤٧٢م) أحد أمراء العشرات (د.=

و «إبراهيم»(١)، و «محمد»(٢)، و «إسماعيل»(٣)، و «شقراء»(٤).

ولد لأب من جنس رومي، جلبه الخواجا «بشبغا» إلى «الظاهر برقوق»

= عبد اللطيف إبراهيم. وقفية ابن تغري بردي ص٢١٢، ضمن مجموع أبحاث المؤرخ ابن تغري بردي. والسخاوي. الضوء اللامع ج٦ تر٧٥٢ ص٢٢٤)، وبقيت هاجر في الحياة إلى أن ماتت سنة ٨٤٦هـ./١٤٤٢م. (ابن تغري بردي المنهل الصافي ج١ ق٢٧٥أ).

(١) ولد في حدود سنة ٨٠٨ هـ./١٤٠٥م. لأم ولد رومية، وتوفي بدمشق مطعوناً سنة ٨٢٦هـ./١٤٢٢م. - ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج١ ق٢٧٤ب، النجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٨.

(٢) ولد سنة ٨١٠هـ./١٤٠٧م. لأم ولد رومية، ونوفي بالقاهرة مطعوناً سنة ٨١٩هـ./١٤١٦م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج١ ق٢٧٤ب، النجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٨).

(٣) ولد في أواخر سنة ٨١١هـ./١٤٠٩م لأم ولد رومية، وتوفي مطعوناً سنة ٨٣٣هـ./١٤٢٩م. (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج١ ق٢٧٤ب، النحوم الزاهرة ج١٤ ص١١٨، ٣٤٠).

(٤) وتسمى «عائشة» - كذلك - وأمها «خوند حاج ملك» إحدى مطلقات الملك «الظاهر برقوق»، تزوجت من الأمير «آقبغا التمرازي» الذي تقلب في كثير من الوظائف فى ظل من عاصرهم من السلاطين، فكان أمير عشرة، ثم أمير آخور ثانٍ فى دولة المؤيد شيخ المحمودي، وفى دولة الظاهر ططر تولى إمرة مائة وتقدمة ألف، وصار أمير مجلس فى دولة الأشرف برسباي، كما تولى له نيابة الإسكندرية، ثم رقي فى سلطنة الطاهر جقمق إلى رتبة أمير سلاح، ثم صار أتابكاً للعساكر بالديار المصرية، ثم أرسل إلى دمشق نائباً عليها، فمات هناك صبيحة السادس عشر من ربيع الآخر سنة ٨٤٣هـ./١٤٣٩م.

(ابن تغري بردي. حوادث الدهور ج١ ق١٢٧، المنهل الصافي ج٢ تر٤٨٤ ص٤٧٦-٤٨٠، النجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٨، ج١٥ ص٤٧٥).

ثم تزوجت من بعده بالمقام الغرسي «خليل بن الناصر فرج» (ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج١ ق٢٧٥أ).

ويلحظ أن «ابن تغري بردي» لم يؤرخ مولدها، كما أن وفاتها كانت بعده، وهو ما يفهم من قوله فى (النجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٨): «. . . ثم شقراء، في قيد الحياة»، ومن ذكره لها في حجة الوقف الخاصة بتربته (دراسة د. عبد اللطيف إبراهيم ص٢١٢) ضمن المذكورين فيها المستحقين لريع أوقافها، بقوله: «. . . والثلث للسيدة المصونة المحجبة عائشة، المدعوة: شقراء - الكامل - أخت الواقف لأبيه».

كما يلحظ أنها أنجبت بنتاً من زوجها الأول - آقبغا التمرازي - هى «سارة»، التى تولى «ابن تغري بردي» تربيتها وتزويجها من «المقام الناصري محمد بن الظاهر جقمق» (ت٨٤٧هـ./١٤٤٤م.) وماتت بعده في الثاني من ربيع الأول سنة ٨٥٣هـ./١٤٤٩م.

(ابن تغري بردي. حوادث الدهور ج١ ق٩٠).

ـ معتقه ـ في أوائل سلطنته(١)، وإليهما نسبتاه: «البشبغاوي»(٢)، «الظاهري».

ويبدو أن «تغري بردي»(٣) ـ ومعناه: عطية الله ـ كان حظياً عند مخدومه، ولذا جعله «برقوق» يوم عتقه «خاصكيا»(٤)، ثم درجه في كثير من الوظائف(٥) التي كان آخرها ـ «أمير سلاح»(٦)، كما تولى له نيابة حلب في ذي الحجة سنة ٧٩٦هـ. /١٣٩٤م. فسار فيها سيرة حسنة، وأنشأ بها جامعاً، أوقف عليه أوقافاً، وقرر فيه تداريس وطلبة(٧).

---

(١) ابن تغري بردي. المنهل الصافي مج ١ ق ٢٧٢ ب، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١١٥.

(٢) ترددت هذه النسبة لدى السخاوي في الضوء اللامع بين «الكمشبغاوي» ـ ج٣ ص٢٧ ـ و «البشبغاوي» ـ ج ١٠ ص ٣٠٥ ـ ولا شك أن الأولى تحريف.

(٣) تحريف للتسمية التركية: «تنكري وبردي» أو Tengri - verdi ـ البغدادي. هدية العارفين ج ٢ ص ٥٦٠، د. سعد زغلول عبد الحميد. أهمية ابن تغري بردي لتاريخ المغرب والأندلس، ضمن مجموع أبحاث المؤرخ ابن تغري بردي. ص ١٢٩.

(٤) الخاصكية: هم الذين يلازمون السلطان في خلواته، ويستوفون المحمل، ويتعينون بكوامل الكفال، ويتجهزون في المهمات الشريفة، وهم المعينون للإمرة، والمقربون في المملكة، ومنهم من هو صاحب وظيفة، ومنهم من لا وظيفة له ـ ابن شاهين. زبدة كشف الممالك ص١١٥-١١٦.

(٥) أشار ابن تغري بردي في المنهل الصافي ج١ ق٢٧٢ب، والنجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٥-١١٦ إلى أن والده جُعل يوم عتقه «خاصكياً»، ثم صار «ساقياً»، ثم «رأس نوبة الجمدارية»، وظل كذلك إلى أن نكب «برقوق» في ملكه وخُلع من السلطنة، وفي سلطنته الثانية أنعم عليه «باقطاع إمرة عشرين»، «فإمرة طبلخاناه» ـ دفعة واحدة ـ ولازال «برقوق» يرقيه إلى أن جعله «أمير مائة مقدم ألف» بالديار المصرية، ثم ولاه «رأس نوبة النوب» في مدة قصيرة، ثم أرسله إلى حلب نائباً، ثم استقدمه إلى مصر على «إمرة مائة وتقدمة ألف»، وقد أنعم عليه ـ قبل مقدمه ـ «بإمرة مجلس»، فلما قدم عليه في الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٨٠٠هـ. /١٣٩٧م. استقر به «أمير سلاح»، ودام على ذلك إلى حين وفاة «برقوق».

(٦) أمير سلاح: وظيفة عسكرية كبرى في دولة سلاطين المماليك، لا يشغلها إلا أمير مائة مقدم ألف، وهو أمير السلحدارية، والمشرف على السلاح خاناه بما فيها من أدوات وأسلحة، لا تدخل إليها الأسلحة، ولا تخرج منها إلا بأمره، بالإضافة إلى أنه كان يحمل السلاح الخاص بالسلطان في المحافل العامة، ويناوله إياه في الحرب وفي عيد النحر.

(راجع: المقريزي. الخطط ج٢ ص٢٢٢، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج٨ ص١٦٦).

(٧) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب ج١ ق٢٩٤ب. ابن حجر إنباء الغمر ج٢ ص٥٢٦-٥٢٧، ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج١ ق٢٧٢أ، النجوم الزاهرة ج١٤ =

وفي سلطنة ابنه «الناصر فرج» صار «تغري بردي» أتابكا[1] للعساكر بالديار المصرية[2]، ثم نقل إلى نيابة دمشق[3] في أواخر سنة ٨١٣هـ. /١٤١١م. ، فكان مشكور السيرة والسريرة في نيابته، يحكم رعاياه بالعدل والانصاف، على منهاج الحق والصواب، وقد شكر العامة والخاصة له ذلك[4]. وظل على نيابته إلى أن توفى في السادس عشر من المحرم سنة ٨١٥هـ. /١٤١٢م. بعد أن شارك بقسط وافر في أحداث عصره[5]، وأشير إليه بالتعظيم في الدولة[6].

= ص١١٦، ابن الصيرفي. نزهةالنفوس والأبدان ج٢ ص٣٢١، السخاوي. الضوء اللامع ج٣ تر ١٣٨ ص٢٩.

(١) الأتابك (الأطابك): لفظ يتألف من شقين، هما: «أطا» بمعنى أب، و«بك» بمعنى أمير، وهو لقب فخري أطلقه السلاجقة على كبير أمرائهم، ثم أريد به زمن سلاطين المماليك: مقدم العساكر، أو القائد العام، وكانت تلك من أرقى الوظائف العسكرية ـ آنذاك ـ بل كثيراً ما مهدت لصاحبها تولي السلطنة.
(القلقشندي. صبح الأعشى ج٤ ص١٨، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج٧ ص١٨٦ ج ١٣ ص ٨٣، د. حسن الباشا. الفنون الإسلامية ج ١ ص ١٣ ـ ٣٠، د. عبد المنعم ماجد. نظم سلاطين المماليك ج١٤ ص١٤٤).

(٢) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج١ ق٢٩٥أ، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج١ ص٢١٦، المنهل الصافي ج١ ق٢٧٣أ، النجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٧.

(٣) يشير «ابن تغري بردي» إلى أن أباه قد تولى نيابة دمشق هذه المرة مكرهاً، بعد الحاح من الناصر فرج بهدف إخماد الفتن النوروزية والشيخية المندلعة بالشام آنذاك، وأن هذه هى النيابة الثالثة له عليها، إذ كان الناصر فرج قد استقر به فى نيابتها سنة ٨٠٣هـ. /١٤٠٠م. قبل وبعد غزو تيمورلنك لها (ابن تغرى بردى. الدليل الشافى ج١ ص٢١٦، المنهل الصافي ج١ ق٢٧٣ب، التجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٦-١١٧).

(٤) ابن الصيرفى. نزهة النفوس والأبدان ج٢ ص٣٢٠.

(٥) بشأن ذلك يمكن مراجعة مصادر ترجمته فيما يختص بمحاربته من قبل «برقوق» للخارجين عليه بالشام من المنطاشية والناصرية، وحبسه بقلعة دمشق بعد كسرته هناك، ثم فراره إلى الظاهر برقوق ـ بعد خروجه من محبسه بالكرك ولما يستفحل أمره ـ وانضمامه عليه في محاربة المنطاشية، وإرسال برقوق به إلى القاهرةمبشراً بعوده إلى سلطنته، وخروجه على الناصر فرج وقد ظاهر كل من «أيتمش» و«تنم» و«دمرداش المحمودي» عليه، وفراره إلى بلاد التركمان، ثم عوده إلى الناصر فرج ثانية، وأخيراً دوره في أحداث الفتن النوروزية والشيخية بالشام، والتى راح ضحيتها «الناصر فرج» فى صفر سنة ٨١٥هـ. /١٤١٢م.

(٦) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج١ ق ٢٩٥ أ .

ويبدو أن هذا الدور الذي مارسه، وهذه المكانة التي تقلدها، كانا بفعل عدة عوامل. منها:

* ما اشتهر به من صفات خِلْقية وخُلُقية، تمثلت في: حسن صورته وجماله، وكثرة حيائه وسكونه، وحلمه وعقله، وحشمته وحسن سيرته، وحزمه(١).

* محبته للعلم والعلماء، ومشاركته لهم في بعض المسائل الفقهية، وتواضعه للعلم وأهله(٢).

* فضلاً عن صلات المصاهرة التي ربطته بكل من «الظاهر برقوق» و«الناصر فرج»، فقد كان أولهما زوجاً لابنة عمه «خوند ـ شيرين»(٣)، بينما كان الثاني ابناً لهذه الزوجة، وزوجاً «لخوند ـ فاطمة» كبرى بنات «تغري بردي»، وهو ما يفسره مخاطبة «الناصر فرج» له بـ «أطا»، بمعنى أب (٤).

وإلى الأولى منهما يرجع الفضل في الابقاء عليه من القتل بعد أن هم السلطان بقتله ضمن من تقرر الفتك بهم من الخارجين عليه، المفلولين مع «أيتمش» و«تنم» سنة ٨٠٢ هـ. / ١٣٩٩ م.، بل وفكه من محبسه(٥).

---

(١) المصدر السابق، وابن حجر إنباء الغمر ج ٢ ص ٥٢٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٩.

(٢) ابن الصيرفي نزهة النفوس والأبدان ج٢ ص٣٢٠.

(٣) يشير السخاوي في الضوء اللامع ج١٢ تر ٤٢٧ ص٧٠ إلى أنها كانت بارعة الجمال، سارت سيرة جميلة من الحشمة والرياسة والكرم، مع الاتضاع الزائد والخير والدين، معدداً من ماترها تجديد رباط الخوزي بمكة والوقف عليه، وكانت وفاتها في ذي الحجة سنة ٨٠٢هـ. / ١٤٠٠م.
وراجع ـ كذلك ـ ابن حجر. إنباء الغمر ج٢ تر ٣٤ ص١٢٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج١ تر١١٩٦ ص٣٤٨، النجوم الزاهرة ج١٢ ص١٠٦.

(٤) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ج١٣ ص٨٣.

(٥) يشير «ابن تغري بردي» في النجوم الزاهرة ج١٢ ص٢١٦، ج١٥ ص١١٦ إلى أنها كانت أصلاً في الإبقاء على أبيه من القتل، ومنه قوله: «... وكان الوالد قد انضم إلى أيتمش هو وجماعة من الأمراء... وانهزم الجميع بعد الوقعة، وخرجوا من مصر إلى الأمير تنم ـ نائب الشام ـ وعادوا صحبته، فانكسر تنم ـ أيضاً ـ وقبض على الجميع وقتلوا بقلعة دمشق إلاالوالد.، لشفاعة أم الملك الناصر فيه، و(في) آقبغا الأطروش، وقتل من عداهما، ودام الوالد بسجن قلعة دمشق إلى أن أُطلق، وتوجه إلى القدس بطالا بسفارة أم الملك الناصر أيضاً..».

ويشير «ابن تغري بردي» ـ مؤرخنا ـ إلى أن والده كان قد ترك عند وفاته ثروة كبيرة، استولى على معظمها «الناصر فرج» ، لكونه صار وصياً على أولاده ووكيلاً عن زوجته «خوند ـ فاطمة»، تاركاً مؤرخنا وأخوته «فقراء من فقراء المسلمين»، ولما كُلم فيها أخذ وعد برد ما أُخذ وأضعافه(١)، لكن لم يمهله القدر ليفي بوعده أو يحنث فيه، فقد قتل بعد قليل على أيدي الخارجين عليه من النوروزية والشيخية.

ويعلق مؤرخنا على ذلك بقوله: «. . . فلم يضيعنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنشأنا على أجمل وجه من غير مال ولا عقار، ولله الحمد»(٢).

فلقد نشأ «ابن تغري بردي» بعد وفاة أبيه في حجر شقيقته «هاجر» وقد بلغ الثالثة من عمره ـ تقريباً مما لعله يشير إلى افتقاده لأمه ـ كذلك ـ في هذه السن المبكرة(٣)، حيث عاد به صهره عليها قاضي القضاة «ناصر الدين ابن العديم» من الشام إلى القاهرة، وقد تولى تربيته، التي أكملها ـ بعد وفاته صهر آخر له عليها، هو قاضي القضاة «الجلال البلقيني»، فأتم «أبو المحاسن» عنده حفظ القرآن ـ الكريم ـ وجوده عليه(٤)، كما حضر عنده في الحديث النبوي وغيره عدة مجالس(٥).

---

(١) كرر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ـ ج١٣ ص١٣٩، ١٤٣، ج١٤ ص١١٨ ـ التصريح بأخذ «الناصر فرج» لجميع تركة والده، بينما ورد في المنهل الصافي ج١ ص٢٧٥أ قوله:
«. . . وخلف ـ رحمه الله ـ من الأموال والخيول والسلاح شيئاً كثيراً، استولى على غالبه الملك الناصر فرج».

(٢) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٨.

(٣) وإلا لما نشأ مؤرخنا في هذه السن المبكرة في حجر شقيقته، ولما كانت إشارته إلى أمه في المنهل الصافي ج١ ق٢٧٤ب بأنها: «مجهولة الجنس».
كما أن عبارته في حوادث الدهور ج١ ق٧ بشأن علاقة الخليفة العباسي «المعتضد بالله داود» وزوجه بأمه لا تفيد في هذا شيئاً، وهي:
«. . . أعرفه قديماً وحديثاً، فإنه كان قد تزوج بزوجة الوالد بعد موته ، الست قمر بنت الأمير دمرداش، وكان بينهما وبين الوالدة محبة مستمرة إلى الممات».

(٤) حيث كان قبل ذلك قد قرأ القرآن ـ الكريم ـ على السراج ابن فارس (ت سنة ٨٢٩هـ./١٤٢٥م.) ـ ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج١٥ ص ١٣٣.

(٥) نفسه ج١٤ ص٢٣٧، المرجي. مقدمة النجوم الزاهرة ج١ ص١٠، ابن الصيرفي. أنباء الهصر=

ويبدو أن وفاة «الجلال البلقيني» كانت سبباً في انتقال «ابن تغري بردي» من لون من المعرفة إلى لون آخر مغاير له تماماً، ومن حياة إلى حياة لا تشبهها، من المعرفة الدينية إلى فنون الفروسية، ومن معيشة الفقهاء إلى حياة الأمراء، حيث تعلم في الفترة التالية على وفاة «الجلال البلقيني» طرفاً جيداً من فنون الفروسية، تمثل في لعب الرمح، ورمي النشاب، وسوق البرجاس[1] ولعب الكرة، ودوران المحمل، في ظل صهر آخر له، هو «آقبغا التمرازي» الذي اشتهر في هذه الفنون بالإنفراد[2].

= ص١٧٦، السخاوي. الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٥.

وفي المنهل الصافي ج٣ ق٢٠٥أ: «. . . تأهل (الجلال البلقيني) بكريمتي، وما نشأت إلا عنده، وقرأت عليه غالب القرآن ـ الكريم ـ وهو أنه لما كان يتوجه إلى منزله يأخذني صحبته حيث سار، فإذا أقمنا في المكان المذكور يطلبني، ويقول لي: إقرأ الماضي من محفوظك، فأقرأ عليه ما شاء الله أن أقرأ. .».

(١) البرجاس. غرض في الهواء على رمح أو نحوه يرمى به ـ ابن منظور. لسان العرب ج١ ص٢٤٤، الفيروزأبادي، القاموس المحيط (ط. الرسالة) ص ٦٨٥

(٢) يبدو أن هذه الفترة قد انحصرت بين وفاة الجلال البلقيني (في شوال سنة ٨٢٤هـ./١٤٢٢م.) واستقرار آقبغا التمرازي في نيابة الشام (في رمضان سنة ٨٤٢هـ./١٤٤٠م.)، ويؤيد ذلك:

* قول «ابن الصيرفي» ـ أنباء الهصر ص١٧٦ ـ «. . . واستمر على ذلك إلى أن توفي الجلال ـ المذكور ـ في سنة أربع وعشرين وثمانمائة، فصار تحت كنف جماعة من أكابر مماليك والده، وذكر أنهم علموه أنواع الفروسية»، مما يشير إلى أن تعلمه لها كان بعد وفاة الجلال البلقيني:

* أن عبارة «ابن تغري بردي» بصدد ذلك قد وردت في المنهل الصافي ـ ج٢ ص٤٨٠ ـ على النحو التالى: «. . . أخذت عنه (عن آقبغا التمرازي) ما لم يصل إليه غيري في هذه الفنون لصهارةكانت بيننا»، مما يشير ـ مع القرينة السابقة ـ إلى نشأته بعد وفاة الجلال البلقيني فى كنف «آقبغا» ـ هذا ـ وإلا كيف تمكن من أن يأخذ عنه «ما لم يصل إليه غيره» فيه؟

ولا ينفي ذلك تردده إلى غيره ـ في هذه الفترة ـ آخذاً فنون الفروسية عنهم، حسبما ورد في ترجمة تلميذه المرجي له ـ مقدمة النجوم الزاهرة ج١ ص١٦ ـ وابن الصيرفي. أنباء الهصر ص١٧٧ ـ بل ربما يكون تردده إليهم بوساطته وجاهه.

* أن «ابن تغري بردي» يشير في ترجمته لآقبغا ـ المنهل الصافي ج٢ ص٤٧٩ ـ إلى أنه سأل كريمته «زوجه» عن «كيفية أمره» في تلك الليلة التي أعقبتها وفاة زوجها، مما لعله يشير إلى أنه لم يكن صحبته عندما رحل إلى نيابته بالشام في رمضان سنة ٨٤٢ هـ. / ١٤٣٩ م.

ومع ذلك فإن من المشكوك فيه أن يكون تلقيه لفنون الفروسية أثر وفاة الجلال البلقيني مباشرة ودون تراخ، فابن تغري بردي فى ترجمته «لابن الطازي»(ت سنة ٨٢٣هـ./١٤٢٠م). يشير إلى أنه «كان رأساً فى لعب الرمح، أستاذاً في الفروسية. . . وكان من عجائب الله في فنه»، ومع =

ومن المرجح ـ كذلك ـ أنه اكتسب في هذه الفترة بعض ما انتهت إليه الرياسة فيه من « علم النغم، والضروب، والإيقاع »[١] .

وهو ما يفسره حفظه كبيراً بعض مختصرات في علوم عصره، «كمختصر القدورى» في الفقه، و«ألفية ابن مالك» في النحو، و«ايساغوجى» في المنطق[٢] . . إذ أن تلك الفترة التى انصرف فيها إلى فنون الفروسية كانت فترة وسطاً بينهما.

ومهما يكن من الأمر، فإن «ابن تغري بردي» كان حريصاً ـ الحرص كله ـ على الجمع بين الثقافتين: الدينية الأدبية، والعسكرية ـ شأنه في ذلك شأن أبيه ـ ولذا دار على طائفة لا بأس بها من الشيوخ والأساتيذ في «الفقه»[٣] و«التفسير»[٤]، و«الحديث»[٥]، و«النحو»[٦]، و«الصرف»[٧]، و«علوم البلاغة»[٨]،

= ذلك فإنه لم يأخذ عنه شيئاً لصغر سنه، قائلاً: « . . . نظرته، غير أنني لم آخذ عنه شيئاً لصغر سني يومذاك». (ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج١٤ ص ١٦٥).

(١) المرجي. مقدمة النجوم الزاهرة ج١ ص١٧.

(٢) نفسه ج١ ص١٠ ، ابن الصيرفي. أنباء المصر ص١٧٦، السخاوي. الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٥.

(٣) من شيوخه فيه: «الشمس الرومى»، و«البهاء أبي البقاء الحنفي»، و«البدر العيني»، و«التقي الشمني».

(٤) من شيوخه فيه: «الكافيجي»، و«الزين قاسم».

(٥) سمع فيه علي «ابن قريج»، و«ابن بردس»، و«ابن ناظر الصاحبة»، و«ابن الطحان»، و«ابن الذهبي »، و«رضوان العقبي»، و«ابن البلقيني »، و«التقي - المقريزي»، و«ابن حجر العسقلاني». . كما استجاز فيه من القاهرة والحجاز وحلب جلة علماء عصره ـ راجع: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج٢ ص٣٠٥، ج٣ ص٢٥، ٣٤، ٧٣، ٢٢٢، ج٥ ص٢٥، ٧٨، ٩١-٩٢، المرجي . مقدمة النجوم الزاهرة ج١ ص١٤-١٦ .

(٦) من شيوخه فيه: «الشمس الشمني».

(٧) من شيوخه فيه : «العلاء الرومي».

(٨) من شيوخه فيها: «الشهاب ابن عرب شاه»، و«المحيي الكافيجي».

و «فنون الأدب»(1)، و«العروض»(2)، و«الهيئة»(3)، و«الرياضيات»(4)، و«الطب»(5)، و«التاريخ»(6)، الذي لازم فيه «التقي

---

(١) من شيوخه فيها: «ابن حجر العسقلاني»، و«القوام حسن القمني»، و«الجلال ابن ظهيرة»، و«البدر ابن العليف»، و«القطب ابن عبد القوي».
ومن المعلوم أن «ابن تغري بردي» كان ينشد الشعر من قرضه أو من إنشاء غيره، كما كانت له ملكة أدبية ناقدة، تجلت في مواضع متعددة من كتاباته.

(٢) من شيوخه فيه: «الشمس النواجي».

(٣) من شيوخه فيه: «القوام حسن القمني».

(٤) نفسه.

(٥) أشار السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٠٥ إلى أن «ابن تغري بردي» قرأ «أقراباذين في الطب على سلام الله».

(٦) يبدو أن حضور «ابن تغري بردي» مجالس «الأشرف برسباى» حيث منادمة «البدر العيني» له في التاريخ، وصحبته «التقي المقريزي» كانا العامل الرئيس في اتجاهه نحو التاريخ: قراءة وتحصيلاً وتأليفاً. وعن الأول يشير (في المنهل الصافي مج٣ ق٢٣٢ب) إلى أنه: «أعجوبة في التاريخ»، كما أخذ عنه واستفاد منه، وله منه إجازة بجميع مروياته وتصانيفه، بينما يشير (في النجوم الزاهرة ج١٥ ص١١١) إلى أن مجلسه مع الأشرف برسباي كان لا ينقضي «إلا في قراءة التاريخ وأيام الناس وما أشبه ذلك»، ومن يوم ذاك حبب إليه التاريخ ومال إليه واشتغل به.
أما الثاني فقد ورد بصدده (في النجوم الزاهرة ج١٥ ص٤٩١) أنه أعظم من أدركه في علم التاريخ وضروبه، (وفى حوادث الدهور ج١ ق٩) أنه كانت بينهما صحبة أكيدة ومحبة زائدة، وأنه قرأ عليه كثيراً من مصنفاته، وبه انتفع، ومنه استفاد، وهو الذي حببه فى هذا الشأن.
لكن يبدو أن «ابن تغري بردي» لم يشتغل بالكتابة التاريخية إلا بعد وفاة «التقي المقريزي» وانتهاء «البدر العيني» من تصنيف كتابه «عقد الجمان».. ولا عبرة فى ذلك بما ورد (في المنهل الصافي ج١ ص٣٩٧) من أنه ذيل على سلوك المقريزي «حوادث الدهور» فى حياة المقريزي من سنة أربعين وثمانمائة، إذ يبدو أن ذلك كان من طريق الدربة لا غير، وقرينته:

أولاً: أن سلوك المقريزي قد انتهى بأواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة للهجرة، كما أن حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور قد استفتح بسنة خمس وأربعين وثمانمائة، أي عقب وفاة المقريزي، وهو ما يشير إليه مؤلفه بقوله فى مقدمته: «... أحببت أن أحيي هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ تقي الدين المقريزي وجعلته كالذيل على السلوك المذكور، وسميته حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور».
وعلى ذلك فإن الفترة المُذيلة على السلوك فى حياة المقريزي لا تدخل في مادة ما أثبته «ابن تغرى بردي» في مُبيضة الكتاب.
ثانياً - أن مؤلفات «ابن تغري بردي» التى تحت أيدينا، من أمثلة البحر الزاخر، وحوادث =

المقريزي»، و«البدر العيني»، وحبب إليه، «فاجتهد فيه إلى الغاية . . . حتى برع ومهر وكتب وحصل وصنف» على حد تعبير تلميذه المرجي[١].

ومهما يكن من الأمر - كذلك - فإن «ابن تغري بردي» قد انتفع في نشأته وحياته بأصهاره على أخواته وبناتهن - أيما انتفاع - إذ عن طريقهم توجهت ميوله، وتحددت أغراضه الفكرية، واكتسب مهاراته وبعض صفاته، مما انعكس على حياته، وبالتالى على كتاباته - خاصة التاريخي منها - وبفضلهم ارتبط بأسباب العيش الرغد، والجاه الوافر، حيث عُوض عن المسلوب من تركة أبيه، سواء بما جرى عليه من الجوامك والمرتبات[٢] أو ما خُصص له من إقطاع شَركَهُ فيه «قاسم» أخوه، ثم انفرد مؤرخنا به بعد وفاته[٣]، أو رد عليه من

= الدهور، والمنهل الصافي، والنجوم الزاهرة. .تشير إلى أن تواريخ كتابتها كانت بعد وفاة المقريزي.

ثالثاً - بل ربما لم يتوفر «ابن تغري بردي» على دراسة مؤلفات شيخه «المقريزي» في التاريخ توفر الدارس المتأني، أو المؤرخ المنقب إلا بعد وفاته، ولعل أوضح الأدلة على ذلك قوله (في النجوم الزاهرة ج١٤ ص١٩٩) بشأن نقده على بعض مما جاء فى ترجمة المقريزي «للظاهر ططر» فى سلوكه: «. . . قلت: هذا هو الخباط بعينه، ولم أقف على هذا النقل إلا من خطه بعد موته، ولم أسمعه من لفظه»، ونقده اللاذع «للبدر العيني» فى مقدمة حوادث الدهور معللاً لإنشاء كتابه بقوله: «. . . ولم يكن من بعده (من بعد المقريزي) من يُعول عليه فى هذا الفن ولا من يرجع إليه إلا الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي، فأردت أن أعلم حقيقة أمره فى هذا المعنى، ونظرت فيما يعلقه فى تلك الأيام، فإذا به كثير الغلطات والأوهام، وذلك لكبر سنه واختلاط عقله وذهنه». . ولا يتأتى له إيراد هذا النقد إلا بتصفح تاريخ العيني حتى نهايته، كما لا يتأتى له التصريح به إلا بعد وفاته.

بل ربما كان هذا المعنى مأخوذاً من خط العيني له مؤرخاً بسنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة وقد سأله عن شيء من التاريخ معتذراً بكبر سنه وتشتت عقله. (ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج١٦ ص١٠-١١).

(١) المرجى. مقدمة النجوم الزاهرة ج١ ص١٢، ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبدان ج٢ ص٣٢٠-٣٢١.

(٢) ابن الصيرفي. أنباء الهصر ص ١٧٨-١٧٩.

(٣) نفسه ص ١٧٩.

حيث تشير وقفية تربته - الآنف ذكرها - إلى أنه كان تحت يده أرض بناحية «صرد» - مركز قطورة، غربية - وأخرى بناحية أبيار، بجزيرة نصر، وثالثة بناحية الحداد - مركز كفر الدوار - غربية =

عقار (١) ومماليك وعبيد وجواري (٢) . . مما يسر له حياة هادئة ناعمة، فُرِغَ فيها للعلم

= ويلاحظ أن المعنيين به صغيراً كثيراً ما كانوا يحرضونه على الدخول إلى السلطان، طلباً لاقطاع يرزقه، وهو ما يفهم من حكاية مؤرخنا عن نفسه بصدد ذلك (في النجوم الزاهرة ج١٤ ص١١٢) قائلاً:

«. . . دخلت إليه (إلى المؤيد شيخ المحمودي) مرة وأنا في الخامسة، فعلمني - قبل دخولي إليه - بعض من كان معي أن أطلب منه خبزاً، فلما جلست عنده وكلمني سألته في ذلك، فغمز من كان واقفاً بين يديه وأنا لا أدري، فأتاه برغيف كبير من الخبز السلطاني، فأخذه بيده وناولنيه، وقال: خذ، هذا خبز كبير مليح، فأخذته من يده وألقيته إلى الأرض، وقلت: أعط هذا للفقراء، أنا ما أريد إلا خبزاً بفلاحين يأتونني بالغنم والأوز والدجاج، فضحك حتى كاد أن يغشى عليه، وأعجبه مني ذلك إلى الغاية، وأمر لي بثلاثمائة دينار، ووعدني بما طلبته وزيادة».

(١) فقد فهم من وثيقة الوقف - المشار إليها سلفاً - أنه كان في ملكه دار كائنة بخط رأس حارة برجوان، بجوار مسجد الكويك، وفندق لطبخ السكر، وبناء قائم على أرض محتكرة بالقرب من جامع الخطيري.

(٢) يشير إلى تمتعه بهذه الحياة الرغدة، والجاه الوافر منذ وقت مبكر ما ورد في النجوم الزاهرة (ج١٤ ص٣٤٠-٣٤٢) مما تعلق بطاعون سنة ٨٣٣هـ. / ١٤٣٠م. من قوله:

«. . . وأما من مات من عندنا من المماليك والعبيد والجواري والخدم فلا يدخل تحت حصر، ومات من أخوتي وأولادهم سبعة أنفس ما بين ذكور وأناث. . . ومات لشخص بخدمتنا يسمى شمس الدين الذهبي ولد فخرجنا معه إلى المصلى، وكان سن الميت دون سبع سنين، فلما أن وضعناه للصلاة عليه بين الأموات جيء بعدة كبيرة أخرى إلى أن تجاوز عددهم الحد، ثم صلي على الجميع، وتقدمنا لأخذ الميت المذكور فوجدنا غيرنا أخذه وترك لنا غيره في مقدار عمره، فأخذه أهله ولم يفطنوا به، ففهمت أنا ذلك. . . وليس للكلام في ذلك فائدة غير زيادة الحزن، فلما دفن الصبي وأخذ أهل الحانوت التابوت صاحوا وقالوا: ليس هذا تابوتنا، هذا عتيق وقماشه - أيضاً - خلق، فأشرت إليهم بالسكات، وهددهم بعض المماليك بالضرب، فأخذوه ومضوا. . وكنا نخرج من صلاة الجمعة إلى بيتنا وقد وقف جماعة من الأصحاب والخدم فنتعادد إلى الجمعة الثانية فينقص منا عدة كبيرة ما بين ميت ومريض. . . وماتت عندنا وصيفة مولدة بعد أن مرضت. . . فأصبحنا وقد عجز الخدم عن تحصيل تابوت لها، فتولت تغسيلها أمها وجماعة من العجائز، وكفنوها في أفخر ثيابها، على أحسن وجه، غير أننا لم نلق لها نعشاً. . . فوقفت على الباب والميتة محمولة على أيدي بعض الخدم إلى أن اجتازت بنا جنازة امرأة، فأنزلت التابوت غصباً ووضعتها عند الميتة واشتالتا على أعناق الرجال، وسارت أمها وبعض الخدم معها إلى أن قاربت التربة فأخذوها من التابوت ودفنوها».

وقوله (في النجوم الزاهرة ج١٥ ص٤٠٠-٤٠١): «. . . والله العظيم، إنني كنت إذا دخلت على الفقيه الذي أقرأني القرآن في صغري - على أن بضاعته من العلوم كانت مزجاة - استحي أن أتكلم بين يديه بفضيلة أو علم من العلوم، لكونه كان يعرفني صغيراً لا فقيراً، فكيف حال هؤلاء مع الناس؟ . .».

ـ درساً ومذاكرة وعرضاً وتأليفاً ـ بعيداً عن الانشغال بمزاحمة أرباب المناصب والولايات على ما بأيديهم[١].

فضلاً عن اتصاله برجالات القلعة من سلاطين وأمراء[٢]، ومصاحبته لبعضهم، مما انعكس على القيمة العلمية لكتاباته التاريخية سلباً وإيجاباً.

وهكذا عاش «ابن تغري بردي» هذه الحياة الرغدة إلى يوم الثلاثاء الخامس من ذي الحجة سنة أربع وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٧٠م.)، حيث اختاره الله إلى جواره، بعد أن تعلل بالقولنج نحو العام، ليدفن من غده في «تربة هائلة» ابتناها على مقربة من تربة «الأشرف إينال»[٣]، وقد أوقف عليها أوقافاً، منها كتبه وتصانيفه[٤]. خالفاً وراءه تراثاً تاريخياً وأدبياً جديراً بدراسته

---

(١) وإن تعين لبعض الوظائف كباشية المحمل سنة ٨٤٩هـ./١٤٤٦م.، أو رشح لبعضها، كمعلمية المحمل سنة ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م ـ راجع: ابن تغري بردي. حوادث الدهور ج ١ ق ٢ ٤٢، ٢٦٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٢٣، كما يشير ابن الصيرفي. أنباء الهصر ص ١٧٨ إلى أن «ابن تغري بردي» كان يطلع إلى القلعة أيام «الأشرف برسباي» ويسوق المحمل والبرجاس.

(٢) راجع: ابن الصيرفي. أنباء الهصر ص١٧٨-١٨١، السخاوي. الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٦. فقد كان على صلة بالأشرف برسباي وسافر صحبته سنة ٨٣٦هـ./١٤٣٣م. إلى آمد، وكذا الظاهر جقمق، وبصهارة ابنه «الناصري محمد» «لابن تغري بردي» ـ تمكن من ملازمته له وحضور كثير من مجالسه، فضلاً عن صحبته لخشقدم، والذي أشار إلى أنه كان يعرفة جندياً إلى أن صار سلطاناً، فلما تسلطن أصبح معظماً لابن تغري بردي، وقد قبل كلامه وقضى حوائجه.. كما كان على صلة ببلاط القلعة من أمراء وغيرهم من موظفي الإدارة في عصره، ومنهم الكمال محمد بن البارزي، وابن كاتب جكم..

(٣) السخاوي. الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٨، ابن الصيرفي. أنباء الهصر ص١٨٢.

(٤) نفسه، د. عبد اللطيف إبراهيم. وقفية ابن تغري بردي، ضمن مجموع «أبحاث المؤرخ ابن تغري بردي».
وستظل «حجة الوقف» الخاصة بتربته ـ وإن تلاشت هذه التربة من الوجود ـ دليلاً على حسن خلق، ووفاء لكل من اتصل به بقرابة أو بخدمة، ناهيك عن الصلاح والتقوى، والتقرب إلى الله ـ عز وجل ـ بما خصص فيها من أماكن لدفن الموتى «من الذكور والإناث المالك والمملوك، الغني والصعلوك... على مر الدهور والأوقات، القريب والبعيد... من غير مقابل لذلك ولا شيء فيه، رغبة في ثواب الله تعالى»، وتسبيل الماء «على المارة، ولسكان التربة... في كل يوم من الضحوة إلى مضي النهار، ومن أول الليل إلى الضحوة، بحيث لا ينقطع تسبيل=

والانتفاع به، وسيرة حسنة، وصف صاحبها ـ على الخصومة بينه وبين ناعته ـ بحسن العشرة، وتمام العقل، والسكون، ولطف المذاكرة[١]. وإن لم يعقب[٢].

كما شهد له تلميذه «المرجى» بالديانة والصيانة، والعفة عن المنكرات والفروج، والحشمة الزائدة، والحياء الكثير، والسكون، وحسن المحاضرة، ولطف المنادمة، والحسن في الرأى والسياسة والتدبير، وعدم التكبر[٣].

= الماء ليلاً ولا نهاراً ، إلا فى نهار شهر رمضان خاصة»، ومكتب «لتعليم القرآن العظيم للأطفال من أولاد المسلمين على مر الدهور والأيام والشهور والأعوام».. مما جعلها عمارة مدنية ودينية واجتماعية وتعليمية في آن واحد.

(١) السخاوي. الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٦.

(٢) لم يرد لأولاده ذكر لدى من ترجموه، ويبدو أنه لم يعقب، كما يشتم مما جاء في حجة الوقف ـ دراسة د. عبد اللطيف إبراهيم ص٢٠٥ ـ من قوله:

«... وقفاً شرعياً على الواقف المؤرخ ابن تغري بردي، ينتفع بذلك... ثم من بعد وفاته تكون وقفا على من سيحدثه الله ـ تعالى ـ له من الأولاد في المستقبل».

ولا يضعف ذلك كون الوثيقة مؤرخة بالرابع عشر من شعبان سنة ٨٧٠هـ./١٤٦٦م. ، إذ لو كان رزق بأولاد بعد هذا التاريخ لاستدركهم بهوامش، ضمن من أستدرك فيها يوم الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٨٧٤هـ./١٤٧٠م. قبل وفاته بعشرة أيام. (انظر: دراسة د. عبد اللطيف إبراهيم الآنف ذكرها ص٢١٥).

(٣) المرجي، مقدمة النجوم الزاهرة ج١ ص١٦.

مؤلفاته

عُرِفَ لابن تغري بردي تسعة عشر مصنفاً، هي :

١ ـ الأمثال السائرة(١).

٢ ـ الانتصار للسان التتار(٢).

٣ ـ البحر الزاخر في علم الأول والآخر (٣).

٤ ـ البشارة في تكملة الإشارة(٤).

---

(١) ذكره بوير «W.Poppor» في دائرة المعارف الإسلامية ـ ج ١ ص ٥٩٦ ـ دون عزو إلى مظان وجوده.

(٢) ذكره ابن الصيرفي ـ أنباء الهصر ص١٧٨ ـ مشيراً إلى أنه في «بيان معاني اللغة التركية، على نوع علم البديعية»، ولعله هو المشار إليه لدى «بوبر» ـ دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص ٥٩٦ ـ باسم: «تحاريف أولاد العرب في الأسماء التركية»، دون عزو إلى مظان وجوده.

(٣) سوف يعرض له تفصيلاً فيما بعد.

(٤) ذكره «المرجى» ـ مقدمة النجوم الزاهرة ج١ ص١٧ ـ والشوكاني. البدر الطالع ج٢ ص٣٥١.
بينما وردت عبارة «ابن الصيرفي» ـ أنباء الهصر ص١٧٨ ـ بشأنه هكذا:
«. . . ثم كتاب البشارة، ذيله على كتاب الحافظ شمس الدين الذهبي، وله الإشارة، مختصر في مجلد لطيف من سنة سبعمائة إلى سنة سبعين وثمانمائة».
المتوهم ـ إذن ـ من هذه العبارة أنهما كتابان من تأليفه، وليس الأمر كذلك، إذ وقع في العبارة اضطراب ـ لم ينتبه إليه محقق الكتاب ـ وتصحيحها على النحو الآتي:
«. . . ثم كتاب البشارة، ذيله على كتاب الحافظ شمس الدين الذهبي ـ الإشارة، مختصر في مجلد لطيف من سنة سبعمائة إلى سنة سبعين وثمانمائة».
والاسم الكامل لكتاب «الحافظ الذهبي » هو: «الإشارة إلى وفيات الأعيان، والمنتقى من تاريخ الإسلام»، ومحتواه ـ كما طالعته في مخط. الأحمدية بحلب رقم: ٣٢٨ (٤٢)، وعنها مصورة

٥ ـ تاريخ ملوك الغرب(١).
٦ ـ حلية الصفات في الأسماء والصناعات(٢).
٧ ـ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور(٣).
٨ ـ الدليل الشافي على المنهل الصافي (٤).

= معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤٠ ـ تاريخ ـ وفيات المشهورين من السنة الأولى للهجرة، حتى سنة سبعمائة، وهو من المصادر الهامة «لابن تغري بردي» في كتابه «النجوم الزاهرة».

(١) أحال إليه «ابن تغري بردي» فى المنهل الصافي ج٢ ق ٣٥١أ.

(٢) أحال إليه «ابن تغري بردي» في كتابه «النجوم الزاهرة» ج ٦ ص١٩٥، ج٧ ص٢٢٥، ج٨ ص١٩٥، ج٩ ص٢٦٠ بهذا الاسم. وذكره كذلك كل من: «المرجى» ـ مقدمة النجوم الزاهرة ج١ ص١٧ ـ و«السخاوي» ـ الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٧ ـ و«الشوكانى» ـ البدر الطالع ج٢ ص٣٥١ ـ و«حاجي خليفة» ـ كشف الظنون ص٦٩٠ ـ و«البغدادي» ـ هدية العارفين ج٢ ص٥٦٠ ـ بهذا الاسم.
بينما الوارد لدى «ابن الصيرفي» ـ أنباء الهصر ص١٧٨ ـ بشأنه قوله:
«... وله حلية الصفات في اختلاف الأسماء والصناعات، مرتب ـ أيضاً ـ على الأبواب والحروف في مجلد يشتمل على نحو ثلاثة آلاف مقطوع من الشعر، غير القصائد المطولات»، وهو واهم في تسميته.

(٣) نشر «بوبر» فيما بين عامي ١٩٣٠ و١٩٤٢م. مقتطفات منه تشتمل على جميع الفقرات التي رأى أنها لم تذكر في النجوم الزاهرة ـ راجع: نشرة بوبر. ط. كاليفورنيا، ١٩٤٢، ومقالته عن أبي المحاسن في دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص٥٩٥.

(٤) نشرة الأستاذ «فهيم محمد شلتوت» سنة ١٩٨٣م. في مجلدتين، ضمن مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، التابع لجامعة أم القرى، عن مخط. قرة جلبي ـ بتركيا ـ رقم: ٢٢٦ ـ
وهو مختصر لكتابه «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي»، جاء في مقدمته قوله:
«... أما بعد، فقد ألفت هذا المختصر، وجعلته لتاريخنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي كالديباجة له، ورتبته من أوله إلى آخره، لا يخل عن التاريخ المذكور بترجمة واحدة، واختصرت فيه التراجم جداً، ليكون الناظر في ذلك التاريخ بهذا المختصر على بصيرة، ويعلم من أول الأمر أن الذي يطلبه هو موجود في المستوفى أم لا، وهل هو في أول الكتاب أو في آخره، فيحصل مطلوبه بسهولة، وسميته بالدليل الشافي على المنهل الصافي، وفي هذا الاسم كفاية عما ذكرناه».
لكن أفسد الكتاب ناسخه، مما جعله يحيد عن الغاية التي أُلف من أجلها، حيث زِيْدَت عليه ترجمات ليست من مادة المنهل الصافي ـ وإن كتبت بمداد مغاير لمداد باقي الترجمات ـ بينما=

٩ ـ السكر الفاضح والعطر الفائح[1].

١٠ ـ الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة[2].

= أسقطت منه أخرى مثبتة في المنهل، فضلاً عن تداخل معلومات بعض الترجمات في بعض، وقد أسقطت رؤوسها، أو مخالفة إيرادها في الدليل ترتيبها في المنهل، وزاد على ذلك ورود ثلاث ترجمات في مطبوعة الكتاب وقد بترت.

أما الترجمات الزائدة على مادة المنهل، فكانت خمساً وعشرين ترجمة، هي:

تر. إبراهيم بن أبي الغيث. إبراهيم البراذعي. أحمد بن عاطف. أحمد بن محمود بن صدقة. أحمد بن إينال العلائي. أرغون العلائي الناصري. أسلم بن إسحاق. إسماعيل بن إبراهيم الفراء. إسماعيل بن إبراهيم الموصلي. إياس الصرغتمشي. بلك الجمدار. بيبرس الأشرفي. تمراز بن عبد الله الأشرفي. جانبك النوروزي. جماز بن هبة. جوهر النوروزي. الحسن بن محمد بن باشك. الحسين بن شاش. خشكلدي الناصري. عامر بن عبد الله. محمد بن الحسين بن رزين. محمد بن الحسين بن عبد السلام. محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين. محمد بن الخضر بن عبد الرحمن. يلبغا بن عبد الله الكزلي.

على حين كانت الترجمات الساقطة من مخط. الدليل المثبتة في المنهل «ستاً وستين ترجمة»، هي حسب ترقيم مط. الدليل:

١٣/٥٢/ ١١٧/ ١٢٤/ ١٢٦/ ١٣٩/ ١٥٨/ ١٥٩/ ٢١٩/ ٢٢٤/ ٢٤٢/ ٢٥٦/ ٢٧٨/ ٣٤٩:٣٥١/ ٣٧٩:٣٨١/ ٣٩٨/ ٤٠٧/ ٤٢١/ ٤٥٠/ ٤٩٤/ ٥٠٢/ ٥٥٨/ ٥٨٨/ ٦٣٣/ ٦٤٩/ ٧٢٧/ ٧٢٩/ ٨٢٢/ ٨٢٣/ ٨٤٢/ ٩٥٨/ ٩٧٧/ ١٠١٠/ ١٠٨٣/ ١١٦٢: ١١٦٥/ ١١٦٧/ ١١٦٩/ ١٢٧٩/ ١٢٨٣/ ١٤٠٣/ ١٥٣٢/ ١٥٤٤/ ١٥٩٩/ ١٧١١/ ١٩١١/ ١٩١٤/ ١٩٣٦/ ١٩٧٠/ ٢٠٤٩/ ٢٠٦٢/ ٢٢٠٠/ ٢٢٠٥/ ٢٢٨٤ : ٢٢٨٦ / ٢٣٣١ / ٢٤٦٨ / ٢٧٩٧.

أما الترجمات المبتورات في المط. فقد أتت تحت أرقام: ٤٠٥، ٧٤٨، ٨٠٠، وهي ـ على التوالي ـ كما وردت في المخط:

* «إسحاق بن داود بن سيف أرعد الحطي ملك الحبشة. توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة».

* «بيليك الأيدمري المنصوري. توفي سنة ست وثمانين وثمانمائة ودفن بتربته بالقرافة بقرب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه».

* «توبة بن علي بن مهاجر، الصاحب تقي الدين؛ أبو البقاء الربعي التكريتي، وزير المنصور قلاوون بدمشق، توفي سنة ثمان وتسعين وستمائة».

(١) هكذا سماه صاحبا إيضاح المكنون ـ ج٢ ص١٩ ـ وهدية العارفين ـ ج٢ ص٥٦٠ ـ بينما يسميه «بوبر»: «السكر القادح والعطر الفائح» ـ دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص٥٩٦ ـ مشيراً إلى أنه «قصيدة»، مضمونها صوفي، ويعزو د. محمد مصطفى زيادة ـ التاريخ والمؤرخون في مصر ص٣٤ ـ إلى مكتبة «الاسكوريال» وجود مخط. منه تحت رقم: ٣٦٧.

(٢) أشار «حاجي خليفة» إليه ـ في كشف الظنون ص ١٩٣٣ ـ بهذا الاسم قائلاً: «... ولخص المصنف

١١ ـ منشأ اللطافة في ذكر من ولي الخلافة(١).
١٢ ـ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٢).
١٣ ـ مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة(٣).
١٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة(٦).
١٥ ـ نزهة الرائي في التاريخ(٥).
١٦ ـ نزهة الألباب في اختلاف الأسماء والألقاب(٦).
١٧ ـ كتاب الوزراء(٧).

= كتابه (النجوم الزاهرة)، وسماه الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة، أوله: الحمد لله الذي زين السماء الدنيا بالنجوم الزاهرة... الخ، ذكر أنه اختصره حذراً من أن يختصره غيره ـ على تبويبه وفصوله»، وورد بهذه التسمية ـ أيضاً ـ لدى البغدادي ـ في هدية العارفين ج٢ ص٥٦٠. بينما يذكره «ابن الصيرفي ـ أنباء الهصر ص١٧٧ ـ باسم «الأنوار الظاهرة من الكواكب الظاهرة»، مشيراً إلى أنه في مجلد لطيف، مختصر من النجوم الزاهرة.

ولعله ـ إن صحت التسمية ـ مختصر من المختصر المذكور.

(١) موضوعه «مطول تاريخ مصر»، ولكن محتواه يخرج به عن إطار التاريخ بمفهومه الدقيق، إذ هو معلومات عن مصر منذ أقدم العصور تتعلق بالعجائب، وبعض الحكايات الخرافية التي يعوزها دليل أو برهان ـ نشره عن مخط. باريس «كاريل J. E. Carlyle» ـ راجع: ط. كامبردج، ١٧٩٨م.

(٢) نشر جاستون فييت «Gaston Wiet» سنة ١٩٣٢ م، مختصراً لتراجمه، كما نشر القسم الأدبي بدار الكتب المصرية الجزء الأول منه سنة ١٩٥٦م. بتحقيق الأستاذ «أحمد يوسف نجاتي»، وتوالي ـ الآن ـ الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة إعادة تحقيقه ونشره.

(٣) مخط. محقق تحت الطبع.

(٤) نشر كوينبول وماتيس «Juynboll - Matthes» فيما بين سنتي ١٨٥٥ و١٨٦١ م. ـ في ليدن ـ المجلدين الأول والثاني منه (من سنة ٢٠: ٣٦٥هـ.)، ثم نشر «بوبر» ـ في بركلي ـ فيما بين سنتي ١٩٠٩ و١٩٢٩ خمس مجلدات منه (من سنة ٣٦٦: ٥٦٦، ومن سنة ٧٤٦: ٨٧٢هـ.)، ثم أعيد في مصر نشره كاملاً في ١٦ مج. ط. دار الكتب المصرية، والمؤسسة المصرية (الهيئة العامة للكتاب).

(٥) أشار «جرجي زيدان» ـ تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص١٩٦ ـ إلى أنه «تاريخ مفصل على السنين والشهور والأيام في عدة مجلدات. منها الجزء التاسع في اكسفورد لحوادث سنة ٦٧٨-٨٤٧هـ.».

وراجع: بوبر. دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص٥٩٥.

(٦) أشار إليه «ابن الصيرفي» في أنباء الهصر ص١٧٧ ـ ١٧٨.

(٧) نسبه «بوبر» ـ دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص٥٩٥ ـ إليه ضمن ما نعته «بالملخصات

كما أشار «ابن تغري بردي» إلى أن له مصنفاً في سوق المحمل واللعب بالرمح[١]، ويعزو له «ابن الصيرفي»[٢] كتاباً آخر في «الرياضا والموسيقا»، لعله هو المشار إليه لدى «بوبر»[٣] بقوله: «ورسالة صغيرة في الموسيقا الصوتية».

تلك هي مؤلفات «ابن تغري بردي»، ترينا عنواناتها كم كان ذواقة في تسميتها[٤] وإنشاء موضوعاتها، كما ترينا موضوعاتها إلى أي حد تأثر بهذه الثقافة الشمولية التي شكلت فكره صبياً وشيخاً، ناهيك عن معرفة ميوله واتجاهاته الغالبة نحو: التاريخ، والأدب، واللغة، والموسيقا، والتصوف.. ووعيه بمادتها ومواردها.

= والمقتطفات»، بيد أن «ابن تغري بردي» يحيل إليه في النجوم الزاهرة ـ ج٤ ص١٧١، ج٥ ص٢٢٢ ـ مشيراً إلى أنه محل للإطناب في الوزراء.

(١) فقد ورد في النجوم الزاهرة ـ ج٧ ص٣١٢ ـ بشأنه قوله:
«.. وقد صنفت أنا ثمانية ميادين، كل واحد يخالف الآخر في نوعه لم أُسْبَق إلى مثلها قديماً ولا حديثاً، لكنني لم أظهرها لكساد هذا الفن وغيره في زماننا هذا، ولعدم الإنصاف فيه، وكثرة حساده ممن يدعي فيه المعرفة وهو أجنبي عنها، لا يعرف اسم نوع من أندابه على جليته بل يدعيه جهلاً، ويقوى على دعواه بالشوكة والعصبية».

(٢) أنباء الهصر ص ١٧٨.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص٥٩٦.

(٤) تنبه «ابن الصيرفي» ـ أنباء الهصر ص١٧٩-١٨٠ ـ إلى ذلك قائلاً: «.. وأما الذي يستحسن مما نسبه إليه، فهو تسميته الكتب المذكورة»، وإن دفع عن «ابن تغري بردي» اختيار عنواناتها قائلاً: «.. وقد ثبت عندي بالطريق الصحيح الذى لا يزول من اعتقادي أن سيدنا وشيخنا الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي ـ عفا الله عنه ـ هو الذي سماهم له، ولقد سألت الشيخ المذكور عن ذلك فتغافل عن الجواب، فألزمته وألححت عليه فأخبرني بذلك من لفظه».
وعلى الرغم من أن تسمية المُصَنَّف من قِبل غير مؤلفه، بل وعمل خطبته كان مشهوراً آنذاك ومتعارفاً عليه (راجع: ابن حجر. إنباء الغمر ج٢ ص٢٧٧) فإنه ليس بعيداً من «ابن تغري بردي» أن يسمى كتبه بنفسه بتلك العنوانات الآنفة، وقد كان شاعراً على أي منزلة من الجودة في شعره.

حـوادث الدهور
في مدى الأيام والشهور

ذيل على « السلوك » للمقريزي ، أشار إليه مؤلفه في مقدمته بقوله :

« . . . أما بعد ، فلما كان شيخنا الإمام الأستاذ العالم العلامة المفنن ، رأس المحدثين ، وعمدة المؤرخين ، تقي الدين ، أحمد بن علي المقريزي ـ الشـافعي ، أتقن من حرر تـاريخ الـزمان ، وأضبط من ألف في هـذا الشأن ، وأجل تحفة اخترعها ، وعمدة ابتدعها ، كتابه المسمى بالسلوك في معـرفة دول الملوك ، قد انتهى فيه إلى أواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وهي السنة التي توفي فيها[1] ، ولم يأت بعده من يعول عليه في هذا الفن ، ولا من يرجع إليه إلاّ الشيـخ الإمام العـالم العلامـة قاضي القضـاة ، بدر الـدين ، محمـود العيني ـ الحنفي ، فأردت أن أعلم حقيقة أمره في هذا المعنى ، ونظرت فيما يعلقه في تلك الأيام ، فإذا به كثير الغلطات والأوهـام ، وذلك لكبـر سنه واختـلاط عقله وذهنـه ، بحيث أن الشخص لا يمكنه الفـائدة من ذلـك إلاّ بعـد تعب كبيـر ، لاختلاف الضبط وعدم التحرير ، فلما رأيت ذلك أحببت أن أحيـي هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ تقي الدين المقريـزي ، وجعلته كـالذيـل على كتاب السلوك ـ المذكور ـ وسميته : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور .

ورتبته على السنين والشهور والأيام ، وجعلت ابتدائي فيه من افتتاح سنة خمس وأربعين وثمانمائة .

لكن لم أسلك فيه طريق الشيخ المقريزي في تطويل الحوادث في السنة

---

(١) سهو قلم من مؤرخنا ، إذ أن «المقريزي» توفي في السنة التالية .

وقصر التراجم في الوفيات ، بل أطنبت في الحوادث وأوسعت في التراجم ، لتكثر الفائدة من الطرفين ، وما وجدته مختصراً من التراجم في هذا التعليق ، راجع فيه كتابنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، فإني هناك شفيت الغلة ، وأزحت العلة »(١) .

والمستخلص من هذا :

أ ـ دافعه إلى تأليف الكتاب : انتهاء (السلوك) « أجل تحفة اخترعها ، وعمدة ابتدعها «المقريزي» أتقن من حرر تاريخ الزمان ، وأضبط من ألف في هذا الشأن » بأواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة للهجرة ، وفقد « من يعول عليه في هذا الفن » ـ التأريخ ـ أو « يرجع إليه » ، وفي ذلك إغراء لمؤرخنا بالتذييل عليه ووصله ، إحياءً لهذه «السُنة» .

ب ـ محتواه وتنظيمه : « . . . ورتبته على السنين والشهور والأيام ، وجعلت ابتدائي فيه من افتتاح سنة خمس وأربعين وثمانمائة »، أي من السنة التالية لانتهاء مادة « السلوك » .

جـ ـ منهجه في تأليفه : الإطناب في «الحوادث» ـ متفقاً في ذلك مع السلوك ـ والتوسعة في « التراجم » ـ مخالفة لمآ جاء في السلوك ـ «لتكثر الفائدة من الطرفين» ، وإن لم تغن هذه التوسعة في التراجم عن مراجعة «المنهل الصافي» ، إذ هو «العمدة» فيها .

د ـ تسميته للكتاب : «. . . وسميته : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور » .

ويلي هذه المقدمة عشرون حولية متتابعة ، حُصِرت فيما بين سنتي خمس وأربعين وثمانمائة ، وأربع وسبعين وثمانمائة للهجرة ، وقد انقسمت كل منها إلى شطرين ـ باستثناء آخرها ـ عني في أولهما بإثبات الكثير من الحوادث المتتابعة ، والمرتبة في حولياتها على الشهور فالأيام ، وفي ثانيها بالترجمة لأعلام المتوفين في كل حولية على حدة ، دون تنظيم لتلك الترجمات ، سواء

---

(١) ابن تغري بردي . حوادث الدهور (مخط . آياصوفيا) جـ ١ ق ٢ .

على الحروف الأولى لأسمائهم أو ألقابهم أو كناهم ، أو حتى حسب تأريخ الوفاة ، مخالفاً بذلك العرف المتبع لدى المؤرخين المعاصرين . وقد يذيل على الوفيات ما فات إثباته من «الحوادث» في صدر بعض الحوليات ، أو يشير من خلال الحوادث إلى كثير من «الوفيات».

أما «الحوادث»، فهي متعددة العناصر ، استهلها بقائمة استقرارية ، ذكر فيها أسماء المتولين للوظائف الهامة في الدولة ، ثم نبه من خلال الحوادث تباعاً - في سائر الحوليات اللاحقة - إلى ما قد يحدث فيها من تغاير ، مضيفاً إليها استقرارات وظيفية أخرى .

وهذه القائمة الاستقرارية المتصدرة لأولى حوليات الكتاب (٨٤٥ هـ.) شملت : السلطان ، والخليفة ، والقضاة الأربعة في عاصمة السلطنة (الشافعي ، فالحنفي ، فالمالكي ، فالحنبلي)، والمحتسب، وأتابك العساكر، وأمير سلاح ، وأمير مجلس، والأمير آخور الكبير ، والخازندار، وشاد الشراب خاناه، والزردكاش، ونائب القلعة، والزمام، ومقدم المماليك، ووالي القاهرة، وكاتب السر، وناظر الجيش، والوزير، والأستادار، وناظر الخاص، ونائب كاتب السر، وناظر الدولة، ونواب الشام وحلب وطرابلس وحماه وصفد وغزة والكرك وملطية والقدس وحمص .

وهو - عادة - ما ينبه إلى الجمع لدى أحدهم بين أكثر من وظيفة ، معللاً لتوليته هذه الوظيفة أو تلك ، وتلك الوظائف المرشحة للأفراد والتي لا ينم استقرارهم فيها ، والعلة في ذلك ، وما يطرأ على هذه الوظائف - وسائر عادات الدولة ورسومها - من تغاير أو تعديل ، وما يلحق الشاغلين لها - في كثير من الأحيان - من نفي ، أو حبس ، ومصادرة أموال ، أو ضرب وتشهير ، أو عزل وتبطيل ، وما يتبع تلك العقوبات (خاصة لدى الأمراء أرباب الوظائف العسكرية) من تغاير في الإقطاعات .

كما أنه يشير بالضرورة - تبعاً لذلك - إلى فك المحبوسين والرضا عنهم ، بشفاعة الشافعين من الأمراء ومشهوري العلماء ، وما يحدث في بعض السجون من الثورات ، أو نقب الجدران وقتل السّجّانين تمهيداً للفرار .

كما يشير إلى مجهودات (السلطنة) في درء خطر الخارجين عليها من العربان ، والنواب، ودفع المعتدين على سواحلها من الفرنج ، بتحصين الثغور، أو إعداد المراكب الحربية لغزوهم في عقر ديارهم (كما في غزو رودس ، وحصار قيسارية) جهاداً واحتساباً لوجه الله .

وكذا مجهوداتها في مواجهة الغلاء والتخفيف عن الفقراء والمصابين في ذويهم بالفقدان نتيجة للطواعين ، من التسعير للمطعومات، وجلب القمح والشعير وغيرهما، وبيعهما للناس بالخسران، وتفريق الدراهم عليهم ، وتكفين الموتى منهم .

وربما عولجت أسباب القحط والغلاء معالجات دينية ، كالخروج للإستسقاء، وإشهار الدعاء بالكف عن الكبائر والمعاصي ، وكبس الحانات والمعاصر التي للخمور .

ولا يفوت « ابن تغري بردي » ـ في كثير من الأحيان ـ التنبيه إلى ارتفاع أو انخفاض سعر بعض السلع ، لتكون مقياساً لغيرها، ومن هذه السلع : القمح ، والفول، والشعير، والأرز، والبرسيم ، والتبن، والحطب، واللحوم، وأنواع الزيوت، والدهن، والسمن، وعسل النحل، والأجبان، والدبس، والدقيق، والخبز . . . ومن هذه السلع ما يخضع للوزن (بالرطل)، ومنها ما يخضع للقياس (الفدان أو القيراط)، ومنها ما يخضع للكيل (القدح أو راوية الماء) .

وكثيراً ما يقارن بين الأسعار في عاصمة السلطنة (القاهرة) وفي غيرها من بلدانها (الشام والحجاز) .

كما أنه يشير ـ دائماً ـ إلى ما استقر عليه الحال من تسعير للدراهم والدنانير والفلوس ، وأسعار المثقال من الذهب أو الفضة ، بل والمناداة بتبطيل بعض العملات أو استحداث البعض الآخر منها .

وهو مهتم ـ كذلك ـ بالتنبيه إلى ما يقوم به السلاطين من سرحات ومواكب ، عيادة للمرضى من بعض أرباب الوظائف في الدولة ، أو تفقداً لأحوالهم ، أو مجاملة للأقارب ، أو إعلاماً بالتماسك والعافية من الأمراض ، وما يتبع الكثير من هذه الزيارات من الإهداء إلى السلطان ، كل على حسب

طاقته ووظيفته . وكذا ما يكون في القصر من تزاوج أو تطليق ، أو إنجاب للأبناء ، أو فقد لهم بالوفاة ، وما يكون من احتفال لشفاء بعض «الخوندات» ، أو تصريح لها بالحج ، وما يتبع الحالتين من التجمل معها وتكالب الأمراء على خدمتها ، التماساً لرضاها ، وبالتالي رضا السلطان .

وهو مهتم ـ كذلك ـ بالتأريخ لوفود القصاد (الرسل) من الممالك ذات العلاقة بدولة سلاطين المماليك ـ في وقته ـ على السلطان ، وكذا النواب والأمراء من مختلف أرجاء السلطنة ، ووصف ما حملوه إلى خزانة السلطان من هدايا ، وما خصهم به السلطان من خلع أو هبات ، أو حضور مواكب .

وكذا ما يقع في عصره من نوادر الحوادث ، كإنجاب إحداهن طفلة برأسين ، أو نبع ماء رائق من نخلة جافة ، أو تجاوز من بعض الصُلحاء (الصوفية) .

على أنه التزم في سائر الحوليات بالإشارة إلى اكتمال كسوة الكعبة ، ودوران المحمل، وتعيين أمراء الحاج (حَجاً وعُمراً) ، وقدوم مبشري الحاج ، وإخبارهم بما يكون في الحج من السلامة ورخص الأسعار ، أو الغلاء والفناء ، أو قطع الطريق على الحجيج ، ونهب وأسر العربان لهم .

وكذا الإشارة إلى احتراق النيل ، أو وفائه ، وما يتبعه من تخليق مقياسه ، وفتح (كسر) خليج السد ، وإفضاء الخلع السلطانية على كاسر الخليج ، والقيَّاس (من ذرية أبي الرداد) ؛ مقرناً ذلك بشاهد شعري مما قيل مستعذباً في أحوال النيل ، بل تأتي أحوال النيل لازمة مذيلة لسائر الحوادث من كل عام ، وقد أشير فيها إلى القاعدة القديمة ، ومبلغ الزيادة .

وتلك الحوادث لم ترد مجردة عن ذات مؤرخنا ـ في معظمها ـ وإنما هي ممزوجة بذات مؤرخنا ، سواء بإبرازه عنصر المشاهدة والمشاركة فيها ، أو بالتوجيه النقدي لها .

وأما «التراجم» ، فهي قصيرة قياساً بمثيلاتها الواردة في «المنهل الصافي» ، وهي مع هذا القصر متفاوتة من حيث المادة والمساحة ، تبعاً للأهمية المترجم له ، وصلة مؤرخنا به ، فترجمات الخلفاء والسلاطين ومشاهير

العلماء كالتقي المقريزي، وابن حجر، والبدر العيني - مثلاً - لا تضاهيها ترجمة سواء في المحتوى أم في المساحة.

وعناصرها تنحصر في: الاسم، واللقب، والكنية، واسم الشهرة، والنسبة، والموطن، والألقاب العلمية والصفات الرئيسة، والمولد، والوفاة، وربما قدر عمر المترجم له حال الوفاة، والنشأة والتكوين، ومنزلة المترجم له في مجتمعه، ووظائفه، وأعماله، وسجاياه، وصفاته، وعلاقاته بذوي قرباه، أو أقرانه، وعلاقة مؤرخنا به.

وهي ترجمات لم تقتصر على نوع واحد من الأعلام المشاهير في الجنس، أو في الأصل، أو في الديانة، أو في المنصب، أو في الوظيفة، أو في الحرفة، أو في المعرفة، وإنما هي «ترجمات» **«شمولية النوع»**، **«شمولية المكان»** - كذلك - بحيث لم تقتصر على المصريين وحدهم، وإنما هي حاوية إلى جانبهم مشاهير الشام والحجاز واليمن... وغيرهم.

وعددها في هذا الجزء - المحقق - «٢٠٤» ترجمة، كما يوضحه الجدول التالي:

مسلسل	الحولية	عدد الترجمات فيها	مسلسل	الحولية	عدد الترجمات فيها
١	٨٤٥	٦	٩	٨٥٣	٢٩
٢	٨٤٦	٨	١٠	٨٥٤	٢٢
٣	٨٤٧	٤	١١	٨٥٥	٢١
٤	٨٤٨	٤	١٢	٨٥٦	٢٢
٥	٨٤٩	٣	١٣	٨٥٧	١٩
٦	٨٥٠	٨	١٤	٨٥٨	١١
٧	٨٥١	٧	١٥	٨٥٩	١٥
٨	٨٥٢	٢٠	١٦	٨٦٠	٥
الجملة					٢٠٤ ترجمة

إحصاء عددي بترجمات حوليات هذا الجزء من الكتاب

لم يرد بها مؤرخنا الموازنة بين الحوليات من حيث الكم، إذ خضع إثباتها في حولياتها للعشوائية المطلقة ،ولذا وجد أن أولى حوليات الكتاب قد احتوت على ست ترجمات ـ فقط ـ وأن آخر حوليات هذا الجزء قد احتوت على خمس ترجمات ـ فقط ـ بينما تفوقت الحوليات المتوسطة لمادة الكتاب باستيعاب أكبر كم منها ، على نحو ما يوضحه الجدول التالي :

مسلسل	الحولية	عدد الترجمات	مسلسل	الحولية	عدد الترجمات
١	٨٤٩	٣	٩	٨٥٨	١١
٢	٨٤٧	٤	١٠	٨٥٩	١٥
٣	٨٤٨	٤	١١	٨٥٧	١٩
٤	٨٦٠	٥	١٢	٨٥٢	٢٠
٥	٨٤٥	٦	١٣	٨٥٥	٢١
٦	٨٥١	٧	١٤	٨٥٤	٢٢
٧	٨٤٦	٨	١٥	٨٥٦	٢٢
٨	٨٥٠	٨	١٦	٨٥٣	٢٩

ترتيب الحوليات حسب الكم التصاعدي للترجمات

الأصول المخطوطة للكتاب

عرف لهذا الكتاب مخط . ثلاث، وهي :

أ ـ مخط. «برلين»، ذات الرقم : «٩٤٦٢»، وهي نسخة تامة، تنتهي بحوادث حولية ٨٧٤ هـ . التي مات فيها مؤرخنا ، كتبت بخط «الشمس السخاوي» ـ المؤرخ الشهير ـ لكن لم يقدر لي الاطلاع إلاَّ على لوحتين ـ فقط ـ أخذتا عنها ، يأتي بيانهما في وصف المخط . الثالثة .

ب ـ مخط . «آيا صوفيا»، ذات الرقم : «٣١٨٥»، والتي اطلعت عليها في مصورتها المحتفظ بها لدى معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة، برقم :

«٢٢١ ـ تاريخ»، وتحتوي على الجزء الأول من الكتاب فقط ، والذي ينتهي بنهاية حولية ستين وثمانمائة للهجرة ، ويقع في إحدى وأربعمائة صفحة ، ذات قطع كبير ، مسطرتها نحو أربعة وعشرين سطراً ، فرغ من كتابتها بخط نسخي حسن « محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب، الأخميمي، الخزرجي الحنفي» يوم الأحد، الرابع والعشرين من شعبان سنة (٨٩٨ هـ. / ١٤٩٣ م.) ، عن نسخة « محمد بن أحمد بن محمد ، الطندتائي ـ الشافعي »، المكتتبة من مخط . المؤلف، والمؤرخة بيوم الخميس ، حادي عشر ربيع الآخر سنة (٨٢١ هـ. / ١٤٥٧ م.) .

وهي نسخة سليمة في معظمها، ذيلت صفحاتها بالكثير من الحواشي والتعليقات ، وقد ميزت عن غيرها من المعلومات المستدركة على المتن، والساقطة أثناء النسخ بالرمز «ح»، أي : حاشية .

جـ ـ نسخة التيمورية ، ذات الرقم : « ٢٤٠٤ » ، المحتفظ بها لدى دار الكتب المصرية في القاهرة، والمصورة عن مخط . (المتحف البريطاني)، وتقع في «٤٧٤» لوحة ، مقاسها: ٢٠ × ٢٤ سم، ومسطرتها حوالي سبعة وعشرين سطراً، ضمتها ثلاث مجلدات ، وقد أتلفت الرطوبة الأطراف العليا والسفلى لأكثر صفحات الأصل ، ومحت الكثير من معلوماتها .

وهي نسخة مجهولة الناسخ والتأريخ ، لبتر في أولها وآخرها ، كما أنها كثيرة الخطأ والتحريف ، والخروم ، التي أفقدتها مقدمة الكتاب ، وما تليها من حوليات حتى حوادث أول رجب سنة ٨٤٨ هـ . وأواخر حوادث سنة ٨٥٩ هـ. ووفياتها ، وحولية ٨٦٠ هـ. بكاملها ، وأوائل وأواخر حوادث سنة ٨٦٢ هـ. ووفياتها ، وحوادث سنة ٨٦٣ هـ. وقسماً من وفياتها ، وحوادث المحرم وبعض صفر سنة ٨٧١ هـ. وقسماً من وفياتها ، وحوادث جمادى الآخرة وشعبان وبعض ذي الحجة سنة ٨٧٢ هـ. ، وقسماً من وفياتها إلى آخر الكتاب .

ونظراً لضياع أول هذه النسخة وآخرها ، وابتدائها بورقتين من كتاب « تحفة الظرفاء في مناقب الملوك والخلفاء » «للجلال النوري»، المعروف بتاج الملوك الحلبي ـ ضمتا إليها خطأً ـ فقد صور «تيمور ـ باشا ـ» ـ رحمه الله ـ لوحتين من مخط . برلين (من حوادث سنة ٨٤٨ هـ.) ، مقاسهما :

٢٩ × ٢١ سم ، ومسطرتهما : ٤١ سطراً ، ذيل بهما على نسخته في مجلدة رابعة ، أشِير في أولها إلى أنه استحضرهما للتثبت من الكتاب ومؤلفه .

هذه النشرة :

نشرتنا هذه قاصرة على تحقيق الجزء الأول ـ فقط ـ من الكتاب ، والمحتوي على مقدمة المؤلف ، وما تليها من حوليات ، إبتداء بحوادث سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، وانتهاء بوفيات سنة ستين وثمانمائة للهجرة ، وما ذيل عليها من أخبار اليمن .

ومادة هذا الجزء تقارب ـ فيما أرى ـ نصف مادة الكتاب وحجمه ؛ وسوف تصدر ـ بإذن الله ـ في ثلاثة أجزاء ، يضم الأول والثاني منها مقدمة التحقيق والنص المحقق ، بينما يشتمل ثالثها على الفهارس العلمية ومصادر التحقيق .

منهج التحقيق :

اتخذت مخط . «آيا صوفيا» أصلاً لتحرير هذه النشرة، رامزاً إليها بالرمز: «أ»، وقد أشير إليها ـ أحياناً ـ بـ «الأصل»، مع مراجعة مخط . «التيمورية»، التي رمزت إليها بالرمز «ب» ، وإن لم أتقيد في كثير من المواضع بإثبات سائر الاختلافات ـ فيما بينهما ـ لما أشرت إليه ـ قبل ـ من شيوع الإسقاطات والتحريفات فيها .

كما اتخذت من «النجوم الزاهرة» للمؤلف، ومختارات «بوبر» من «حوادث الدهور» أصلاً ثالثاً لتحرير هذه النشرة ، حيث أفادا كثيراً في ملء ما بها من فراغات، مع التنبيه ـ دائماً ـ إلى ذلك في الحواشي .

وقد أضيف حرفاً، أو كلمة، أو جملة، أو فقرة ـ من نسخة «ب»، أو من المصادر ـ تصويباً للنص، ومدعاة لاستقامته ، أو أبدل كلمة أو أسقطها ـ كذلك ـ لاضطرابها أو تكريرها، منبهاً إلى ذلك ـ دائماً ـ في الحواشي .

وفضلاً عن ذلك ، فإنني نظمت الكتاب ، بجعل أسماء الشهور في وسط السطور ـ دائماً ـ كالعنوانات لما يليها من الحوادث ، التي نظمت في فقرات متتابعة ، كما رقمت الترجمات المذيل بها على الحوادث بأرقام متتابعة في

حولياتها ، واضعاً لهذه الأرقام بين قوسين وقد تصدرت مادة الترجمات ، إشارة إلى أنها ليست من أصل الكتاب .

أما الحواشي ، فإنني لم أرد بها إثقال النص المحقق ، ولذا فقد اقتصر فيها على الضروري جداً ، الرامي إلى شرح مصطلح حضاري ، أو تعريف ببلد خفي الشهرة ، أو أثر معماري ، أو تنبيه على خطأ وقع مؤرخنا فيه ، مع تخريج سائر ترجمات الكتاب ، والتعريف بالكثير من أعلامه ، وسياق نسب المترجمين فيه ، ممن اضطرب أو اختصر نسبهم في أصل الكتاب .

على حين تنوعت الفهارس العلمية ، المفردة بجزء مستقل ، خدمة لمادة الكتاب ، وتيسيراً للإستفادة منها .

وبالله التوفيق ، ومنه العون والسداد ، ،

محمد كمال الدين عز الدين علي

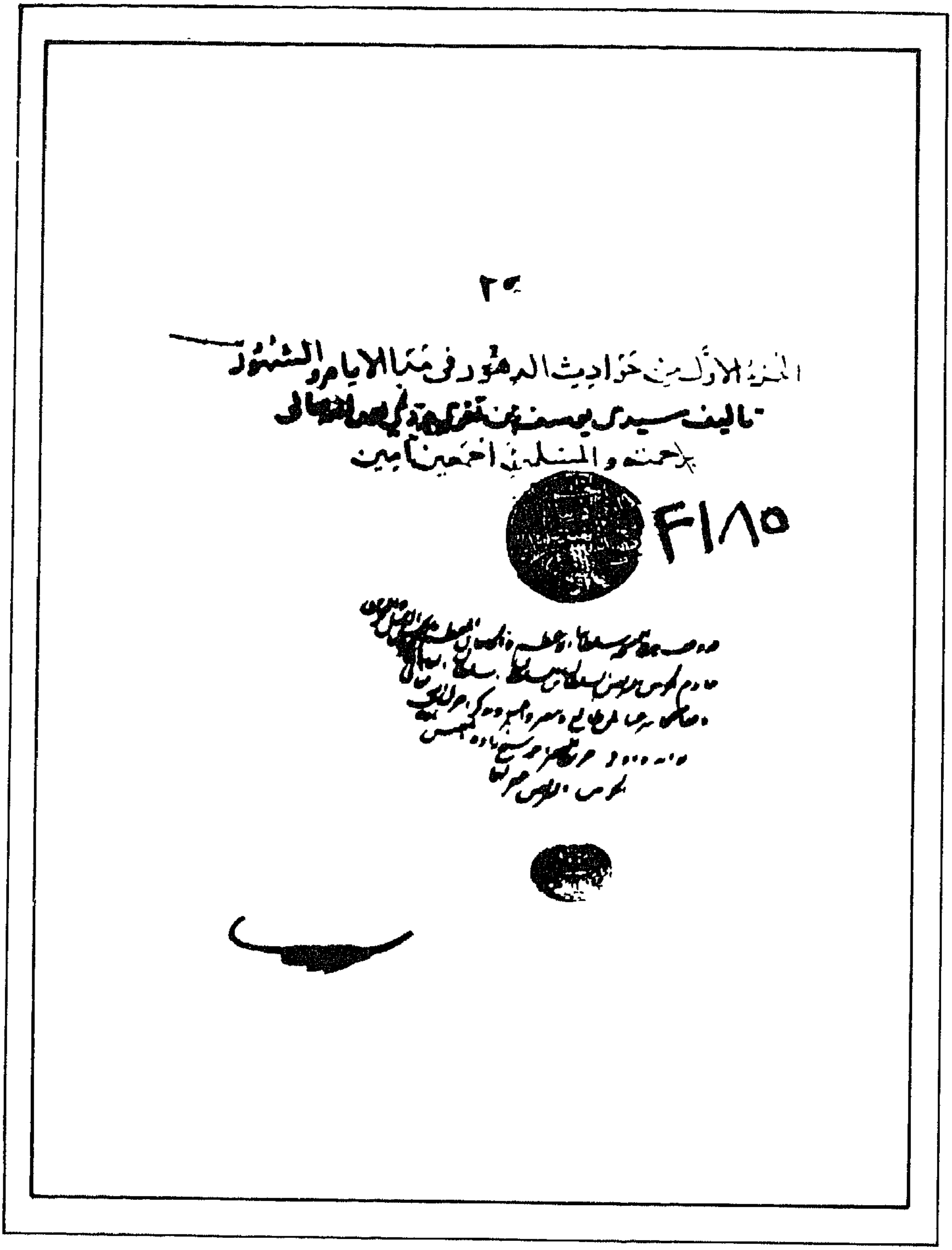
الجزء الأول من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور
تأليف سيدي يوسف بن تغري بردي تغمده الله تعالى
برحمته والمسلمين أجمعين آمين
۴۱۸۵

صفحة الغلاف من نسخة «أ»

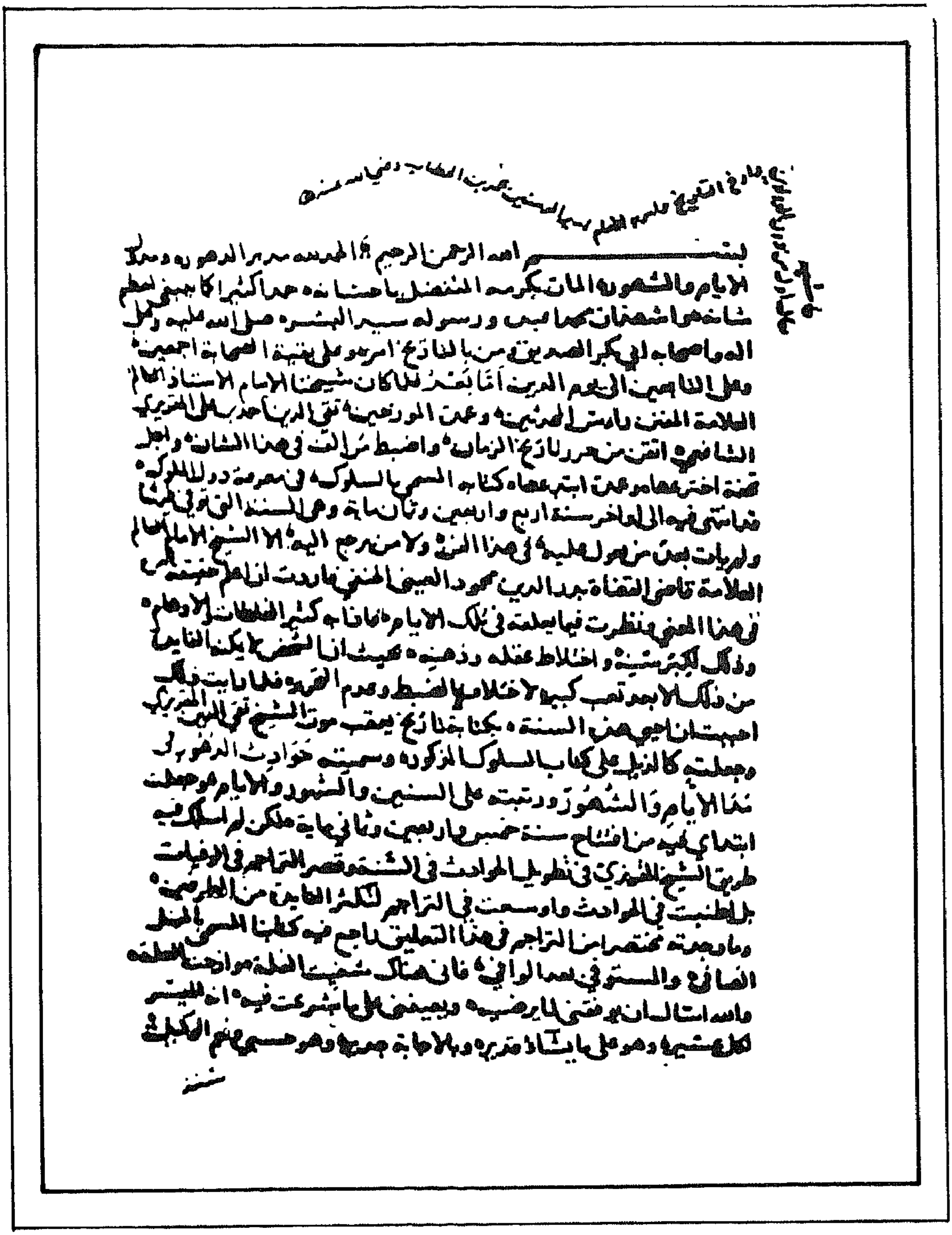
بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله مدبر الدهور ومصرف
الأيام والشهور والساعات بكرمه المتفضل بإحسانه حمداً كثيراً كما ينبغي لعظم
شأنه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر صلى الله عليه وعلى
آله وأصحابه أبي بكر الصديق [illegible] وعلى بقية الصحابة أجمعين
وعلى التابعين إلى يوم الدين أما بعد فلما كان شيخنا الإمام الأستاذ العالم
العلامة المفنن [illegible] وعمدة المؤرخين تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
الشافعي أتقن من حرر التاريخ في الزمان واضبط من ألف في هذا الشأن وأجل
من اختبر [illegible] كتابه السلوك في معرفة دول الملوك
فانتهى فيه إلى أواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة وهي السنة التي [illegible]
ولم يأت بعده من يعول عليه في هذا الفن ولا من يرجع إليه إلا الشيخ الإمام العالم
العلامة قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي فأردت أن أنظر ما صنفه
في هذا المعنى فنظرت فيما علقه في تلك الأيام فإذا هو كثير الغلطات والأوهام
وذلك لكبر سنه واختلاط عقله وذهنه بحيث أنا [illegible] يمكننا الثقة
من ذلك إلا بعد تعب كبير لاختلال الضبط وعدم [illegible] فلما رأيت ذلك
استحسنت أن أجمع [illegible] تاريخاً يعقب موت الشيخ تقي الدين المقريزي
وجعلته كالذيل على كتاب السلوك المذكور وسميته حوادث الدهور في
مدى الأيام والشهور ورتبته على السنين والشهور والأيام وجعلت
ابتدائي فيه من افتتاح سنة خمس وأربعين وثمانمائة ولكن لم أسلك فيه
طريقة الشيخ المقريزي في تطويل الحوادث في الشهور وقصر التراجم في الوفيات
بل اختصرت في الحوادث وأوسعت في التراجم لكثرة الفائدة من الطرفين
وما جمعته مختصراً من التراجم في هذا التعليق راجع فيه كتابنا المنهل
الصافي والمستوفي بعد الوافي [illegible]
والله أسأل أن يوفقني لما يرضيه ويعينني على ما شرعت فيه إنه الميسر
لكل عسير وهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهو حسبي ونعم الوكيل

الصفحة الأولى بعد الغلاف من نسخة «أ»

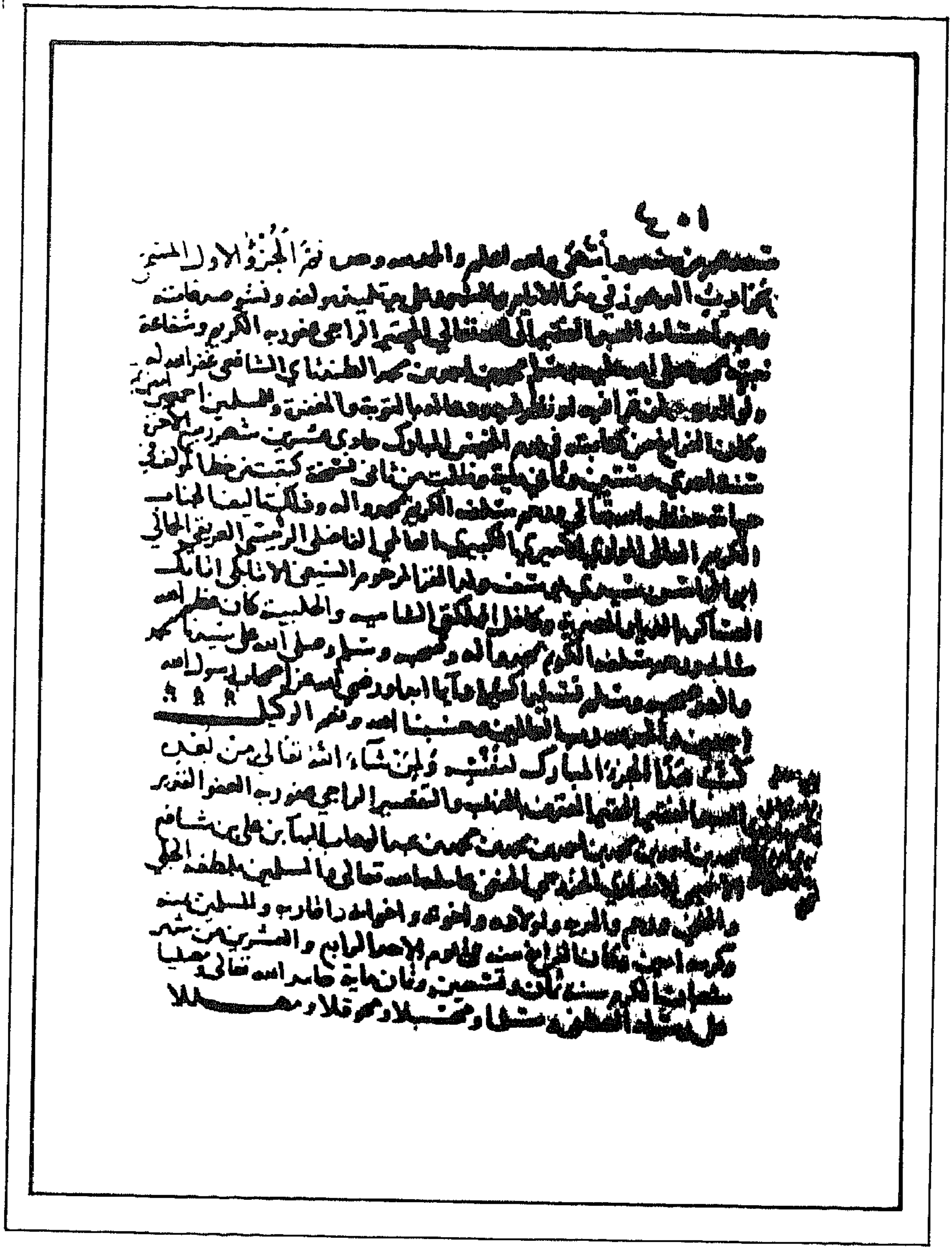

الصفحة الأخيرة من نسخة «أ»

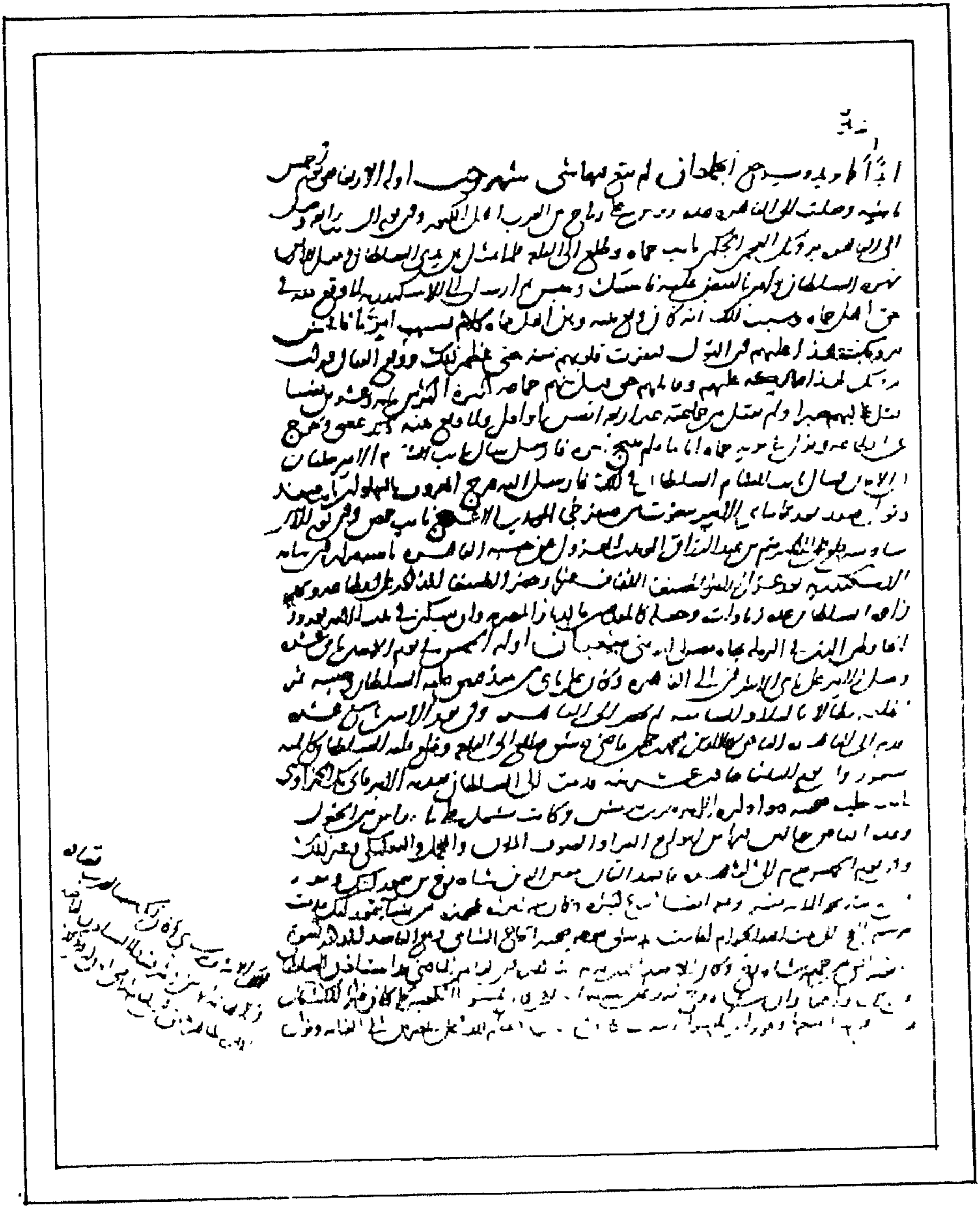

الصفحة الأولى من مخطوطة «ب»

النَّصُّ المُحَقَّق

// الجزء الأول [١]

من

حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور

تأليف

سيدي يوسف بن تغري بردي

تغمده الله ـ تعالى ـ برحمته والمسلمين أجمعين، آمين.

// بسم الله الرحمن الرحيم [٢]

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله مدبر الدهور، ومدوّل الأيام والشهور، المانّ بكرمه، المتفضل بإحسانه، حمداً كثيراً كما ينبغي لعظيم شأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيّد البشر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أبي بكر الصديق، ومن بالتاريخ أمر(١)، وعلى بقيّة الصحابة أجمعين، وعلى التابعين إلى يوم الدين.

أما بعد، فلمّا كان شيخنا الإمام الأستاذ العالم العلاّمة المفنن، رأس المحدثين، وعمدة المؤرخين، «تقي الدين، أحمد بن علي المقريزي الشافعي» أتقن من حرر تاريخ الزمان، وأضبط من ألف في هذا الشأن، وأجل تحفة اخترعها، وعمدة ابتدعها، كتابه المسمى «بالسلوك في معرفة دول الملوك» قد انتهى فيه إلى أواخر سنة أربع وأربعين وثمانمائة، وهي السنة التي توفي فيها(٢)، ولم يأت بعده من يعول عليه في هذا الفن، ولا من يُرجع إليه إلا الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة «بدر الدين، محمود العيني ـ الحنفي»(٣) فأردت أن أعلم حقيقة أمره في هذا المعنى، ونظرت فيما يعلقه في تلك الأيام، فإذا بـه كثير الغلطات والأوهام، وذلك لكبر سنه واختلاط عقله وذهنه، بحيث إنّ الشخص لا يمكنه الفائدة من ذلك إلاّ بعد تعب كبير، لاختلاف الضبط وعدم التحرير، فلما رأيت

---

(١) في حاشية «أ»: «يقال: أول من دون الدواوين، وأرخ التاريخ وأمر به، الإمام أمير المؤمنين عمر ابن الخطّاب ـ رضي الله عنه».

(٢) كانت وفاة التقي المقريزي في السنة التالية (سنة ٨٤٥ هـ.)، كما هو مدون في الترجمة رقم (٥) من وفيات أولى حوليات هذا الكتاب.

(٣) راجع ترجمته ضمن وفيات حولية خمس وخمسين وثمانمائة للهجرة من هذا الكتاب..

ذلك أحببت أن أحيي هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ «تقي الدين المقريزي»، وجعلته كالذيل على كتاب السلوك المذكور، وسميته:

«حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور»

ورتبته على السنين والشهور والأيام، وجعلت ابتدائي فيه من افتتاح سنة خمس وأربعين وثمانمائة.

لكن لم أسلك فيه طريق الشيخ المقريزي في تطويل الحوادث في السنة وقصر التراجم في الوفيات، بل أطنبت في الحوادث وأوسعت في التراجم لتكثر الفائدة من الطرفين، وما وجدته مختصراً من التراجم في هذا التعليق راجع فيه كتابنا المسمى «بالمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافي»، فإني هناك شفيت الغلة، وأزحت العلة.

والله أسأل أن يوفقني لما يرضيه، ويعينني على ما شرعت فيه، إنه الميسر لكل عسير، وهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وهو حسبي ونعم الوكيل.

* * *

// سنة خمس وأربعين وثمانمائة [٣]

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والأقطار الحجازية والبلاد الشامية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري، والخليفة المعتضد بالله أبو الفتاح داود[١] ـ وهو مريض ـ (و) القضاة: الشافعي: قاضي القضاة حافظ العصر شهاب الدين، أحمد بن حجر العسقلاني، والحنفي: قاضي القضاة سعد الدين، سعد بن الديري، والمالكي: قاضي القضاة بدر الدين، محمد بن التنسي، والحنبلي: قاضي القضاة: بدر الدين، محمد بن عبد المنعم البغدادي، ومحتسب القاهرة الشيخ بدر الدين، محمود العيني، والأمراء: أتابك العساكر[٢]: يشبك السودوني المشد، وأمير سلاح[٣]: الأمير تمراز القرمشي الظاهري برقوق، وأمير مجلس[٤]: الأمير جرباش الكريمي الظاهري برقوق، المعروف بقاشق،

---

(١) راجع ترجمته ضمن وفيات هذه السنة من هذا الكتاب.

(٢) أتابك العساكر: لفظ يتألف من شقين، هما: « أتا » أو « أطا » بمعنى أب، و« بك » بمعنى أمير، وهو لقب فخري أطلقه السلاجقة على كبير أمرائهم، ثم أريد به زمن سلاطين المماليك: مقدم العساكر، أو القائد العام، وكانت تلك أرقى الوظائف العسكرية ـ آنذاك ـ بل كثيراً ما مهدت لصاحبها تولي السلطنة.

(٣) أمير سلاح: وظيفة عسكرية كبرى في دولة سلاطين المماليك، لا يشغلها إلا أمير مائة مقدم ألف، وهو أمير السلحدارية، والمشرف على السلاح خاناه بما فيها من أدوات وأسلحة، لا تدخل إليها الأسلحة، ولا تخرج منها إلا بأمره، بالإضافة إلى أنه كان يحمل السلاح الخاص بالسلطان في المحافل العامة، ويناوله إياه في الحروب وفي عيد النحر.

(٤) أمير مجلس: إحدى الوظائف المملوكية الهامة، لا يشغلها إلا واحد فقط، كان يختار ـ دائماً ـ من بين أمراء المئين مقدمي الألوف، ومهامُها: القيام بترتيب مجلس السلطان، وتدبير أمر حراسته، والتحدث على الأطباء والكحالين والجرائحيين والمجبرين ومن شاكلهم.

والأمير آخور الكبير(١): الأمير قراقجا الحسني الظاهري برقوق، ورأس نوبة النوب(٢): الأمير تمرباي التمربغاوي، وحاجب الحجاب(٣) الأمير تنبك البرديكي الظاهري برقوق، والدوادار الكبير(٤) الأمير تغري بردي البكلمشي المؤذى، ورأس مقدمي الألوف(٥): المقام الناصري محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق، ثم جماعة أخر.

وجميع أرباب الوظائف من المذكورين وغيرهم من أمراء الألوف، وعدتهم أثني عشر أميراً، بنصف ما كان في سالف الأعصار.

وأما وظيفة أمير جاندار(٦)، فقد أبطلها الملك الأشرف برسباي في سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة عندما أخرج إقطاع الأمير قرا مراد خجا الشعباني الظاهري برقوق، ونفاه إلى القدس الشريف، وهي الآن يتولّاها الأجناد، فلا حاجة في ذكر من يليها ـ انتهى.

والخازندار(٧): الأمير قانبك الأشرفي، أحد أمراء العشراوات(٨) ـ وهو

---

(١) **أمير آخور كبير**: هي الوظيفة السادسة بين الوظائف العسكرية الكبرى لدى سلاطين المماليك؛ وإلى متوليها أمر الدواب من خيل وبغال وإبل. . في الإسطبلات السلطانية والجشارات وخيل البريد والركائب المعدة للسفر.

(٢) **رأس نوبة النوب**: تعد الوظيفة الثالثة في عداد خمس وعشرين وظيفة يشغلها عسكريون بحضرة السلطان؛ وموضوعها الحكم على المماليك السلطانية، والأخذ على أيديهم.

(٣) **حاجب الحجاب**: كبير الحجاب ورئيسهم.

(٤) **الدوادار الكبير**: هو كبير الدوادارية. والدوادار لفظة ذات شقين، هما: دواة، ودار بمعنى ممسك، ومتوليها هو الذي يحمل دواة السلطان ويتولى أمرها، ويبلغ عنه الرسائل والأوامر، كما يقدم له الرسائل والقصص، ويقطع بطاقات (رسائل) الحمام. . . إلخ.

(٥) **مقدمو الألوف**: هم الذين يكون تحت قيادتهم ألف من أمراء المئين، أو ألوف من الجنود.

(٦) **أمير جاندار أو أمير جندار**: هو المشرف على الزردخاناه[معتقل أرفع من السجن، لا تطول به مدة المعتقل سواء بالإفراج أوبالقتل]، وهو المتولي تنفيذ العقوبة حسب رغبة السلطان. فضلاً عن الاستئذان لدخول الأمراء على السلطان للخدمة وأيام المواكب، وعند الجلوس بدار العدل، وتقديم البريد إلى السلطان مع الدوادار وكاتب السر، كما كان إليه الإشراف على البردداریة والجاندارية والخازندارية.

(٧) **الخازندار**: هو المشرف على خزائن الأموال السلطانية بما فيها من نقد وقماش وغيره.

(٨) **أمير عشرة**، والجمع أمراء العشراوات: إحدى رتب الأمراء في عصر المماليك، التالية لأمير =

مـريض ـ وشـاد الشـراب خـانـاه[١]: قـاني بـاي الجـاركسي، أحـد أمـراء الطبلخاناه[٢]، والزردكـاش[٣]: الأمير تغـري برمش السيفي يشبـك بن أزدمر، ونـائب القلعة: الأمـير محجق النوروزي، والأمـير آخور الثـاني: الأمير جـرباش المحمدي الناصري فرج، المعروف بكرد، ورأس نوبة الثاني: الأمير يلخجـا من مامش الناصري الساقي، والحاجب الثاني: الأمير سودون السودوني// الظاهري [٤]
بـرقـوق، والـدوادار الثـاني: الأمير دولات بـاي المحمـود المؤيدي، والزمـام[٤] والخـازندار: الأمـير صفي الدين جـوهر القنقبـائي الحبشي، ومقدم[٥] الممـاليك السلطانية: الأمير عبد اللطيف المنجكي الرومي، المعروف بالعثمـاني، ونائبـه: جوهر المنجكي، ووالي القاهرة: الأمير قراجا العمري.

مباشرو الدولة: كاتب السر[٦]: القاضي كمال الدين ابن البـارزي، وناظـر

= أربعين. ويتبع متوليها ـ عادة ـ عشرة فرسان إلى مادون الأربعين، إذ إن مـا دون الأربعين معـدود في العشرات، كما كـان إليه قيـادة عدد من جنـود الحلقة في الحـرب أكثر من عـدد فرسـانه. وإلى جانب تلك المهام الحربية الموكلة به، كانت بعض الوظـائف في خدمـة السلطان ـ كما هـو مبين في المتن ـ أو خارج الحضرة السلطانية مستند إليه.

(١) **شاد الشراب خـاناه**: الـوظيفة الثـالثة عشـرة في عداد الـوظائف العسكـرية بحضـرة السلطان، ومـوضوعهـا التحدث في أمـر الشراب خاناه السلطانية، ومـا عمـل إليهـا من السكـر والمشـروب والفواكه... إلخ.

(٢) **أمراء الطبلخاناه**: هم الـطبقة الثـانية من طبقـات الأمراء في العصر المملوكي، ويؤلفـون عصب دولتهم سواء من الناحية الحربية لتوليهم قيادة معظم جنود الحلقة، بالإضافة إلى فرسانهم هم؛ أو الإدارية حيث كانت تسند إليهم وظائف إدارية كبرى، ذات صبغة عسكريـة في القصر السلطاني وخارجه.

وهم عـلى قسمين: خاصكية، يعينـون في الوظـائف السلطانية، وخـرجية، يشغلون وظـائف خارجة عن الحضرة السلطانية.

(٣) **الزردكاش**: هو صانع الزرد وأنواع الأسلحة، والقائم على إصلاحها وتجديدها.

(٤) **الزمام**: المشرف، وتتحدد هـذه الوظيفـة بما يضـاف إليها، حيث أن «زمـام الآدر» أو «الدور السلطانية» يعد من أكبر الخدام الطواشية، وإليه مهمة الإشـراف على حـريم الأمير أو السلطان ومخاطبته بشأن متعلقاتهن ومتعلقات أولاد الملوك، والتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير.

(٥) **مقـدم المماليـك السلطانية**: إليـه الإشراف العـام على طبـاق المماليـك، ومن حقه معـاقبـة غـير الطائعين منهم، ولذا كانت له ـ غالباً ـ هيبة قوية على المماليك.

(٦) **كاتب السر**: هو الذي يوقع على القصص بدار العدل وبغيرها، ويقـرأ الرسـائل عـلى السلطان ويتلقى الأخبار عارضاً لها على السلطان ـ كذلك ـ متولياً الإجابـة عنها، وإليـه تعريف النـواب في =

الجيش[1]: القاضي محب الدين ابن الأشقر، والوزير: الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، والأستادار[2]: الأمير قيز طوغان، وناظر الخاص[3]: الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم، ونائب كاتب السر: القاضي شرف الدين الأشقر، وناظر الدولة: الصاحب أمين الدين، إبراهيم بن الهيصم، وناظر ديوان المفرد[4]: القاضي زين الدين يحيى الأشقر، وناظر الإسطبلات[5] السلطانية: القاضي تقي الدين، ابن نصر الله، وكاتب المماليك[6]: فرج بن ماجد بن النحال.

نواب البلاد: نائب الشام: الأمير جلبان السيفي إينال حطب، المعروف بالأمير آخور، ونائب حلب: الأمير قانباي الحمزاوي، ونائب طرابلس: الأمير برسباي الناصري الحاجب، ونائب حماه: الأمير بردبك الجكمي العجمي

= الوصايا، والنظر في تجهيز البريد والنجابة، ومعرفة حقوق ذوي الخدمة والنصيحة، وأجرائهم في رسوم الرواتب والعوائد، وكان يجلس على يسار السلطان في دار العدل.

(١) **ناظر الجيش**: كان إليه النظر في أمر الجيوش وضبطها، والنظر في أموالها وفي أمر الإقطاعات بمصر والشام.
وكان له حتى عهد «الظاهر برقوق» مكان معد بالقلعة يجلس فيه هو وسائر كتاب الجيش، كما كان له حق الدخول على السلطان في مجلسه للنظر في مصالح ملكه عارضاً عليه الأشغال المتعلقة بعمله، والجلوس مع السلطان بدار العدل لخلاص المظالم.

(٢) **الأستادار**. لقب علي متوليٍّ قبض مال السلطان أو الأمير، وصرفه، وتمثل أوامره، وهي إحدى الوظائف العسكرية في الدولة المملوكية.

(٣) **ناظر الخاص**: هو الذي ينظر في خاص أموال السلطان، سواء كان ذلك من إقطاعه، أو من نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية، وإليه التحدث ـ كذلك ـ في أمر الخزانة السلطانية بالقلعة، على أن لا يستقل بأمر إلا بمراجعة السلطان.

(٤) **ديوان المفرد**: كديوان الخاص، يعنى ببعض شئون السلطان المالية.

(٥) تعددت الإسطبلات [الإصطبلات] لدى المماليك، فكان منها ما يوجد داخل القلعة وخارجها، وإن كان من أهمها تلك التي توجد برسم الخيل التي تسير في المواكب، وتعرف باسم: اسطبل الخاص الشريف، وفي السباق الرياضي، وتعرف باسم اسطبل الحجورة، ولتنظيم العمل فيها أوجد لها ديوان خاص بها، يشرف عليه القاضي «ناظر الإسطبلات» يتبعه مباشرون.. وإن كان الإشراف الفني العام عليها موكولاً بالأمير آخور.

(٦) كان مختصاً بتسجيل المماليك السلطانية في سجلات خاصة بهم، وهو تبع لصاحب ديوان المماليك.

الأعور، ونائب صفد: الأمير قاني باي الأبو بكري الناصري، المعروف بالبهلوان، ونائب غزة: الأمير طوخ الأبو بكري المؤيدي، ونائب الكرك: الأمير مازي الظاهري برقوق، ونائب ملطية: الصاحب خليل بن شاهين الشيخي، ونائب القدس: الأمير طوغان العثماني، ونائب حمص: الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي، المعروف بالأعرج.

المحرم

أوله الأحد.

لم يقع فيه شيء من الحوادث، وكذلك صفر.

شهر ربيع الأول

أوله الأربعاء.

في يوم السبت رابعه، استقر الشيخ علي الخراساني(١) في حسبة القاهرة بعد عزل قاضي القضاة بدر الدين العيني.

وفي أول هذا الشهر أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الناصري محمدابن الملك الظاهر جقمق من قلعة الجبل حتى عدّي النيل وخلق المقياس، ثم عاد وفتح خليج السد، وركب وطلع/ /إلى القلعة، وخلع عليه والده خلعة [٥] عظيمة على العادة.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، رحمه الله:

قَالُوا: عَلاَ نيل مصر في زِيَادَتِه حَتَّى لَقَدْ بَلَغَ الأَهْرَامَ حِينَ طَمَا
فقلتُ: هذا عَجِيبٌ في بلادِكُمُ مِنَ ابْنِ سِتَّةَ عَشر يَبْلُغُ الهَرَمَا

[البسيط]

(١) ويسميه « السخاوي» ـ التبر المسبوك ص ٤٦ ـ « يار على».

وفي يوم الخميس تاسعه استقر سليمان ابن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد في الخلافة، وبويع بحضرة السلطان، وفوض عليه التشريف على العادة، وذلك بعهد من أخيه المعتضد داود ـ رحمه الله.

وفي يوم الخميس سلخه استقر قاضي القضاة عز الدين بن عبد العزيز البغدادي الحنبليّ، قاضي قضاة الحنابلة بدمشق، عِوضاً عن القاضي زين الدين ابن مفلح بحكم عزله.

شهر ربيع الآخر

لم يقع فيه شيء.

جمادى الأولى

أوله الأحد.

في يوم الاثنين سادس عشره خلع السلطان على الشريف علي بن حسن بن عجلان باستقراره أمير مكة المشرفة بعد عزل أخيه الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وَعينّ السلطان معه مائة وخمسين مملوكاً من المماليك السلطانية، ومقدمهم الأمير يشبك الصوفي المؤيدي. أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، لمساعدته على أخيه بركات بن حسن.

وكان سبب عزل بركات ـ المذكور ـ عدم حضوره إلى بين يدي السلطان بالديار المصرية.

جمادى الآخرة

أوله الثلاثاء.

في يوم الخميس رابع عشرينه سافر الشريف علي إلى محل ولايته بمكة المشرفة، وسافر معه الأمير يشبك الصوفي بمن معه من المماليك السلطانية.

شهر رجب

أوله الأربعاء.

في يوم الاثنين سادسه قدم إلى ظاهر القاهرة الأمير برسباي الناصري فرج نائب طرابلس، ونزل السلطان الملك الظاهر جقمق وتلقاه من المطعم خارج القاهرة على العادة.

وفي يوم الثلاثاء سابعه قبض السلطان على الأمير قيز طوغان العلائي الأستادار، وعلى زين الدين الأشقر ناظر ديوان المفرد، وسلمهما للأمير دولات باي المحمودي الدوادار الثاني.

وفي يوم الخميس سادس عشره استقر الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الكويز آستاداراً عوضاً عن قيز طوغان، واستقر زين الدين الأشقر//على عادته [٦] في نظر ديوان المفرد، وأنعم على الأمير قيز طوغان بإمرة مائة بمدينة حلب، وخرج في يوم السبت خامس عشرينه.

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن أمير علي ابن الأتابك إينال اليوسفي، أحد الأمراء العشرات في نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير أسنبغا الناصري الطياري عنها وقدومه إلى القاهرة من جملة مقدمي الألوف بها.

شهر رمضان

أوله السبت.

فيه قدم إلى القاهرة الشيخ شمس الدين الخاقاني(١) ـ الحنفي من مدينة سمرقند قاصداً الحج في هذه السنة، وهو أحد أعيان فقهاء القان شاه رخ بن تيمورلنك وولده ألوغ بك صاحب سمرقند، ولما طلع إلى السلطان أقبل عليه وأكرمه، وأنعم عليه بأشياء كثيرة.

---

(١) في الأصل: «الخافي».

شوال

أوله الاثنين.

في يوم الخميس ثامن عشره برز أمير الحاج الأمير تغري برمش اليشبكي الزردكاش بالمحمل إلى بركة الحاج[1] دفعة واحدة، وكانت العادة أن أمير حاج المحمل يبرز إلى الريدانية[2]، ثم يتوجه في ثانية إلى بركة الحاج، فبطل ذلك. وأمير الركب الأول الأمير يونس الآقبائي المعروف بالبواب، أحد أمراء العشرات.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه قبض السلطان على الأمير جانبك المحمودي المؤيدي[3] أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وحسبه بالبرج من قلعة الجبل، وأنعم بإقطاعه على خير بك المؤيدي أحد الدوادارية.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه حُمِلَ جانبك المحمودي - المقدم ذكره - إلى ثغر الإسكندرية ليحبس بها.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - عشرة أذرع ونصف، (و)مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً.

(١) بركة الحاج: عرفت بذلك لنزول الحاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج، وعودهم من حجهم كل عام، وكانت تعرف قديماً باسم: «بركة الجب»، أو «أرض جب عميرة»، ومحلها اليوم «قرية البركة»، التابعة لمحافظة القليوبية.
راجع: المقريزي. الخطط ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٠، ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) الريدانية: أطلق هذا الأسم - قديماً - على بستان لريدان الصقلي (ت ٣٩٣ هـ) - أحد خدام الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار - وموضعه الآن المنطقة فيما بين الحسينية ومصر الجديدة.
راجع: المصدر السابق ج٢ ص١٣٩، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج١٢ ص٢، حاشية رقم ٢.

(٣) علل لذلك ابن تغري بردي (في النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٥١) بقوله:
«... ثم في يوم الثلاثاء، ثالث عشرى شوال، أمسك السلطان الأمير جانبك المحمودي المؤيدي، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وحبسه بالبرج من قلعة الجبل، وكان السلطان قصد مسكه قبل ذلك، فخشى عاقبة خجداشيته، فلما زاد جانبك - المذكور - عن الحد في التكلم في الدولة ومداخلة السلطان في جميع أموره، بعدم دربة وقلة لباقة، مع حدة وطيش وخفة وسوء خلق، أمسكة في هذا اليوم، وقصد بذلك حركة تظهر من خجداشيته المؤيدية، فلم يتحرك ساكن، بل خاف أكثرهم، وحسن حاله مع السلطان، وانكفّ أكثرهم عن مداخلة السلطان... ومن يومئذ عظم أمر السلطان في ملكه، وهابته الناس، وانقطع عن مداخلته جماعة كبيرة».

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الخليفة أمير المؤمنين المعتضد[١] بالله أبو الفتح داود ابن الخليفة المتوكل على الله محمد ابن الخليفة المعتضد بالله أبي بكر ابن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسين بن أبي بكر بن علي بن الحسين ابن الخليفة الراشد بالله منصور ابن الخليفة المسترشد بالله الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله // أحمد ابن الخليفة [٧] المقتدي بالله عبد الله ابن الإمام ذخيرة الدين محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد بن[٢] الموفق طلحة ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدي محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، العباسي، الهاشمي المصري - في يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول، بعد مرض تمادي به مدة. وحضر السلطان الملك الظاهر جقمق الصلاة عليه بمصلاة المؤمني تحت قلعة الجبل، ودفن بالمشهد النفيسي .

---

(١) له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٧٣، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٦ تر ١٠١٧، المنهل الصافي ج ٢ ق ٥٩ ب - ٦٠ ب، مورد اللطافة ق ٧٦، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٨٩ - ٤٩٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٥ - ٢٦، الذليل التام على دول الإسلام ق ٨٣، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢١٥ تر ٨٠٥، السيوطي. تاريخ الخلفاء ص ٥٤٢، ٥٤٣، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) في هامش « أ »: « الأمير إسحاق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد الموفق ابن المتوكل - سقط هذا من النسب، ولعله سهو من الكاتب» .

وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين[1] سنة وأياماً، فإنه بويع بالخلافة بعد القبض على أخيه المستعين بالله العباس في يوم الخميس سادس عشرين ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة، واستمر في الخلافة دهراً، وطالت أيامه، وتسلطن في خلافته عدة سلاطين.

وكان المعتضد بالله خليقاً بالخلافة[2]، سيد بني العباس في زمانه، أهلاً لها بلا مدافعة، وكان كريماً عاقلاً ديناً خيراً حلو المحاضرة، كثير الصدقات والبر للفقهاء والفقراء، وكان يحب مجالسة العلماء وأهل الفضل، وكان جيد الفهم، ذكياً، وكان يجتهد في السير مع ندمائه وجلسائه على قاعدة الخلفاء فيضعف موجوده عن إدراك ما يقصده، فبسبب ذلك حمل جملة من الديون، وكان له محاسن شتى.

أعرفه قديماً وحديثاً، فإنه كان قد تزوج بزوجة الوالد - بعد موته - الست قمر بنت الأمير دمرداش، وكان بينهما وبين الوالدة محبة مستمرة إلى الممات، رحمهم الله.

(٢) وتوفي الشيخ الأديب المقرىء المفنن شمس الدين محمد، المعروف بابن زين النحريري[3] ، في مستهل شهر ربيع الأول .

وكان قد مدح النبي ﷺ بما ينيف على عشرة آلاف قصيدة، وكان من الشعراء المعدودة، وشعره كثير بأيدي الناس.

وكان يستحضر القراءات السبع[4]، وكان به صمم عظيم حتى لا يكاد

---

(١) في «أ»: «تسعة وعشرون».

(٢) في «أ»: «للخلافة».

(٣) هو «محمد بن زين بن محمد بن زين بن محمد بن زين، شمس الدين، أبو عبد الله الطنتدائي الأصل، الشافعي» - له ترجمة في: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣١ - ٣٢، الذيل التام على دول الإسلام ق ٨٢ ب، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ تر ٦٠٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٩.

(٤) في «أ»: «السبعة».

يسمع // الطبول العظيمة ، ومع ذلك كان إذا قرأ عليه أحد القرآن يرد عليه [٨] الغلط(١) ـ رحمه الله تعالى .

(٣) وتوفي القاضي زين الدين عبد الرحمن ـ الحنفي(٢)، أحد نواب الحكم في يوم السبت الحادي والعشرين من شهر رجب ، وكان مشكور السيرة .

(٤) وتوفي الشيخ محب الدين الأوجاقي(٣) ـ الحنفي في يوم الاثنين لسبع بقين من شهر رجب بعد مرض طويل، وكان مشكور السيرة وعنده فضيلة وتدين، وكان قليل الاجتماع بالناس، ولهم فيه اعتقاد ومحبة ـ رحمه الله .

(٥) وتوفي الشيخ الإمام العالم المتقن، عمدة المؤرخين، ورأس المحدثين، تقي الدين(٤)، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن تميم بن عبد الصمد المقريزي الشافعي ، مؤرخ الديار المصرية ، في يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان ، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر، وقد وهم القاضي بدر الدين محمود العيني في تاريخ وفاته، وقال ما صورته : «وتوفي الشيخ تقي الدين أحمد المقريزي في يوم الجمعة التاسع

---

(١) فسر ذلك السخاوي (الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٤٦) قائلاً : « . . . وبلغنا أنه كان أصم، فإذا قرىء عليه يدرك الخطأ والصواب بحركات شفاه القارىء ، لوفور ذكائه مع صلاحه» .

(٢) ترجمه ابن حجر العسقلاني في إنباء الغمر ج ٩ ص ١٧٨ وقد سماه « عبد الرحيم بن أبي بكر الرومي» ، كما ترجمه السخاوي في التبر المسبوك ص ٣١، والضوء اللامع ج ٤ ص ١٩١ تر ٤٨١ ، منبهاً إلى أن تسميته « عبد الرحمن» سهو من « البدر العيني» ، وأنه « ابن الإمام» ، « والإفليس في بني الرومي في هذا الوقت من اسمه عبد الرحيم» .

(٣) هو «محمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين، المحب، أبو عبد الله ، القاهري ، الشافعي ، المعروف بابن الأوجاقي» ـ له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٠ ، السخاوي ، التبر المسبوك ص ٣٤ ، الذيل التام على دول الإسلام ق ٨٢ ب ، الضوء اللامع ج ٩ ص ٤٩ ـ ٥٠ تر ١٢٧ .

(٤) له ترجمة في : ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٧٠ ـ ١٧٢ ، المجمع المؤسس ق ٢١٤ أ ، ابن تغري بردى، الدليل الشافي ج ١ ص ٦٣ تر ٢١٧ ، المنهل الصافي ت . نجاتي ج ١ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٩ تر ٢١٧ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٠ ـ ٤٩١ ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢١ ـ ٢٤ ، الذيل التام على دول الإسلام ق ٨٢ أ ـ ٨٣ ب، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢١ ـ ٢٥ تر ٦٦ ، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

والعشرين من شعبان. وكان مشتغلاً بكتابة التاريخ وضرب الرمل».

قلت: لا يسمع كلام الأقران في أقرانهم. وأما التباين الذي كان بينهما فمعروف، رحمهما الله تعالى.

قلت: سألت الشيخ تقي الدين - المذكور - عن مولده فقال: بعد الستين وسبعمائة بسنيات[(١)]. وكان مولده بالقاهرة[(٢)]، وبها نشأ، وتفقه على مذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه - وهو مذهب جده لأمه الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ - الحنفي[(٣)]، ثم تحول شافعياً لأمر اقتضى ذلك ذكره لي، ثم اشتغل في مذهب الشافعي - رضي الله عنه - وسمع الكثير من الحديث على الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد التنائي[(٤)]، ومن ناصر الدين محمد بن علي

---

(١) بينما يشير «المقريزي» [الخطط ج ١ ص ٤] إلى أن مولده «بعد سنة ستين وسبعمائة من سني الهجرة»، وينبه «ابن تغري بردي» [هنا، وفي النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩١] إلى أنه سأل «المقريزي» عن مولده، فقال: «بعد الستين وسبعمائة بسنيات»، يحدد «ابن حجر العسقلاني» [إنباء الغمر ج ٩ ص ١٧١] مولده بسنة «ست وستين وسبعمائة»، وإن بيض لسنة «ست» في ترجمته من المجمع المؤسس ق ٢١٤ أ.

ويعلل «السخاوي» [التبر المسبوك ص ٢٢ - ٢٣] لما ذهب «ابن حجر» إليه قائلاً:

«... وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين. وقال شيخنا إنه رأى بخطه ما يدل على تعيينه في سنة ست وستين، لكونه قد حضر وهو في الثالثة على ابن الصائغ مع أبي هريرة ابن الشرف المقدسي وهو في الرابعة، وكان مولد أبي هريرة سنة ٧٦٧، فيكون مولد المقريزي في سنة ست».

ويترجح ما ذهب إليه «ابن حجر العسقلاني» - بما أشار إليه [ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ١٦٦، ج ٢ ص ٣٣] من اقتران «أم المقريزي» بأبيه سنة خمس وستين، إذ لا يبعد أن يكون إنجابها له في السنة التالية لزواجها، فيكون بذلك بكر أولادهما».

(٢) أشار المقريزي [الخطط ج ٢ ص ٣ - ٤] إلى أنه ولد بحارة برجوان بالقاهرة [بقسم الجمالية الحالي].

(٣) هو «محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن، المعروف بالزمردي، وبابن الصائغ الحنفي» [ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٥ م].

له ترجمة في: ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ١٦٣ - ١٦٤ تر ٣١١١، المقريزي، السلوك ج ٣ ق ١ ص ٢٤٥، ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر ج ١ ص ٩٥ - ٩٦، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٩٩ - ٥٠٠ تر ١٣٤٧، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٧١ تر ٤١.

(٤) كذا بالأصل، ولعله «إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعيد بن علوان بن كامل التنوخي» [ت ٨٠٠ هـ/١٣٩٨ م] له ترجمة في: ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء

الحراوي[1]، والشيخ برهان الدين الآمدي[2]، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني[3]، والحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي[4]، والهيثمي[5] ، وسمع بمكة من ابن

= ج ٢ ص ٧ ـ ٨ تـر ١٣، ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ق ١٧ ب ـ ١٨ ب، المقريزي.. السلوك ج ٣ ص ٩١٠، ابن قاضي شهبة. التاريخ ج ١ ص ٦٦٧ ـ ٦٦٩، ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٢ ـ ٢٣ تر ٢، الدرر الكامنة ج ١ ص ١١ ـ ١٢ تـر ١٤، المجمع المؤسس ق ٢ أ ـ ١٢ ب، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ١٦٦ السخاوي. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ق ٣٥ ب، الذيل التام على دول الإسلام ق ٤٨ ب.

(١) هو «محمد بن علي بن يوسف بن إدريس الحَرَّاوي ناصر الدين، سبط العماد الدمياطي، المعروف بالطبردار» [ت ٧٨١ هـ/ ١٣٧٩ م].
له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ ص ٢٠٨، تر ٣٩، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٩ تر ٢٦٢، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٠٠.

(٢) هو «إبراهيم بن داود، أبو محمد» [ت ٧٩٧ هـ/ ١٣٩٥ م].
له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ ص ٤٩٦ تر ١، الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٥ ـ ٢٦ تر ٦١.

(٣) هو «عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق الكناني، البلقيني ـ نسبة إلى بلقينة، من أعمال المحلة الكبرى ـ سراج الدين» [ت ٨٠٥ هـ/ ١٤٠٣ م].
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٣ ص ١١٠٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٩ أ ـ ١٩١ أ، ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧، تر ٢١، المجمع المؤسس ق ١١٨ ب ـ ١٢٣ ب، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٠٦ ـ ٢١٧، ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ٢ ق ٤٧٣، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٩ ـ ٣٠، ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان. ج ٢ ص ١٧١ ـ ١٧٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٨٥ ـ ٩٠ تر ٢٨٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٩ ـ ٣٣٥ تر ٧٦، طبقات الحفاظ ص ٥٣٨ تر ١١٧٦.

(٤) هو «عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم، أبو الفضل العراقي» [ت ٨٠٦ هـ/١٤٠٤ م]. له ترجمة في: ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص ٣٨٢ تر ١٦٣، المقريزي. السلوك ج ٣ ص ١١٢٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٧ ب ـ ١٨٨ ب، ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٩ تـر ١٩، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٢٠ ـ ٢٣٩، ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ٢ ص ٣١٢، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٣٤ ـ ٣٥، ابن الصيرفي. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ١٩٠ ـ ١٩١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٧١ ـ ١٧٨ تر ٤٥٢، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٠ ـ ٣٦٢، طبقات الحفاظ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٥) هو «علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح، الهيثمي، نور الدين، أبو =

سكر(١) والنشاوري(٢) وغيرهما، وأجاز له الشيخ شهاب الدين الأذرعي(٣) والشيخ بهاء الدين أبو(٤) البقاء(٥) والشيخ جمال الدين الأسنوي(٦) وغيرهم.

وكان إماماً فاضلاً، بارعاً، متقناً، مُفَنِّناً، ضابطاً، ديناً، خيراً، منقطعاً
[٩] عن الناس. هذا مع الدين // المتين وكثرة الأوراد والتهجد في الليل وصيام النهار، وكان حلو المحاضرة، فكه المنادمة، لا سيما إذا ذاكره الشخص بالتاريخ وأيام السلف من القرون الماضية، فكان أعجوبة في ذلك، وكان معظماً في الدول، مبجلاً عند الأكابر إلى الغاية، كان إذا دخل إلى بيت الصاحب بدر

= الحسن» [ت ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٥ م]. له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١٠، المجمع المؤسس ق ١١٣، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٣٩ - ٢٤١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٠٠ - ٢٠٣ تر ٦٧٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٢ تر ٩٧، طبقات الحفاظ ص ٥٤١ تر ١١٨٠.

(١) هو «شمس الدين، محمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام البكري» [ت ٨٠١ هـ/ ١٣٩٨ م].
له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ٢ ص ٩٥ تر ٨٢، المجمع المؤسس ق ١٧٣ ب - ١٧٥ أ.

(٢) هو «موفق الدين، علي بن عبد الله النشاوري، الزبيدي، المكي» [ت ٧٩٨ هـ/ ١٣٩٥ م].
له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ ص ٥١٨ تر ٣٠.

(٣) هو «شهاب الدين، أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد القادر الأذرعي» [ت ٧٨٣ هـ/ ١٣٨١ م].
له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٢، تر ٢، الدرر الكامنة ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٨ تر ٣٥٤.

(٤) في «أ»: «أبي».

(٥) هو «أبو البقاء، بهاء الدين، محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام السبكي» [ت ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م].
له ترجمة في: ابن الملقن. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ق ١٧٠ ب، ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر ج ١ تر ٦٠ ص ١٢١ - ١٢٣.

(٦) هو «جمال الدين، أبو محمد، عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم القرشي، الأسنوي، الشافعي» [ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م].
له ترجمة في: ابن الملقن. العقد المذهب ق ١٦٠ أ، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٣ تر ٦٤٦ ص ١٣٢ - ١٣٥، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ج ٢ تر ٢٣٨٦ ص ٢٥٤ - ٢٥٦.

الدين ابن نصر الله ناظر الخواص جلس بينه وبين ابنه الأمير صلاح الدين محمد بن نصر الله آستادار العالية على تيه كان في بني نصر الله.

أفنى عمره في كتابة التاريخ والتصانيف، وله المصنفات المفيدة النافعة في عدة فنون، يضيق هذا المختصر عن ذكرها، استوعبناها في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي[1].

وكان بيني وبينه صحبة أكيدة ومحبة زائدة، وقرأت عليه كثيراً من مصنفاته، وبه انتفعت، ومنه استفدت، وهو الذي حببني في هذا الشأن، وسمعت عليه كتاب فضل الخيل، تأليف الحافظ شرف الدين الدمياطي[2] بكماله، وغيره، وأجازني بجميع ما يجوز له وعنه روايته وبجميع مصنفاته.

وتولى حسبة القاهرة غير مرة، وأول ولايته لها من قبل الملك الظاهر برقوق في شهر رجب سنة إحدى وثمانمائة إلى أن عزل بقاضي القضاة محمود العيني، وهو أول ولاية العيني - أيضاً - لحسبة القاهرة في ذي الحجة من السنة، ثم وليها بعد ذلك، وسئل بقضاء دمشق في الدولة الناصرية فرج فامتنع.

وكان كثير الفضائل لولا تعصب كان فيه على السادة الحنفية، وكان ينسبه بعض الناس إلى الميل لمذهب الظاهر - والله أعلم بالباطن - لأنه كان يعظم ابن حزم[3] المغربي إلى الغاية، وليس في ذلك ما يُعاب، لأن ابن حزم كان رجلاً

---

(١) راجع: ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٢) هو «شرف الدين، أبو محمد، عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي» [ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٦ م].
له ترجمة في: الذهبي. تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧٧ - ١٤٧٩ تر ١١١٦، ابن شاكر الكتبي. فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٧ - ٣٩ تر ٢٦٤، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٤ ص ٤٠، المقريزي. السلوك ج ٢ ص ٢١، ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤١٧ - ٤١٨ تر ٢٥٢٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٣١ تر ١٤٨٧، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢١٨ - ٢١٩، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٥٧، طبقات الحفاظ ص ٥١٢ تر ١٣٤.

(٣) هو «علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، الأندلسي، القرطبي، أبو محمد» [ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٤ م]. =

حافظاً عالماً ولو كان ظاهرياً لم ينكر فضله.

انتهت ترجمة المقريزي باختصار، وقد ذكرناها في المنهل الصافي مطولة[١]، وذكرنا تصانيفه ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٦) وتوفي قاضي القضاة بالإسكندرية جمال الدين عبد الله بن الدماميني[١] الإسكندري المالكي بها في يوم الأحد رابع ذي القعدة، وتولى عوضه قاضي الإسكندرية محمد بن عامر ـ المالكي أحد نواب الحكم بالقاهرة.

[١٠] وكان // القاضي جمال الدين هذا معظماً في بلده، مشهوراً بالسماحة والكرم إلا أنه كانت بضاعته في العلم مزجاة، رحمه الله تعالى.

* * *

= له ترجمة في: الحميدي. جذوة المقتبس ص ٣٠٨ ـ ٣١١ تر ٨٠٧، الفتح ابن خاقان. مطمح الأنفس ومسرح التأنس ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣، ابن بشكوال. الصلة ج ١ ص ٤١٥ ـ ٤١٧ تر ٨٩٤، ياقوت. معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٥٧، تر ٦٢، ابن خلكان. وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٨.

(١) راجع: ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٩ تر ٢١٧.

(٢) هو «عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر بن يحيى بن حسين ابن محمد بن أحمد بن أبي بكر، المخزومي، والدماميني الأصل، السكندري، المالكي».
له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٧٤ ـ ١٧٥، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٥٣ تر ١٩٨.

سنة ست وأربعين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق، والخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وباقي أرباب الدولة على ما تقدم في العام الماضي.

المحرم

أوله الجمعة.

ففي يوم السبت تاسعه، استقر الشيخ علي المالكي ـ القادم من دمشق قبل تاريخه ـ قاضي قضاة الإسكندرية.

وفى يوم الاثنين خامس عشرينه سافر جماعة كثيرة من المماليك السلطانية وغيرهم إلى الغزاة فى سبيل الله تعالى، وعليهم عدة مّن الأمراء.

صفر

أوله الأحد.

ففي يوم الاثنين تاسعه ولي قضاء الحنفية بدمشق شخص من ذرية أبي حنيفة، يقال له حميد الدين، عوضاً عن قاضي القضاة الصفدي بحكم عزله.

وفي يوم الاثنين سادس عشره وقعت فتنة عظيمة، وهو أن جماعة من المماليك السلطانية الجلبان الذين بالأطباق من قلعة الجبل صعد منهم طائفة كبيرة سطح الأطباق ورجموا الناس، ومنعوا الأمراء والخاصكية من الدخول إلى الخدمة السلطانية، وأفحشوا في ذلك، وبلغ الملك الظاهر الخبر، فأرسل إليهم

بالأمير الطواشي عبد اللطيف العثماني الرومي مقدم المماليك السلطانية فى عمل مصالحهم، فأبوا وصمموا على إقامة الفتنة، وطلبوا مًا لا يمكن عمله، واستمروا على ما هم عليه بحيث إنهم منعوا الناس من الدخول إلى السلطان إلا النادر وصار أمرهم في زيادة ،على أن .لمماليك القرانيص[1] الذين بالقاهرة عليهم في الظاهر وعلم الباطن إلى الله، واستمروا على ذلك إلى ليلة الأربعاء كسروا باب الزردخاناه السلطانية، وأخذوا منها شيئاً كثيراً من السلاح الهائل،وبلغ السلطان ذلك فطلب المماليك القرانيص إلى عنده من باب السلسلة وندبهم لقتال مماليكه الجلبان، فمنعه من حضر من الأمراء وخوفوه عاقبة ذلك، وأيضاً لم توافقه القرانيص على ما ندبهم إليه لمعرفتهم أنه ما يهون عليه ذلك في آخر الأمر، كل ذلك والمماليك الجلبان على حالهم من منع الناس من طلوع القلعة، حتى إن

[١١] السلطان طلب كاتب سره القاضي // كمال الدين ابن البارزي فلم يقدر على الطلوع من باب المدرج - أحد أبواب القلعة - فأراد الطلوع من باب الميدان الذي تحت القلعة، ففطن به بعض المماليك الجلبان والقرانيص وضربه بالدبوس[2] أراد هلاكه بذلك، فأنجده بعض من حضر وخلصه حتى ساق فرسه والدم على ثيابه من شجة أصابته بالدبوس، وطلع إلى القلعة على هيئة مزعجة، ووقع منهم في حق أستاذهم الملك الظاهر جقمق من الشناعة والبهدلة ما لا مزيد عليه، واستمر إلى يوم الجمعة عشرينه، سكنت الفتنة؛ لاختلاف وقع بينهم)[3] .

---

(١) القرانيس: طائفة من الأجناد دون المائة، من المماليك قديمى الهجرة، أصحاب الأرزاق الثقال، في منزلة أمراء الخمساوات، ومنهم المرشحون للإمرة.

راجع: ابن شاهين. زبدة كشف الممالك ص ١١٥ .

(٢) الدَّبوّسُ، والجمع دبابيس: عصا من خشب أو حديد، في رأسها شيء كالكرة.

راجع: المنجد في اللغة والأعلام ص ٢٠٦، Dozy : Suppl. Dict - dr p. 424.

(٣) وراجع بشأن ذلك - أيضاً - النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٥٢.

شهر ربيع الأول

أوله الثلاثاء.

في يوم الخميس عاشره قدم إلى القاهرة الأمير مازي الظاهري برقوق نائب الكرك ومعه تقدمة هائلة قدمها إلى السلطان، وأنزله السلطان بالميدان وأكرمه.

وفي يوم الاثنين رابع عشره أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الناصري محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق من القلعة في وجوه الدولة حتى عدى النيل وخلق المقياس، ثم فتح خليج السد على العادة، وركب إلى القلعة، وخلع عليه والده ـ على العادة ـ فوقاني بطرز ذهب.

وفي هذا المعنى يقول ابن النقيب[1] مضمناً:

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه مخلق تملأ الدنيا بشائره
(البسيط)

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه استقر السيفي قراجا الظاهري جقمق الخازندار الصغير ـ خازنداراً كبيراً عوضاً عن الأمير قانبك الأشرفي بحكم مرضه بداء الأسد[2]، عافانا الله مما ابتلى به كثيراً من خلقه.

وفيه ـ أيضاً ـ استقر ابن الحاضري في قضاء الحنفية بحلب عوضاً عن محب الدين ابن الشحنة بحكم عزله بعد أن مكث مدة في القضاء.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه ـ أيضاً ـ ندب السلطان الأمير تغري برمش السيفي يشبك بن أزدمر الزردكاش أن يجهز حاله ويتوجه إلى حصار

---

(١) هو «ناصر الدين، أبو محمد، حسن بن شاور بن طرخان الكناني، المعروف بابن القفيسي، وبابن النقيب» (ت ٦٨٧ هـ. / ١٢٨٨ م.) له ترجمة في: ابن شاكر الكتبي. فوات الوفيات ج ١ ص ٣٢٤ ـ ٣٣١ تر ١١٥، الصفدي. الوافي بالوفيات ج ١٢ ص ٤٤ ـ ٥٣ تر ٣٩، الزركشي، عقود الجمان ق ٩٢ أ ـ ٩٤ ب، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ تر ٨٩٩، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠٠ ـ ٤٠١.

(٢) المقصود بذلك: الجذام ـ راجع: السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٢.

قيسارية[١] ومعه آلات الحرب والحصار من المكاحيل[٢] والمناجنيق[٣] وغيرها، وأعطاه خمسمائة دينار، وسافر بعد أيام إلى أن وصل إلى حلب، ثم عاد إلى الديار / / المصرية من غير أن يتوجه إلى قيسارية ولا غيرها. [١٢]

شهر ربيع الآخر

أوله الأربعاء.

ففي يوم الأحد ثاني عشره قدم الأمير سودون المحمدي من مكة المشرفة إلى القاهرة وهو مجرح في مواضع من بدنه، من قتال كان بين الشريف علي صاحب مكة وبين أخيه بركات.

وفي ليلة الخميس ثالث عشرينه قبض على جماعة من مماليك الأمير «تغري بردي البكلمشي المؤذي» الدوادار الكبير، لأنهم كانوا قصدوا قتل أستاذهم المذكور، وحاصروه في هذه الليلة إلى أن أصبح النهار، وبلغ السلطان ذلك فأرسل إليه جماعة من الرءوس النوب، فمسكوا منهم جماعة كبيرة وضربوهم ضرباً مبرحاً، ثم أرسلهم أستاذهم تغري بردي ـ المذكور ـ إلى حبس المقشرة[٤] مع والي القاهرة.

---

(١) قيسارية: مدينة كبيرة تقع على نهر «قاراصو»، كانت عاصمة بني سلجوق.
راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢١ ـ ٤٢٢، البغدادي. مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١١٣٩.

(٢) المكاحل: مدافع يُرمى عنها بالنفط، وهي أنواع، فمنها ما يرمى بأسهم عظام تكاد تخترق الحجر، ومنها ما يرمى ببندق من حديد زنته ما بين عشرة أرطال إلى ما يزيد على مائة رطل.
راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٤.

(٣) المناجنيق أو المنجنيق: آلة من خشب لها دفتان قائمتنا، بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، فما أصاب شيئاً إلا أهلكه.
نفسه، وراجع: ابن أرنبغا الزردكاش. الأنيق في المناجنيق. حلب، ١٩٨٥ م.

(٤) حبس المقشرة: أشار إليه المقريزي (الخطط ج ٢ ص ١٨٨)، وعنه علي مبارك (الخطط ج ٢ ص ٨) بقوله:
«... هذا السجن بجوار باب الفتوح ـ فيما بينه وبين الجامع الحاكمي ـ كان يقشر فيه القمح... نقل إليه أرباب الجرائم، وهو من أشنع السجون وأضيقها، يقاسي فيه المسجون من الغم والكرب ما لا يوصف».

وفي يوم الأحد سابع عشرينه أمسك السلطان الزيني عبد الرحمن بن الكويز الأستادار وعزله عن الأستادارية .

وفيه استقر ابن الرسام ناظر جيش حلب عوضاً عن القاضي زين الدين عمر بن السفاح بحكم عزله .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه استقر زين الدين يحيى الأشقر ناظر ديوان المفرد ـ المعروف بقريب ابن أبي الفرج ـ آستاداراً عوضاً عن الزيني عبد الرحمن.

وفي هذه الأيام استقر محمد الصغير نديم السلطان وجليسه: فيانفس جدي إن دهرك هازل. قلت:

خلت الرقاع من الرخاخ فتفرزنت فيها البيادق
وتصاهلت عرج الحمير فقلت: من عدم السوابق

(مجزوء الكامل)

ولما تولى زين الدين ـ المذكور ـ الآستادارية استمر على لبسه أولاً بعمامة وفرجية، لكنه نعت بالأمير.

وفيه خلع السلطان على الأمير آقبردي المظفري الظاهري برقوق أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وندبه إلى التوجه إلى مكة المشرفة، وصحبته من المماليك السلطانية نيف على خمسين مملوكاً، ليستعين بهم الشريف علي صاحب مكة على من خالفه .

وفيه استقر الأمير الطواشي عبد اللطيف المنجكي ثم العثماني مقدم المماليك السلطانية أمير الركب الأول من الحجاج، وأما أمير المحمل فهو الأمير تنبك حاجب الحجاب كما تقدم ذكره.

جمادى الأولى

أوله الخميس. فيه //قبض السلطان على الأمير جوهر التمرازي الخازندار [١٣]
ورسم عليه عند الأمير تغري برمش الجلالي الفقيه نائب القلعة، بل كان السلطان رسم بأن يحبس بالبرج حتى شفع فيه، وطُلب منه مال كثير.

وفيه - أيضاً - استقر الطواشي فيروز الرومي النوروزي رأس نوبة الجمدارية خازنداراً عوضاً عن جوهر المذكور.

وفي يوم الجمعة تاسعه سافر الزيني عبد الرحمن بن الكويز إلى القدس منفياً بعد أن أخذ منه شيء كثير من الذهب.

وفي يوم الأحد حادي عشره استقر القاضي نور الدين علي بن سالم أحد نواب الحكم الشافعية في قضاء صفد.

وفي يوم الأحد ثامن عشره طلب السلطان خازندار الأمير تغري برمش نائب حلب كان ودواداره، ورأس نوبته وضربهم ضرباً عظيماً، ثم أمر بنفيهم إلى البلاد الشامية.

ثم أمر السلطان كاتب المماليك أن يمحو اسم اثني عشر مملوكاً من المماليك السلطانية الذين كان عينهم إلى مكة المشرفة، لعدم حضورهم يوم العرض، ثم شفع فيهم بعض الأمراء فردهم إلى ما كانوا عليه أولاً.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه خلع السلطان على الأمير الطواشي فيروز النوروزي الخازندار، واستقر زماماً مضافاً إلى الخازندارية، بعد عزل هلال الطواشي الظاهري برقوق.

جمادى الآخرة

أوله السبت.

ففي يوم الأحد ثانيه خلع على علاء الدين علي بن آقبرس ناظر الأوقاف باستقراره في مشيخة خانقاه قوصون التي بالقرافة الصغرى عوضاً عن القاضي معين الدين عبد اللطيف ابن القاضي شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر بغير طريق شرعي.

وفي يوم السبت ثامنه وصلت تقدمة الأمير جلبان نائب الشام وقدمت إلى السلطان، وكانت تشتمل على أشياء كثيرة منها خيول نحو مائتي فرس، منها ثلاثة بسروج ذهب وكنابيش زركش، وعشرة مماليك وعشرة آلاف دينار على ما

قيل، وأشياء كثيرة من الصوف والفراء والثياب البعلبكي والمخمل والقسى.

وفي يوم الخميس ثالث عشره استقر الأمير إينال العلائي الناصري دواداراً كبيراً بالديار المصرية بعد وفاة الأمير تغري بردي / المؤذى البكلمشي. [١٤]

شهر رجب

أوله الاثنين.

ففي يوم الاثنين ثاني عشرينه خلع على قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر باستقراره في مشيخة قبة الإمام الشافعي بعد عزل الشيخ علاء الدين القلقشندي.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه حضر جماعة من عرب نجد إلى القاهرة، وكان السلطان أرسل يطلبهم ليولي كبيرهم إمرة المدينة النبوية، فإنهم أهل السنة، وكان قصد السلطان إقماع الرافضة، وأنزلهم السلطان بالميدان وأكرمهم، فلم يتم للسلطان ما أراد لغرض بعض أهل الدولة.

شعبان

أوله الثلاثاء.

ففي يوم السبت رسم السلطان بنفى الأمير سودون السودوني الحاجب إلى قوص، ثم شفع فيه، فرسم بتوجهه إلى طرابلس على إقطاع هين، ثم شفع فيه ثانياً فأقام بالقاهرة.

وفيه حضرت قصاد من عند أولاد شاه رخ بن تيمورلنك فعمل لهم السلطان الخدمة بالقصر الكبير من القلعة، وأبطل خدمة الإيوان.

شوال

أوله السبت.

ففي يوم الاثنين ثالثه خلع السلطان على الشريف أبي القاسم بن حسن بن عجلان بإمرة مكة، عوضاً عن أخيه علي بن حسن بن عجلان بحكم القبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن حسن بن عجلان بمكة المشرفة، قبض عليهما الأمير تمراز البكتمري المؤيدي أحد الدوادارية المعروف بالمصارع.

وفي يوم الاثنين سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير تنبك البردبكي الظاهري برقوق حاجب الحجاب بالمحمل إلى بركة الحاج، وأمير الركب الأول الأمير الطواشي عبد اللطيف المنجكي العثماني مقدم المماليك السلطانية.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه استقر قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني محتسب القاهرة عوضاً عن ير علي الخراساني بحكم عزله وتوجهه إلى الحجاز.

ذو القعدة

أوله الاثنين.

فيه قدم الأمير أركماس الظاهري الدوادار الكبير ـ كان ـ من ثغر دمياط بطلب من السلطان، وتمثل بين يديه، وأخلع عليه السلطان كاملية[1] بفرو سمور بمقلب سمور، ورسم له بأن يقيم بالقاهرة بطالاً، وإذن له بالركوب والنزول إلى حيث شاء.

[١٥] وفي يوم الاثنين خامس عشره رسم // السلطان لقاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر بلزوم بيته.

وفيه استقر القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن تاج الدين بن نصر الله في نظر الإصطبل السلطاني، عوضاً عن شمس الدين نصر الله الشهير بالوزة.

وفي يوم الخميس أُعيد قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر إلى القضاء على حاله.

---

(١) الكاملية: لباس ضيق الكمين، مفرج الذيل من خلف، يبدأ من الحافة السفلى مرتفعاً إلى أعلى، يُلْبس فوق القباء.
راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٧٦، ماير. الملابس المملوكية ص ٢٥.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه خلع على القاضي بهاء الدين محمد بن حجي باستقراره ناظر الجيش بالديار المصرية مضافاً إلى ما بيده من نظر جيش دمشق، عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر بحكم عزله وتوجهه إلى الحج، وذلك بمال كبير بذله ابن حجي في ذلك.

ذو الحجة

أوله الثلاثاء.

ففي يوم الاثنين رابع عشره خلع السلطان على الأمير طوغان العثماني نائب القدس ـ كان ـ بإعادته إلى نيابة القدس على عادته بعدما كان صودر ونفي إلى حلب.

أمر النيل فى هذه السنة

كانت القاعدة ـ أعني الماء القديم ـ ثمانية أذرع وخمسة أصابع، وكان مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً وأحد وعشرون إصبعاً[١].

* * *

(١) في هامش «أ» : «صوابه: وثلاثة وعشرين اصبعاً».

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الشيخ الإمام العالم العامل الصالح نور الدين عبادة بن علي بن صالح بن عبد المنعم بن سراج بن نجم بن فضل الزواوي المالكي المعروف بالشيخ عبادة[١]، شيخ المالكية وعالمها بالديار المصرية في يوم الجمعة سابع شوال، وصلى عليه صاحبه المعتقد مدين[٢] بجامع الأزهر، وكثر أسف الناس عليه، ومات ولم يخلف بعده مثله علماً وزهداً وعبادة وورعاً.

ومولده في جمادي الأولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ببلد زرزا[٣]، وقرأ القرآن بها، ثم انتقل إلى القاهرة وحفظ عدة مختصرات في مذهبه، ثم أقبل على طلب العلم، ولازم علماء عصره[٤] حتى برع، وصار هو إمام وقته ووحيد دهره في

---

(١) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٩٣، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ تر ١٣٠٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٧٤، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٢ - ٤٩٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٥١ - ٥٣، الذيل التام ق ٨٣ ب، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٦ - ١٨ تر ٦٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٦٢ تر ٩٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) هو «مدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن يونس، الحميري، المغربي، ثم الأشموني، القاهري، المالكي» (ت ٨٦٢ هـ. / ١٤٥٨ م).
له ترجمة في ابن تعري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٩١، السخاوي. الذيل التام ق ١٠٣ أ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٥٠ - ١٥٢ تر ٦٠٣.

(٣) زِرْزا أو زِرْي: بكسر ثم سكون، قرية من الصعيد الأدنى، غربي النيل.
راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ٣ ص ١٣٦، البغدادي. مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٦٦٢، ابن الجيعان. التحفة السنية ص.١٤٤.

(٤) راجع تسميتهم لدى السخاوي. التبر المسبوك ص ٥١ - ٥٢، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٦ - ١٧.

المنقول والمعقول، مع الصلابة في الدين والورع المتين، وانتهت إليه رياسة العلم بالقاهرة في زمانه، وكان قد طلب الحديث في مبدأ أمره وسمع الكثير.

وقد استوعبنا جماعة كبيرة من مشايخه في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي لأنه معتد للتراجم[1] //لا غير. [١٦]

وكان ـ رحمه الله ـ يلزم طريق السلف من التقشف وعدم التردد[2] للناس، وصحب الشيخ مدين في آخر عمره فزاد تقشفه وورعه.

وكان رحل إلى مكة[3] واليمن[4] في شبيبته، وتولى عدة تداريس في الديار المصرية[5]، وتصدى للإشغال سنين، وانتفع به غالب الطلبة من كل مذهب.

ولما مات قاضي القضاة شمس الدين البساطي[6] المالكي طلبه السلطان إلى المنصب فامتنع أشد امتناع، حتى قال السلطان للقاضي كمال الدين ابن البارزي[7] كاتب السر: قل له السلطان يقول لك: هو ولي السلطنة مغصوباً، وهو ـ أيضاً ـ يوليك

---

(١) في هامش «أ»: «صوابه معد للتراجم».

(٢) في الأصل: «التراداد».

(٣) أشار السخاوي (الضوء اللامع ج ٤ ص ١٧) إلى أنه كان في مكة سنة عشرين وثمانمائة للهجرة.

(٤) أشار السخاوي (نفسه) إلى أنه دخلها سنة تسع عشرة وثمانمائة للهجرة.

(٥) أشار ابن تغري بردى (المنهل الصافي مج٢ ق١٧٤ب)، والسخاوي (التبر المسبوك ص ٥٢، الذيل التام ق ٨٣، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٧) إلى أنه كان بيده تدريس الفقه المالكي في الشيخونية والبرقوقية والأشرفية برسباي.

(٦) هو «شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن محمد بن حسن بن غنام، البساطي» (ت ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٩ م.) له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١١٥٠، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٨٢ ـ ٨٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٩٧ تر ٢٠٥٠، المنهل الصافي مج٢ ق٧٦ب ـ ٧٧أ، النجوم الزاهرة ج١٥ ص ٤٦٦، السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٢٢٠ ـ ٢٣٨، الضوء اللامع ج ٧ ص ٥ ـ ٨ تر ٧، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٦٢ تر ٩١، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٧) هو «كمال الدين، أبو المعالي، محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله البارزي».
راجع الترجمة رقم «٩» من حولية ست وخمسين وثمانمائة للهجرة.

القضاء غصباً. فلما سمع ذلك قال: حتي أستخير الله، وتسحب من وقته وسافر من القاهرة[1]، ولم يعد إليها حتى ولي قاضي القضاة بدر الدين التنسي[2] المنصب.

قلت: هكذا تكون العلماء والزهاد.

واستمر على ما هو عليه من الإشغال والاشتغال بالعبادة إلى أن توفي - رحمه الله وعفا عنا وعنه.

(٢) وتوفي قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن [علي بن أبي] العز[3] البغدادي الحنبلي قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية ثم بدمشق، وبها توفي في أواخر هذه السنة[4]، وتولى عوضه القضاء ابن مفلح[5] على عادته.

---

(١) أشارت مصادر ترجمته إلى أنه اختفى في «دمياط».

(٢) هو « بدر الدين، أبو الإخلاص، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عوض بن نجا بن حمود بن نهار ».
راجع الترجمة رقم «٩» من حولية ثلاث وخمسين وثمانمائة.

(٣) هو «عبد العزيز بن علي بن أبي العز بن عبد العزيز بن عبد المحمود البكري، التميمي، القرشي، البغدادي، ثم القدسي».
له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٩٤ - ١٩٦، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤١٦ - ٤١٧ تر ١٤٣٤، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٢٤، النجوم الزاهرة مج ١٥ ص ٤٩٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٥٤ - ٥٥، الذيل التام ق ٨٣ ب، الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٢٢ - ٢٢٤ تر ٥٧٠، ابن المبرد. الجوهر المنضد ص ٦٧ - ٦٨ تر ٧٢، الذيل على طبقات ابن رجب ص ٤٩ تر ٧٢، العليمي. الأنس الجليل ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢، ابن طولون. قضاة دمشق ص ٢٩٤، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٩.

(٤) تردد في مصادر ترجمته أنه توفي «ليلة الأحد، مستهل ذي القعدة منها».

(٥) هو «نظام الدين، أبو حفص، عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج بن عبد الله الراميني، المقدسي، ثم الصالحي».
اختلف في التاريخ لوفاته بين سنتي ٧٠، و٨٧٢ هـ.
له ترجمة في: السخاوي. الذيل التام ق ١١٤ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٦٦ - ٦٧ تر ٢٢٢، ابن المبرد. الجوهر المنضد ص ١٠٦ - ١٠٧ تر ١١٨، الذيل على طبقات ابن رجب ص ٦٧ - ٦٨ تر ١٠٧، النعيمي. الدارس ج ٢ ص ٥٥ - ٥٩، ابن طولون. قضاة دمشق ص ٢٩٦ - ٣٠٠، القلائد الجوهرية ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٣١١.

وكان القاضي عز الدين هذا قد ولي القضاء بالديار المصرية بعد عزل شيخ الإسلام محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي(١) مدة أشهر في الدولة الأشرفية برسباي، ولما ولي صار يتقشف في ملبسه ومركبه، وبقي في غالب أوقاته يمشي على قدميه(٢) في الشوارع لقضاء حوائجه، وإذا ركب بغلته أردف ولده خلفه، وفي بعض الأحيان(٣) يردف عبده - أيضا - وأشياء كثيرة من هذا النموذج، ورق حتى زك(٤)، واستمر على ذلك حتى عزله السلطان(٥) وأعاد قاضي القضاة محب الدين - المذكور - ثانياً.

وكانت ولايته القضاء بمصر والشام من غير سعي، وكان فيه سلامة باطن في الظاهر، مع معرفة ودهاء ومكر، وكان عارفاً بالفقه وفروعه، وله مشاركة في عدة فنون بحسب الحال، وكان بينه وبين والدي صحبة ومحبة، وكان يلازم الوالد في كل يوم إذا كان بالقاهرة، وكان الوالد يستجوده ويعجبه ما يفعله من هذه الأشياء، واستمرت الصحبة بيننا - أيضاً - بعد وفاة // الوالد إلى أن سافر [١٧]

---

(١) هو «محب الدين، أبو الفضل، أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد البغدادي، الحنبلي» (ت ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م).
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١٢٣١ - ١٢٣٢، ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ق ١٣٣ أ - ١٣٤ ب، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٣٩ - ١٤١، رفع الإصر ج ١ ص ١١١ - ١١٢، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ تر ٣٢٧، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٩ تر ٣٢٩، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٨٣ - ٤٨٤، السخاوي. الذيل التام ق ٨١ ب - ٨٢ أ، الذيل على رفع الإصر ص ١٠٩ - ١٢٢، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٩ تر ٦٥٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٩٢، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٥٠٥ - ٥٠٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢) في الأصل: «أقدامه».

(٣) في «أ»: «الأعيان».

(٤) يبدو أن المقصود: «ضعف وهزل» - راجع: الفيروزابادي. القاموس المحيط ص ١٢١٥ - ١٢١٦.

(٥) كانت ولايته قضاء مصر في المدة ما بين الثالث عشر من جمادي الآخرة سنة ٨٢٩ هـ. والثاني عشر من صفر سنة ٨٣١ هـ.
راجع: ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

إلى دمشق قاضياً ومات بها، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه.

(٣) وتوفي جمال الدين عبد الله[١] أخو شهاب الدين الأذرعي[٢] الشافعي الإمام بالقهرة في يوم الاثنين سابع عشر شوال.

وكان عارياً من كل علم وفن، عفا الله عنه.

(٤) وتوفي الشيخ الواعظ جمال الدين السنباطي[٣] الشافعي - أحد نواب الحكم الشافعية - في يوم الخميس تاسع عشرين شهر رمضان عن نحو الثمانين سنة، بعد مرض طويل، وكان قد ترك الحكم قبل ذلك بمدة، وكان له مدة سنين يعمل المواعيد في المساجد والربط، وكان على وعظه أنس، ولكلامه موقع في النفوس، وكان يقرأ على كرسي بين يدي شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقيني[٤] الشافعي في صبيحة[٥] كل يوم جمعة، ثم لما يسكت من

---

(١) هو «جمال الدين، عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الرحمن، الدمشقي الأصل، القاهري».
له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٣ - ٤٩٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ٥٣، الضوء اللامع ج ٥ ص ١٧ تر ٦١.

(٢) نسبة إلى «أذرِعات»، بلدة في أطراف الشام، اشتهرت قديماً بالخمر، وترددت في أقوال الشعراء.
راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ١ ص ١٣٠ - ١٣١، البغدادي. مراصد الاطلاع ج ١ ص ٤٧.

(٣) هو «جمال الدين، عبد الله بن أبي بكر بن حسن (أو حسين) السنباطي - الواعظ».
له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ٥٣ الذيل التام ص ٨٣ ب، الضوء اللامع ج ٥ ص ١٤ - ١٥ تر ٥٠، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٤٥٩.

(٤) هو «عبد الرحمن بن عمر بن رسْلان بن نصير بن صالح البلقيني» ت ٨٢٤ هـ/ ١٤٢١ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٦٠٠، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ١١٢ - ١١٥ تر ٧٦٨، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ تر ٩، رفع الإصر ج ٢ ص ٣٢٢ - ٣٣٦، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٨٢ - ٢٨٤، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٠٣ تر ١٣٨٩، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٠٤ ب - ٢٠٥ ب، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ٢٣٧ - ٢٣٨، الجوهري: نزهة النفوس ج ٢ ص ٢٢٣ تر ٦١٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٠٦ - ١١٣ تر ٣٠١، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٨ - ٤٣٩، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٥) في الأصل: «صبحة».

القراءة يبدأ قاضي القضاة جلال الدين في عمل الميعاد ويستمر السنباطي هذا جالساً على الكرسي إلى أن يفرغ قاضي القضاة جلال الدين. وكنت أحضر الميعاد في كل يوم جمعة لصهارة(١) كانت بيني وبين قاضي القضاة جلال الدين رحمه الله.

(٥) وتوفي الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله بن حسن بن محمد الإدكوي ثم الفوي ثم المصري(٢)، كاتب سر الديار المصرية، وناظر جيشها وخاصها، ووزيرها، وأستادارها، ومحتسبها في يوم الثلاثاء سلخ شهر (ربيع)(٣) الأول، ودفن بتربته بالصحراء عند ولده صلاح الدين محمد بن نصر الله.

وكان أصل الصاحب بدر الدين هذا من قرية إدكو من قرى المزاحميتين(٤) بالوجه البحري، ثم انتقل والده إلى فوه فولد له بها الصاحب بدر الدين هذا في ليلة الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول سنة ست وستين وسبعمائة، وبها نشأ وباشر فيها بالطالع والنازل، ودخل القاهرة فقيراً مملقاً.

---

(١) إذ كان «الجلال» زوجاً لهاجر كريمة مؤرخنا، ومتولياً لتربيته آنذاك.

(٢) هو «بدر الدين، حسن بن نصر الله بن حسن بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد السلام».

له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٩١ - ١٩٢، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٧١ تر ٩٣٢، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٧ ب - ٢٨ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٤ - ٤٩٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٩ - ٥٠، الذيل التام ق ٨٣ ب - ٨٤ أ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٣٠ - ١٣١ تر ٥٠٥.

(٣) ساقط من «أ»، مثبت من النجوم الزاهرة ج١٥ ص٤٩٤.

(٤) المُزَاحِمِيَّيْن: عمل يجاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر المتوسط، وبعضه بالبر الشرقي من النيل، وحاضره مدينة فوه.

راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٠٣.

حكى لي من لفظه أنه لما قدم القاهرة جعله قاضي القضاة ناصر الدين ابن التنسي[1] موقعاً[2]، فحسده الناس على ذلك أمداً كبيراً .

قلت: ثم خدم الصاحب بدر الدين شاهداً في ديوان الأمير أرغون شاه[3] أمير مجلس في الدولة الظاهرية برقوق نحو الشهرين، وعزل، ثم انضم إلى [١٨] دوادار الأمير بكلمش[4] العلائي أمير سلاح / / فحسن حاله عنده، ثم ترقي (في) الخدم حتى ولي نظر الجيوش بالديار المصرية في الدولة الناصرية فرج، ومن يومئذ أخذ أمره في نمو إلى أن باشر عدة وظائف سنية حسبما ذكرناه مفصلاً في المنهل الصافي ، حتى لم يترك وظيفة من الوظائف حتى باشرها، حتى كتابة السر، فإنه باشرها في آخر عمره بعد موت ولده صلاح الدين محمد في أواخر سنة

---

(١) هو « ناصر الدين ، أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عوض بن نجا » ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م .

له ترجمة في : المقريزي. السلوك ج ٣ ص ٩٧٦، ابن حجر. إنباء الغمر ٢ ص ٦٣ ـ ٦٤ تر ١٤، رفع الإصر ج ١ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٨٢ تر ٢٨٩، المنهل الصافي ج ٢ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ تر ٢٩١ ، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٠، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٢٩ تر ٣٠٨، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ١٩٢ ـ ١٩٣ تر ٥٢٥، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٦١ تر ٨٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٥ ـ ٦.

(٢) الموقع: هو الذي يكتب المكاتبات والولايات وغيرها في ديوان الإنشاء. راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٥ .

(٣) هو «أرغون شاه بن عبد الله البيدمري الظاهري» ت ٨٠٢ هـ/ ١٣٩٨ م.
له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ١٠٥ تر ٣٦٣، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ تر ٣٦٥، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٣، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٦٢ تر ٣١٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٧، ابن اياس. بدائع الزهور ج ١ ق ٢ ص ٥٨٢.

(٤) هو «بكلمش بن عبد الله العلائي»، أمير سلاح الظاهر برقوق. ت ٨٠١ هـ/ ١٣٩٨ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٣ ص ١٧ ـ ١٨ تر ٨٠، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٦٩ تر ٢٣، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٩٦ ـ ١٩٧ تر ٦٨٩، المنهل الصافي ج ٣ ص ٤١٤ ـ ٤١٦ تر ٦٩١، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٥، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٢٤ ـ ٢٥ تر ٢٩٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ١٧ ـ ١٨ تر ٨٠، ابن إياس. بدائع الزهور ج ١ ق ٢ ص ٥٥٠.

إحدى وأربعين وثمانمائة إلى أن عزله الملك الظاهر جقمق بالقاضي كمال الدين ابن ألبارزي في أوائل سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، ثم بطل ولزم داره إلى أن اختلط عقله قبل موته بمدة سنين.

وبالجملة إنه كان من أعيان رؤساء الديار المصرية لولا حدة كانت فيه وبادرة، وكان منهمكاً في اللذات، وكان يتغالى في المأكل والمشرب.

وكان صفته شيخاً جميلاً، طوالاً مليح الشكل والشيبة، كريماً جواداً، وعنده شهامة وإقدام على الملوك، رحمه الله تعالى.

(٦) وتوفي الأمير سيف الدين تغري بردي بن عبد الله البكلمشي[١] الدوادار الكبير - المعروف بالمؤذي - في يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الآخرة بعد مرض طويل، وصلى عليه بمصلاة المؤمني. وحضر السلطان الملك الظاهر جقمق الصلاة عليه وغالب أعيان الدولة، ودفن بتربة الأمير طيبغا الطويل[٢] بالصحراء، وطيبغا - المذكور - هو أستاذ الأمير بكلمش أستاذ تغري بردي هذا.

ولما مات أستاذه بكلمش صار تغري بردي هذا من جملة المماليك، وترقى حتى صار من جملة أمراء العشرات في الدولة الناصرية فرج، واستمر على ذلك حتى قدم الأمير شيخ المحمودي أتابك المستعين بالله إلى الديار المصرية بعد قتل الملك الناصر فرج أخرج إقطاعه، ثم أعاده بعد مدة من سلطنته، واستمر

---

(١) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٩٢ - ١٩٣، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٨ تر ٧٦٣، المنهل الصافي ج ٤ ص ٥٤ - ٥٦ تر ٧٦٥، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٦ - ٤٩٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٩، الذيل التام ق ٨٤ أ الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧ - ٢٨ تر ١٣٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) هو «طيبغا بن عبد الله، الناصري حسن، المعروف بالطويل»، ت ٧٦٩ هـ/ ١٣٦٨ م.
له ترجمة في: ابن حجر. الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٣١ تر ٢٠٥٩، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٥ تر ١٢٨٨، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٧١ ب - ١٧٢ أ.

تغري بردي على إمرته كآحاد الأجناد دهراً طويلاً لا يؤ به إليه حتى إنني كنت إذا رأيته في الدولة الأشرفية أحسبه من جملة الأجناد، إلى بعد سنة ثلاث وثلاثين أنعم عليه الملك الأشرف بإمرة طبلخاناه، وكان جعله قبل ذلك بمدة يسيرة من جملة
[١٩] رءوس النوب، ثم صار رأس نوبة ثانياً بعد سنيات،// فلما ولي هذه الوظيفة ومسك العصاة في يده صار يضرب هذا وينهر هذا ويدفع هذا، وأظهر ما كان خفياً عن الناس من شهرته بالمؤذي، والملوك تحب من يفعل ذلك بين أيديهم لإقامة الناموس، فلم يكن غير سنين إلا وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، واستمر على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى حجوبية الحجاب بالديار المصرية بعد انتقال الأمير يشبك السودوني[١] إلى إمرة مجلس بعد آقبغا التمرازي[٢] في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فلم تطل مدته حتى جعله دواداراً كبيراً بعد نفي الأمير أركماس الظاهري برقوق[٣] إلى ثغر دمياط. ولما ولي الدوادارية عظم أمره وتضاخم. وسلك طريق السلف من الحرمة وإقامة الناموس - لا في كثرة المماليك والسماط - وقصده الناس لقضاء حوائجهم، وعظم في الدولة، ونالته السعادة، وعمر مدرسته[٤] التي بالشارع بالقرب من صليبة جامع ابن طولون، وجعل فيها خطبة ومدرس وشيخ وصوفية، ووقف عليها أوقافاً كثيرة.

---

(١) هو «سيف الدين» يشبك بن عبد الله السودوني، المعروف بالمشد».
راجع الترجمة رقم «٢» من حولية تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة.

(٢) هو «آقبغا بن عبد الله التمرازي»، نائب دمشق. ت ٨٤٣ هـ. / ١٤٣٩ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١١٩٦، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١١٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٣٨ تر ٤٨٣، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٧٦ - ٤٨٠ تر ٤٨٤، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٧٥ - ٤٧٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٦ - ٣١٧ تر ١٠١٢.

(٣) هو «سيف الدين، أركماس الظاهري برقوق».
راجع الترجمة رقم «١٧» من حولية أربع وخمسين وثمانمائة للهجرة.

(٤) راجع بشأنها: علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ١١٥ - ١١٦.

وكان عارفاً بالأحكام، ويقصد في أحكامه خلاص المظلوم من الظالم، ولا يسمع في ذلك رسالة مرسل كائناً من كان، وكان يكتب الخط الذي يقارب المنسوب، ويتفقه، ويذاكر بأشياء من التواريخ، ويسأل الأسئلة من الفقهاء، وكان عفيفاً عن القاذورات، إلا أنه كان سباباً فحاشاً في لفظه، قل أن يتبسم.

وكان معتدل القد، ضخماً، مدور اللحية، عبوساً، وفي لقبه ما يغني عن ذكره.

وكان ينسب إلى التتر، وهو رومي الجنس، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه.

(٧) وتوفي الأمير سيف الدين أيتمش بن عبد الله الخضري الظاهري(١) بعد أن تعطل في بيته سنين من بياض ابتلي به - في آخر ليلة السبت العشرين من شهر رجب. ودفن في تربة الأمير قطلوبك بالصحراء.

وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وممن صار من جملة الدوادارية في الدولة الناصرية فرج، ثم تأمر عشرة في الدولة المؤيدية // شيخ، ودام على [٢٠] ذلك إلى أن ولي الأستادرية في أوائل الدولة الأشرفية برسباي فلم ينتج أمره فيها، وعزل بعد مدة يسيرة، واستمر على إمرة عشرة سنين إلى أن ابتلي، أخرج الملك الأشرف إمرته وجعله بطالاً، ونفاه غير مرة إلى القدس وغيره، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق داخله أيتمش - المذكور - وتقرب إليه إلى الغاية، فلم يكن إلا أيام قلائل وسئمه الملك الظاهر جقمق ومقته، ثم نفاه إلى القدس، ثم رسم بعوده، وانقمع بعد ذلك ولزم داره حتى توفي كما تقدم ذكره.

وكان ضخماً، للقصر أقرب، كث اللحية، فحاشاً سباباً، سريع الحركة، مقداماً، وعنده بطش وجبروت، ويتفقه، ويعف عن المسكرات، وينبل طلبة الجامع الأزهر شراً.

---

(١) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٩٢، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ١٧٤ تر ٥٨٥، المنهل الصافي ج ٣ ص ١٣٩ - ١٤١ تر ٥٨٦، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٨ - ٤٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ تر ١٠٦٠.

وبالجملة كانت مساوؤه كثيرة، ولم أدر ما أقول فيه، غفر الله لنا وله.

(٨) وتوفي الأمير ناصر الدين بك بن دلغادر(١) صاحب أبلستين(٢) وأمير التركمان في أوائل جمادي الآخرة، وقيل: إنه قتل على فراشه، والأول أصح.

كان أول أمره من جملة أمراء حلب، لما(٣) كان الوالد نائباً بها، ثم ترقى حتى صار نائباً لأبلستين على عادة آبائه وأجداده، ولما وليها طغى وتجبر، وخرج عن طاعة ملوك مصر إلى أن أباده الملك الأشرف برسباي، وحصل لناصر الدين بك محن من كثرة منْ يجرد إليه من قبل الملك الأشرف، ولم تزل العداوة بينهما إلى أن توفي الملك الأشرف وآل الأمر إلى سلطنة الملك الظاهر جقمق، أظهر ناصر الدين بك هذا الطاعة له، وقدم الديار المصرية في سنة ثلاث وأربعين، ولبس خلعته، وأكرمه الملك الظاهر غاية الإكرام، وتزوج ابنته التي كان تزوجها الأتابك جانبك الصوفي(٤) لما كان هارباً عنده، ثم عاد إلى بلاده بعد أن أنعم عليه الملك الظاهر بأشياء كثيرة، واستمر بأبلستين إلى أن توفي وأراح الله المسلمين منه.

وكان كثير الشرور والفتن، ووقع في أيامه حروب كثيرة بتلك البلاد، وكان ظالماً جباراً مسرفاً على نفسه، عامله الله بما يستحق.

* * *

---

(١) هو « ناصر الدين ، محمد بك بن خليل بن قراجا بن دلغادر »، له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٩، السخاوي . التبر المسبوك ص ٥٨، الذيل التام ق ٨٤ أ.

(٢) أَبُلُسْتَيْن : مدينة مشهورة ببلاد الروم، شرقي قيصرية. تعد من مدن الثغور.

راجع : ياقوت. معجم البلدان ج ١ ص ٧٥، البغدادي. مراصد الاطلاع ج ١ ص ١٧ ـ ١٨.

(٣) في « أ »: « كما ».

(٤) هو « جانبك بن عبد الله الصوفي ، الظاهري برقوق » ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م .

له ترجمة في : المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١٠٦١، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ تر ٨١٧، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٢٤ ـ ٢٣٠ تر ٨١٩، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢١١ ـ ٢١٣، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٤٣٠ تر ٧٧٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٧ تر ٢٣٠.

سنة سبع // وأربعين وثمانمائة [٢١]

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري، والخليفة أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وباقي القضاة وأرباب الدولة على ما تقدم ذكره في سنة خمس وأربعين (وثمانمائة)، إلا الدوادار الكبير فإنه الأمير إينال العلائي الناصري، وليها بعد موت الأمير تغرى بردى المتقدم ذكره.

المحرم

أوله الخميس.

ففي يوم الجمعة ثانيه أمر السلطان بحبس الفرنج الذين قدموا من رودس، وجماعة أخر من النصاري في المقشرة، فحبسوا الجميع بها.

وفي يوم السبت عاشره استقر القاضي سراج الدين عمر بن موسى الحمصي الشافعي في قضاء طرابلس، بعد عزل القاضي شهاب الدين ابن الزهري، وأضيف إليه نظر جيشها.

وفي أوائل المحرم نقل القاضى جمال الدين يوسف الباعوني الشافعي من قضاء حلب إلى قضاء دمشق، بعد عزل القاضي شمس الدين محمد الونائي، وتولى قضاء حلب القاضي شمس الدين ابن الجزري.

صفر

أوله الجمعة.

ففي يوم الثلاثاء ثاني عشره استقر ير علي الخراساني في حسبة القاهرة مضافاً على حسبة مصر القديمة، بعد عزل قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني عنها.

شهر ربيع الأول

أوله الأحد.

ففي يوم الاثنين سادس عشره خرجت الغزاة من القاهرة ونزلت في المراكب من ساحل بولاق وتوجهوا إلى ثغر الإسكندرية ودمياط، ومنهم من توجه إلى الإسكندرية في البر، والجميع قصدهم غزو رودس، وقيل: تسمى أريدس، والأول أشهر.

وكانت الغزاة جمعاً كبيراً إلى الغاية من الأمراء والخاصكية والمماليك السلطانية، وكان رأس العسكر في هذه السنة - أيضاً - الأمير إينال العلائي الناصري الدوادار الكبير، وكان في العام الماضي - أيضاً - هو والأمير تمرباي رأس نوبة النوب رءوس العسكر - أيضاً - لما غزوا قشتيل وأخذوها[1]، انتهى.

[٢٢] وكان في هذه السنة مع الأمير إينال // من الأمراء الأمير يلخجا الساقي الناصري ثاني رأس نوبة، ومن العشرات جماعة كبيرة، منهم الأمير تغري برمش اليشبكي الزاردكاش، والأمير تغري برمش الجلالي المؤيدي الفقيه نائب قلعة الجبل وهو مستمر على وظيفته، ورسم للأمير يونس العلائي أن يجلس بباب القلعة حتى يعود تغري برمش - المذكور - من الغزو، والأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، والأمير تمربغا الظاهرى جقمق، والأمير نوكار الناصري، والأمير تمراز النوروزي المعروف بتعريص، والسيفي يشبك الفقيه المؤيدي. وفيها تأمر بعد موت تمراز النوروزي أحد الباشات من جرح أصابه في رودس، وجماعة أخر من أعيان الخاصكية،

---

(١) في هامش «أ» : «قال المؤلف رحمه الله تعالى: هذه الوقعة في هذا الشهر - أعني ربيع الأول - لكن ليست السنة سنة سبع وأربعين (وثمانمائة)، وإنما كانت الوقعة في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين، ولكن وقع الوهم في المسودة التي بيضت منها هذه النسخة، وقد ذكرتها مثبوتة في سنتها في غير هذه النسخة، وهي سنة ثمان وأربعين، فلتراجع هناك».

كل منهم مقدم على غراب(1)، ومعه جماعة من المماليك السلطانية في هذه الغزوة تـزيد على ألف مملوك ، هـذا خارج عن مَنْ تـوجه من المتـطوعة من الفقهـاء والفقراء وأولاد الناس ، وأضيف إليهم ـ أيضاً ـ جماعة من الأمراء الشامية كمـا فعل الملك الأشرف برسباي في غزوة قبرس .

ورسم لهم بأن يتوجهوا الجميع من ساحل طرابلس وينضافوا إلى العسكر المصري، ويتوجهوا إلى رودس بأجمعهم عسكراً واحداً، ففعلوا ذلك، وسافر الجميع فى البحر المالح بعد أن أقاموا بثغر الإسكندرية ودمياط أياماً لعمل مصالحهم، وحصل منهم غاية الضرر بطول إقامتهم في الثغور المذكورة. وكان يوم سفرهم من الثغر الإسكندري في يوم الخميس حادي عشر شهر ربيع الآخر، وسافروا بالأمن والسلامة إلى أن وصلوا إلى بر رودس ونزلوا عليها بالقرب من مدينتها بالخيم، وأخذوا في حصار أسوارها، ونصبوا المناجنيق والمكاحل على أبراجها، وأخذوا في القتال في كل يوم .

هذا، ومنهم فرقة كبيرة قد تفرقت في قرى رودس وبساتينها وضياعها ينهبون ويسبون، واستمروا على ذلك أياماً كثيرة.

على أن أهل رودس تأهبوا للقتال والحصار وحصنوا أبراج رودس بالآلات والسلاح والمقاتلة، وصار القتال بينهم في كل يوم// وقتل من الطائفتين خلق كثير [٢٣] إلى الغاية.

على أن جماعة من عسكر المسلمين استمروا في المراكب مع الأمـير يلخجا، كما رسم السلطان أن يكون باشا في البحر لحفظ المراكب، وكان في ذلك

(1) الغراب ، والجمع أغربة وغربان: نوع من أنواع الشيني ، يسير بالقلع والمجاديف، ومنه الصغير والكبير، إذ يتحدد حجمه بضخامة عدد مجاديفه، فأحفله ما كان يجره مائة وثمـانون مجـدافاً، وأصغره تجدف به عشرة مجاديف، وهو مركبة حربية شديدة البأس، ولعل تسميتها بذلـك لشبه مقدمها برأس الغراب إلى حد كبير.

راجع: سعاد ماهر. البحرية في مصر الإسلامية ص ٣٥٣، ماجد. نظم الفاطميين ورسومهم في مصـرج ١ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، درويش النخيلي. السفن الإسلاميـة ص ١٠٤ ـ ١١٢ ، إبـراهيم حسن سعيد. البحرية في عصر سلاطين المماليك ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

مصلحة، فإنه طرقهم في بعض الأيام جماعة من الفرنج في المراكب، وحصل بين الفريقين قتال عظيم، ونصر الله المسلمين وغنموا منهم وسبوا.

كل ذلك وحصار رودس على حاله عمال في كل يوم إلى أن وقع للمسلمين في بعض الأيام محنة كبيرة، قتل فيها جماعة من الفرسان الأعيان، وهو أنهم كانوا في كنيسة تجاه رودس، وكان بينهم وبين العسكر مخاضة في البحر المالح، وبينهم وبين رودس طريق سالكة على البر، وتعبأ الفرنج لتبييت هؤلاء المسلمين إلى أن أمكنتهم الفرصة خرجوا عليهم على حين غفلة وطرقوهم بالسيوف وغيرها، وكانت المسلمون في أمن من جهة أهل رودس، وغالبهم جالس بلا سلاح، وهم - أيضاً - في قلة، والفرنج في كثرة، فلما وقع العين في العين قام المسلمون إلى السلاح، فمنهم من وصل إلى سلاحه، ومنهم من قتل قبل أخذ السلاح، ومنهم من ألقى بنفسه إلى الماء ونجا بنفسه، وهم القليل، على أنه قتل من الفرنج جماعة كبيرة، قتلوهم من قتل من المسلمين لما عاينوا الهلاك، فلما أن وقع العايط[1] قام كل واحد من العسكر إلى نجدة هؤلاء، فلم يصل إليهم أحد حتى فرغ القتال، وقتل من قتل، إلا أن بعض الخاصكية لحق جماعة من الفرنج قبل دخولهم إلى مدينة رودس ووضعوا السيف فيهم.

وكنت قد وضعت هذه الواقعة وغزوة قشتيل مبسوطة في مسودة ضاعت مني في جملة مسودات، فاحتجت إلى اختصاراها على هذه الصورة، وكذلك أشياء كثيرة من سنة خمس وست وأربعين (وثمانمائة).

وكان من قتل من أبطال المسلمين نيفاً على عشرين نفساً، أثابهم الله الجنة بمنه وكرمه.

---

(١) العِيط: صوت الفتيان النزقين إذا تصايحوا، أو كلمة ينادى بها عند الغلبة، وعليه فالعائط في هذا الموضع هو: الصياح والمناداة.
راجع: الفيروزابادي. القاموس المحيط ص ٨٧٧.

وادام القتال بعد ذلك فى كل يوم أياماً كثيرة إلى أن طال عليهم الأمر، ومدينة رودس لا تزداد إلا قوة لكثرة مقاتلتها وكثرة الميرة التي بها، فأجمع المسلمون على العود، وركبوا المراكب، // وعادوا إلى أن وصلوا إلى ثغر [٢٤] الإسكندرية ودمياط، ثم قدموا إلى ساحل بولاق، فكانت غزوة العام الماضي - أعني غزوة قشتيل - التى أخربوها وسبوا أهلها أبهج من غزوة هذه السنة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وكان وصولهم إلى القاهرة في يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب من السنة.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين.

ففي يوم السبت سادسه أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الناصري محمد ابن السلطان حتى خلق المقياس وفتح خليج السد على العادة، ثم ركب وطلع إلى القلعة، وخلع عليه على العادة.

وفي هذا المعنى يقول النصير المناوي:

النيل قال وقوله إذ قال ملء[1] مسامعي
في غيظ من طلب الغلا عم البلاد منافعي
وعيونهم بعد الوفا ء قلعتها بأصابعي

[مجزوء الكامل]

جمادي الأولى

أوله الثلاثاء. فيه قدم القاضي زين الدين عمر بن السفاح إلى القاهرة والأمير حطط الناصري نائب قلعة حلب وغريب أستادار السلطان بحلب، بطلب من السلطان، فلما حضروا بين يدي السلطان رسم عليهم الأمير تغرى برمش نائب القلعة وأمر بمحاسبتهم، وأمره أن يحتفظ بهم أو يحبسهم بالبرج، فأخذهم تغري برمش عنده، وطلب منهم الأموال التي تصرفوا فيها من مال تغري برمش نائب حلب لما عصى وخرج على السلطان، وكان ما طلبه السلطان

(١) في «أ»: «ملأ».

من ابن السفاح مبلغ ثلاثين ألف دينار، ومن حطط خمسين ألف دينار، ومن غريب قريب من ذلك، وداموا في الترسيم عند تغري برمش مدة طويلة حتى أخذ منهم مبلغاً كبيراً.

وفي يوم السبت خامسه استقر ابن الرسام كاتب سر حلب وناظر جيشها وناظر قلعتها عوضاً عن ابن السفاح بحكم عزله ومصادرته، واستقر شاهين
[٢٥] الطوغاني الأشقر دوادار السلطان // قديماً والدوادار الثالث الآن - في نيابة قلعة حلب عوضاً عن حطط - المذكور - بحكم عزله ومصادرته .

وفي يوم الخميس سابع عشره استقر القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديرى فى نظر الحرمين: القدس والخليل - عليه السلام - بمال وعد به بعد وفاة غرس الدين خليل السخاوي .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه استقر القاضي عز الدين ابن البساطي المالكي في قضاء دمشق عوضاً عن يحيى المغربي بحكم عزله.

جمادى الآخرة

أوله الأربعاء.

ففي يوم السبت رابعه عزل ابن البساطي عن قضاء دمشق.

وفي يوم الأربعاء ثامنه قدم إلى القاهرة القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل من دمشق بعد أن احتفل الناس لملاقاته، ولم يتأخر أحد من أعيان الدولة عن الخروج له، وكان لقدومه يوم مشهود، وطلع إلى القلعة وقبل الأرض بين يدي السلطان، ومعه أولاده، ثم تقدم وباس رجل السلطان، فقال له السلطان: أهلاً، وكررها بصوت خفي، ولم يزده على ذلك، ثم ألبسه كاملية بيضاء بسمور بمقلب سمور، وأخلع على أولاده كل واحد كاملية سمور بطوق عجمي، ونزل إلى داره المعروفة به.

وفي يوم الجمعة عاشره قدم الزيني عبد الباسط تقدمته على أربعة وأربعين قفصاً من أقفاص الحمالين، مشحونة بالهدية، مردومة بأنواع الفراء والصوف والمخمل والشقق الحرير والسلاح وطبول بازات مذهبه، وخيول نحو مائتي فرس

وأربعين فرساً، منها اكديشا خاص بسروج ذهب وبدلات وعبى حرير، ومنها عشر خيول عليها بركستوانـات ملونة وسروج مغرقة، ومنها ثمانية بسروج سُذّج برسم الكرة، وبغال ثلاثة أقطار، وجمال بخاتي قطار واحد.

وفي يوم الاثنين عشرينه قدم الأمير الوزير خليل بن شاهين الشيخي نائب ملطية، وخلع عليه خلعة الاستمرار، وقدم هديته.

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه وصل إلى القاهرة قاصد القان معيْن الدين شاه رخ بن تيمورلنك وقاصدجهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز.

// شهر رجب [٢٦]

أوله الجمعة.

في يوم الاثنين رابعه استقر الأمير خليل بن شاهين أتابك حلب عوضاً عن الأمير قيز طوغان العلائي الأستادار، واستقر قيز طوغان المذكور نائب ملطية عوضه.

شعبان وشهر رمضان

لم يقع فيهما شيء.

شوال

أوله الأربعاء.

ففي يوم السبت ثامن عشره برز الأمير شادبك الجكمي أحد مقدمي الألوف وأمير حاج المحمل بالمحمل إلى بـركة الحجـاج، وأمير الـركب الأول الأمير سونجبغا اليونسي الناصري فرج أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه خلع على القاضي محب الدين ابن الأشقر بوظيفة نظر الجيوش المنصورة على عادته قديماً، عوضاً عن القاضي بهاء الدين محمد بن حجي بحكم عزله وعوده إلى دمشق ناظر جيشها، فإنها كانت بيده مضافاً إلى نظر جيش مصر.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه خلع على بدر الدين محمد ابن فتح الدين صدقة المحرقي باستقراره في نظر الجوالي[1] عوضاً عن والده بحكم ضعفه وكبر سنه، واستقر ـ أيضاً ـ في جميع وظائف والده.

وفي يوم الخميس سلخه قدم القاضي بهاء الدين ابن حجي إلى السلطان تقدمة هائلة تشتمل على خمسة وأربعين قفصاً من أقفاص الحمالين ما بين ثياب بعلبكي وقسي وأنواع الفراء والصوف وغير ذلك.

ذو القعدة

أوله الجمعة.

ففي يوم الاثنين رابعه خلع على القاضي بهاء الدين ابن حجي خلعة الاستمرار بنظر جيش دمشق، وأضيف إليه نظر قلعة دمشق.

وفي يوم الأحد رابع عشرينه نزل السلطان من قلعة الجبل وسار حتى وصل إلى ساحل بولاق، ثم عاد حتى علم الناس أنه طيب، وكان قد توعك توعكا هيناً، فأشيع بضعفه.

ذو الحجة

أوله الأحد.

ففي يوم الاثنين ثانيه وصل الأمير جلبان نائب الشام، ونزل السلطان إلى ملاقاته بمطعم الطير على المسطبة بالريدانية، وتلقاه، وأخلع عليه خلعة الاستمرار.

وفي يوم الثلاثاء ثالثه قدم الأمير جلبان تقدمته إلى السلطان، (و)تشتمل

---

(١) الجوالي: ما يؤخذ من أهل الذمة عن الجزية المقررة على رقابهم كل سنة، وهي على قسمين: ما في حاضرة الديار المصرية، وما هو خارج عن ذلك.
وناظر الجوالي هو المتولي ـ في حاضرة الديار المصرية ـ شئون أهل الذمة من نشو وطارىء، والقابض ما على رقابهم من جزية سنوية، يعاونه في ذلك: الشاد والعامل والحاشر والشهود.
راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩.

على (أقفاص على رءوس) عدة حمالين، منها سمور[١] خمسة أبدان، ووشق[٢] بدنين، وقاقم[٣] خمسة أبدان، وسنجاب[٤]// خمسون بدناً وقرضيات[٥] خمسون [٤٧] قرضية، ومخمل ملون أربعين ثوباً، ومخمل أحمر وأخضر وأزرق حلبي خمسون ثوباً وصوف ملون مائة ثوب، وثياب بعلبكي خمسمائة ثوب، وبطائن خمسمائة ثوب، وقسي حلقة ثلاثمائة قوس، منها خمسون خاص وطبول باز مذهبة عشرة، وسيوف خمسون سيفاً، وخيول مائتا رأس، منها واحد بسرج ذهب وكنبوش، وبغال ثلاثة أقطار، وجمال أربعة أقطار، وعشرون ألف دينار، على ما قيل.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة ـ أعني الماء القديم ـ ستة أذرع وعشرون إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة فى هذه السنة تسعة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرين إصبعاً.

* * *

---

(١) السَّمُّور والجمع سمامير : حيوان بري، لونه أحمر مائل الى السواد ، يشبه السنور، لا يؤخذ إلا بالحيل. خص باتخاذ الفراء من جلوده، للينها وخفتها ودفائها وحسنها.
راجع : الدميري. حياة الحيـوان الكبرى ج ٢ ص ٣٤، المنجـد ص ٣٥٠.

(٢) الوشق : حيوان من السباع ، على شكل عناق الأرض (راجع : الدميري . حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ١٥٦)، إلاّ أنه اكبر منه قليلاً يؤخذ منه الفراء . راجع المنجد ص ٩٠٢ .

(٣) القاقم: حيوان جميل الوجه، أبيض اللون ، يشبه السنجاب، يتخذ منه الفراء.
راجع : الدميري. حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٢٣٩ ، المنجد ص ٦٤٧ .

(٤) السنجـاب: حيوان أكبـر من الجرذ، كث الشعـر ناعمـه، أزرق رمادي اللون، يتخـذ من جلده الفراء.
راجع : الدميري. حياة الحيوان ج ٢ ص ٣٤، المنجد ص ٣٥٤ .

(٥) لعله الفراء المتخذ من ابن مُقرِض، وهو أبيض اللون مائل إلى الصفرة.
راجع : الدميري. حياة الحيوان ج٢ ص ٣٢٧، المنجد ص ٦٢٠ .

ذكر من مات في هذه السنة من الأعيان

(١) توفي الشيخ شمس الدين محمد الحنفي[١] المعتقد في أوائل شهر ربيع الأول، وهو في حدود الثمانين سنة، ودفن بزاويته خارج قنطرة طقزدمر، خارج القاهرة.

وكان رجلاً ديناً خيراً، يعمل المواعيد الهائلة، ويعلم الناس ويسلكهم، وأفنى عمره في العبادة والعلم، وكان في مبدأ أمره فقيهاً يقريء المماليك بأطباق القلعة، ثم فتح له حانوتاً يبيع فيه الكتب، ثم ترك ذلك كله وانقطع عن الناس بالكلية وعرف بالخير والديانة. وكانت الأكابر تتردد إليه.

وكان بينه وبين الوالد صحبة وهو أتابك العساكر، وصحب بعده جماعة كبيرة، وكان بينه وبين الأمير ططر صحبة أكيدة، وله فيه اعتقاد عظيم إلى الغاية، حتى إنه لما تسلطن أنعم عليه بإقطاع هائل، وجعله رزقة[٢] محبسة على زاويته، وأعطاه مبلغاً كبيراً من الذهب مع دولة الملك الظاهر ططر اليسيرة.

---

(١) هو «محمد بن حسن بن علي»، له ترجمة في:
ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٨٤ ـ ٨٥، الذيل التام ق ٨٤ ب.

(٢) رزقة، والجمع رزق، الأطيان الممنوحة إلى بعض الناس من قبل الخلفاء أو الملوك والسلاطين، وهي معفاة من الضرائب، بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانية.
راجع: د. إبراهيم طرخان. النظم الإقطاعية ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

وكان الشيخ شمس الدين سمحاً، يبذل ما في يده للفقراء في إطعام طعام وإيصال معروف لهم. وكانت زاويته مشحونة بالفقهاء والفقراء، ودام على ذلك سنين إلى أن توفي.

اجتمعت به غير مرة، فكانت له محاضرة حسنة، ومذاكرة حلوة، إلا أنه كان لا يقوم لأحد يقدم عليه كائناً من كان حتى ولا قضاة القضاة، وعيب عليه/ / [٢٨] ذلك.

وكان مليح الشكل، منور الشيبة، بشوشاً، فصيحاً، والناس فيه على قسمين، ما بين معتقد إلى الغاية، وما بين منتقد إلى الغاية، رحمه الله.

(٢) وتوفي الأمير تمراز بن عبد الله النوروزي[١] أحد أمراء العشرات ورأس نوبة[٢] من جرح أصابه في حصار رودس، فحمل إلى أن مات بالقرب من ثغر دمياط، فدفن به في أواخر جمادي الآخرة أو أوائل شهر رجب.

وكان الأمير تمراز هذا يعرف بتعريص[٣]، وهو من مماليك الأمير نوروز الحافظي[٤] نائب الشام، وتأمر في الدولة الظاهرية جقمق، وكان متجملاً في

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٢٦ تر ٧٩١، المنهل الصافي ج ٤ ص ١٥٠ ـ ١٥١ تر ٧٩٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٦٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٧٩، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٨ تر ١٥٧.

(٢) رأس نوبة: وظيفة لصاحبها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم، وتعتبر الوظيفة الثالثة من خمس وعشرين وظيفة يشغلها عسكريون بحضرة السلطان، ومن يشغلها يستقل ـ عادة ـ بتدبير أمور الدولة.

راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨، ٢٣، ٦٠ حسن الباشا. الفنون الإسلامية ص ٥٤٥ ـ ٥٤٩.

(٣) علل لذلك ابن تغري بردي (المنهل الصافي ج ٤ ص ١٥٠ ـ ١٥١) قائلاً:
«... وكان قد غلب عليه هذا اللقب القبيح، وقد سألته عن تسميته بتعريص، وما السبب في ذلك، فقال: كنت صغيراً في الطبقة، وكنت إذا كلمني أحد من العوام، أقول له: في تعريصك، أقصد بذلك المزح والدعابة، فلقبوني خجداشيتي بتعريص، وغلب عليّ هذا الاسم».

(٤) هو «سيف الدين، نوروز بن عبد الله الحافظي، الظاهري برقوق»، نائب الشام، قتل في ربيع الآخر سنة ٨١٧ هـ/ ١٤١٤ م.

ملبسه ومركبه وعنده كرم وحشمة، وكان كبير اللحية حسن الشكل، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة زين الدين أبو بكر بن إسحاق بن خالد الكختاوي[١]، الحنفي، المعروف بالشيخ باكير[٢]، شيخ الشيوخ بخانقاة شيخون في ليلة الأربعاء ثالث عشرين[٣] جمادى الأولى، وصلى عليه من الغد بمصلاة المؤمني تحت القلعة، وحضر السلطان الصلاة عليه، ودفن في الفسقية بجامع شيخون، واستقر عوضه الشيخ الإمام العلامة كمال الدين محمد بن الهمام[٤].

وكان الشيخ باكير إماماً بارعاً مفنناً في عدة علوم، غير أنه كان في لسانه شبه لكنة[٥].

(٤) «وتوفي المقام الناصري محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق[٦]، في ليلة السبت ثاني عشرين ذي الحجة بقلعة الجبل، بعد مرض

له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ح ٢ ص ٧٦٢ - ٧٦٣، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٦٧ ب - ٢٦٩ أ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٢٨ - ١٢٩، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٤٥ تر ٥٢٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ تر ٨٧١.

(١) الكختاوي: نسبة إلى كختة، على نهر كختاصو في آسيا الصغرى.

(٢) هو «أبو بكر بن إسحاق بن خالد الكختاوي الحلبي، ثم القاهري»، له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٧٨، الذيل التام ق ٨٤ ب، الضوء اللامع ج ١١ ص ٦٩ - ٧٠.

(٣) هكذا في الأصل، وصوابها «ثالث عشري» أو الثالث والعشرين.

(٤) هو «كمال الدين، محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود». ت ٨٦١ هـ/ ١٤٥٧ م. له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٥٠ تر ٢٢٣٦، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٣٧ ب - ١٣٨ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٧ - ١٨٨، السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ١٢٧ - ١٣٢ تر ٣٠١، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٥) يأتي بعدها سقط بقدر نصف الصفحة في ذيل هذه الصفحة، وثلثي الصفحة في رأس الصفحة التالية لها.

(٦) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢١٦ - ٢١٧، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦١٠ تر ٢٠٩٦، المنهل الصافي مج ٣ ق ٩٢ أ - ٩٣ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٢ - ٥٠٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٨٢ - ٨٤، الذيل التام ق ٨٤ ب، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢١٠ - ٢١٢ تر ٥١٩.

طويل ، وصلى عليه من الغد بباب القلة من قلعة الجبل ، وحضر والده السلطان الملك الظاهر جقمق الصلاة عليه ، ودفن بتربة عمه جاركس القاسمي المصارع[١] ، التي جددها مملوكه قاني باي الجاركسي[٢] عند دار الضيافة ، تجاه سور القلعة . ومات وهو في حدود الثلاثين تخميناً ، وأمه الست قراجا بنت الأمير أرغون شاه[٣] أمير مجلس الملك الظاهر برقوق »[٤] .

//وكان عاقلاً سيوساً، عارفاً مدبراً، حريصاً، متجملاً في مماليكه وحشمه ، [٢٩] يسير على قاعدة السلاطين في ركوبه وجلوسه ، ويخاطب في ركوبه للصيد [من][٥] أمير شكار[٦] وغيره بالسلطان ، ولقبه جماعة من الشعراء بالملك الناصر في مخلص قصائدهم ، وكان أهلاً للسلطنة بلا مدافعة ، ولو تسلطن لما اختلف عليه اثنان . لما كنت أعرفه من همته ومعرفته .

---

(١) هو «جاركس بن عبد الله القاسمي، الظاهري برقوق »، ت ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧ م.
له ترجمة في : ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٩٠ تر ٦، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٣٤ تر ٨٠٩، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٠٩ - ٢١١ تر ٨١١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٦٧ تر ٢٧٣.

(٢) هو «قاني باي بن عبد الله الجاركسي»، الأمير آخور الكبير. ت ٨٦٦ هـ/ ١٤٦١ م.
له ترجمة في : ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٢٩ - ٥٣٠ تر ١٨١٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٥ ب - ٦ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣١٥ - ٣١٦، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٤ - ١٩٥ تر ٦٥٧.

(٣) هو «أرغون شاه بن عبد الله البيدمري الظاهري » ت ٨٠٢ هـ/ ١٤٠٠ م.
له ترجمة في : ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٠٥ تر ٣٦٣، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ تر ٣٦٥، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٣ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٧ ، تر ٨٢٦.

(٤) ساقط من الأصل، مثبت من النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٢.

(٥) إضافة لاستقامة المعنى.

(٦) أمير شكار: أحد أمراء العشرات، وهو المتحدث في سائر أمور الصيد السلطاني، من جوارح وصيود وأحواش وغيرها.
راجع : القلقشندي. صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٢.

وكان يحب اللهو والطرب على قاعدة العقلاء والرؤساء من الملوك، مع إقامة الناموس والحرمة لشهامة كانت فيه. وكانت غالب الأمراء وأعيان الخاصكية يترقب سلطنته يوماً بيوم، ولو ملك لسار على قاعدة عظماء الملوك لما كنت أعلمه منه.

وأنا أخبر بحاله من غيري لصحبة كانت بيننا قديماً، ثم صارت بيننا صهارة لما تزوج بنت كريمتي بنت الأتابك آقبغا التمرازي نائب دمشق، وكنت أنا توليت تربيتها وعمل شوارها[1] بعد موت والدها، فتأكدت الصحبة لذلك.

وفي الجملة كان أجل أولاد السلاطين وأولاد الناس // الذين أدركناهم، [٣٠] رحمه الله تعالى.

* * *

(١) الشوار: عامية، تعني جهاز العروسين.

سنة ثمان وأربعين وثمانمائة

استهلت هذه السنة والسلطان والخليفة على حالهما كما تقدم في السنة الماضية، وكذلك القضاة وأرباب الوظائف.

والأسعار متوسطة، وسعر الدينار الذهب مائتا درهم وخمسة وثمانون درهماً في الصرف، وتسعون في المعاملة، والإفرنتي[١] بأنقص من الأشرفي[٢] بخمسة دراهم في الحالتين، والمثقال الذهب بثلاثمائة وثلاثين وخمسة وثلاثين، والدرهم من الفضة بأربعة وعشرين درهماً من الفلوس، وكل درهم من الفلوس بثمانية أعداد مخلوطة بالنحاس وغيره.

وكان سعر القمح في وسط السنة الماضية بثلاثمائة درهم الأردب، ثم هو الآن بمائتي درهم الأردب، وما دونه، وبقية الأسعار رخيصة.

غير أن الطاعون كان ابتدأ في أوائل ذي الحجة من السنة الخالية، وقد فشا الآن في أوائل هذه السنة، فنسأل الله حسن الخاتمة بمنه وكرمه.

---

(١) الإفرنتي: هو الدينار الذهبي المشخص، والمضروب في «البندقية».
راجع: د. عبد الرحمن فهمي. النقود العربية ص ٩٥ - ٩٦، د. إبراهيم طرخان. النظم الإقطاعية ص ٥٢٦.

(٢) الأشرفي: المقصود به - هنا - الدينار البرسبيهي - نسبة إلى الأشرف برسباي - وهو أشهر وأجود الأشرفيات المنسوبة إلى غيره، كالقايتباهى، والغورى والأشرفي العثماني.
راجع: د. إبراهيم طرخان. النظم الإقطاعية ص ٥٢٦.

المحرم.

أوله الاثنين. فيه فشا الطاعون، وصار يزيد في يوم وينقص في آخر إلى أن أخذ في التزايد، وبلغ من يموت في كل يوم أكثر من ثلاثمائة نفس.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره ركب المحتسب يَرْعلي الخراساني وكبس المعاصر بساحل بولاق، فتكاثرت العبيد عليه ورجموه وكادوا يقتلونه عدماً، ولولا أنه التجأ إلى بيت القاضي كمال الدين كاتب السر لكان هلك.

صفر

أوله الأربعاء. فيه تزايد الطاعون حتى بلغ من يموت في كل يوم أكثر من خمسمائة نفس، وكان غالب من يموت الأطفال والخدم.

وفي يوم الخميس ثانيه استقر ابن ظهير ناظر الأوقاف عوضاً عن علاء الدين ابن أقبرس بحكم عزله.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه نفي السلطان كسباي الششماني المؤيدي أحد الدوادارية الصغار إلى صفد.

وفيه ـ أيضاً ـ نفى شاهين أحد المماليك السلطانية.

وفي آخر الشهر تناقص الطاعون.

شهر ربيع الأول

[٣١] أوله الجمعة. فيه نفى السلطان يونس // الأمير آخور.

وفي هذه الأيام خف الطاعون من القاهرة وكثر في ضواحيها.

وفي يوم الأحد ثالثه ضرب السلطان القاضي أبا البركات محب الدين الهيثمي أحد نواب الحكم الشافعية، وحبسه بحبس المقشرة لا لأمر اقتضى ذلك، ولما بلغ ذلك قاضي القضاة ابن حجر عزل نفسه، ثم أعاده السلطان بعد ذلك وأطلق أبا البركات المذكور من الحبس.

وفي يوم السبت تاسعه نفى السلطان سودون مملوك طوغان ـ أمير آخور كان ـ إلى حلب.

قلت : ولو أبعد به [1] لكان أحسن.

وفي يوم السبت سادس عشره نفى السلطان الأمير سودون السودوني الحاجب إلى قوص، وأنعم بإقطاعه على الأمير الطنبغا المعلم اللفاف الظاهري برقوق المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه، زيادة على ما بيده.

وهذه ثالث نفية نفاها السلطان لسودون المذكور.

وفي هذه الأيام أمر السلطان بنفي الشيخ شمس الدين محمد بن العطار الحنفي أحد الصوفية بخانقاه شيخون[2] إلى ملطية، وخرج إلى أن وصل إلى خانقاه سرياقوس[3] ، ثم تكلم فيه فعاد إلى القاهرة على حاله .

وكان سبب هذه القضية شمس الدين الكاتب، فإنه كان واسطة سوء عند الملك الظاهر جقمق، وأما شمس الدين ابن العطار فإنه من خيار الناس ومن أعيان فقهاء الحنفية.

شهر ربيع الآخر

أوله السبت، وقيل: الجمعة.

ففي يوم الاثنين ثالثه خلع السلطان على الأمير سودون المحمدي أحد أمراء العشرات باستقراره في نيابة قلعة دمشق بعد نقل الأمير جانبك الناصري منها إلى حجوبية حجاب دمشق بعد موت الأمير سودون النوروزي رحمه الله.

---

(١) «به» : مكررة في «أ».

(٢) خانقاه شيخون: أنشأها الأمير الكبير « سيف الدين شيخو العمري » في خط الصليبة، خارج القاهرة ـ سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة ، ورتب فيها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة : الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، ودرساً للحديث النبوي، وآخر للإقراء بالسبع، وجعل لكل درس مدرساً ، شارطاً عليهم حضور الدرس ووظيفة التصوف كذلك .

راجع . المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٤٢١ ، اس تغري بردي . مورد اللطافة ق ١١٨ .

(٣) خانقاه سرياقوس: أنشأها الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من قرية سرياقوس الحالية (التابعة لمحافظة القليوبية) في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة للهجرة، وافتتحت في جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

راجع : المقريزي . الخطط ج ٢ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

وفيه استقر الأمير قانصوة النوروزي ـ الذي خرج على الملك الظاهر جقمق في نوبة إينال الجكمي[١] ثم اختفى مدة وظهر بالأمان ـ في نيابة ملطية بعد عزل الأمير قيز طوغان عنها وقدومه إلى حلب أتابكا بها عوضاً عن الصاحب خليل بن شاهين بحكم عزله ونفيه .

وفيه ـ أيضاً ـ أمر السلطان الأمير شادبك الجكمي والأمير طوخ من تمراز المدعو بيني بارق ـ أعني غليظ الرقبة ـ وكلاهما أمير مائة مقدم ألف بالديار المصرية بالسفر إلى بلاد / / الصعيد لدفع فساد العربان . [٣٢]

وكان قبل تاريخه أرسل السلطان الأمير أيتمش بن أزرباي المؤيدي أستادار الصحبة[٢] ومعه خمسون مملوكاً من المماليك السلطانية إلى الصعيد ـ أيضاً ـ فضعف أيتمش بمن معه عن قتالهم، وهم عرب الكنوز.

وفي يوم السبت خامس عشره استقر الأمير سودون البردبكي أمير خازندار وأحد الحجاب في نيابة ثغر دمياط، وخلع عليه في يوم الاثنين عوضاً عن السيفي طوغان السيفي آقبردي المنقار بحكم عزله وتوجهه إلى البلاد الشامية على إمرة.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره استقر الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الثاني ناظر جامع الأزهر.

وفيه أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان الملك الظاهر جقمق من قلعة الجبل وبين يديه أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم حتى عدى النيل وخلق المقياس ، وعاد فتح الخليج ، وركب وطلع إلى القلعة ، وخلع والده عليه فوقاني بطرز ذهب على العادة .

---

(١) كان ذلك سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة للهجرة.

(٢) أستادار الصحبة : هو المتحدث على المطبخ السلطاني والمشرف على الطعام والمشي أمامه، والوقوف على السماط ، والعادة أن يكون أمير عشرة.
راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٤ ص ٢١ .

وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء [١] :

واهـاً لهـذا النيـل، أي عجيبـة ... بكـر بمثـل حـديثهـا لا يُسْمَعُ!
يلقى الثرى في العام وهـو مسلم ... حتى إذا مـا عـاد وهـو مُـوَدِعُ
مستقبـل مثـل الهـلال فـدهـرُه ... أبـداً يـزيـد كـما يـزيـد ويـرْجِـعُ

[الكامل]

الجمادان

لم يقع فيهما شيء.

شهر رجب

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس ثانيه وصلت إلى القاهرة عدة رءوس على رماح من العرب أهل الكنوز.

وفي يوم السبت رابعه وصل إلى القاهرة الأمير[١] بردبك العجمي الجكمي نـائب حماه، وطلع إلى القلعـة، فلما تمثل بـين يـدي السلطان وقبـل الأرض نهره السلطان وأمـر بـالقبض عليـه ، فـأمسـك وحبس بـالقلعــة [٢]، ثم أرسـل إلى الإسكندرية لما وقع منه في حق أهل حماه.

وسبب ذلك أنه كان وقع بينه وبين أهل حماه كلام بسبب أمر ما، فأفحش بردبك هـذا عليهم في القول، فنفـرت قلوبهم منه حتى عـظم ذلك بينهم[٣]، ووقـع القتال، فركب بردبك هذا بمماليكه عليهم وقاتلهم حتى قتل منهم جماعة كبيرة أكثر من مائة وعشرين // نفساً، قتل غالبهم صبراً، ولم يقتل من جماعته غير [٣٣] أربعة أنفس أو أقل. ولما وقع منه ذلك عصى وخرج عن الطاعة، ونزل في برية

(١) وردت هذه الأبيات دون نسبة إلى قائلها ـ كذلك ـ في النويري. نهاية الأرب ج ١ ص ٢٦٥ .

(٢) ساقط من «ب » .

(٣) «بالقلعة» ـ ساقط من «ب» .

حماه أياماً فلم ينتج أمره، فأرسل سأل نائب الشام الأمير جلبان في الأمان، فسأل نائب الشام السلطان في ذلك، فأرسل إليه بالأمان، فحضر.

وتولى من بعده نيابة حماه الأمير قاني باي الأبو بكري الناصري فرج المعروف بالبهلوان نائب صفد، وتولى صفد بعد قاني باي الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج نائب حمص.

وفي يوم الاثنين سادسه خلع على الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي المعزول عن حسبة القاهرة باستقراره في نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير الطنبغا اللفاف عنها، وحضر الطنبغا المذكور على إقطاعه، وقد زاده السلطان عدة زيادات وجعله كالمقدمين بالديار المصرية، وأمر بأن يسكن في بيت الأمير نوروز الحافظي الذي في الرملة[1] تجاه مصلاة المؤمني.

شعبان

أوله الخميس.

في يوم الاثنين ثاني عشره وصل الأمير علي باي الأشرفي إلى القاهرة، وكان علي باي المذكور ممن قبض السلطان عليه وحبسه ثم أطلقه بطالاً بالبلاد الشامية، لم يحضر إلى القاهرة.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره قدم إلى القاهرة القاضي بهاء الدين محمد بن حجي ناظر جيش دمشق، وطلع إلى السلطان، وأخلع عليه كاملية بسمور.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه قدمت إلى السلطان تقدمة الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب صحبة دواداره السيفي تغري برمش، وكانت تشتمل على مائة رأس من الخيول وعدة أقفاص حمالين فيها من أنواع الفراء والصوف الملون والمخمل والبعلبكي وغير ذلك.

---

(١) « بينهم » ـ ساقط من « ب ».

(٢) لعل المقصود: « الرميلة»، ميدان صلاح الدين الآن.

وفي يوم الخميس[1] قدم إلى القاهرة قاصد القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك ومعه فى خدمته نحو المائة نفر، ومعه ـ أيضاً ـ أتباع كثيرة، وكان معه امرأة عجوز من نساء تيمورلنك قدمت برسم الحج إلى بيت الله الحرام، أقامت بدمشق تتوجه صحبة الحاج الشامي، ومع القاصد المذكور كسوة الكعبة التي من جهة شاه رخ.

كان القاصد الذي قدم القاهرة في العام الماضي قد استأذن السلطان في ذلك، واعتذر أن شاه رخ نذر على نفسه أنه يكسو الكعبة كما كان ذكر للملك الأشرف برسباي، وكان ذلك// سبباً لضرب قصاده والإهانة لهم من الأشرف. [٣٤]
ولما استأذن القاصد ـ الملك الظاهر جقمق في العام الماضي أذن له في ذلك وقال: هذه قربة لا نمنعها، ويجوز أن يكسو الكعبة كائن من كان، وعظم ذلك على المصريين إلى الغاية.

ونزل القاصد ـ المذكور ـ في بيت جمال الدين الآستادار إلى يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان على ما سيأتي.

شهر رمضان

أوله الجمعة. فيه طلع القاضي بهاء الدين ابن حجي ليلى وظيفة نظر الجيوش بالديار المصرية، فلم يتم له ذلك.

وفي يوم الاثنين حادي عشره طلع قصاد شاه رخ بن تيمور المتقدم ذكرهم إلى القلعة، وكان السلطان قد احتفل لطلوعهم، ونادى أن أحداً من أجناد الحلقة لا يتأخر عن الطلوع، وعمل السلطان الخدمة بالحوش السلطاني، فلما مثلوا القصاد بين يدي السلطان ومعهم التقدمة والكسوة، أمر السلطان بإدخال ما معهم إلى البحرة لئلا يفطن أحد بذلك، ثم إن السلطان كلم القصاد ورحب[2] بهم،

---

(١) أُرِخَ لذلك في النجوم الزاهرة (ج ١٥ ص ٣٦٤) للمؤلف بالخامس عشر من شعبان.

(٢) في الأصل: «وترحَّب».

وعادوا إلى أن وصلوا إلى باب القلعة، أخذهم الرجم من العامة والسب واللعن، واستمروا خلفهم وهم على ذلك إلى أن وصلوا بيت جمال الدين الآستادار حيث هو سكنهم، نزل في الحال من المماليك السلطانية مقدار ثلاثمائة مملوك، وانضاف إليهم جماعة كبيرة من العوام، وكبسوا على القصاد - المذكورين - في بيت جمال الدين ونهبوهم حتى أخذوا كل شيء كان معهم، وكان شيئاً كثيراً، وأفحشوا في ذلك حتى أخذوا خيولهم وبغالهم، وكان ما أخذ لهم شيء كثير إلى الغاية من الذهب والفصوص والشقق الحرير والمخمل والمسك وأنواع الفرو وغير ذلك، ولولا أن الأمير يلخجا الرأس نوبة الثاني كان سكنه بالقصر بجوار بيت جمال الدين - المذكور - فركب وأنجدهم حتى وصل - أيضاً - إليهم الدوادار الكبير إينال العلائي والأمير تنبك حاجب الحجاب ويرعلي الخراساني المحتسب ومنصور الطبلاوي والي القاهرة ومسكوا جماعة من العامة وغيرهم وأخذوا منهم شيئاً كثيراً مما نهبوه وإلا كان الأمر أعظم من ذلك، ولما بلغ السلطان الخبر غضب غضباً شديداً وأمسك جماعة من العامة وضربهم بالمقارع وأبدع فيهم،
[٣٥] وقطع أرزاق بعض المماليك السلطانية الذين استضعفهم، كأولاد // الناس وما أشبه ذلك. وأما المماليك الجلبان فلم يكلمهم البتة، وأعطى السلطان القصاد شيئاً كثيراً وطيب خواطرهم، وسكن أمر الكسوة.

وفي أواخر هذا الشهر نفى السلطان الأمير آقطوة الموساوي الظاهري برقوق أحد أمراء الطبلخاناة إلى طرسوس، ثم شفع فيه فتوجه إلى دمشق بطالاً.

شوال

أوله الأحد.

ففي يوم الثلاثاء عاشره خلع السلطان علي القاضي سراج الدين عمر بن موسى الحمصي الشافعي باستقراره في قضاء الشافعية بحلب عوضاً عن ابن الجزري بحكم عزله.

وفي يوم الاثنين سادس عشره ورد الخبر على السلطان من خوندكار مراد بك بن عثمان متملك بلاد برصا وغيرها من بلاد الروم أنه وقع بينه وبين طائفة

من بني الأصفر[1] قتال عظيم لم يشهد مثله في هذه الأيام، حتى إنه قتل من المسلمين أكثر من عشرة آلاف نفس، وأما من بني الأصفر فخلائق لا تحصى، وفي آخر الأمر نصر الله المسلمين على بني الأصفر، وأسروا منهم وقتلوا وسبوا وغنموا - ولله الحمد - وقبض ابن عثمان - المذكور - على خمسة من عظماء بني الأصفر المذكورين من الذين إليهم الحل والعقد في ممالكهم، وأنه أسر أكثر من عشرة آلاف أسير، وغنم المسلمون منهم أموالاً كثيرة إلى الغاية.

وفي يوم الخميس تاسع عشره برز أمير المحمل، الأمير تمرباي التمربغاوي رأس نوبة النوب بالمحمل إلى بركة الحاج، وأمير حاج الركب الأول الأمير قانم التاجر المؤيدي أحد أمراء العشرات.

وفي هذه السنة أبطل السلطان الرماحة الذين يلعبون في دوران المحمل فى شهر رجب من كل سنة، فعظم ذلك على الناس إلى الغاية، وتم ذلك، وقد كان أبطله السلطان في رجب، ووعد أنه يعمله في شوال عند خروج الحاج، فلم يفعل، فتحقق الناس بطلانه.

ذو القعدة

أوله الاثنين. فيه استقر محب الدين ابن الشحنة قاضي قضاة حلب الحنفية وكاتب سرها وناظر الجيش بها بمال كبير بذله في ذلك.

قلت: وهذا لسوء حظ أهل حلب، وبذنوب سلفت منهم[2].

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره، قدم زين الدين يحيى الأستادار إلى السلطان تقدمة هائلة تشتمل على ثلاثمائة رأس من الخيول العربية.

---

(١) بنو الأصفر: ملوك الروم، سموا بذلك لدى العرب لاعتقادهم أنهم أبناء «الأصفر بن رُوم بن يعصو بن إسحاق»، أو لأن جيشاً من الحبش غلب عليهم، فوطىء نساءهم، فُولِدَ لهم أولاد صفر ومرج، وهو تعليل لا يثبت أمام التقويم العلمي، والذوق السليم.
راجع: الفيروزابادي. القاموس المحيط ص ٥٤٦.

(٢) في «ب»: «وفيه استقر عبد الله الكاشف على عادته، بمال بذله في ذلك. قلت: وهذا بسوء حظ أهل بلبيس، بذنوب سلفت منهم».

[٣٦] وفي يوم الخميس خامس عشرينه،// قدم القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل من دمشق إلى القاهرة بطلب من السلطان، وهذه ثاني مرة قدمها في الدولة الظاهرية جقمق.

وفي يوم السبت سابع عشرينه طلع الزيني عبد الباسط إلى السلطان وقبل الأرض بين يدي السلطان، وخلع عليه كاملية بفرو سمور بمقلب سمور.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه قدم الزيني عبد الباسط تقدمة إلى السلطان، وكانت تشتمل على شيء كثير، وهي من الخيول أربعون فرساً، منها عشرة مشدودة بسروج مغرقة، ومنها أربعة بسروج ذهب، وثلاثون جمالاً بأقفاص مردومة ما بين سمور ووشق وقاقم وسنجاب وصوف ومخمل وبعلبكي وغير ذلك، ومبلغاً كبيراً من الذهب في أكياس اختلف في قدره.

ذو الحجة

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس سادس عشره خرجت من القاهرة تجريدة إلى البحيرة ومقدم العسكر الأمير قراخجا الحسني الظاهري برقوق الأمير آخور الكبير، وصحبته ستة من الأمراء وجماعة كبيرة من المماليك السلطانية.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه قدم قاصد مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم ومعه جماعة من الأسرى الذين قبض عليهم من بني الأصفر حسبما ذكرناه آنفاً، وكان لدخولهم القاهرة يوم مشهود، وحكى القصاد ما تقدم ذكره، وأن ابن عثمان ـ المذكور ـ أرسل بمثل هؤلاء الأسرى إلى جماعة من ملوك الأقطار.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة ـ أعني الماء القديم ـ ستة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً(١).

---

(١) في هامش الأصل: «صوابه: تسعة عشر ذراعاً، وتسعة عشر أصبعاً».

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الواعظ شمس الدين الحموي(١) خطيب الجامع الأشرفي برسباي(٢) في يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة .

وكان يعظ الناس في الأماكن، ويعمل المواعيد الحسنة البليغة، وعليه قبول من العامة، وكان فصيحاً في خطبته، غير أنه قليل البضاعة من العلم، على أنه كان يستحضر الكثير من التفسير والحديث النبوي، رحمه الله تعالى.

(٢) وتوفي الأمير // الطواشي فيروز(٣) الرومي الجاركسي الساقي في [٣٧]

---

(١) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٢٩، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٠٨ - ١٠٩، الذيل التام ق ٨٥ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٧٠ تر ٤٤٩.
وقد ترجمه «السخاوي» باسم «زين الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمود بن علي بن أبي الفتح بن الموفق، الحموي، القادري، الشافعي، المعروف بابن الآدمي»، مشيراً إلى أن تسميته لدى البعض (راجع: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٦) بشمس الدين، محمد - خطأ.

(٢) ما يزال موجوداً حتى الآن، في تقاطع شارعي الموسكي والمعز لدين الله الفاطمي. أنشأه الأشرف برسباي في أوائل سلطنته، وأقيمت الجمعة به في السابع من جمادي الأولى سنة ٨٢٩ هـ/ ١٤٢٦ م.
راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٣٣٠ - ٣٣١، علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ٢٣.

(٣) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٢٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٢٣ تر ١٨٠٢، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٥٣ ب - ٣٥٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٦ - ٥٠٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ١١٠، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٧٦ تر ٥٩٧.

يوم الأربعاء رابع عشر شعبان، ودفن في مدرسته[1] التي أنشأها بالقرب من داره عند سوق القرب.

(و) كان أصله من خدم الأمير جاركس القاسمي المصارع، وترقى من بعده حتى صار ساقياً في أواخر الدولة الناصرية فرج، ثم في الدولة المؤيدية شيخ، ودام على ذلك في الدولة الأشرفية برسباي، وحظي عند الأشرف في أوائل دولته، ثم انحط قدره ونفاه إلى المدينة، ثم عاد بعد مدة وتولى وظيفة السقاية ثانياً، واستمر على ذلك إلى أن غضب عليه في مرض موته[2] بعد أن وسط[3] الطبيبين ابن العفيف[4] وخضر[5]، وأخرجه من السقاية، فلزم فيروز داره مترقباً للتوسيط إلى أن مات الأشرف.

وكان سبب غضب الأشرف عليه في هذه المرة أن كان قد قوي عند الأشرف أنه دس عليه السم، وأن الأطباء لا ينصحونه في العلاج، فبينما هو في بعض الأيام إذ دخل فيروز هذا بمغلي ليشربه، فقال الأشرف لفيروز: اشرب منه الششني[6]، فامتنع فيروز من الشرب لأنه كان صائماً، فلما رأى الأشرف توقف فيروز عن الشرب تحقق ما كان ظنه، واتهم فيروز هذا فيمن اتهمه، ولولا كان له أجل لكان وسطه مع الأطباء ـ أيضاً.

---

(١) راجع بشأنها: علي مبارك. الخطط ج ٦ ص ١٣.

(٢) راجع ذلك في حوادث سنة ٨٤١ هـ/١٤٣٨ م. لدى كل من: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٠ ـ ١١، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٣) التوسيط: نوع من القتل، وطريقته أن يعري المحكوم عليه من الثياب، فيضرب بالسيف بقوة تحت السرة لينقسم الجسم نصفين.
راجع: ابن منظور. لسان العرب ج ٧ ص ٤٨٣٣، الفيروزابادي. القاموس المحيط ص ٨٩٤، د. سعيد عاشور. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٩٩.

(٤) هو «شمس الدين، أبو البركات بن عفيف بن وهبة بن يوحنا الأسلمي».
راجع: السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٦١.

(٥) هو «زين الدين، خضر الإسرائيلي الزويلي».
له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٩ تر ٩٩٢، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٢ ب ـ ١٣ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ١٨٠ ـ ١٨١ تر ٧٠٢.

(٦) الششني: معرب، بمعنى تذوق الطعام والشراب أثناء تقديمه للسلطان أو الأمير قبل إذاقته إياه.

واستمر فيروز هذا ملازماً لداره إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق، طلبه وولاه الزمامية عوضاً عن الأمير جوهر الجلباني[1]، بعد عزله ومصادرته في أحد الربيعين من سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فظن فيروز هذا أنه لا يعزل من هذه الوظيفة في هذه الدولة البتة، فلم يكن غير أشهر وهرب الملك العزيز من قاعة البربرية من دور الحرم السلطانية، ولم يعلم فيروز بذلك، وبلغ السلطان تسحب الملك العزيز يوسف، فكاد يهلك، وطلب فيروز هذا وأوسعه سباً، ثم عزله بجوهر الخازندار القنقبائي[2]، وذلك في أوائل شهر رمضان من السنة، ولزم فيروز داره خاملاً إلى أن توفي، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي الأمير حمزة بن قرايلك عثمان ـ المدعو قرايلك بن طر علي[3] ـ صاحب ماردين وغيرها // من ديار بكر بن وائل في أوائل شهر رجب [٣٨] من هذه السنة، ووصل الخبر بموته إلى القاهرة في يوم العشرين من شعبان.

وكان غير مشكور السيرة على قاعدة التركمان كأبيه وإخوته، وقد أخرب غالب مدن ديار بكر في أيام أبيه قرايلك، عليه من الله ما يستحقه، وألحق الله به من بقي من ذريته، فإنهم شر عصابة.

---

(١) هو «صفي الدين، جوهر بن عبد الله الجلباني» ت ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١١٤٨ ـ ١١٤٩، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٨٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٥٤ تر ٨٦٩، المنهل الصافي مج ٢ ق ٨، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٤ تر ٣٢٨.

(٢) هو «صفي الدين، جوهر السيفي القنقبائي» ت ٨٤٤ هـ/ ١٤٤٠ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١٢٣٤، ابن حجر إنباء الغمر ج ٩ ص ١٤٢ ـ ١٤٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٥٤ تر ٨٧١، المنهل الصافي مج ٢ ص ٨ أ ـ ٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٢ ـ ٨٤ تر ٣٢٧.

(٣) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٢٩، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٠٨، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٦٥ تر ٦٣٣.

(٤) وتوفي الأمير طوخ الأبو بكري المؤيدي[١] نائب غزة بها قتيلاً بيد العربان الخارجة عن الطاعة في أواخر ذي الحجة .

وكان أصله من مماليك الملك المؤيد شيخ وخاصكيته، وممن تأمر بعد موته بالبلاد الشامية. وكان قد صار أتابك غزة مدة سنين إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق بعد واقعة الأتابك إينال الجكمي، وقدم إلى القاهرة وأكرمه السلطان، ثم توجه إلى دمشق فلم تطل مدته بها، ونقل إلى نيابة غزة بعد الأمير طوخ مازي الناصري[٢] في أواخر سنة ثلاث وأربعين، فقدم إلى غزة وباشر نيابتها إلى أن قتل في التاريخ المذكور .

وكان أميراً ضخماً جليلاً شجاعاً معظماً في الدول على طمع كان فيه .

وتولى نيابة غزة من بعده الأمير يلخجا من مامش[٣] الساقي الناصري رأس نوبة ثاني ، وأحد أمراء الطلبخانات بالديار المصرية .

* * *

(١) تأرجحت مصادر ترجمته في التأريخ لوفاته بسنتي ٨٤٨ و٨٤٩ هـ.
راجع: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٢٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧١ تر ١٢٧٤، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٦٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٠٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٠٨، ١٢٩، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٠ تر ٣٢.

(٢) هو «سيف الدين، طوخ بن عبد الله الناصري»، ت ٨٤٣ هـ/ ١٤٣٩ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١١٩٦، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧١ تر ١٢٧٣، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٦٦ ب ـ ١٦٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٧٧، السخاوي الضوء اللامع ج ٤ ص ٩ ـ ١٠ تر ٣١.

(٣) راجع تر ٧ من حولية ٨٥٠ هـ .

سنة تسع وأربعين وثمانمائة

استهلت هذه السنة والسلطان والخليفة والقضاة كل منهم على حاله.

المحرم

أوله الجمعة.

في ليلة الجمعة ثامنة سقطت مئذنة المدرسة الفخرية[1] القديمة التي بالقرب من سوق الرقيق داخل القاهرة، وقعت على الفندق الذي بجوارها، وعلى عدة أماكن قتل فيها عالم كبير من الخلائق.

ولما بلغ السلطان ذلك، وموت هذه الخلائق، سأل: من هو ناظر هذا الجامع؟ فقيل له: نور الدين القليوبي، أحد نواب القاضي الشافعي وأمين الحكّم. فطلبه في الحال وأمر بتوسيطه، فشفعوا فيه. وكان ممن شفع فيه الأمير إينال العلائي الدوادار، وذلك بعد أن سبه ولعنه وألزمه بمال كبير لعمارة المدرسة المذكورة. ثم التفت السلطان إلى قاضي القضاة الشافعي، وخاطبه مخاطبة منكية يستحيى// من ذكرها وعزله عن القضاء من وقته، وولى عوضه الشيخ شمس [٣٩] الدين القاياتي.

---

(١) المدرسة الفخرية: نسبة إلى الأمير فخر الدين، أبي الفتح، عثمان بن قزل البارومي أستادار الكامل محمد بن العادل، والذي عمرها فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس سنة اثنتين وعشرين وستمائة

راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

قلت : لا يعاب على الملك الظاهر ما وقع منه في حق القاضي ومستنيبه، فإن من شأن القضاة عدم الالتفات إلى عمارة الأوقاف والمدارس التي يتولون أنظارها، وما أدري بماذا يعتذرون عن ذلك بين يدي الله تعالى، وما حجتهم عند الله، وهذا الأمر مما يقبح على عامي جاهل، فكيف الفقهاء والقضاة، وقد شاع ذلك في الأقطار عن قضاة زماننا، حتى إن غالب الناس في عصرنا صار إذا وقف وقفاً على مدرسة أو رباط أو ذرية وغير ذلك لا يجعل النظر إلا للحاجب أو للدوادار أو للزمام، ولا يجعل نظره لمتعمم قط، لما ثبت عند الناس من عدم التفات المتعممين إلى مصالح الأنظار، فلا حول ولا قوة إلا بالله(١).

وفي يوم الخميس رابع عشره رسم السلطان لقاضي القضاة شمس الدين محمد القاياتي باستقراره(٢) في قضاء الشافعية عوضاً عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر، ونزل إلى داره بغير خلعة - بطيلسانه(٣) - وبين يديه أكابر الدولة من القضاة والأمراء.

---

(١) هذا النقد المرير الصادر من ابن تغري بردي في حق قاضي القضاة الشافعي «ابن حجر العسقلاني» فيه تحامل على القاضي - رحمه الله - إذ تقرر في المصادر أن السلطان تغيظ على ابن حجر ظناً منه أن الناظر على المدرسة ينوب عنه، وقد انكشف الغطاء بأنه ليس في ذلك ولاية ولا نيابة، ولا عرف بشيء من ذلك منذ ولي وإلى تاريخه. لكن انتهز الأعداء الفرصة وأوصلوا إلى السلطان ما أوغر صدره عليه، فغضب زيادة على الغضب الأول، وراسله بأن ينعزل عن الحكم ويغرم دية الموتى، ولهذا راسله ابن حجر مع العلاء ابن أقبرس بقوله:

« القاضي جلال الدين قتيل ططر، والقاضي ولي الدين ابن العراقي قتيل الأشرف برسباي، وأنا قتيلك، وأرجو أن الله - تعالى - يقضي للمظلوم من الظالم»، أو معنى هذا.

ولكن لم تصل رسالة ابن حجر إلى السلطان لإشارة الخليفة على العلاء بعدم تبليغها خوفاً على ابن حجر.

راجع : ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٣٢ - ٢٣٣، السخاوي الجواهر والدرر ق ١٦٤ ب - ١٦٥ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٣ - ٨٤، محمد كمال الدين. ابن حجر العسقلاني مؤرخاً ص ٧٠.

(٢) في « أ »: « واستقراره ».

(٣) الطيلسان، والجمع طيالس وطيالسة: كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعماء. راجع : السيوطي. الفضائل الحسان في فضل الطيلسان، المنجد ص ٤٦٩.

ولما نزل إلى مدرسة الصالحية لم يسمع الدعوى التي يدعيها بعض رسل الشرع على العادة، وقال: هذه حيلة، ثم قام وتوجه إلى داره.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره خلع على الأمير يلخجا من مامش الساقي الناصري ثاني رأس نوبة النوب باستقراره في نيابة غزة بعد موت الأمير طوخ الأبو بكري المؤيدي.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه وصل أمير حاج (١) المحمل بالمحمل إلى القاهرة، وهو الأمير تمرباي - كما تقدم ذكره - في شوال من هذه السنة .

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه غضب السلطان على الأمير قراجا العمري الناصري أحد أمراء العشرات وأمير الحاج الرجبي فى هذه السنة، والمعزول عن ولاية القاهرة قديماً، وأمر بنفيه إلى حلب، بسبب سوء سيرته في الحاج وغير ذلك.

صفر

أوله الأحد.

في يوم الاثنين ثانيه خلع على ماماي السيفي بيبغا المظفري أحد الدوادارية، ورسم له بأن يتوجه إلى طرابلس ويحاسب ناظر جيشها يوسف بن موسى الكركي على ما كان تحت يده بها من تعلقات السلطان.

شهر ربيع الأول

أوله الاثنين.

// في يوم الاثنين ثاني عشرينه سافر زين الدين يحيى الأستادار إلى ناحية [٤٠] بلبيس ومعه جماعة كبيرة من المماليك السلطانية لقتال العرب الخارجة عن الطاعة.

---

(١) في الأصل : الحاج.

شهر ربيع الآخر

أوله الأربعاء.

في يوم السبت ثامن عشره وصل زين الدين الاستادار إلى القاهرة ومعه جماعة كبيرة من العرب.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر ولدت امرأة سكنها بالقرب من جامع أحمد بن طولون بنتاً لها رأسان، رأس فوق رأس، إحداهما بشعر والأخرى بغير شعر.

وفي يوم الاثنين عشرينه خلع السلطان على الأمير شادبك الجكمي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية باستقراره في نيابة حماه عوضاً عن الأمير قاني باي البهلوان بحكم انتقاله إلى نيابة حلب، عوضاً عن الأمير قاني باي الحمزاوي بحكم عزله وانتقاله إلى القاهرة، على إقطاع الأمير شادبك ـ المذكور ـ أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية.

جمادى الأولى

أوله الخميس.

في يوم الخميس خامس عشره نفى السلطان الأمير علي باي العجمي المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة إلى صفد، ثم حول إلى دمشق بطالاً، وأنعم بإمرته على الأمر جانبك اليشبكي والي القاهرة، وأنعم بإقطاع جانبك المذكور على جماعة من الخاصكية الأشرفية الذين كانوا بدمشق وغيرها.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه خلع على قاضي القضاة شمس الدين القاياتي الشافعي باستقراره شيخ خانقاه بيبرس الجاشنكير[1] عوضاً عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر.

---

(١) خانقاه بيبرس الجاشنكير: بناها قبل أن يلي السلطنة بسنة ست وسبعمائة للهجرة، واكتملت في السنة التالية لها. وهي ما تزال موجودة حتى الآن، بخط الجمالية، تجاه الدرب الأصفر، بجوار جامع سنقر.

راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٤١٦ ـ ٤١٨، علي مبارك. الخطط ج ٦ ص ٥٠.

وفي يوم السبت رابع عشرينه أرسل السلطان ـ الشريف علي بن حسن بن عجلان من برج القلعة إلى ثغر الإسكندرية ليحبس بها.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه حبس السلطان الأمير بيبرس بن بقر شيخ العرب بالوجه الشرقي بالبرج من قلعة الجبل لأمور نقمها عليه قديماً وحديثاً.

وفي أوائل هذا الشهر أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الفخري عثمان ابن الملك الظاهر جقمق حتى عدى النيل وخلق المقياس، ورجع فتح الخليج على العادة، وعاد إلى القلعة، وأخلع عليه.

وفي هذا المعنى // يقول الصفدي: [٤١]أ

لم لا أهيم بمصر وأرتضيها وأعشق
وما ترى العين أحلى من مائها أن تخلق

جمادى الآخرة

أوله السبت.

ففي يوم الاثنين رابع عشرينه وصل الأمير قاني باي الحمزاوي المعزول عن نيابة حلب إلى القاهرة، وكان قد كثر الكلام في أمره، وطلع إلى القلعة، وأنعم عليه السلطان بإقطاع الأمير شادبك الجكمي كما تقدم ذكره.

شهر رجب

لم يقع فيه شي

شعبان

أوله الثلاثاء.

في يوم الخميس ثالثه خلع السلطان علي الأمير إينال العلائي الناصري الدوادار الكبير باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية بعد موت الأمير الكبير يشبك السودوني المعروف بالمشد، واستقر الأمير قاني باي الجاركسي شاد الشراب

خاناه عوضه دواداراً كبيراً، واستقر في المشدية الأمير يونس السيفي آقباي نائب الشام، أحد أمراء العشرات على إقطاعه، وأنعم بإقطاع الأمير إينال العلائي على الأمير شهاب الدين أحمد بن علي ابن الأتابك إينال اليوسفي، وصار أمير مائة ومقدم ألف، فإن الأمير قاني باي الجاركسي كان قد أخذ إمرة مائة وتقدمة ألف زيادة على المشدية، فاستمر لما ولى الدوادارية على إقطاعه، ووقع بسبب تولية الأمير إينال أتابكية العساكر كلام كثير في الباطن، لكون السلطان قدمه على الأمير تمراز القرمشي أمير سلاح وعلى الأمير جرباش الكريمي أمير مجلس وعلى الأمير قراقجا الحسني الأمير آخور الكبير، وهؤلاء كلهم ظاهرية برقوقية ووظائفهم تقتضي النقل إلى الأتابكية بخلاف الدوادارية، ولكن هذا لأمر أراده الله في الأزل(١).

وفي يوم السبت خامسه نزل السلطان إلى خليج الزعفران في مخيمه وأكل السماط، ودام هناك إلى قريب الظهر، ثم ركب ووصل إلى القلعة قريب العصر، ولم تنتطح فيها شاتان.

وفي يوم الخميس سابع عشره خلع السلطان على الأتابك إينال العلائي بنظر البيمارستان المنصوري(٢) على العادة، وعلى الأمير قاني باي الجاركسي باستقراره فيما يتعلق بالدوادارية الكبرى من الأنظار.

---

(١) في هامش الأصل: «حاشية: وكان السبب في ذلك قانباي الجركسي حتى أخذ الدوادارية عن إينال».

(٢) البيمارستان المنصوري: شرع المنصور قلاوون في بنائه بخط بين القصرين من القاهرة في أول ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة للهجرة، وفرغ منه في أقل من السنة، ورتب فيه العقاقير والأطباء وسائر ما يحتاج إليه من به مرض، وجعل فيه الأسرة المفروشة بالفرش المحتاج إليها في المرض، مفرداً لكل طائفة من المرضى موضعاً، فضلاً عن قاعة لإلقاء الدروس على الأطباء وطلبة العلم. وقد وقف عليه من الأملاك ما يقارب ريعها في السنة مليون درهم! وقد جعله وقفاً على «الملك والمملوك، والجندي والأمير، والكبير والصغير، والحر والعبد الذكور والإناث».
راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٨.

شهر رمضان

أوله الأربعاء.

ففي يوم السبت حادي عشره استقر القاضي // محب الدين ابن الأشقر [٤٢
ناظر الجيوش المنصورة في مشيخة الصرغتمشية بعد وفاة ابن التفهني.

شوال

أوله الخميس.

في يوم السبت ثالثه وصلت إلى القاهرة تقدمة الأمير محمد بك بن مراد بك بن عثمان على يد قاصده، وأخبر القاصد - المذكور - أن الأمير مراد بك نزل لولده هذا عن مملكته وأقامه مقام نفسه، وأرسل يعلم السلطان بذلك، وأن محمد - المذكور - يكون تحت نظر السلطان.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره قدمت المغاربة تقدمتهم إلى السلطان، والتقدمة ثلاثون فرساً أكثرها حجورة، وأشياء غير ذلك.

وفي يوم السبت سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الثاني بالمحمل إلى بركة الحجاج، وأمير الركب الأول الأمير تمربغا الظاهري أحد أمراء العشرات، وحججت أنا في هذه السنة باشا في المحمل، والأمير علي باي الأشرفي باشا في الركب الأول.

ذو القعدة

أوله السبت.

وفي يوم السبت خامس عشره قدم الأمير زين الدين الآستادار إلى السلطان أربعمائة فرس، منها ستون فرساً بسروج مغرقة، ومنها أربعون بسروج سُذَّج.

وفيه - أيضاً - توجهت جماعة من المماليك المفسدين وهم أكثر من عشرين نفراً إلى بيوت النصارى لأخذ الخمور منها، فوثب عليهم الناس، وأخذت النصارى في الدفع عن بيوتهم، فوقع بينهم قتال، قتلت منه ثلاثة من المماليك إلى سقر.

أوله الاثنين.

في هذا الشهر وقعت حادثة غريبة، وهو أن الغلمان العبيد الذين في الربيع ببر الجيزة وبنبابة[1] لما توجهوا بخيول أستاذينهم وأقاموا هناك مدة يسيرة أقاموا من بينهم عبداً وجعلوه سلطاناً، وأقاموا له أرباب دولة وأرباب وظائف، وجعلوا يحكم فيهم ما شاء، ونصبوا له تختاً يجلس عليه، وصار العبد ـ المذكور ـ يفعل ما شاء، ولا يقدر على رده أحد، حتى خالفه رجل آخر من العبيد فحشد كل منهم وتقاتل مع الآخر، فانتصر الذي تسلطن ووسط من تلك الطائفة جماعة.

(واتفق أن عبداً لمملوك من مماليك السلطان هرب، وخرج سيده في طلبه فدل عليه، فلما وصل إليهم استؤذن له في الدخول على قاعدة الرؤساء، فأذن له ودخل، فرأى هيئة مهولة، بحيث خاف، فلما مثل بين يدي ذاك العبد قال له: ما الذي تطلب أيها المملوك؟ قال: أطلب عبداً لي هرب ودخل في عسكركم. فقال لمن هو واقف في خدمته: احضروا لهذا عبده، فأحضروه له وهو في الحديد، فقال له: أهذا هو عبدك؟ قال: نعم. فقال: وسطوه، ففي الحال وسط قطعتين)[2] ولم يقدر أستاذ العبد المقتول أن يتكلم.

وقيل: إنه توجه إلى هناك وكلم العبد الذي تسلطن، فمن الناس من قال: // إنه أراد أن يوسط المملوك صاحب العبد ـ أيضاً ـ ومن الناس من قال: [٤٣]
إنه أرضاه في ثمنه.

وبلغ ذلك السلطان، وأخبروا بأنه ولى نائب الشام ونائب حلب، وهم إلى الآن على حالهم، فسكت السلطان عن ذلك، وقال بعض أكابر الدولة: هذا أمر فشروى، إذا فرغ الربيع تفرق كل واحد إلى حال سبيله، وإنما فعلوه على طريق المزاح، ومشى ذلك وتم. وهذا شيء لم يسمع بمثله في سالف الأعصار.

---

(١) المقصود: امبابة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ»، مثبت من السخاوى. التبر المسبوك فى ذيل السلوك مخط.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وتسعة أصابع.

* * *

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي القاضي شمس الدين، محمد[١] بن إسماعيل بن محمد الونائي[٢] الشافعي، قاضي قضاة دمشق ـ بالقاهرة في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر، ودفن من الغد بالقرافة، وصلى عليه رفيقه قاضي القضاة شمس الدين محمد القاياتي الشافعي[٣].

وكان مولده في شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ببلده، ثم انتقل إلى القاهرة وطلب العلم، وحفظ التنبيه[٤] في الفقه وعدة مختصرات أخر، وأقبل على الاشتغال ولازم علماء عصره، وأول اشتغاله كان في سنة سبع وثمانمائة، وأخذ عن الشيخ سراج الدين الدموشي[٥]، وهو أحد مشايخه، والشيخ شمس

(١) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٠٥ تر ٢٠٧٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٨٧ ب ـ ٨٨ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٣٢ ـ ١٣٤، الذيل التام ق ٨٦ أ، الضوء اللامع ج ٧ ص ١٤٠ ـ ١٤١ تر ٣٤١، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٠ تر ١٩٧، ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٦٥.

(٢) الونائي: نسبة إلى «ونا»، قرية بصعيد مصر الأدنى. راجع: السخاوي. التبر المسبوك ص ١٣٢، الضوء اللامع ج ٧ ص ١٤٠.

(٣) راجع تر ١ من حولية ٨٥٠ هـ.

(٤) هو «التنبيه في فروع الفقه الشافعي»، شرع الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ. / ١٠٨٣ م.) في تصنيفه أوائل رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة للهجرة، وراج بعده، بحيث كان أكثر كتب الشافعية تداولاً، وحظي بعدد وافر من الشروح والمختصرات.
راجع: حاجي خليفة. كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٩ ـ ٤٩٣.

(٥) هو «سراج الدين، عمر بن عمر بن عبد الرحمن بن يوسف، الأنصاري، البساطي، الشافعي»، ت ٨٢٩ هـ. / ١٤٢٦ م. =

الدين البرماوي(١)، والشيخ بدر الدين الدماميني(٢) المالكي، والشيخ شمس الدين الشطنوفي(٣) وحضر دروس العلامة الشيخ نظام الدين يحيى السيرامي(٤) الحنفي، وقرأ على قاضي القضاة شمس الدين محمد البساطي (٥) المالكي، ثم على العلامة فريد عصره علاء الدين(٦) محمد البخاري الحنفي ولازمه كثيراً،

= له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٣٥٠ تر ١١١.

(١) هو «شمس الدين، محمد بن عبد الدائم بن موسى بن عبد الدائم بن فارس»، ت ٨٣١ هـ. / ١٤٢٨ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٧٨٨، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٨ ص ١٦١ - ١٦٤، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٣٣ تر ٢١٧٦، المنهل الصافي مج ٣ ق ١١٥ ب - ١١٦ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٥٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٨٠ - ٢٨٢ تر ٧٢٥.

(٢) هو «بدر الدين، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر السكندري، المالكي»، ت ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٥ م..
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٧٠٢، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٣٦١ - ٣٦٢ تر ٢٠، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٨٣ - ٥٨٤ تر ٢٠٠٣، المنهل الصافي مج ٢ ق ٦٢ ب - ٦٣ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨٤ - ١٨٧ تر ٤٤٠.

(٣) هو «شمس الدين، محمد بن أحمد بن بن صالح بن محمد بن عبد الله بن مكي»، ت ٨٧٣ هـ. / ١٤٦٨ م.
له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٣١٣ - ٣١٤ تر ١٠٣٦.

(٤) هو «نظام الدين، يحيى بن يوسف بن محمد بن عيسى، الحنفي»، ت ٨٣٣ هـ. / ١٤٣٠ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٨٤٤، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٨ ص ٢٢٤ - ٢٢٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٨٢ تر ٢٦٤١، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٨٦، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٦٢، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٢٠٨ تر ٢٨٦، السخاوي الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ تر ١٠٥٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٠٧.

(٥) هو «شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقوم بن محمد»، ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٩ م.
له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٨٢ - ٨٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٩٧ تر ٢٠٥٠، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٦٦، السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٢٢٠ - ٢٣٨، الضوء اللامع ج ٧ ص ٥ - ٨ تر ٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٦) هو «علاء الدين، أبو عبد الله، محمد بن محمد البخاري، الحنفي»، ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٨ م. =

وبـه اشتهـر، ودأب في طلب العلم حتى بـرع في الفقـه والأصلين والعـربيـة والمعاني والبيان، وتصدى للإفتاء والتدريس سنين عديدة.

وكان أولاً يتكسب بتحمل الشهادة بباب القرافة، ثم ترك ذلك، وأقبل على الاشتغـال إلى أن ولي مشيخة التـربة التنكـزية[١] بـالقرافـة، ثم تدريس الفقـه بالشيخونية، واستمر على ذلك إلى أن طلبه السلطان الملك الظاهر جقمق، وولاه قضاء الشافعية بدمشق في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، فولي القضاء. وباشره [٤٤] بعفة، وعرف بالصيانة والديانة مدة إلى أن عزل وقدم القاهرة، // ثم وليها مرة أخـرى، وبـاشـر - أيضـاً - مـدة إلى أن عـزل وقـدم القـاهـرة وتـولى تـدريس (الصلاحية بجوار قبة) الإمام الشافعي[٢]، وأقام إلى أن توفي بعد مرض طويل في التاريخ المذكور، رحمه الله تعالى.

(٢) وتوفي الأمير الكبير يشبك الأتابكي السودوني المعـروف بالمشـد[٣]

= له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١٠٦٢، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٩ - ٣٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٩٨، تر ٢٣٨٦، المنهل الصافي مج٣ ص١٩٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢١٤، الجوهري. نزهـة النفوس والأبـدان ج ٣ ص ٤٢٨ تر ٧٧٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٩١ - ٢٩٤ تر ٧٥١، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(١) التربـة التنكزية: نسبة إلى «تنكزبغا، لا تزال قائمة في القرافة القبلية».
راجع: د. عبد الرحمن زكي. القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٥٨.

(٢) وتعرف باسم «الناصرية» - كذلـك. أنشأهـا «الناصـر صلاح الـدين الأيوبي» بجـوار قبة الإمـام الشافعي، ورتب فيها معيدين وطلبة، ومدرساً لتدريس الفقه الشافعي، وأوقف عليها أوقافاً مغلة، وأشار السيوطي إلى أنه «ينبغي أن يقال لها: تاج المـدارس، وهي أعظم مـدارس الدنيـا على الإطلاق، لشرفها بجوار الإمام الشافعي، ولأن بانيها أعظم الملوك».
راجع: المقريزي. السلوك ج ٢ ص ٤٠، السيوطي. حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٧.
كـان تدريسها بيد «ابن حجر العسقلاني»، ولما رجع «الونائي» من الشام منفصلاً عن قضـائها سعى في تدريسها لكونها وظيفة صهره «التلواني»، فتركه «ابن حجر» له اختيـاراً في صفر سنـة ثمان وأربعين وثمانمائة.
راجع ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٤٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٦.

(٣) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٤٥، ابن تغـري بردي. الـدليل الشـافي ج ٢ =

في أوائل شعبان من السنة، وصلى عليه بمصلاة المؤمني، وتولى عوضه أتابك العساكر الأمير إينال العلائي الناصري في يوم الخميس ثالث شعبان.

وكان يشبك هذا أصله من مماليك الأمير سودون الجلب[1] نائب حلب في الدولة الناصرية فرج، وتنقل من بعده في الخدم حتى اتصل بخدمة الأمير ططر، وصار عنده شاد الشراب خاناه، واستمر على ذلك حتى تسلطن ططر أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وجعله شاد الشراب خاناه دفعة واحدة، ودام يشبك ـ المذكور ـ مشداً عدة سنين إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباي بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية بعد سنة ثلاث وثلاثين، ثم ولاه حجوبية الحجاب بالديار المصرية ـ أيضاً ـ بعد الأمير قرقماس الشعباني الناصري[2] لما ولي نيابه حلب في يوم الخميس تاسع عشرين شهر رجب سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، فاستمر في الحجوبية إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى إمرة مجلس في أحد[3] الربيعين من سنة اثنتين وأربعين بعد آقبغا التمرازي[4] بحكم انتقاله إلى إمرة سلاح بعد

= ص ٧٨٥ تر ٢٦٤٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٩١ ب ـ ٢٩٢ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٠٩ ـ ٥١١، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٣٩، الذيل التام ق ٨٦ ب، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ تر ١٠٨٩.

(١) هو «سودون بن عبد الله ـ الجلب، الظاهري برقوق»، ت ٨١٥ هـ/ ١٤١٢ م.
له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٥٣٧ تر ٣٧، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٣١ تر ١١٣٧، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٠٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٢ تر ١٠٧٠.

(٢) هو «سيف الدين، قرقماس بن عبد الله الأتابكي، الشعباني، الناصري فرج»، ت ٨٤٢ هـ. / ١٤٣٨ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١١٤٩ ـ ١١٥٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ تر ١٨٥٩، المنهل الصافي مج٣ ق ١٦ ب ـ ١٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢٨١ ـ ٢٨٢، ٤٦٦ ـ ٤٦٨، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ تر ٧٢٩.

(٣) في «أ»: «إحدى».

(٤) هو «آقبغا بن عبد الله التمرازي»، نائب الشام، ت ٨٤٣ هـ/ ١٤٣٩ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١١٩٦، ابن تغري بردي الدليل الشافي ج ١ ص ١٣٨ تر ٤٨٣، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٧٦ ـ ٤٨٠ تر ٤٨٤، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٧٥ ـ ٤٧٧، السخاوي الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٦ ـ ٣١٧ تر ١٠١٢.

قرقماس الشعباني بحكم انتقاله إلى الأتابكية عوضاً عن الملك الظاهر جقمق، فلم تطل مدته، وصار أمير سلاح بعد أيام، ونقل إلى إمرة سلاح عوضاً عن آقبغا، وآقبغا عن قرقماس - المذكور - بحكم عصيانه، فأقام يشبك في إمرة سلاح أشهراً ونقل إلى الأتابكية بعد تولية الأمير آقبغا التمرازي نيابة دمشق بعد عصيان الأتابك إينال الجكمي[1]، وذلك في أواخر سنة اثنتين وأربعين، ولما صار يشبك هذا أتابك العساكر بالديار المصرية عظم وضخم ونالته السعادة، وطالت أيامه، وصارت كلمته نافذة وشفاعته مقبولة عند الملك الظاهر جقمق، وسار على طريق السلف في الحرمة وكثرة المماليك، بحسب الوقت، واستمر على ذلك سنين إلى أن مرض في أوائل سنة سبع وأربعين وثمانمائة، وطال مرضه سنين، واختلفت
[٤٥] // الأقاويل في مرضه، فمن الناس من قال: إنه اغتيل بالسم، ومنهم من قال غير ذلك، فإنه كان قد حصل له استرخاء في أعضائه وصار لا يطيق حركه يديه ولا رجليه، ثم عوفي قليلاً وصار يمشي، وركب إلى الخدمة غير مرة ثم انتكس ولزم الفراش إلى أن مات في التاريخ المذكور، وهو في حدود الخمسين من العمر تقريباً.

وكان أشقر، للطول أقرب، ساكناً، قليل الكلام، وفي لسانه لكنة، مع عجمة، وكان قليل المعرفة، مهملاً، عارياً من كل فن، مع ظلم وشح وسوء خلق وطمع زائد. علمت ذلك منه لما أخذ إقطاع الأتابك آقبغا التمرازي، وكنت أنا متحدثاً على تركة آقبغا - المذكور - فكنت إذا كلمته في أمر المستحق من الإقطاع لأجل أيتام[2] يكاد يخرج من حال إلى حال، هذا مع الثروة الزائدة والمكانة[3] العظيمة. ومات ولم تتخلص منه؛ ولم نأخذ استحقاق الأيتام إلا من تركته، عفا الله عنه.

---

(١) هو «إينال بن عبد الله الجكمي»، نائب الشام، ت ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١١٥١ - ١١٥٢، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ تر ٦٠٦، المنهل الصافي ج ٣ ص ١٩٦ - ٢٠٠ تر ٦١٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٦٩ - ٤٧٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٧ تر ١٠٧٤.
(٢) هم أولاد «آقبغا التمرازي» من «شقراء» أخت مؤرخنا.
(٣) في الأصل: المكنة.

ومع هذا التمكن العظيم لم يفعل في حياته من المعروف ما يذكر به، من سُبُل ومساجد على عادة عظماء الملوك، بل أنشأ تربة بالصحراء بجوار تربة الأشرف برسباي ولم تكمل إلى الآن. ومات ودفن بها من غير تكملة، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي الأمير قاني باي الجكمي[١] حاجب الحجاب بحلب ـ على هيئة نسأل الله حسن الخاتمة ـ في أواخر هذه السنة بحلب، وهو أنه سكر حتى غلب عليه السكر ونام، وكان ذلك في فصل الشتاء، وعادة أهل تلك البلاد يؤرثون النار بالفحم للدفء، ويجعلون ذلك بينهم ويدورون حوله، ففعل ذلك قاني باي ـ المذكور ـ ونام هو ومملوكه، فعظم الدخان عليهم في البيت وهما من غلبة السكر لا يستطيعون الحركة، فماتا. وكتب بذلك محضر وأرسل إلى القاهرة.

وقاني باي ـ المذكور ـ أصله من مماليك الأمير جكم من عوض[٢] المتغلب على حلب في الدولة الناصرية فرج، وصار من جملة الخاصكية سنين إلى أن ولاه الملك جقمق حجوبية الحجاب بحلب دفعة واحدة غلطاً، ولامه على ذلك كل أحد، فلما مات على تلك الهيئة صار يسبه ويلعنه، ويلعن من أشار عليه بتوليته، لأن قاني باي ـ المذكور ـ كان مهملاً إلى الغاية.

---

(١) ويعرف ـ أيضاً ـ بـ « قاني باي طاز». له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٤١، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣٠ ـ ٥٣١ تر ١٨٢٠، المنهل الصافي مج ٣ ق ٦ ب ـ ٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١١ ـ ٥١٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٣٠، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٥ تر ٦٥٨.

(٢) هو «سيف الدين، جكم بن عبد الله الظاهري»، ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦ م.
له ترجمة في: ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ق ٢٤٧ أ ـ ٢٥١ أ، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٦٤ ـ ٣٢٦ تر ١٤، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦ تر ١٤، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٧ تر ٨٤٨، المنهل الصافي ج ٤ ص ٣٠٣ ـ ٣٢٤ تر ٨٥٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٦ تر ٢٩٢.

[٤٦] # // سنة خمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة والسلطان والخليفة على حالهما، وكذلك القضاة ما عدا القاضي الشافعي، فإنه الشيخ شمس الدين محمد القاياتي، وأرباب الوظائف كذلك إلا الأمير الكبير، فإنه الأتابك إينال العلائي الناصري، ولي الأتابكية بعد موت الأتابك يشبك السودوني، والدوادار الكبير الأمير قاني باي الجاركسي وليها بعد الأمير إينال العلائي، ونائب الإسكندرية الأمير تنم، وليها بعد الأمير الطنبغا اللفاف، ونائب غزة الأمير يلخجا، وليها بعد طوخ الأبوبكري، وباقي أرباب الدولة على ما هم عليه في سنة خمس وأربعين (وثمانمائة).

المحرم

أوله الثلاثاء.

في يوم الخميس ثالثه خلع على الأمير الوزير غرس الدين خليل بن شاهين المعزول عن نيابة ملطية قبل تاريخه باستقراره في نيابة القدس عوضاً عن الأمير طوغان العثماني، بحكم عزله وتوجهه إلى حجوبية حلب بعد موت قاني باي الجكمي.

وفيه استقر القاضي برهان الدين إبراهيم بن الديري في نظر الجوالي مضافاً لما بيده من نظر الإسطبلات السلطانية عوضاً عن بدر الدين محمد بن المحرقي بحكم عزله.

صفر

أوله الخميس.

في يوم الاثنين خامسه استقر قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر في القضاء بعد موت القاياتي.

وفي يوم الثلاثاء سادسه خلع على ولي الدين السفطي باستقراره في تدريس قبة الشافعي - رضي الله عنه - بالقرافة، عوضاً عن القاياتي بحكم وفاته.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه خلع على السوبيني باستقراره في قضاء الشافعية بحلب عوضاً عن القاضي سراج الدين عمر الحمصي بحكم عزله.

شهر ربيع الأول

أوله السبت.

ففي يوم السبت ثامنه وصل ابن الشريف بركات بن حسن بن عجلان من مكة إلى القاهرة ومعه تقدمة من عند أبيه إلى السلطان ما بين خيول وغيرها، وأقام بالقاهرة إلى سلخ هذا الشهر، وعاد إلى مكة، وقد أعطاه السلطان أماناً لوالده بركات ووعده بكل خير، وقد انبرم أمره في ولاية مكة.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين.

فيه خلع على ولي الدين السفطي باستقراره في نظر / / البيمارستان [٤٧] المنصوري عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش بحكم عزله، وسار السفطي في النظر سيرة سيئة[١]، وهو أنه أخذ ما لا يستحقه أعطاه لمن لا يستحق، وغير ذلك من المساوىء ما يطول ذكره، وحسابه على الله.

وفيه استقر مملوك ابن كلبك شاد الشون السلطانية في نيابة بعلبك، وهذا شيء لم يسمع بمثله من أن السلطان يولي نيابة بعلبك، وإنما نيابة بعلبك مضافة

---

(١) في هامش الأصل: «حاشية: أجمع الناس على أن السفطي كان يخرب الأوقاف، ويأخذ منها شيء لنفسه».

إلى نيابة دمشق يوليها لبعض مماليكه ـ هذا في زماننا هذا ـ وأما في زمان والدي فإنه كان يولي ـ أيضاً ـ نائب القدس والرملة وما دونها

وفي يوم الخميس رابعه خلع على القاضي محب الدين ابن الأشقر خلعة الاستمرار على وظيفته نظر الجيش، وسبب ذلك أن إبراهيم بن الديري كان قد سعى في وظيفة نظر الجيش سعياً كثيراً ووعد بمال كثير، نحو مبلغ ثمانية آلاف دينارليحملها إلى السلطان، وأذعن السلطان لذلك، وطلع في هذا اليوم على أن يستقر في وظيفة نظر الجيش، فأخلع السلطان على القاضي محب الدين هذا باستمراره ، ولم يلتفت إلى غيره ، ونزل إلى داره في موكب هائل .

جمادى الأولى

أوله الثلاثاء. فيه خلع على القاضي محب الدين ابن الشحنة باستقراره في وظائفه: قضاء حلب، وكتابة سرها، ونظر جيشها ـ بعد أن حمل للسلطان من الأموال والهدايا ما يطول الشرح في ذكره، فعظم ذلك على أهل حلب، فإنه أكثر فيهم المكث عليهم، وسار في هذه الوظائف بحرمة وافرة.

وفي يوم الجمعة رابعه[1]، الموافق لخامس مسرى أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان من القلعة حتى عدى النل وخلق المقياس، ثم عاد ففتح خليج السد على العادة.

وفي هذا المعنى يقول القاضي شهاب الدين ابن فضل الله العمري:

لمصر فضل باهر   لعيشها الرغد النضر
في كل يوم يلتقي   ماء الحياة والخضر

[الرجز]

وفي العشر الأخير توغر خاطر السلطان على الأمير شاد بك الجكمي نائب حماه وعزله عن نيابتها، وعين مكانه لنيابة حماه الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بالصوفي، أحد أمراء الألوف بحلب، وأنعم بإقطاع يشبك ـ المذكور ـ على

(١) في هامش الأصل : «حاشية : يوم السبت صحّة ذلك اليوم».

الأمير علي باي المؤيدي العجمي. ويشبك وعلي باي كان السلطان قد نفاهما قبل تاريخه بسنين من القاهرة، ورسم بأن يتوجه شادبك - المذكور - إلى القدس بطالاً، وحمل تقليد(1) الأمير يشبك وتشريفه(2) // بنيابة حماه على يد الأمير [٤٨] تمربغا الظاهري جقمق أحد أمراء العشرات.

وفي هذا الشهر رسم السلطان بإطلاق جماعة من المماليك الأشرفية الذين كان قد حبسهم في أوائل دولته بالبلاد الشامية، ورسم بقدومهم إلى القاهرة.

جمادى الآخرة ورجب

لم يقعْ فيهما شيء.

شعبان

أوله السبت.

ففي يوم السبت خامس عشره اتفق المحابيس الذين بحبس المقشرة وقتلوا السجان وخرجوا الجميع إلى حال سبيلهم.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره نزل جماعة من المماليك السلطانية الجلبان وتبعوا زين الدين يحيى الأستادار وضربوه بالدبابيس إلى أن كاد يهلك، لولا أنه دخل بيت الأمير طوخ من تمراز - أحد مقدمي الألوف - وإلا كانت ذهبت روحه.

---

(1) التقليد: هو المرسوم السلطاني بالتعيين في إحدى الوظائف.

(2) التشريف، والجمع تشاريف: الملابس الخاصة بأرباب الوظائف في الدولة، والمنعم بها عليهم من قبل السلطان.

راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ص ٥٢ - ٥٤.

شهر رمضان

لم يقع فيه شيء.

شوال

أوله الثلاثاء.

في يوم الجمعة رابعه عزل السلطان قاضي القضاة بدر الدين التنسي المالكي بسبب حبسه لشخص مدة طويلة، ثم أخلع عليه باستمراره.

وفي يوم الخميس سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير سونجبغا الناصري أحد أمراء العشرات بالمحمل إلى بركة الحجاج، وأمير الركب الأول في هذه السنة الأمير سمام الحسني أحد أمراء العشرات - أيضاً - وسافرت في هذه السنة - أيضاً - خوند مغل بنت القاضي ناصر الدين ابن البارزي زوجة السلطان الملك الظاهر جقمق في الركب الأول، وحج صحبتها أخوها القاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر الشريف ومعه جماعة كبيرة من حواشيه، وكلاهما حج بتجمل زائد إلى الغاية، وفعل ابن البارزي - المذكور - في هذه السفرة من المعروف والإحسان ما لعله يذكر عنه إلى الأبد.

ذو القعدة

أوله الخميس.

ففي يوم السبت ثالثه وصل الأمير إسماعيل بن عمر الهواري من بلاد الصعيد إلى القاهرة طائعاً، وخلع السلطان عليه خلعة الرضا وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش.

وفي يوم السبت عاشره خلع السلطان على الأمير جاني بك اليشبكي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة باستقراره في ولاية القاهرة، بعد عزل منصور بن الطبلاوي على كره منه.

[٤٩] وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره /./ خلع على جانبك - المذكور - باستقراره حاجباً من جملة الحجاب، زيادة على ولاية القاهرة.

ذو الحجة

أوله الجمعة.

في يوم الاثنين رابعه خلع على ابن النويري باستقراره قاضي القضاة الشافعية بحلب بعد عزل السوبيني.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه، فيه وصل مبشر الحاج أحمد بن جانبك (و) أخبر بالأمن والسلامة.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - ستة أذرع وستة وعشرين إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً واثنين وعشرين إصبعاً.

ذكر من توفي في هذه السنة
من الأعيان

(١) توفي العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي[١] الشافعي، قاضي قضاة الديار المصرية وعالمها في العشر الأخير من محرم هذه السنة، وصلى عليه بمصلاة المؤمني، وحضر السلطان الصلاة عليه، ودفن بتربة الصوفية خارج باب النصر[٢].

ومولده بقايات[٣] في سنة خمس وثمانين وسبعمائة تقريباً، ثم انتقل إلى القاهرة مع والده، وكمل حفظ القرآن العزيز بها، وحفظ عدة مختصرات في مذهبه، وأقبل على طلب العلم، وحضر دروس شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني[٤]، وتفقه بعمه الشيخ ناصر الدين القاياتي، وأخذ عن الشيخ بدر الدين

---

(١) في هامش الأصل: «صوابه: خارج بابي زويلة».

(٢) له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٤٧ - ٢٤٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٥٦ تر ٢٢٥٥، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٤٤ أ - ١٤٥ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٣ - ٥١٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٥٩ - ١٦٧، الذيل التام ق ٨٦ أ - ٨٧ ب، الذيل على رفع الإصر ص٢٧٨ - ٢٩٥، الضوء اللامع ج٨ ص٢١٢ - ٢١٤ تر١٥٥٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٠ - ٤٤١ تر ١٩٨، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٦٨.

(٣) نسبة إلى «قايات» من أعمال البهنساوية، بصعيد مصر.
راجع: السخاوي. التبر المسبوك ص ١٦٠، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢١٢.

(٤) هو «سراج الدين، عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق، الكناني، البلقيني، الشافعي»، ت ٨٠٥ هـ. / ١٤٠٣ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٣ ص ١١٠٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٤٢ - ٥٢ تر ٧٣٧، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٧ تر ٢١، المجمع المؤسس ق ١١٨ ب - ١٢٣ ب، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٠٦ - ٢١٧، ابن تغري بردي. =

الطنبدي[١] والشيخ شمس الدين الغراقي[٢] والشيخ تقي الدين ابن العز الحنبلي والشيخ قنبر العجمي[٣] ونور الدين الأدمي[٤] والشيخ قطب الدين الأبرقوهي[٥] والشيخ همام الدين الخوارزمي[٦] والعلامة عز الدين ابن جماعة[٧]: ـ في العلوم

= الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٧ تر ١٧٢٧، المنهل الصافي مج ٢ ق ٤٧٣، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٢٩ ـ ٣٠، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ١٧١ ـ ١٧٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٨٥ ـ ٩٠ تر ٢٨٦، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٩ ـ ٣٣٥ تر ٧٦، طبقات الحفاظ ص ٥٣٨ تر ١١٧٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٥١ ـ ٥٢.

(١) هو «بدر الدين، أحمد بن محمد بن عمر الطنبدي»، ت ٨٠٩ هـ. / ١٤٠٦ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٤٧ ـ ٤٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٦ ـ ١٧ تر ٧٢٠، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٦٣ تر ١٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٦٧ تر ٢٣١، المنهل الصافي ج ٢ ص ٥١ ـ ٥٢ تر ٢٣٣، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٦٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٥٦ ـ ٥٧ تر ١٦١، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٨٣.

(٢) هو «شمس الدين، محمد بن أحمد بن خليل»، ت ٨١٦ هـ/ ١٤١٣ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٦٣ ـ ٦٤ تر ٧٤٢، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٣١ تر ٢٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ تر ١٠٢١.

(٣) هو «قنبر بن محمد بن عبد الله السبزواني»، ت ٨٠١ هـ/ ١٣٩٩ م
له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٨٠ ـ ٨١ تر ٧٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٤٩ ـ ٥٥٠ تر ١٨٨٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٧، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٥ تر ٧٥٥.

(٤) هو «نور الدين، أحمد بن أبي بكر بن أحمد الأدمي، الشافعي»، ت ٨١٣ هـ/ ١٤١٠ م.
له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ١٦٣ ـ ١٦٤ تر ٥٥٩.

(٥) هو «محمد، المعروف بقطب الدين الأبرقوهي»، ت ٨١٩ هـ/ ١٤١٦ م.
له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ١٢١ تر ٤٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١١٤ تر ٤٢٩.

(٦) هو «همام الدين، همام (أو محمّد) بن أحمد الخوارزمي»، ت ٨١٩ هـ. / ١٤١٦ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٣٧٦، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ تر ٥١، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٩٤ تر ٢٠٤٠، المنهل الصافي مج ٣ ق ٧٤ ب ـ ٧٥ أ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٤١ ـ ١٤٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٢٨ تر ٢٩٤، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٧) هو «عز الدين، محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله»، =

العقلية وغيرها ـ والشيخ برهان الدين البيجوري[1]، وقاضي القضاة ولي الدين أحمد العراقي[2]، وقاضي القضاة شمس الدين محمد البساطي المالكي، والعلامة علاء الدين محمد البخاري الحنفي، ولازمه كثيراً وبه انتفع، وعرف بين فقهاء الديار المصرية.

= ت ٨١٩ هـ/١٤١٧ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٦٠ ـ ٦٣ تر ٧٤١، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ١١٥ ـ ١١٧ تر ٢٢، المجمع المؤسس ق ٢٦١ ب ـ ٢٦٢ أ، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٦٧، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٤٣ ـ ١٤٤، البقاعي. عنوان الزمان ق ٣٨، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣ تر ٥٣٩، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٧١ ـ ١٧٤ تر ٧، السيوطي. بغية الوعاة ج ١ ص ٢٣٠، حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٤٨ تر ٤٦، عبد الله بن زين. جمان الدرر ق ٧ أ.

(١) هو «برهان الدين، إبراهيم بن أحمد بن علي بن سليمان بن سليم بن فريج بن أحمد»، ت٨٢٥ هـ/ ١٤٢٢ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٦٢٧، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٩١ ـ ٩٢ تر ٧٥٦، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ تر ١، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٨ تر ١٢، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٧ ـ ٣٠ تر ١٢، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١١٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ١٧ ـ ٢٠، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٩ تر ١٩٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٦٩.

(٢) هو «ولي الدين، أبو زرعة، أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، المهراني، العراقي، الشافعي»، ت ٨٢٦ هـ/ ١٤٢٣ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٦٥١ ـ ٦٥٢، التقى الفاسي. ذيل التقييد ق ١٧٤ أ ـ ١٧٥ أ، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٠٣ ـ ١٠٦ تر ٧٦٢، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٣١١ ـ ٣١٢ تر ٣، ذيل الدرر الكامنة ق ١٩٦ ـ ١٩٧، رفع الإصر ج ١ ص ٨١ ـ ٨٣، المجمع المؤسس ق ١١١ ب ـ ١١٢ أ، ابن الغزي. بهجة الناظرين ق ٧٥ ب ـ ٧٦ ب، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٨٤ ـ ٢٩١، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٥٣ تر ١٧٩، المنهل الصافي ج ١ ص ٣١٢ ـ ٣١٥ تر ١٧٩، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١١٨، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٣٤ ـ ٣٥ تر ٦١٩، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٣٣٦ ـ ٣٤٤، السيوطي. ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦، حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣ تر ١٠٠، الداودي. طبقات المفسرين ج ١ ص ٤٩ ـ ٥٠ تر ٤٣، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ح ٧ ص ١٧٣ ـ ١٧٤، الشوكاني. البدر الطالع ج ١ ص ٧٢ ـ ٧٤ تر ٤١.

وكان سمع الحديث في مبدأ أمره من شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، والحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي[١]، والشيخ سراج الدين ابن[٢] الملقن، وغيرهم، وحدث ببعض مسموعاته.

وكان أولاً يتكسب بتحمل الشهادة مدة طويلة بجامع الصالح[٣]، خارج بابي زويلة إلى أن قرر طالباً بمدرسة الملك المؤيد شيخ التي عمرها داخل بابي

---

(١) هو «زين الدين، عبد الرحيم»، ابو الذي قبله، ت ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٤ م.
له ترجمة في: التقى الفاسي. ذيل التقييد ق ١٩٤ ب - ١٩٥ ب، ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٣٨٢ تر ١٦٣٠، المقريزي. السلوك ج ٣ ص ١١٢٨، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٣٣ - ٣٨ تر ٧٣٢، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٩ تر ١٩، ذيل الدرر الكامنة ق ٧٠ - ٧٢، المجمع المؤسس ق ٩٩ أ - ١٠٩ ب، ابن الغزي. بهجة الناظرين ق ١١٤ أ - ١١٥ ب، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٢٠ - ٢٣٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٠٩ تر ١٤٠٩، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣١٢، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ٣٤ - ٣٥، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٧١ - ١٧٨ تر ٤٥٢، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٠ - ٣٦٢ تر ٩٦.

(٢) هو «سراج الدين، أبو حفص، عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري، الأندلسي، الشافعي»، ت ٨٠٤ هـ/ ١٤٠١ م.
له ترجمة في: ابن الملقن. العقد المذهب ق ١٧٠، التقى الفاسي. ذيل التقييد ق ٢٤٣، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ٥٣ - ٥٨ تر ٧٣٩، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٦ - ٢١٩ تر ٢٦، ذيل الدرر الكامنة ق ٥٠ - ٥٢، المجمع المؤسس ق ٢٢٥ - ٢٢٧، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٥٠٢ تر ١٧٤٧، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣٢٤ ب - ٣٢٥ أ، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ١٩٧ - ٢٠٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ١٠٠ - ١٠٥ تر ٣٣٠، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٣٨ تر ١٨٤، طبقات الحفاظ ص ٥٣٧ - ٥٣٨ تر ١١٧٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٤٤ - ٤٥، محمد كمال الدين. ابن الملقن مؤرخاً.

(٣) جامع الصالح: نسبة إلى «الصالح طلائع بن رزيك»، أنشأه ليدفن فيه رأس الحسين بن علي - رضي الله عنهما - لكن لم يمكنه الفائز بنصر الله من ذلك، فبقي الجامع معطلاً من الخطبة إلى أيام المعز أيبك التركماني، حيث أقيمت فيه أول خطبة وصلاة جمعة سنة بضع وخمسين وستمائة للهجرة، واستمرت بعده.
راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤، علي مبارك. الخطط ج ٢ص ٣٣ - ٣٤.

زويلة، ثم ولي تدريس الحديث بالبرقوقية عوضاً عن الشيخ نور الدين القمني[١] في سنة // ثلاثين وثمانمائة، ثم استقر في تدريس الفقه بالمدرسة الأشرفية [٥٠] برسباي، ثم ولي مشيخة خانقاه سعيد السعداء بعد موت قاضي القضاة شهاب الدين أحمد الأموي المعروف بابن المحمرة[٢]، وتصدى للإفتاء والتدريس سنين، وانتفع به الطلبة

وكان بارعاً في فنون كثيرة، عارفاً بالفقه والأصلين، محققاً للفقه وفروعه، إماماً في المعقول وعلمي المعاني والبيان، هذا مع الورع والتقشف في مركبه وملبسه، وكان يمشي على قدميه[٣] في غالب حوائجه، وإن أبعد ركب حماراً، حتى في يوم طلبه السلطان ليلي القضاء، طلع بعد الظهر على حمار. رأيته على تلك الهيئة وهو نازل من القلعة، ثم طع من الغد وقبل القضاء بعد شروط هينة، وولي في رابع عشر المحرم سنة تسع وأربعين، ولم يلبس تشريف القضاء، بل نزل بطيلسانه على فرس وبين يديه أكابر الدولة، واعتذر بعدم لبسه الخلعة أنها من عند ناظر الخاص. ولما نزل إلى مدرسة الصالحية وقام بعض الرسل ليدعي على شخص منعه، وقال: هذه حيلة لا أسمعها، ثم ركب وعاد إلى داره، وباشر القضاء بعفة، وحسنت سيرته، غير أنه أحب وظيفة القضاء إلى الغاية، وولى النواب الكثيرة، وراعى الناس، وصار يكرم أرباب الدولة، وتعاظم في سلامه وكلامه.

---

(١) هو «نور الدين، علي بن عبد الرحمن بن علي» ت ٨٣٠ هـ. / ١٤٢٦ م.
له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٣٩٠ تر ١٠، السخاوي الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٣٦ تر ٨٠٤.

(٢) هو «شهاب الدين، أحمد بن صلاح بن محمد بن محمد بن عثمان بن نصر بن عيسى بن عثمان»، ت ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١٠١٤، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٠٧ - ١٠٩ تر ١٠٧، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٨ ص ٤٣٢ - ٤٣٤، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢٠٦ - ٢٠٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ١٨٦ - ١٨٧ تر ٥١٥، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٠ تر ١٩٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٣٤.

(٣) في الأصل: «أقدامه».

ومع غزير علمه عيب عليه في خطبته لما خطب في يوم الجمعة وصلى بالسلطان، فإنه كان فيه شبه لكنة وإمساك عن سرعة الكلام حتى في دروسه، رحمه الله تعالى.

(٢) وتوفي القاضي بهاء الدين محمد ابن القاضي نجم الدين عمر بن حجي[1] الشافعي الدمشقي، ناظر جيش دمشق بالقاهرة بعد مرض طويل في ثالث عشرين صفر، وكانت وفاته بقاعة البرابخية بساحل بولاق، وغسل بها، وحمل إلى أن صلى عليه بمصلاة المؤمني من تحت قلعة الجبل، وحضر السلطان الصلاة عليه، ودفن عند قبر القاضي ناصر الدين ابن البارزي[2] تجاه شباك قبة الشافعي - رضي الله عنه - وهو في حدود الأربعين تخميناً.

وكان ولي قضاء الشافعية بدمشق بعد وفاة والده، ثم عزل عنها، وتولي نظر جيشها مدة، ثم قدم إلى القاهرة وتولي نظر جيشها مدة أشهر، مضافاً إلى نظر جيش دمشق، ثم عزل وعاد / / إلى دمشق على نظر جيشها ونظر قلعتها، [٥١]
واستمر على ذلك مدة، ثم قدم إلى القاهرة ودام بها عند صهره القاضي كمال الدين كاتب السر حتى مرض ومات في التاريخ المذكور.

---

(١) هو «محمد بن عمر بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد». له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٤ - ٥١٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٦٧، الذيل التام ق ٨٧ أ، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ تر ٦٥١.

(٢) هو «ناصر الدين، أبو المعالي، محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله»، ت ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٠ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٥٤٥، ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ج ٤ ص ١٣٧ - ١٤١ تر ٧٨٠، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٣٣ تر ١٦، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٧٧ تر ٢٣٢١، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٧٣ أ - ١٧٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٦١ - ١٦٢، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٢ تر ٥٩٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ١٣٧ - ١٣٩ تر ٣٥٠، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٦١.

وكان شاباً جميلاً طوالاً جسيماً طويل اللحية أصهبها أبيض اللون، كريماً مفرطاً في الكرم، مات وعليه جملة كثيرة من الديون، أزيد من عشرين ألف دينار ، وكان فيه حشمة ورياسة.

على أنه كان قليل البضاعة من العلم بالنسبة إلى والده - رحمهما الله تعالى.

(٣) وتوفي الشيخ عز الدين[١] شيخ الصلاحية بالقدس الشريف في أوائل شهر رمضان ، وتولى عنه الشيخ جمال الدين عبد الله بن جماعة[٢] بمال بذله في ذلك على ما قيل .

وكان الشيخ عز الدين عالماً فقيهاً فاضلاً، ولي نيابة الحكم الشافعية بالقاهرة سنين كثيرة، وكان معدوداً من فقهاء الشافعية، رحمه الله تعالى[٣] .

(٤) وتوفي العلامة شهاب الدين أحمد بن رجب بن طيبغا المجدي[٤] الشافعي في ليلة السبت العاشر من ذي القعدة ، وصلّى عليه بالجامع الأزهر .

ومولده بالقاهرة في سنة سبع وستين وسبعمائة، وبها نشأ، وتفقه على مذهب الشافعي - رضي الله عنه - ولازم علماء عصره حتى برع في الفقه والعربية والفرائض والحساب والهيئة والهندسة، وتصدى للإقراء والتدريس سنين، وانتفع

---

(١) هو «عبد السلام بن داود بن عثمان بن عبد السلام، المعروف بالعز السلطي، المقدسي، الشافعي» .
له ترجمة في : ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٥٣ - ١٥٦ ، الذيل التام ق ٨٧ أ، الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٦ تر ٥١٤ .

(٢) هو «جمال الدين، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم»، ت ٨٦٥ هـ/ ١٤٦١ م .
له ترجمة في : السخاوي . الضوء اللامع ج ٥ ص ٥١ - ٥٢ تر ١٩٢ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٤٦ تر ١٥٥ ، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٧٩ تر ١٥٥ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٤٩ - ١٥١ ، الذيل التام ق ٨٧ أ الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٠ - ٣٠٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٦٨ .

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٤٦ تر ١٥٥ ، المنهل الصافي ج ١ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ تر ١٥٧ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٥ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٠ - ٣٠٢ .

به الناس. وكان له مشاركة في علوم كثيرة ، لا سيما الفرائض والحساب ، فإنه كان فيهما إمام عصره ، وله مصنفات كثيرة نافعة ، رحمه الله تعالى.

(٥) وتوفي الشيخ المعتقد يوسف البحيري(١) **الشافعي في ليلة الأحد** حادي عشر ذي القعدة، وصلى عليه بالجامع الأزهر ، وحضرت أنا غسله ودفنه ، وصلى عليه قاضي القضاة بدر الدين العيني(٢)، وكان بينه وبين العيني عداوة عظيمة من سنين عديدة .

وكان الشيخ يوسف هذا غالب إقامته بالجامع الأزهر مستقبل القبلة، وكان بيني وبينه صحبة أكيدة، وحججنا معاً في سنة ثمان وأربعين، وعاد من الحج متمرضاً إلى أن توفي بالقاهرة في التاريخ المذكور .

وكان آمراً بالمعروف، وفيه تعصب لمن يقصده من أرباب الحوائج، وكانت شفاعته مقبولة // عند أرباب الشوكة ، وكان خيراً ، رحمه الله . [٥٢]

(٦) وتوفي الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله المحمدي(٣) نائب قلعة دمشق بها في أوائل صفر .

وكان أصله من مماليك الأمير سودون المحمدي(٤) المعروف بتلي ـ أعني مجنون ـ وبه عرف بالمحمدي على شهرة أستاذه، ثم ترقى بعد موت أستاذه حتى صار رأس نوبة الجمدارية في الدولة الأشرفية، وأعطاه الأشرف إمرة عشرة، فامتنع

(١) هو «جمال الدين، يوسف بن محمد بن جامع البحيري»، له ترجمة في : ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٨٠٩ تر ٢٧٢٢ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣٢٦ أ ـ ٣٢٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٦٩ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٣٣ تر ١٢٦٣ .

(٢) راجع تر ١٩ من حولية ٨٥٥ هـ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٢٩ تر ١١٣٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٠٠ ب ـ ١٠١ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٦ ـ ٥١٧ ، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ تر ١٠٨٤ .

(٤) قتله «المؤيد شيخ المحمودي» في المحرم سنة ٨١٨ هـ/ ١٤١٥ م .
له ترجمة في : ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٢٩ تر ١١٢٩، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٠١ ، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٣٩ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٥ تر ١٠٨٣.

واستمر على إقطاعه إلى أن مات الأشرف ووقع بين الأتابك جقمق وبين الملك العزيز يوسف، انضم سودون هذا للعزيز، فعظم ذلك على جقمق لصهارة كانت بينهما قديماً، فلما تسلطن نفاه، ثم شفع فيه بعد مدة، فأعاده وأنعم عليه بإمرة عشرة وولاه نظر مكة المشرفة، وكان وليها في الدولة الأشرفية وهدم سقف البيت الشريف وفعل ما لا يجوز فعله، وما كان قصده بذلك إلا مصلحة البيت الشريف، فوقع خلاف ما قصده، وهو أن البيت كان يدلف قليلاً، فصار - الآن - أضعاف ما كان، هذا (مع) أنـ(ـه) جرد البيت الشريف عن الكسوة أياماً، وكشف السقف وهدمه، وفعل ما لا يجوز فعله، حتى إن بعض أعيان مشايخ مكة خرج منها خوفاً من حلول العذاب من الله - عز وجل - ومن يومئذ صار الطير من الحمام وغيره يقعد على ظهر البيت الشريف، وكان أولاً يحوم حول البيت ولا يحط على سقفه ولا على جداره لشيء كان مكتوباً عليه، فلما هدمه سودون - المذكور - بطل ذلك وصار الطير يحط على البيت ويحصل منه الضرر التام، فكان حال سودون في هذا الأمر أحق بقول القائل:

رام نفعاً فضر من غير قصد ... ومن البر ما يكون عقوقا
[الخفيف]

ودام بمكة سنين، ثم قدم إلى القاهرة، وتولى نيابة قلعة دمشق، فتوجه إليها، وأقام بها مدة، ...

وكان ديناً خيراً، وعنده تعاظم وشمم، رحمه الله تعالى.

(٧) وتوفي الأمير سيف الدين يلخجا[١] بن عبد الله من مامش الناصري الساقي نائب غزة بالقدس الشريف في أوائل جمادى الآخرة وسنه نيف على خمسين[٢] سنة.

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٩٥ - ٧٩٦، تر ٢٦٧٩، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣٠٦ أ - ٣٠٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٧ - ٥١٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٦٨ - ١٦٩، الذيل التام ق ٨٧ ب، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٩١ تر ١١٤٠.

(٢) في هامش «أ»: «لعله تسعين»، وهو مخالف لما جاء في النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٧ وقد طابقت معلومته هنا ما أثبت في المتن.

وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، أخذه مع أبويه وأعطاهم لولده سيدي عبد العزيز الذي تسلطن ولقب: المنصور، ثم بعد موت عبد العزيز ـ المذكور ـ أخذه الملك الناصر /٠/ فرج وجعله خاصكياً ثم ساقياً، [٥٣]
واختص بالناصر إلى الغاية. وكان إذ ذاك يضرب بحسنه المثل، ولما تسلطن الملك المؤيد شيخ عزله عن السقاية وجعله من جملة الخاصكية، ودام على ذلك معززاً مكرماً[(١)] إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباي بإمرة عشرة بعد سنة ثلاثين وثمانمائة، ثم جعله من جملة رءوس النوب، وتوجه أمير حاج الركب الأول في سنة أربع وثلاثين، ثم أرسله الأشرف في سنة سبع وثلاثين إلى شد بندر جدة وصحبته الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ[(٢)] لما عزل عن الوزر، ثم عاد إلى القاهرة، ولم يزل يلخجا على ذلك حتى أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة طبلخاناه، ثم جعله رأس نوبة ثانياً، ثم ولاه بعد سنين نيابة غزة في أوائل سنة خمسين، فتوجه إليها، ودام بها إلى أن حصل له مرض وطال به[(٣)]، أرسل استعفى، فأعفى وتوجه إلى القدس، فمات به بعد أيام قليلة[(٤)].

وكان أميراً جليلاً معظماً في الدولة، مليح الشكل، مشهوراً بالشجاعة والإقدام، ساق المحمل خاصكياً ونائباً وباشا عدة سنين تزيد على عشرين سنة، وكان متجملاً في مركبه وملبسه ومماليكه وسلاحه وبركه، وكان منهمكاً في اللذات، مسرفاً على نفسه، مع سلامة باطن على قاعدة أبناء جنسه التتار.

وكان كثير من الناس ينسبه إلى الظلم والعسف، وليس كذلك، إلا أنه كان شديداً على خدمه، ويحب إظهار الحرمة، فلذلك كان من لا يعرفه يقول في حقه ما يقول، سامحه الله وعفا عنه.

---

(١) فى الأصل: «معزوزاً مكورماً».
(٢) راجع تر ٦ من حولية ٨٥٢ هـ.
(٣) فى هامش «أ»: «حاشية: وكان أرسله الظاهر إلى ناحية البرلس لقياس أرضها، فقاس الأرض والزمال وظلم أهلها ظلماً فاحشاً، فاستمر ـ سامحه الله».
(٤) في «أ» : قليلاً.

(٨) وتوفي **الطواشي** صفي الدين جوهر التمرازي الحبشي[١] الخازندار - كان - ثم شيخ الخدام بالحرم النبوي - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام - في أواخر هذه السنة، وقدم خبر موته إلى القاهرة في ذي الحجة.

وكان أصله من خدام الأمير تمراز الظاهري[٢] النائب، ثم رقي من بعده في
الخدم حتى صار في الدولة الأشرفية جمداراً كبيراً، واستمر على ذلك سنين إلى أن
ولاه الملك الظاهر جقمق الخازندارية بعد موت الأمير جوهر القنقبائي ، فباشر
الخازندارية بتجمل مع الناس وحشمة، فلم تطل مدته وعزل بالأمير فيروز
النوروزي الرومي[٣] وصودر، ثم أطلق بطالاً بالقاهرة مدة // وتولى مشيخة الحرم [٥٤]
النبوي، فتوجه إلى المدينة الشريفة في سنة تسع وأربعين وأقام بها إلى أن توفي
بعد أن ضعف أياماً قلائل في التاريخ المذكور.

وكان حبشي الجنس، مليح الشكل، وفيه كرم وحشمة مع تواضع، وله ذوق، ويحب سماع الطرب[٤] وتعجبه الرقة والنكتة ويفهمها بسرعة، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ تر ٨٧١، المنهل الصافي مج٢ ق ٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥١٨ - ٥١٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٥١، الذيل التام ق ٨٧ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٢ تر ٣٢٠.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٢٤ تر ١٨٠٦، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٥٥ أ - ٣٥٦ ب، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣١٢ - ٣١٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ١٧٦ - ١٧٧ تر ٦٠٠.

(٣) له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٢٠١، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٤٩٧ تر ٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٢٥ تر ٧٨٧، المنهل الصافي ج ٤ ص ١٤٣ - ١٤٦ تر ٨٧٩، النجوم الزاهرة ج ١٣، ص ١٨٣ - ١٨٤، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ تر ٤٩٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٨ تر ١٥٦.

(٤) في «أ»: الطيب».

سنة إحدى وخمسين وثمانمائة

استهلت والسلطان والخليفة والقضاة بحالهم إلا قاضي القضاة الشافعي فإنه علم الدين صالح البلقيني، وولايته في أول السنة المذكورة، عوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر بحكم عزله، وأتابك العساكر الأمير إينال العلائي الناصري، وأمير سلاح تمراز القرمشي الظاهري، وأمير مجلس جرباش الكريمي الظاهري المعروف بقاشق، والأمير آخور قراقجا الحسني الظاهري، وحاجب الحجاب تنبك البردبكي الظاهري، ورأس نوبة النوب تمرباي التمربغاوي، والدوادار قاني باي الجركسي، وبقية أمراء الألوف: ولد المقام الشريف المقام الفخري عثمان وأسنبغا الطياري وطوخ من تمراز الناصري المعروف بيني بازق والشهابي أحمد بن علي بن إينال والطنبغا المعلم أمير ثمانين فارس، والأمير آخور الثاني جرباش المحمدي الناصري المعروف بكرت، ورأس نوبة ثاني جانبك القرماني الظاهري، والدوادار الثاني دولات باي المحمودي المؤيدي، والحاجب الثاني نوكار الناصري على إمرة عشرة ضعيفة، وهو ممن لا يؤبه إليه، وشاد الشراب خاناه يونس السيفي آقباي، والزردكاش تغري برمش السيفي يشبك ابن أزدمر، ونائب قلعة الجبل تغري برمش الجلالي المؤيدي الفقيه، والخازندار قراجا الظاهري جقمق، والزمام والخازندار فيروز النوروزي الطواشي الرومي، ومقدم المماليك عبد اللطيف المنجكي العثماني، ونائبه جوهر النوروزي، ومباشرو الدولة: القاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف، ونائبه القاضي معين الدين عبد اللطيف بن العجمي، وناظر الجيوش المنصورة القاضي محب الدين محمد بن الأشقر، والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب

[٥٥] المناخ، وناظر الخواص الصاحب جمال الدين// يوسف بن كاتب جكم، والأستادار زين الدين يحيى قريب ابن أبي الفرج، وناظر الإسطبل السلطاني برهان الدين إبراهيم الديري الحنفي، وكاتب المماليك فرج بن النحال.

نواب البلاد الشامية وغيرها: نائب الشام الأمير جلبان أمير آخور، ونائب حلب الأمير قاني باي البهلوان الناصري، ونائب طرابلس الأمير برسباي من حمزة الناصري، ونائب حماه الأمير يشبك من جانبك المؤيدي الصوفي، ونائب صفد الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج، ونائب غزة الأمير يشبك الحمزاوي، ونائب ملطية الأمير قانصوة النوروزي، ونائب الكرك الأمير حاج إينال الجكمي، ونائب الإسكندرية الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي المحتسب. وهؤلاء من يطلق عليهم ملك الأمراء. وأما بقية نواب القلاع والبلدان فكثير.

ذكر ملوك الأقطار: وأمير مكة المشرفة السيد الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وأمير المدينة النبوية ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ الشريف أميان بن مانع بن علي الحسيني، وصاحب الينبع الشريف هلمان، وصاحب هراة وغيرها من ممالك العجم القان معين الدين شاه رح بن تيمورلنك وجماعة من أولاده وأحفاده على عدة ممالك، منهم صاحب سمرقند وغيرها القان سيف الدين ألوغ بك بن القان معين الدين شاه رخ بن الطاغية تيمورلنك، ومتملك أذربيجان وغيرها من ممالك العراق جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد، وأصحاب ديار بكر جماعة من أولاد قرايلك، وأعظمهم حفيد قرايلك جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وصاحب برصا من بلاد الروم وغيرها خوندكار مراد بك بن محمد بن أبي يزيد بن مراد بن عثمان، وصاحب لارندة وغيرها من بلاد قرمان صارم الدين إبراهيم بن قرمان، وبجانب آخر من بلاد الروم الأمير أسفنديار، ونائب أبلستين سليمان بن ناصر الدين بك محمد بن دلغادر، وصاحب تونس وبجاية وسائر بلاد أفريقية السلطان أبو عمرو عثمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد الحفصي المغربي، وباقي بلاد المغرب بأيدي عدة ملوك يطول الشرح في تسميتهم.

المحرم

أوله السبت. فيه ولى قاضي القضاة علم الدين صالح قضاء // الشافعية [٥٦] بالديار المصرية عوضاً عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر حسبما ذكرناه.

وفيه استقر السلطان الملك الظاهر جقمق بساقيه ومملوكه المتوجه إلى البلاد الحلبية قبل تاريخه آقبردي الساقي في نيابة قلعة حلب بعد عزل تغري بردي الجاركسي عنها، وتوجهه إلى دمشق.

وفيه - أيضاً - أنعم السلطان على الغرسي خليل بن شاهين الشيخي بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق بعد مسك الأمير قيز طوغان العلائي وحبسه بقلعة دمشق، بسبب ما وقع منه لما أحرق باب المدينة الشريفة لما توجه أمير حاج محمل دمشق لسبب من الأسباب.

وفيه - أيضاً - كان استقرار الأمير يشبك الحمزاوي - المتقدم ذكره - في نيابة غزة عوضاً عن الأمير حطط، ورسم بتوجه حطط إلى دمشق بطالا، وأنعم بإقطاع يشبك الحمزاوي وإمرته، وهي تقدمة ألف بحلب على الأمير سودون من سيدي بك الناصري المعروف بالقرماني، وأنعم بإقطاع سودون القرماني المذكور على الأمير علي باي الأشرفي، والإقطاع إمرة عشرة بالديار المصرية.

صفر

أوله الاثنين.

ففي يوم الأربعاء ثالثه، مات الأمير أيتمش من أزوباي المؤيدي آستادار الصحبة، يأتي ذكره في آخر السنة عند ذكر من توفي فيها إن شاء الله[١].

وفي يوم الخميس رابعه أنعم السلطان الملك الظاهر جقمق على مملوكه سنقر الظاهري بوظيفة آستادارية الصحبة عوضاً عن أيتمش المذكور.

وفي يوم الاثنين ثامنه أخلع على الخواجا بدر الدين حسن ابن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق الدمشقي باستقراره في نظر جيش دمشق بعد عزل

---

(١) راجع تر ١ من هذه الحولية.

موسى ابن جمال الدين الكركي عنها، وتوجهه ثانيا إلى نظر جيش طرابلس .

وفي يوم الخميس حادي عشره، فيه رسم السلطان بنفي الأمير تغري برمش الجلالي الناصري المؤيدي الفقيه - نائب القلعة الشريفة بالديار المصرية - إلى القدس الشريف، وخرج من يومه، واستقر الأمير يونس العلائي الناصري أحد أمراء العشرات في نيابة القلعة عوضه، وأنعم بإقطاع تغري برمش - المذكور - على شريكه الأمير جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك [٥٧]زيادة على إمرته، ولبس يونس - المذكور - خلعة نيابة // القلعة في يوم الاثنين.

شهر ربيع الأول

أوله الثلاثاء.

في يوم الخميس ثالثه استقر السلطان بالأمير برسباي السيفي تنبك البجاسي - أحد أمراء العشرات ورأس نوبة - في نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير تنم من عبد الرَزاق المؤيدي عنها.

وفيه - أيضاً - أخلع السلطان على الأمير جانبك النوروزي - المقدم ذكره - كاملية سمور، باستقراره أمير حاج الرجبية، ومقدم المماليك السلطانية بمكة المشرفة.

وفي يوم الخميس عاشره، استقر السلطان بالطنبغا مملوك الأمير طرباي في حجوبية غزة على مال بذله علي بن توالي - وهذا اسم أعجمي غير لقبه، بضم التاء ثانية الحروف وفتح الواو بعدها ألف ولام مكسورة.

وفي يوم الجمعة حادي عشره استقر السلطان بالأمير بيبرس بن بقر في مشيخة العربان على عادته بالوجه الشرقي من أعمال القاهرة، واستقر - أيضاً - بابن جماز في مشيخته - أيضاً - على عادته.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه رسم السلطان بنقل الأمير برسباي الناصري من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب بعد موت الأمير قاني باي الأبوبكري الناصري المعروف بالبهلوان، وحمل تقليده وتشريفه على يد الأمير قراجا الظاهري الخازندار أحد أمراء العشرات.

وفيه استقر الأمير تنم من عبد الرزاق المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه في نيابة حماه عوضاً عن الأمير يشبك الصوفي، وسفر الأمير لاجين الظاهري جقمق، فصالحه الأمير تنم ـ المذكور ـ على عدم سفره بثلاثة آلاف دينار.

شهر ربيع الآخر

أوله الخميس.

في يوم الثلاثاء سادسه ويوافقه سادس عشرين بؤنة أحد شهور القبط، فيه أخذ قاع النيل المبارك فجاءت القاعدة أحد عشر ذراعاً واثنتي عشرة إصبعاً، وهذا شيء لم يعهد مثله.

وفي يوم الخميس ثامنه أخلع السلطان على الأمير سودون السودوني الظاهري برقوق أحد أمراء العشرات والحجاب، واستقر به حاجباً ثالثاً. وكان سودون ـ المذكور ـ قبل تاريخه قد ولي الحجوبية الثانية.

قلت : هذه درجة لأسفل.

وفي يوم الخميس خامس عشره أخلع السلطان علي الشيخ ولي الدين السفطي باستقراره قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية بعد عزل قاضي القضاة علم الدين // صالح البلقيني، مضافاً لما بيده من التدريس بقبة [٥٨] الشافعي، ومن نظر البيمارستان المنصوري ونظر الكسوة(١) ووكالة بيت المال(٢) ومشيخه مدرسة جمال الدين الأستادار(٣) ونظرها، وغير ذلك من الوظائف الدينية

---

(١) نظر الكسوة: هو الإشراف على خزانة الخاص بما فيها من الديباج الملون على اختلاف ضروبه، والشراب الخاص، وغير ذلك من أنواع القماش، واللباس، وكذا الإشراف على صناعة كسوة الكعبة المشرفة.

راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٢، ج ٤ ص ٥٤، ٥٨.

(٢) وكالة بيت المال: وظيفة موضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته، والمعاقدة على ذلك، وما يجري هذا المجرى، لا يليها إلا أهل العلم والديانة، ومجلس متوليها في دار العدل، حيث يكون تارة دون المحتسب وتارة فوقه، بحسب رفعة قدر كل منهما في نفسه.

راجع: المصدر السابق ج ٤ ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) مدرسة جمال الدين الأستادار: أنشأها الأمير «جمال الدين يوسف ألبيري» أستادار «الناصر فرج» بالقاهرة، برحبة العيد، واكتمل نظامها في الثالث من رجب سنة إحدى عشرة وثمانمائة، مرتباً =

والأنظار، وساءت سيرته، وسلك مع الناس طريقاً غير محمودة من الحط على الفقهاء والترسيم عليهم، لا سيما المتحدثون على الأوقاف والمباشرون على الأوقاف، فإنهم قاسوا منه خطوباً ومحناً.

وفي هذا الشهر أخلع السلطان علي أبي الخير النحاس واستقر به في وكالة بيت المال عوضاً عن قاضي القضاة ولي الدين السفطي، وهذا أول خمول السفطي وبداية أبي الخير النحاس، وما سيأتي له أعجب.

جمادى الأولى

أوله السبت. فيه برز المرسوم الشريف إلى دمشق باستقرار الأمير خيربك المؤيدي الأجرود أحد مقدمي الألوف بدمشق في أتابكية عساكر دمشق، عوضاً عن الأمير إينال الششماني الناصري بحكم وفاته، وأنعم بإقطاع خير بك المذكور على الأمير خشقدم الناصري المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بالديار المصرية.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره[1] ويوافقه سابع مسرى أحد شهور القبط أوفي النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، وركب المقام الفخري عثمان ابن الملك الظاهر جقمق من القلعة، ونزل بين يديه وجوه الدولة من الأمراء وغيرهم، وعدي النيل حتى خلق المقياس، وفتح خليج السد على العادة، وكان يوماً مشهوداً، ولله در الشيخ كمال الدين ابن نباته[2] حيث يقول:

زادت أصابع نيلنا وطمت وطافت في البلاد
وأتت بكل مسرة ما ذي أصابع ذي أياد

[الكامل]

= فيها مدرسين على المذاهب الأربعة، ودرسّ تفسير، ودرسّ حديث. وتعرف الآن بزاوية الجمالي أو الجامع المعلق، وموقعها بين حارة القرافة وقصر التوبة في الجمالية.
راجع المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٣، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٩٩، السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٤٩١، علي مبارك. الخطط ج ٦ ص ٦.

(١) في هامش «أ»: «لعله ثامن عشره».

(٢) هو «جمال الدين، أبو بكر، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن =

جمادى الآخرة

أوله الاثنين.

في ثامنه أخلع السلطان على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة باستقراره في الوزارة بالديار المصرية عوضاً عن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ بحكم طول مرضه ولزومه الفراش.

شهر رجب

أوله الأربعاء.

ففي يوم الاثنين سابع عشرينه برز المرسوم الشريف على يد الأمير إينال أخي قشتم باستقرار الأمير تنم // من عبد الرزاق المؤيدي نائب حماه في نيابة [٥٩] حلب، عوضاً عن الأمير برسباي الناصري بحكم استعفائه عن نيابة حلب لتعلله وطلبه التوجه إلى دمشق بطالاً.

وفيه رسم بنقل الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج نائب صفد إلى نيابة حماه عوضاً عن تنم المذكور، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير يلبغا الجاركسي أحد أمراء العشرات، رأس نوبة. ورسم باستقرار الأمير يشبك الحمزاوي نائب غزة في نيابة صفد عوضاً عن بيغوث المذكور، ورسم باستقرار الأمير طوغان العثماني حاجب حجاب حلب في نيابة غزة عوضاً عن يشبك الحمزاوي، واستقر في حجوبية حلب الأمير جانبك المؤيدي المعروف بشيخ أحد أمراء طرابلس.

شعبان

أوله الخميس. فيه قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة إلى الديار المصرية، ونزل الملك الظاهر إلى لقائه بمطعم الطير بالريدانية خارج

= صالح بن علي بن يحيى بن طاهر المصري، ت ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦ م.
له ترجمة في: الصفدي. الوافي ج ١ ص ٣١١ - ٣٣١ تر ١٩٩، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٤ ص ٣٢٢، ابن حجر. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢١٦ - ٢٢٣ تر ٥٨٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٠٠ تر ٣٩١، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٩٥ - ٩٧، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٧١ تر ٧٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٦ ص ٢١٢.

القاهرة، وبالغ السلطان في إكرام بركات المذكور إلى الغاية؛ بحيث إنه لم يجلس إلاّ خارجاً عن مقعده إجلالاً لبركات المذكور، وقام إليه ومشى له خطوات واحتضنه وأجلسه بجانبه، ثم أخلع عليه وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وعاد مع السلطان إلى أن رسم له السلطان بالتوجه إلى محل أنزله به، ورتب له الرواتب السنية، وأكرمه غاية الإكرام.

شهر رمضان

أوله الجمعة.

ففي يوم الخميس سابعه خلع السلطان على الأمير بيسق اليشبكي أحد أمراء العشرات بالقاهرة بنيابة دمياط، بعد عزل الأمير بدخاص الظاهري عنها.

وفي يوم الخميس رابع عشره أخلع السلطان على أبي الخير النحاس باستقراره في نظر الجوالي، عوضاً عن القاضي برهان الدين إبراهيم بن الديري الحنفي.

شوال

أوله الأحد.

ففي يوم الخميس خامسه تولى الأمير تمراز من بكتمر المؤيدي المصارع أحد أمراء العشرات نيابة القدس، بعد عزل الأمير خشقدم السيفي سودون من عبد الرحمن، فأقام مدة وتوجه إلى محل ولايته.

ذو القعدة

أوله الاثنين. فيه توفي الأمير إينال أخو قشتم المؤيدي أحد أمراء العشرات، وأنعم بإقطاعه على السيفي أسنباي الساقي الظاهري، وأُنعم بسقاية أسنباي المذكور على السيفي جانم الظاهري.

[٦٠] // وفي يوم الأربعاء ثالثه برز المرسوم الشريف بحبس الأميرين المقيمين بالقدس الشريف، وهما شادبك الجكمي وإينال الأشرفي، فحبسا بقلعة صفد.

وفي يوم الخميس رابعه استقر قاضي القضاة ولي الدين السفطي في تدريس الشافعية بالمدرسة الصالحية والنظر على أوقافها، عوضاً عن شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين ابن حجر.

وفي يوم الاثنين ثامنه استقر شاهين الفقيه ساقياً عوضاً عن جكم المؤيدي لتغير خاطر السلطان عليه.

وفي يوم الخميس حادي عشره توفي العلاَّمة تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي الشافعي بدمشق فجاءة ودفن من الغد. وكان أفقه أهل زمانه بمذهب الشافعي ـ رحمه الله[١] .

ذو الحجة

أوله الثلاثاء. فيه توفي الطواشي صفي الدين جوهر بن عبد الله المنجكي الحبشي نائب مقدم المماليك السلطانية فجاءة، ودفن من الغد، وهو صاحب المدرسة التي أنشأها تجاه القلعة على ما يأتي ذكره[٢] .

وفي يوم الخميس ثالثه حضر شخص من أهل مرصفا إلى القاهرة وأخبر أنه رأى الهلال ليلة الثلاثاء، فاضطرب الناس إضطراباً شديداً، فإنه كان غيم مطبق استمر من إبتداء ليلة الثلاثاء إلى يوم الخميس، فأراد قاضي قضاة الشافعية أن يأذن للرائي في أن يحكم بعلمه بثبوت الشهر، فأخبره شخص من نوابه أنه شاهد زور، وأنه كان منعه من تحمل الشهادة لما كان قاضياً بناحية مرصفا، فشوش القاضي على نائبه لإخباره بهذا الأمر، ثم أمر القاضي بتحصيل رجل آخر مثله حتى حضر شخص وأثبته. في يوم الجمعة الرابع منه، أن أوله الثلاثاء. كل ذلك حتى لا يكون عيد الأضحى يوم الجمعة، فإن أهل مصر تتشاءم بخطبتين في يوم واحد.

وفي يوم الخميس عاشره خلع على القاضي ولي الدين السفطي كاملية بفرو سمور عقيب خطبة العيد.

---

(١) راجع تر ٥ من هذه الحولية.

(٢) راجع تر ٦ من هذه الحولية..

وفي يوم الخميس سابع عشره وصل الشهابي أحمد بن نوروز الخضري شاد الأغنام بالبلاد الشامية إلى القاهرة.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه وصل أزبك الساقي الظاهري مبشر الحاج- وأخبر بالأمن والسلامة، وأن الوقفة كانت يوم الأربعاء.

وفي يوم السبت سادس عشرينه توفي القاضي عز الدين عبد ارحيم بن الفرات الحنفي[1].

[٦١] وفي // (يوم) الأربعاء سلخه طلع قاضي القضاة ولي الدين السفطي بعشرة آلاف دينار إلى السلطان من حاصل البيمارستان المنصوري، وعرضها على السلطان، فشكره على ذلك.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة -(أعني) الماء القديم- إحدى عشرة ذراعاً واثني عشر إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً.

* * *

(١) راجع تر ٧ من هٰذه الحولية.

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكرهم

(١) توفي الأمير سيف الدين أيتمش[١] بن عبد الله من آزوباي الناصري فرج، ثم المؤيدي شيخ، آستادار الصحبة في يوم الأربعاء ثالث صفر، وتولى استادارية الصحبة من بعده الأمير سنقر الظاهري[٢]

أصله من كتابية الناصر فرج، ثم أعتقه الملك المؤيد شيخ وجعله من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصكياً بعد موته، واستمر على ذلك حتى تأمر عشرة في الدولة العزيزية يوسف، ثم صار في الدولة الظاهرية جقمق آستادار الصحبة بعد مغلباي الجقمقي،[٣]، واستمر على ذلك إلى أن توفي.

وكان مسرفاً على نفسه، مسيكاً، لم يشهر بشجاعة ولا دين، عفا الله عنه.

(٢) وتوفي الأمير سيف الدين قاني باي الأبو بكري الناصري، المعروف بالبهلوان[٤]، نائب حلب بها في شهر ربيع الأول من السنة، وتولى حلب عوضه الأمير

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٦٤ تر ٥٨٦، المنهل الصافي ج ٣ ص ١٤٢ - ١٤٣ تر ٥٨٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٨٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٤ تر ١٠٥٨، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٧.

(٢) هو «سنقر الظاهري»، المعروف بالعائق - راجع: ابن إياس. نفسه.

(٣) هو «مغلباي بن عبد الله الجقمقي، الأرغون شاوي»، ت ٨٤٤ هـ. له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣٧ تر ٢٥١٥، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤٦ ب - ٢٤٧ أ، السخاوي الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٥ تر ٦٧٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٤) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣٠ تر ١٨١٩، المنهل الصافي مج ٣=

برسباي الناصري نائب طرابلس.

كان أصل قاني باي - المذكور - من مماليك الملك الناصر فرج، وتنقّل في الخدم بعد موت أستاذه بالطالع والنازل، وقاسى خطوب الدهر ألواناً إلى أن اتصل بخدمة الأمير ططر وحظي عنده، فلما تسلطن ططر أمّره ورقاه حتى صار في الدولة الأشرفية برسباي رأس نوبة ثانياً، ثم أمير مائة ومقدم ألف، ثم ولي نيابة ملطية مضافاً إلى تقدمته بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن أخرج الملك الأشرف إقطاعه - التقدمة التي بمصر - واستمر على نيابة ملطية إلى أن عزله وولاه أتابكية حلب، ثم نقل بعد موت الأمير تغري بردي المحمودي[1] إلى أتابكية دمشق في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، ثم نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة صفد بعد الأمير إينال العلائي الناصري، ثم نقل إلى نيابة حماه، ثم إلى (نيابة) حلب
[٦٢] بعد الأمير قاني باي الحمزاوي[2]، فباشرها إلى أن توفي / / بها في التاريخ المتقدم ذكره.

وكان في وسط الكهولية، وكان جميلاً حشماً مليح الشكل، متوسط السيرة، رحمه الله.

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين إينال بن عبد الله الششماني[3] الناصري، أتابك عساكر دمشق في جمادى الأولى.

= ق ٦، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٠ - ٥٢١، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٩٥ - ١٩٦، الذيل التام ق ٧٨ ب، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٤ تر ٦٥٣

(١) هو «تغري بردي بن عبد الله المحمودي، الناصري فرج»، ت ٨٣٦ هـ/ ١٤٣٣ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٩٠٠، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٧ تر ٧٦١، المنهل الصافي ج ٤ ص ٥١ - ٥٤ تر ٧٦٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٧٩ - ١٨٠، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٣ ص ٢٦٨ تر ٧٢٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٩ تر ١٣٩.

(٢) هو «سيف الدين، قاني باي بن عبد الله الحمزاوي»، أحد مماليك سودون الحمزاوي. ت ٨٦٣ هـ/ ١٤٥٩ م.
له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٢٩ تر ١٨١٧، المنهل الصافي مج ٣ ق ٥، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٠١ - ٢٠٣، السخاوي الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٥ تر ٦٦١، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٥١.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٧٥ تر ٦٢٢، المنهل الصافي ج ٣=

كان أصله من مماليك الملك الناصر فرج، وتأمر في أيام أستاذه المذكور، ثم امتحن من بعده وحبس سنين، ثم أطلق وتأمر - أيضاً - بعد موت الملك المؤيد شيخ وصار من جملة رءوس النوب في الدولة الأشرفية برسباي، ثم ولي حسبة القاهرة بعد قاضي القضاة بدر الدين العيني الحنفي، فباشر الحسبة سنين ثم عزل، وصار بعد مدة أمير حاج المحمل في سنة ست وثلاثين وثمانمائة، وكان حج - أيضاً - قبلها أمير الركب الأول مرة أخرى في سنة سبع وعشرين، ثم صار أمير طبلخاناه وثاني رأس نوبة، ثم نقل إلى نيابة صفد فباشرها مدة وعزل، وتوجه أمير مائة ومقدم ألف بدمشق، فاستمر بدمشق على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى أتابكية دمشق بعد توجه الأمير قاني باي البهلوان إلى نيابة صفد، فاستمر أتابكاً إلى أن توفي بدمشق في التاريخ المذكور، وتولى أتابكية دمشق من بعده الأمير خير بك المؤيدي[1].

وكان إينال - المذكور - متديناً، عفيفاً عن القاذورات، إلَّا أنه كان بخيلاً جباناً، رحمه الله تعالى.

(٤) وتوفي الأمير سيف الدين برسباي بن عبد الله من حمزة الناصري[2] نائب حلب في جمادي الآخرة بعدما استعفى من نيابة حلب وخرج منها، فمات في أثناء طريق دمشق.

أصله من مماليك الملك الناصر فرج، ثم انضاف إلى الأمير نوروز[3]

= ص ٢٠٧ - ٢٠٨ تر ٦٢٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٨٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٧ تر ١٠٧٨، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٨.

(١) راجع تر ٦ من حولية ٨٥٩ هـ.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٦ تر ٦٥١، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ تر ٦٥٢، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٢ - ٥٢٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٩١ - ١٩٢، الضوء اللامع ج ٣ ص ٧ تر ٣٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٩.

(٣) هو «سيف الدين، نوروز بن عبد الله الحافظي، الظاهري برقوق»، ت ٨١٧ هـ/ ١٤١٤ م.
له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٦٢ - ٧٦٣ تر ٢٥٩٧، المنهل الصافي مج٣ ق ٢٦٧ أ - ٢٦٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٢٨ - ١٢٩، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج٢ ص٣٤٥ تر ٥٢٣، السخاوي. الضوء اللامع ج١٠ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ تر٨٧١.

الحافظي بعد موت أستاذه، وصار من جملة أمراء دمشق إلى أن خرج نوروز عن طاعة الملك المؤيد شيخ، وافقه المذكور، فقبض عليه شيخ بعد القبض على نوروز وحبسه سنين، ثم أطلقه في أواخر دولته، وبقي بتلك البلاد إلى أن ولاه الملك الأشرف برسباي حجوبية حجاب دمشق، فباشرها سنين وعظم فيها وضخم ونالته السعادة، وطالت أيامه في الحجوبية إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة طرابلس بعد الأمير قاني باي الحمزاوي بحكم انتقال الحمزاوي إلى نيابة حلب بعد جلبان[1] المنتقل إلى نيابة دمشق بعد موت الأمير // اقبغا [٦٣]
التمرازي في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، فدام في نيابة طرابلس سنين، ونقل إلى نيابة حلب بعد موت قاني باي البهلوان، فلم تطل أيامه فيها، ومرض واستعفى، ومات في التاريخ المذكور.

وكان ديناً خيراً، عفيفاً، رحمه الله تعالى.

(٥) وتوفي قاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي شهبة[2]، الدمشقي، الشافعي في ذي القعدة فجاءة بدمشق.

وكان عالم الشام بالفقه وفروعه بلا مدافعة.

ولي قضاء دمشق ودرس وأفتى سنين، وانتفع الناس به، وكتب وصنف التصانيف المفيدة، ومات ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله.

(٦) وتوفي الأمير صفي الدين جوهر المنجكي الطواشي الحبشي[3] نائب مقدم المماليك السلطانية.

---

(١) راجع تر ٣ من حولية ٨٥٩ هـ.

(٢) هو «أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب بن مشرف». له ترجمة في:
ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٨٩ - ١٩١، الذيل التام ق ٧٨ أ، الضوء اللامع ج ١١ ص ٢١ - ٢٤ تر ٦١.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٥٥ تر ٨٧٢، المنهل الصافي مج ٢ ق ٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٣ - ٥٢٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٩٢، الذيل التام ق ٧٨ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٥ تر ٣٣١ .

كان أصله من خدام أولاد الأمير منجك اليوسفي[1]، وتنقل في الخدم حتى ولاه الملك الظاهر جقمق نيابة مقدم المماليك السلطانية فحسنت حاله، وعمر مدرسته برأس سويقة منعم تجاه مصلاة المؤمني عمارة بالفقيري، ثم عزل عن نيابة المقدم بالصفوي جوهر النوروزي[2]، ودام بطالاً إلى أن توفي أول يوم من ذي الحجة فجاءة، ودفن من الغد.

وكان مطرح الكلفة قليل الحشمة، رحمه الله.

(٧) وتوفي القاضي المسند المعمر عز الدين، عبد الرحيم بن الفرات[3] أحد نواب الحكم الحنفية بالقاهرة، في يوم السبت سادس عشر ذي الحجة من السنة. ومات وقد انتهت إليه الرياسة في علو السند، لنا منه إجازة بجميع ما يجوز له وعنه روايته، رحمه الله تعالى.

* * *

---

(١) هو «سيف الدين، منجك بن عبد الله اليوسفي، الناصري محمد بن قلاوون»، ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٥ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٣ ص ٢٤٧، ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١ تر ٩٧، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٦٠ - ٣٦١ تر ٩٨٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٤٣ تر ٢٥٣٧، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٥١ أ - ٢٥٢ ب، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) هو «صفي الدين، جوهر النوروزي الحافظي، الحبشي».
له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٥ - ٨٦ تر ٣٣٢.

(٣) هو «أبو محمد، عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد». له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤١٠ - ٤١١ تر ١٤١٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢١٦، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٢٥٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ١٩٢ - ١٩٥، الذيل التام ق ٧٨ أ، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٨٦ - ١٨٨ تر ٤٧٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦١.

سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وجميع أرباب الدولة على حالهم كما تقدم ذكره .

المحرم

أوله الخميس. فيه ورد الخبر بمقتلة عظيمة في الصعيد بين الأمير إسماعيل الهواري وبين بني بكيران ولهيان وغيرهما، وقتل فيها محمد أخو إسماعيل الهواري وغيره من أقاربه وأتباعه، ثم حصل له النصر عليهم وقتل منهم نحو الخمسمائة، وخلع على القاصد.

وفي يوم السبت ثالثه أمر السلطان بنفي قاضي حلب مجد الدين سالم الحنبلي إلى قوص لأجل أنه كان له على القاضي المالكي بحلب دين وأراد أن يتقاضاه منه، فطلب المديون أن يضع من الدين شيئاً، فامتنع رب الدين.

وفي يوم الأحد رابعه كانت تقدمة زين الدين يحيى الآستادار إلى [٦٤] السلطان، فكانت عدة // الخيول ستمائة فرس، منها ستون مسروجة بسروج مغرقة، ومنها ثلاثة بقماش ذهب عرقيتين زركش وكنبوش زركش، ومنها نحو الثلاثين بسروج بلغاري.

وفي العشر الأول منه أنعم على الأمير يشبك طاز المؤيدي أحد أمراء دمشق بحجوبية طرابلس الكبرى عوضاً عن يشبك النوروزي.

وفي ليلة الخميس خامس عشره توفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن جعفر العثماني .

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه توفي الشيخ شهاب الدين الريشي .

وفيه وصل الركب الأول من الحجاج وأميره الأمير الطواشي عبد اللطيف العثماني مقدم المماليك.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه وصل أمير حاج المحمل الأمير تنبك البردبكي ببقية الحاج.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه لبس السلطان القماش الأبيض الصيفي.

وفي يوم السبت[1] سادس عشرينه أمر بنفي الأمير قراجا العمري أحد مقدمي الألوف بدمشق إلى سيس، وأنعم بإقطاعه على الأمير مازي الظاهري برقوق.

صفر

أوله الجمعة بمقتضى الرؤية.

ففي يوم الاثنين رابعه وصلت رءوس أناس من العرب العصاة، أرسلها كاشف البهنساوية.

وفيه خرج الأمير تمرباي التمربغاوي رأس نوبة النوب إلى بلاد الصعيد وصحبته الأمير إسماعيل بن عمر الهواري ومائتا مملوك من المماليك السلطانية لقتال العرب الخارجين عن الطاعة من هوارة.

وفي يوم الجمعة ثامنه ورد الخبر بأنه حصل بين الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي نائب حلب وبين أهل حلب تشويش وبعض قتال ورجم، وعين بردبك التاجي لكشف هذا الخبر وتحريره.

وفي ليلة الثلاثاء ثالث عشره توفي الأمير أقطوة الموساوي الظاهري وصلي عليه من الغد.

وفي يوم السبت سادس عشره وصل الأمير جلبان نائب دمشق إلى القاهرة ونزل بالميدان.

وفي ليلة الأحد سابع عشره توفي الشيخ زين الدين عبد الرحمن السندبيسي.

(١) في هامش «أ»: «لعله الاثنين».

وفي الثلاثاء سادس عشرينه وصل السيد الشريف إميان أمير المدينة الشريفة وطلع إلى السلطان، فنزل له السلطان من على الدكة ومشى إليه خطوات يسيرة، وأكرمه وأخلع عليه وأركبه // من الحوش السلطاني . [٦٥]

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه رسم بإطلاق الأمير قيز طوغان من حبسه بقلعة دمشق بشفاعة نائب الشام، ورسم - أيضاً - بمجيء كسباي المؤيدي الدوادار من طرابلس إلى القاهرة بشفاعة الأمير جرباش الكريمي أمير مجلس.

وفي العشر الأخير منه توفي الأمير أسنباي الظاهري برقوق الزردكاش وفرق إقطاعه .

شهر ربيع الأول

أوله الأحد. فيه رسم بتبقية الأمير قيز طوغان في الحبس، وردت المراسيم التي كتبت بإطلاقه .

وفي يوم الاثنين ثانيه عاد الأمير جلبان نائب الشام إلى محل كفالته.

وفي يوم الثلاثاء ثالثه عزل الأمير عبد اللطيف مقدم المماليك السلطانية بسبب أن السلطان طلب المماليك الأجلاب ليفرّق عليهم رماح اللعب فامتنعوا.

وفيه ورد الخبر من الأمير تمرباي بأن العرب بالوجه القبلي دخلوا تحت طاعة السلطان ولبسوا الخلع ، وأن العرب العاصية ومن تابعهم فروا ونزحوا عن البلاد .

وفي يوم الأربعاء رابعه كتب جواب تمرباي بأن يقيم هو ومن معه إلى أن يرد عليه المرسوم الشريف بالحضور.

وفي يوم الخميس خامسه ولى الأمير جوهر النوروزي نائب مقدم المماليك تقدمة المماليك السلطانية عوضاً عن عبد اللطيف العثماني، واستقر عوضه في نيابة المقدم الأمير مرجان العادلي المحمودي.

وفي ليلة الأحد ثامنه نقب سجن الرحبة وهرب بعض المحبوسين، فمسك البعض وفاز البعض.

وفي السبت حادي عشرينه ولي أبو الخير النحاس نظر الكسوة عوضاً عن قاضي القضاة ولي الدين السفطي.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه عزل شيخ الإسلام قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري نفسه عن القضاء، ثم أعيد في يوم الاثنين ثالث عشرينه.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين. فيه رسم بنفي سنقر الظاهري جقمق الخازندار إلى طرابلس.

وفي يوم الأربعاء ثالثه عزل قاضي القضاة ولي الدين السفطي من قضاء الشافعية.

وفيه شفع في سنقر - المذكور - وأعيد إلى ما كان عليه.

وفي يوم الخميس رابعه ولي برهان الدين إبراهيم بن ظهير نظر الإسطبل عوضاً عن القاضي برهان الدين إبراهيم بن الديري // واستقر بدر الدين ولد [٦٦] ابن ظهير في نظر الزردخاناه عوضاً عن والده برهان الدين المذكور.

وفيه وصل الأمير تمرباي رأس نوبة النوب من بلاد الصعيد بطلب وأخلع عليه، وحضر صحبته الأمير إسماعيل بن عمر الهواري.

وفيه ولي الشيخ يحيى المناوي تدريس الشافعي عوضاً عن ولي الدين السفطي.

وفي يوم السبت سادسه أمر السلطان بحضور شمس الدين الكاتب إلى المدرسة الصالحية ليدعي عليه بأنه وقع في حق الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وغير ذلك، فأحضر، وادعى عليه عند القاضي ناصر الدين ابن المخلطة المالكي، وثبت عنده ما نسبه إلى الغزالي، فأمر القاضي بكشف رأسه وسجنه وذهابه إلى السجن ماشياً.

وفي يوم الأحد سابعه طلب حافظ العصر شهاب الدين ابن حجر وأعيد إلى قضاء الشافعية ومشيخة الخانقاه البيبرسية والنظر على أوقافها بعد عزل القاضي ولي الدين السفطي.

وفي يوم الاثنين ثامنه لبس ابن حجر تشريف الولاية، ونزل إلى الصالحية.

وفيه خلع على الأمير إينال العلائي الأتابكي فوقاني بطرز ذهب بنظر البيمارستان المنصوري على العادة.

وفيه أُخرج شمس الدين الكاتب من السجن وأُمر بنفيه إلى حلب.

وفي يوم الثلاثاء تاسعه لبس الشيخ يحيى المناوي خلعة تدريس الشافعي وتوجه إلى هناك ودرس.

وفيه أُعيد شمس الدين الكاتب إلى السجن بسبب أنه ادعى عليه أنه وقع في حق النبي ﷺ.

وفي يوم الأربعاء عاشره نزل نقيب الجيش محمد بن أبي الفرج إلى السجن وأخذ شمس الدين الكاتب وتوجه به إلى الجامع المؤيدي لسماع الدعوى عند قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري الحنفي.

وفي يوم الخميس حادي عشره لبس أبو الخير النحاس نظر البيمارستان المنصوري عوضاً عن ولي الدين السفطي.

وفيه أُخلع على زين الدين يحيى الأستادار كاملية بسمور على عادته، وعلى عبد الله الكاشف بالوجه الشرقي فوقاني باستمراره.

وفي يوم السبت ثالث عشره رسم بأن يتوجه شمس الدين الكاتب إلى منزله ويقيم عشرة أيام يتهيأ فيها إلى التوجه للقدس الشريف ليقيم به.

وفي يوم الأحد رابع عشره رسم بأن يتوجه الشهابي أحمد الكاشف إلى دمشق ويقيم بها.

[٦٧] وفيه ورد الخبر بأنه حصل بين // نائب القدس الأمير تمراز البكتمري المؤيدي المصارع وبين الناظر أمين الدين عبد الرحمن بن الديري قتال عظيم بآلة الحرب بسبب أبي طبر، وبرز الأمر السلطاني بالكشف عن ذلك على يد السيفي كزل القردمي.

وفي يوم الاثنين لبس القاضي ولي الدين السفطي كاملية أخضر بسمور

بعد أن حمل خمسة آلاف وخمسمائة دينار، بسبب أنه ادعى عليه أنه تناولها من وقف الكسوة لما كان ناظراً على أوقافها.

وفي الثلاثاء سادس عشره لبس الشيخ على المحتسب كاملية خضراء بسمور، خلعة الاستمرار على وظيفة الحسبة.

وفيه رسم بأن يقيم شمس الدين الكاتب بالقاهرة، وأعيد له ما كان بيده.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره طلع قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر إلى القلعة ولبس خلعته على العادة، ومعه القضاة والفقهاء.

وفي يوم الخميس ثامن عشره لبس الأمير دولات باي الدوادار الثاني كاملية بسمور بنظر الخانقاه البيبرسية.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره حضر شهاب الدين أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين القاياتي مشيخة البيبرسية.

وفيه سافر أحمد الكاشف إلى دمشق.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه توفي الصاحب كريم الدين عبد الكريم معزولاً.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه عزل الأمير تمراز البكتمري المصارع من نيابة القدس، وعين أسنبغا الكلبكي، ثم تغيّر ذلك لعدم أهلية أسنبغا المذكور، ووقع القرار بالتربص حتى يحضر كزل المتوجه لكشف الخبر.

وفي يوم الجمعة سادس عشرينة توفيت سورباي الجاركسية[1] ـ حظية السلطان الملك الظاهر جقمق ـ ببولاق بعد أن أقامت أياماً للنزهة لما طال مرضها، ودفنت من الغد. وكانت جنازتها حافلة، مشى فيها الأمراء المقدمون الألوف وغيرهم من بولاق إلى مصلى المؤمني، وصلى عليها السلطان، وأسف عليها أسفاً عظيماً، ودفنت بتربة الأمير قاني باي الجاركسي تحت القلعة بجوار دار الضيافة.

(١) في هامش «أ»: «بالبربخية ببولاق».

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه وصل جانم الدوادار المعروف بخمسمائه من سفره بدمشق إلى القاهرة ـ انتهى .

جمادى الأولى

أوله الأربعاء .

ففي يوم الخميس ثانيه ولي قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر تدريس الشافعية بالمدرسة الصالحية والنظر على أوقافها .

وفي يوم السبت رابعه عقد مجلس للقاضي بدر الدين محمود بن عبيد الله الحنفي بين يدي السلطان، وادعى عليه بأن شخصاً كان يقرأ في كتاب رياض الصالحين للنووي فيما يتعلق بالبعث وكيفياته، فقال: هل يصح هذا ؟ أو: لا يصح . وفوض أمره للقاضي الحنبلي، فشهد عليه أربعة، منهم محجون أحمد بن
٦٨] فرج بن أزدمر، والأمير تغري برمش الزردكاش // وجدد القاضي إسلامه
وحقن دمه .

وفيه تحولت خوند الكبرى مغل بنت البارزي من القاعة الكبرى إلى البربرية، وأخبر السلطان أنه طلقها من نحو الثمانية أشهر، وذكر أنها كانت السبب لقتل سورباي بالسحر.

قلت: وحاشاها من ذلك ـ انتهى .

وفي يوم الأحد خامسه ولي عظيم الدولة القاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف نظر الخانقاه الجمالية(١) شريكاً لسارة بنت الواقف، عوضاً عن السفطي .

وفي يوم الخميس تاسعه ولي أبو عبد الله البيدمري قضاء المالكية بدمشق عوضاً عن شهاب الدين أحمد التلمساني .

---

(١) المدرسة الجمالية: أنشأها الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي، وجعلها مدرسة للحنفية، وخانقاه للصوفية، وتقع بين حارة الفراخة وقصر الشوك .
راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣، علي مبارك. الخطط ج ٦ ص ٥٠ .

وفي يوم السبت حادي عشره ورد الخبر بوفاة شاهين الدوادار السيفي طوغان نائب قلعة دمشق، وعيّن العلاء علي بن عبد الله الزردكاش للحوطة على موجوده.

وفيه وصل كزل القردمي المتوجه للكشف عن ما يتعلق بنائب القدس وعلى يده محضر بما وقع بينهما.

وفي يوم السبت ثامن عشره وصل أمين الدين عبد الرحمن بن الديري منفصلاً، واستمر تمراز على نيابة القدس.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه ولي شمس الدين الحموي الموقع نظر القدس عوضاً عن القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري.

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه ولي الأمير قاني باي الحمزاوي نيابة حلب عوضاً عن الأمير تنم بحكم عزله وقدومه إلى القاهرة على إقطاع قاني باي المذكور، وسفر قاني باي الحمزاوي الأمير يونس نائب قلعة الجبل، فصالحه السلطان عن قاني باي المذكور.

وفيه استقر الأمير بيسق اليشبكي أحد أمراء العشرات بالقاهرة في نيابة قلعة دمشق بعد موت شاهين الطوغاني، وفرق السلطان إقطاع بيسق على كسباي المجنون المؤيدي الدوادار وغيره.

وفي يوم الأربعاء عشرينه، الموافق لسادس مسرى أحد شهور القبط أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، ونزل المقام الفخري عثمان لفتح الخليج وتخليق المقياس على العادة. وكانت القاعدة في هذه السنة ستة أذرع وثمانية عشر إصبعاً على ما سيأتي ذكره، ولله در الشيخ برهان الدين القيراطي[1] حيث يقول:

---

(١) هو «برهان الدين، إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر»، ت ٧٨١ هـ/ ١٣٧٩ م.
له ترجمة في: التقي الفاسي. العقد الثمين ج ٣ ص ٢١٧ - ١٢٩ تر ٧٠٢، المقريزي. السلوك ج ٣ ص ٣٧٤، ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠١ تر ٨، الدرر الكامنة ج ١ ص ٣١ تر ٧٧، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٨ تر ٤٠، المنهل الصافي ج ١ ص ٨٩ - =

ذا النيل ما يبرح في سعده وحاله الماشي ما حالا
[٦٩] // يجري لنا ماض ومستقبلا لا أوقف الله له حالا

[السريع]

وفي يوم الخميس سلخه لبس الأمير يلبغا (خلعة) نيابة ثغرد دمياط عوضا عن بيسق اليشبكي.

جمادى الآخرة

أوله الجمعة.

ففي يوم الأربعاء سادسه وصل الأمير جانبك الظاهري شاد بندر جده إلى القاهرة.

وفي يوم الخميس سابعه توفي الناصري محمد بن أمير على نديم السلطان.

وفي يوم الاثنين حادي عشره برز الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب إلى محل كفالته.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه لبس تقي الدين ابن عز الدين الصيرفي (خلعة) قضاء الشافعية بطرابلس.

وفيه وصل محب الدين ابن الشحنة قاضي حلب إلى القاهرة.

وفي السبت ثالث عشرينه طلع ابن الشحنة إلى السلطان وخلع عليه كاملية بسمور.

وفيه - أيضاً - خلع على القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري كاملية بسمور.

= ٩٥ تر ٤١، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٥٥، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٧٢ تر ٨٠، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

وفيه تغير خاطر السلطان على شخص يدعى أسد الدين الكيماوي لطول مدة عمله ولم يظهر له نتيجة، وأمر السلطان بإطلاق التاجر ابن شمس وخلاصه منه.

وكان من أمر الكيماوي وابن شمس، أن الكيماوي كان قد نصب على ابن شمس ـ المذكور ـ وأخذ منه جملاً مستكثرة، ثم كتب عليه مسطوراً بألفي دينار، فلما وقع بينهما طالبه الكيماوي بألفي دينار وطلع به بعض المناحيس إلى السلطان وقال عنه إنه يعمل الكيمياء، فغرَّ السلطان الطمع واحتاج أنه يسمع مقالته، فأول ما حكم في ابن شمس المذكور، ومشى له ذلك، وأمر الكيماوي مع ابن شمس يطول الشرح في ذكره، فلما سمع السلطان كلام الكيماوي وظن أنه يحسن ما ذكره من عمل الكيمياء رسم على ابن شمس حتى أخذ منه لأسد الدين الألفي دينار، وأخلى له مكاناً يعمل فيه الكيمياء، وصار أسد الدين يحكم في السلطان وفي حواشيه بعدما كان يحكم في ابن شمس، ومن جملة حكمه أنه قال: لأي شيء أعيان مباشري الدولة ما تتردد إليّ في مكاني؟ فأمرهم السلطان بالتوجه إليه، فتوجه الجميع إليه، وجلسوا بين يديه، فكلمهم بتعاظم زائد إلى الغاية، وصار لا يتكلم معهم إلّا بترجمان.

ولما أخذ من ابن شمس الألفي دينار بلغه عن ابن شمس أنه قال: عن قريب يظهر للسلطان كذب أسد الدين. فقال أسد الدين: ما أعمل شيئاً حتى ينفي ابن شمس إلى القدس.

وكان وقع له مع ابن شمس // ما يشبه هذه القضية، وهو أن امرأة ابن [٧٠] شمس قالت لزوجها ابن شمس: والله، هذا يكذب، ولو كان هذا يعرف علم الكيمياء لكان سيداً غنياً ولا يحتاج إلى أحد. فبلغ الكيماوي كلام المرأة، فقال لابن شمس: لا أعمل لك شيئاً حتى تطلّق زوجتك. فتوقف ابن شمس عن طلاق زوجته، فقالت له زوجته: طلقني ولا تخلي له عذراً، فطلّقها.

ولما أُخرج ابن شمس إلى القدس وطال الأمر على السلطان، وبلغه ما فعل أسد الدين بابن شمس تحقق أنه كاذب، وأنه لا يحسن شيئاً، ولكنه صار يتتبع كلامه.

وفي الجمعة ثاني عشرينه أمر بسد باب جسر بشباي المطل على بركة الرطلي، وأن ينتقل السكان منه، وتوجه نائب الوالي إلى هناك مع ظلمته، وحصل للناس بذلك تشويش كبير، وبعض نهب، وهدم آلات الحوانيت التي بالجسر.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه توفيت ست الملوك بنت الملك الظاهر ططر، زوجة يشبك الأتابكي، ودفنت من الغد.

وفي يوم الأحد رابع عشرينه عزل تمراز المصارع عن نيابة القدس وأمر بنفيه إلى دمشق، ثم شفع فيه وأعيد بعد أيام، وأنعم بإقطاعه الذي بالقاهرة على السيفي أزبك من ططخ الساقي، وصار من جملة أمراء العشرات، واستقر بخشقدم السيفي سودون من عبد الرحمن في نيابة القدس عوضاً عن تمراز، واستقر إينال الخاصكي ساقياً عوضاً عن أزبك المذكور.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه عزل الحافظ شهاب الدين ابن حجر عن قضاء الشافعية.

وفيه نودي بسكنى جسر بشباي وفتح بابه على العادة.

وفيه نودي على الفلوس أن الرطل يكون بستة وثلاثين درهماً.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه ولي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني القضاء عوضاً عن ابن حجر.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه كسفت الشمس من قُبيل الظهر إلى بعد الزوال بنحو ثلاثين درجة، وصلى للكسوف بالجامع الازهر.

شهر رجب

أوله السبت.

ففي يوم الاثنين ثالثه رسم بإطلاق الأمير إينال الأبو بكري الأشرفي من
[٧١] حبس صفد وتوجهه إلى القدس // بطالاً.

وفيه وقت العصر توفي الشيخ زين الدين رضوان مستملي الحديث، ودفن من الغد

وفي يوم الأربعاء خامسه منع السفطي من طلوع القلعة والاجتماع بالسلطان.

وفي يوم الاثنين عاشره لبس القاضي كمال الدين البارزي ـ كاتب السر ـ كاملية بسمور.

وفي يوم الخميس ثالث عشره رسم بتوجه القاضي ولي الدين السفطي إلى بيت قاضي القضاة الحنفي للدعوي عليه، فتوجه إلى القاضي، وادعى عليه بحقوق كثيرة شرعية، فحلف ثلاثة أيمان واعترف بالبعض، ثم نقل إلى قاضي القضاة المالكي وادعى عليه بين يديّ المالكي بدين فصالح المدعي على ثلاثمائة دينار.

وفي يوم الجمعة تحوّلت خوند بنت الأمير جرباش إلى قاعة العواميد الكبرى عوضاً عن بنت البارزي.

وفيه منعت اليهود والنصارى من طب أبدان المسلمين.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه لبس الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم كاملية بسمور بسبب الجسور.

وفيه لبس القاضي بدر الدين ابن قاضي بعلبك (خلعة) نظر جيش صفد عوضاً عن ابن القف.

وفيه عزل الشيخ ولي الدين السفطي من مشيخة الجمالية ودرس التفسير بها.

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه رسم بمجيء السفطي إلى بيت قاضي القضاة الشافعي لأن يدعي عليه الزيني قاسم الكاشف بسبب حمامه التي بباب الخرق، التي كان أخذها منه السفطي، فحضر وادعى عليه بأنها وقف، وأن الشراء لم يصادف محلًا، وأنه أكرهه على تعاطي البيع، وخرج على إثبات ذلك. ولما خرج السفطي من بيت القاضي عارضه شخص آخر ومسكه وادعى عليه أنه غصب منه خشباً وغيره، فأنكر السفطي، فطلب تحليفه والتغليظ عليه.

وفيه طلع أسد الدين الكيماوي إلى السلطان وأكرمه السلطان، وذكر أنه

صادق فيما ادعاه، وأنه يفعله سريعاً. وكذب والله الذي لا إله إلّا هو.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه آعيد السفطي إلى مشيخة الجمالية ودرس التفسير بها، وحضر.

وفيه لبس زين الدين يحيى **الآستادار** كاملية بسمور.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه أمر السلطان الأمير ناصر الدين ابن أبي
[٧٢أ] الفرج نقيب الجيش أن يأخذ السفطي ويذهب // به إلى بيت قاضي القضاة الشافعي لسماع بينة الإكراه منه لقاسم الكاشف في بيع الحمام، فتوجه السفطي وذكر أن له دافعاً، وخرج ليبديه.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه تولى أبو الخير النحاس نظر المواريث المتعلقة بالوزير.

وفي يوم الأحد سلخه بعد العصر برز المرسوم الشريف على لسان قاني بك السيفي يشبك بن أزدمر الدوادار إلى ولي الدين السفطي بتوجهه إلى حبس المقشرة، فأخذ المذكور وذهب به إلى حبس المقشرة، فحبس بها مع أرباب الجرائم، ولو ظفر به العوام يومئذ لقتلوه في الطريق قبل أن يصل إلى المقشرة.

وذلك بسبب امتناعه من التوجه إلى بيت قاضي القضاة الشافعي لما طلبه ليعذر فيما قامت به البينة بسبب حمام قاسم الكاشف، كل ذلك وهو يعاند ويعتذر.

ومن لطيف ما وقع له لما دخل إلى حبس المقشرة ودام به، دخل إليه بعض الناس وخاطبه بـ: «يا مولانا قاضي القضاة». فقال له السفطي بعدما استغاث: «تقول لي قاضي القضاة؟ قل: يا لص، يا حرامي، يا مقشراوي». فقال له المتكلم: المرسوم مرسومك. (يا لص، يا حرامي، يا مقشراوي)[1]

---

(١) ساقط من الأصل، مثبت من النجوم الزاهرة للمؤلف ج ١٥ ص ٣٨٥.

أوله الاثنين.

فيه وصل الأمير تنم المؤيدي نائب حلب ـ كان ـ إلى القاهرة، وطلع إلى السلطان، فأخلع عليه وأجلسه تحت أمير سلاح فوق بقية الأمراء، وأنعم عليه بإقطاع الأمير قاني باي الحمزاوي، وأنعم عليه بفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش.

وفيه أخرج ولي الدين السفطي من حبس المقشرة، وذهب ماشياً إلى بيت قاضي القضاة الشافعي حسب المرسوم الشريف، ثم توجّه راكباً إلى المدرسة الصالحية، وحضر قاضي القضاة، ولم ينفصل أمر لعدم حضور الشيخ علاء الدين القلقشندي ومن عين معه من الشافعية لحضور المجلس.

وفيه توفي الشيخ أبو الفتح ابن وفاء، وصلى عليه بجامع عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ ودفن بزاويتهم بالقرافة(١).

وفيه صلى على برهان الدين العرياني(٢) بالجامع الأزهر، ودفن. وكان قد غرق آخر يوم الأربعاء سادس عشرين شهر رجب بمعدية فريج، وظهر يوم الثلاثاء بالسماسم بالقرب من خانقاه سرياقوس، ودفن هناك، فتوجه أقاربه وأتوا به إلى القاهرة // وقد انتفخ انتفاخاً زائداً وتغيّرت رائحته ـ رحمه الله تعالى. [٧٣]

وفي يوم الثلاثاء ثانيه أطلق السفطي من الترسيم والإقامة بقبة الصالحية، وأمر بتوجهه إلى بيته وبتبقية حكم القاضي الحنفي له بصحة بيع الحمام.

وفيه أعيد إلى الوزير نظر المواريث المتعلقة به التي كان قد أخذها أبو الخير النحاس، وكذا نظر السواقي التي كانت بيد النحاس.

---

(١) زاوية آل أبي الوفاء، أو جامع السادات الوفائية: تقع في سفح المقطم، شرقي جامع الإمام الشافعي.
راجع بشأنها: علي مبارك. الخطط ج ٥ ص ١٣٨ ـ ١٤٦.

(٢) هو «أبو الوفاء، إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن القاسم بن صالح بن هاشم».
له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧، الضوء اللامع ج ١ ص ٧٠ ـ ٧١.

وفي يوم الاثنين برز المرسوم الشريف إلى قاضي القضاة بدر الدين الحنبلي بطلب ولي الدين السفطي والترسيم عليه، وسماع الدعوى عليه بسبب الحمامين والفرن والدكاكين التي بحارة زويلة، فإنه ظهر أنهم وقف على المدرسة الطيبرسية(١).

وفي يوم الخميس حادي عشره لبس الوزير كاملية مخمل أحمر بسمور بسبب المواريث والسواقي.

وفي يوم السبت ثالث عشره رسم بتوجه ولي الدين السفطي إلى حبس المقشرة ثانياً بسبب الدكاكين والحمامين التي بحارة زويلة، ثم شفع فيه، ووجد في كتاب وقف الطيبرسية المتصل ثبوته، أنهم من جملة أوقاف الطيبرسية.

وفي يوم الأحد رابع عشره توفي أحمد بن نوروز شاد الأغنام، وأنعم بإقطاعه على سيدي أحمد ولد المقام الشريف من بنت السلطان مراد بك بن عثمان سلطان الروم، واستقر مكانه أمير الركب الأول قانم من صفر خجا المؤيدي المعروف بالتاجر.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره ضرب شهاب الدين أحمد المدّني، الذي ادعى أنه وكيل السلطان بين يدي قاضي القضاة المالكي بالمدرسة الصالحية ما يزيد على مائة سوط، وجعل في رقبته زنجير، وحبس بحبس الديلم، بسبب ما ادعى به على شمس الدين الكاتب، ولم يثبت عليه شيء، وذلك في مجلس القاضي ناصر الدين ابن المخلطة، بحضور قاضي القضاة المالكي كما ذكرناه. وما ربك بظلام للعبيد.

وفيه حصل مطر عظيم، ونزلت صاعقة قتلت شخصاً من الأجناد بزربية قوصون بساحل جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية.

---

(١) المدرسة الطيبرسية: أنشأها سنة تسع وسبعمائة بجوار الجامع الأزهر «علاء الدين طيبرس» - الخازندار، نقيب الجيوش، وجعلها مسجداً، زيادة في الجامع الأزهر، مقرراً بها درساً للشافعية وإماماً راتباً، وقد جُعِل لها خزانة كتب، وميضأة، وحوض ماء سبيل، وبسط منقوشة.
راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٣٨٣، علي مبارك. الخطط ج ٦ ص ٩.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره لبس السلطان القماش الصوف الملون ـ أعني قماش الشتاء ـ وألبس الأمراء على العادة.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه عقد مجلس بين يدي السلطان بالقاضي الشافعي والشيخ علاء الدين القلقشندي والشيخ شرف الدين يحيى // المناوي [٧٤] وبعض جماعة من علماء الشافعية بسبب الخطيب جمال الدين عبد الله بن جماعة المقدسي شيخ الصلاحية بالقدس، لما قيل: إنه غير أهل للتدريس، وإنه كتب على فتاوى كثيرة غلطاً. وسبب ذلك كله السراج الحمصي، فإنه سأل إحضاره والمناظرة معه، فحضر الجماعة المذكورون والخطيب وتأخر الحمصي عن الحضور، فغضب السلطان على الحمصي، وأبقى الخطابة مع ابن جماعة المذكور، وأمر بأن لا يمكن الحمصي من الطلوع إلى القلعة.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه أمر السلطان بأن يجعل ابن النويري القاضي بحلب قبل تاريخه في الحديد، ويتوجه إلى حلب بسبب دعوى ابن النصيبي(١) عليه.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه عزل بدر الدين ابن قاضي بعلبك من نظر صفد واستقر ابن القف على عادته.

وفي يوم السبت سابع عشرينه ادعى على الشيخ ولي الدين السفطي بمجلس القاضي ناصر الدين ابن المخلطة المالكي بحضور قاضي القضاة الحنبلي بسبب الحمامين وما معهما، وخرج على الاعتذار بأن يبين الناقل عن الوقفية.

وفي يوم الأحد ثامن عشرينه لبس الخطيب جمال الدين ابن جماعة ـ شيخ الصلاحية ـ خلعة الاستمرار، وتوجه في يوم الثلاثاء سلخه إلى القدس.

---

(١) هو «شرف الدين، أبو بكر بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن أحمد الحلبي الشافعي» ت ٨٦٣ هـ/ ١٤٥٩ م.
له ترجمة في السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٨٦ ـ ٨٧ تر ٢٢٩.

أوله الأربعاء.

فيه وصل البدري حسن بن المزلق ناظر جيش دمشق إلى القاهرة.

وفيه حضر السفطي وغرماؤه والقاضي ناصر الدين ابن المخلطة عند القاضي الحنبلي، وانفصل المجلس على غير طائل، وادعى السفطي أن السلطان رسم بأن لا يدعي عليه عند ابن المخلطة، وكان ذلك غير صحيح. ثم صالح جهة الوقف بألف دينار.

وفي يوم الجمعة ثالثه توفي الأمير تغري برمش الفقيه بالقدس الشريف بالطاعون بطالاً.

وفي يوم السبت رابعه لبس ولي الدين السفطي كاملية بسمور، وحمل أربعة آلاف دينار.

وفيه أراد المماليك الجلبان إيقاع فعل بالآستادار ونهب بيته، ففطن لها الآستادار، فأقام بالدهيشة[1] ولم ينزل إلى بيته، وأرسل سريعاً حول جميع ما في داره وقفل دروبه.

ثم إن السلطان أرسل خلف قانصوة، وخلف جماعة، وضرب السلطان // قانصوة بالنمجاة[2] لأنه كان وقع بينه وبين الآستادار مشاجرة بسبب فلاحينه، [٧٥]
ثم أصلح بينهما، وألبس قانصوة سلاري سمور. « فيا نفس، جدي إن دهرك هازل».

ولما لبس قانصوة السلاري[3] توجه إلى المماليك الجلبان ليرجعهم عن

---

(١) الدهيشة: قاعة كبيرة مرتفعة البناء، كانت مفروشة بأنواع البسط والمقاعد الزركش، بناها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وبلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم، سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرها من مستلزمات البناء.
راجع: المقريزي. السلوك ج ٢ ص ٢١٢، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٨٩ - ٩٠.

(٢) النمجاة، والنمها، والنمشا: تسمية فارسية معربة، تطلق على خنجر مقوس يشبه السيف القصير.

(٣) السلاري: قباء فوقاني كالمعطف، ضيق الكمين، وربما لبس تحت الفرجية، ينسب إلى الأمير

الأستادار، فسبقوه وقالوا: نحن ما فعلنا هذا لأجلك. ثم نزل الأستادار وصحبته الأمير قراجا الخازندار وغيره فوصلوه إلى بيته.

وفيه توفي الأمير صرغتمش القلمطاوي، وأنعم بإمرته على سنقر الخازندار، المعروف بالجعيدي زيادة على ما بيده، وهي حصة من جيبين القصر، وصار من جملة أمراء العشرات.

وفي يوم الثلاثاء سابعه طلع زين الدين الأستادار إلى القلعة وألبسه السلطان كاملية بسمور، ولما خرج من عنده أُخبر بأن المماليك السلطانية ينتظرونه، فعاد (و) دخل إلى دهليز البحرة التي بالحوش السلطاني من القلعة، وأرسل السلطان خلف أزبك الساقي وأسنباي الساقي وأمرهما أن يتوجها معه إلى أن يوصلاه إلى داره، فامتنع من ذلك خشية القتل، وقلع الخلعة، وتكلّم المذكوران مع المماليك الجلبان وسألا[1] أن يتركوه اليوم لأجلهما وبعد هذا يفعلون ما يريدون، فسكتوا عنه. ونزل إلى داره.

وفي يوم الخميس تاسعه عرض السلطان المماليك الجلبان وكلمهم بسبب الأستادار ولاطفهم كل الملاطفة.

وفي يوم السبت حادي عشره لبس زين الدين الأستادار كاملية ـ خلعة الإستمرار ـ ورد عدة إقطاعات إلى أربابها، التي كانت دخلت ديوان المفرد.

وفي يوم السبت ثامن عشره ورد الخبر بوفاة الشهابي أحمد الكاشف بالغربية ـ كان ـ بدمشق.

وفي يوم الاثنين حضر جماعة من أهل بلبيس وأخبروا بأنهم صاموا يوم الثلاثاء، وأن تغري بردي القلاوي الكاشف ادعى أنه رأى الهلال ليلة الثلاثاء بالجيزة، وذكر عن غيره ـ أيضاً ـ أنه رآه.

= «سلار» المستجد له زمن مخدومه «الناصر محمد بن قلاوون».

راجع: علي مبارك. الخطط ج ١٠ ص ٣٤، دوزي. المعجم المفصل ص ١٧٤، مايـر. الملابس المملوكية ص ٤٤.

(١) في «أ»: «وسألاه».

وفي العشر الأخير منه وصلت أخت السلطان الملك الظاهر جقمق من بلاد الجاركس.

شوال

أوله الخميس.

ففي يوم الخميس خامس عشره لبس الأمير تنبك حاجب الحجاب خلعة كشف التراب.

[٧٦] وفيه // ولي أبو اليمن النويري قضاء مكة عوضاً عن أبي السعادات ابن ظهيرة.

وفيه عُزل أبو عبد الله عن قضاء المالكية بدمشق، وتولى عوضه سالم.

وفي يوم السبت سابع عشره خرج المحمل إلى بركة الحاج، وأميره الأمير سونجبغا اليونسي الناصري، وأمير الأول قانم التاجر.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره رحل ركب المماليك من بركة الحاج وصحبتهم الشيخان العلّامة أمين الدين يحيى بن الأقصرائي شيخ الأشرفية، وعضد الدين عبد الرحمن بن السيرامي شيخ الظاهرية.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه رحل الركب الأول، ورحل المحمل عقيبه من الغد بعد أن أمطرت عليهم مطراً عظيماً.

وفي يوم السبت رابع عشرينه لبس يار على العجمي محتسب القاهرة خلعة الإستمرار - كاملية بسمور.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه رحل الأمير جانبك الظاهري شاد جدة بمن معه من حواشيه.

ذو القعدة

أوله السبت.

ففي يوم السبت خامس عشره تغيّر السلطان على العبيد الذين بالقاهرة، وذلك أن بعضهم هجم على حمام النساء بمنية عقبة، وأفتاه بعض الفقهاء بأنهم

يحاربون، فصمّم وأمر بمسك العبيد وإيداعهم السجن.

وفي يوم الاثنين سابع عشره أمر السلطان الشيخ راجح بن الرفاعي وجماعته بأنهم لا يفعلون في زواياهم ما لا يجوز كالمزمار والطار والشعيبية؛ تتضى مرسوم شريف سأله فيه أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وادعوا أنهم ادعوا على الشيخ راجح المذكور عند القاضي الحنبلي، وأنه حكم عليه بذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره استقر الأمير خير بك النوروزي حاجب صفد في نيابة غزة بعد عزل طوغان العثماني نائب غزة، ثم وصل الخبر بموت طوغان المذكور.

ذو الحجة

أوله الأحد.

ففي ليلته توفي المعلم محمد بن حسين الطولوني مهندس السلطان، وصلى عليه بسبيل المؤمني، وحضر السلطان الصلاة عليه.

وفي يوم الاثنين ثانيه لبس قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني كاملية بسمور باستمراره على وظيفة القضاء.

وفي يوم الثلاثاء ثالثه توفي الشريف أحمد النعماني.

وفيه ظهر الطاعون بالديار المصرية.

[٧٧] // وفي يوم الخميس خامسه لبس علي بن إسكندر ابن أخي زوجة كمشبغا الفيسي (خلعة) معلم السلطان عوضاً عن محمد بن الطولوني.

وفي يوم السبت حادي عشرينه رسم بالقبض على أسد الدين الكيماوي، ونزل الأمير دولا (ت) باي الدوادار الثاني وجانبك الوالي ونقيب الجيش فاحتاطوا على داره وأخذوا موجوده، فوجدوا له مائتين واثنين وأربعين ديناراً وبعض كتب قليل بالعجمي والتركي فيها يتعلق بالكيمياء، وأربعة قراريط ماس، وبعض قماش البدن، وحق فيه بعض حشيش ومعجون وجوزة طيب، وطلع به إلى السلطان، فجعل في رقبته جنزير وباشتان، ووضع في البرج.

وتغيّرت الخواطر الشريفة على يار على المحتسب ورسم عليه، فإنه كان هو الذي طلع به إلى السلطان ونوه بذكره وقوى عزم السلطان على تقريب هذا الكذاب.

وفيه استقر الحكيم ابن العفيف الشهير بقوالح في رياسة الطب والكحل بمفرده بعد عزل جماعة من هذه الوظيفة في رتبة مشايخ مشايخه.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه وصل مبشر الحاج العلائي علي بن عبد الله الخواجا الزردكاش، وأخبر أن الوقفة كانت يوم الاثنين بعرفات، وأن الأسعار متوسطة.

وفيه أخلع على القاضي علاء الدين علي بن محمد بن آقبرس باستقراره في حسبة القاهرة بمال[1] بذله عوضاً عن يَرْ[2] على العجمي الخراساني الطويل.

وفيه عقد مجلس بسبب أسد الدين الكيماوي بين يدي السلطان، ورأى قاضي القضاة بدر الدين ابن التنسي المالكي أن يحبس، فطيف به ونودى عليه وحبس بحبس المقشرة.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه وصل تمراز البكتمري المؤيدي المصارع نائب القدس ـ كان ـ إلى القاهرة، ورسم بإقامته بالقاهرة بطالاً.

وفي ليلة السبت ثامن عشرينه توفي شيخ الإسلام قاضي القضاة الحافظ شهاب الدين ابن حجر.

وفيه ولي الشيخ علاء الدين القلقشندي تدريس الحديث بجامع ابن طولون، وولي تدريس الفقه بالجامع المؤيدي الشيخ جلال الدين المحلي، وولي قاضي القضاة عَلم الدين صالح البلقيني تدريس المدرسة الصالحية والنظر عليها، وولي الشيخ شمس الدين ابن حسان تدريس الحديث بقبة الخانقاه البيبرسية. كل ذلك عوضاً عن ابن حجر بعد موته.

---

(١) في هامش «أ»: «حاشية: قيل: ثلاثة آلاف دينار».
(٢) تردد هذا الاسم في «أ» بين: «يار علي» و«ير علي».

وفيه عقد مجلس بالعلماء والقضاة بسبب // أسد الدين الكيماوي [٧٨] بحضرة السلطان، وادعى عليه بأمور منها أنه دهري، وأنه ينكر البعث. فقال قاضي القضاة المالكي: «مذهبي: تقبل توبته».. فانتدب شخص من فضلاء المالكية يقال له شمس الدين(١) الديسطي المالكي فقال: المذهب أنه زنديق. وساعده على ذلك أبو الفضل المغربي والشيخ أحمد الأبدي وغيرهم، وأوسع أبو الفضل الكلام في ذلك، وقال: إن أذن له بالحكم فعل. فأذن له القاضي المالكي والسلطان، ونزل الجميع إلى الصالحية، فلم يفعل في ذلك اليوم شيء.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - ستة أذرع وثمانية عشر إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) فى هامش «أ» : «حاشية: كان يؤدب الأطفال بالمقسم».

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكره على سبيل الاختصار

(١) توفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن خضر العثماني[١] الشافعي في ليلة الخميس خامس عشر المحرم.

وكان فاضلاً، ذكياً، تفقه بشيخ الإسلام قاضي القضاة ابن حجر[٢] وبغيره، ودرّس وأقرأ، وعدَّ من الفقهاء، إلاّ أنه كان دنس الثياب غير ضوئي، رحمه الله.

(٢) وتوفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن عثمان [الكوم] الريشي[٣] الشافعي في يوم الأربعاء حادي عشرين المحرم.

وكان له بعض اشتغال قديم مع توقف زائد في ذهنه، وآخر الأمر ترك الاشتغال بالعلم وتردد إلى أعيان الناس، وخرج في قالب الساخر بمجالس الأكابر لأجل البلغة والقوت.

---

(١) هو «إبراهيم بن خضر بن أحمد بن عثمان بن جامع بن محمد بن جامع بن محمد بن فوارة بن فضالة بن عكاشة بن يحيى بن إبراهيم»، له ترجمة في:
ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٥، السخاوي، التبر المسبوك ص ٢٢٢ - ٢٢٥، الذيل التام ق ٨٨ ب - ٨٩ أ، الضوء اللامع ج ١ ص ٤٣ - ٤٧.

(٢) راجع تر ٢٠ من هذه الحولية.

(٣) هو «شهاب الدين، أحمد بن عثمان بن محمد القاهري»، له ترجمة في:
ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٢٩ - ٢٣٠، الذيل التام ق ٨٩ ب، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢ - ٣ تر ٢.

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين آقطوة بن عبد الله الموساوي الظاهري،[١] بطالاً في ليلة الثلاثاء ثاني عشر صفر، وصلى عليه من الغد.

كان أصله من المماليك الظاهرية برقوق، وصار دواداراً صغيراً في الدولة المؤيدية شيخ، ثم تأمر بعد ذلك عشرة، وولي المهمندارية في الدولة الأشرفية برسباي، ثم جعله الملك الظاهر أمير طبلخاناه، ثم نفاه أولى وثانية إلى أن مات بطالاً مقهوراً بالقاهرة.

وكان تركي الجنس، بخيلاً، جباناً، عبوس الوجه، لا للسيف ولا للضيف - عفا الله عنه.

(٤) وتوفي الشيخ زين الدين عبد الرحمن السندبيسي[٢] الشافعي - أحد الفقهاء الشافعية - في ليلة الأحد سابع عشر صفر، ودفن من الغد، رحمه الله.

(٥) وتوفي الأمير سيف الدين أسنباي بن عبد الله الظاهري الزردكاش[٣] // - أحد أمراء العشرات - بالقاهرة في العشر الأخير من صفر. [٧٩]

وكان من أعيان المماليك الظاهرية برقوق، ثم صار زردكاشاً في الدولة المؤيدية شيخ إلى أن عزله الملك الأشرف بالأمير قجقار جقطاي[٤]، واستمر به على

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٤٤ تر ٥٠٩، المنهل الصافي ج ٣ ص ٦ - ٩ تر ٥١٠، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٥ - ٥٢٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٧، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٨ - ٣١٩ تر ١٠٢٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٢.

(٢) هو «زين الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن يحيى، السندبيسي، الشافعي». له ترجمة في:
السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤٢ - ٢٤٣، الذيل التام ق ٨٩ أ، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٥٠ - ١٥٢ تر ٣٩١، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٢.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٣١ تر ٤٥٩، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٣٢ - ٤٣٥، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٦ - ٥٢٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٧، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١١ تر ٩٨٠، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٢.

(٤) هو «قجقار بن عبد الله البكتمري الزردكاش»، ت ٨٣١ هـ/ ١٤٢٨ م. =

إمرة عشرة على عادته، ودام على ذلك دهراً، وولي نيابة ثغر دمياط غير مرة.

وكان من محاسن الدنيا، كان عارفاً بأحوال الممالك، أسر مع تيمورلنك سنين، وحظي عنده، وكان له إلمام بالتاريخ مما رآه، ومحاضرة حسنة وسكون، مع عقل وحشمة.

وقيل: إنه كان أصله من أشراف بغداد، وأُخِذ صغيراً - والله أعلم - وكنت أريد أن أسأله عن ذلك لأنه كان لي به صحبة، فأنساني الله ذلك.

ومات وهو في عشر التسعين تخميناً، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٦) وتوفي الصاحب الوزير كريم الدين عبد الكريم ابن الصاحب الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن شمس الدين عبد الله المصري المعروف بابن كاتب المناخ[(١)]

ولي الوزر سنين، وباشر الأستادارية وكتابة السر، وصودر وأُخِذَ منه نحو العشرين ألف دينار، ثم ولي كشف الوجه القبلي، ثم عُزِلَ وتوجه إلى بندر جدة بالبلاد الحجازية لضبط ما يتحصل من البندر رفيقاً للأمير يلخجا من مامش الناصري الساقي، ثم عاد وولي الوزر، واستمر فيه إلى أن تعلل ولزم الفراش أشهراً، واستعفى فأعفي واستقر عوضه الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم[(٢)]، واستمر هو في مرضه إلى أن توفي يوم الأحد حادي عشرين جمادي الآخرة.

= له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٧٨٨، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٨ ص ١٥٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣٤ - ٥٣٥ تر ١٨٣٢، المنهل الصافي مج ٣ ق ٩ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٢١١ تر ٦٩٩.

(١) هو «كريم الدين، عبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الله بن عبد الوهاب». له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٢٥ تر ١٤٦٧، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٣٥ ب - ٢٣٦ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤٣ - ٢٤٤، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٤ ص ٣١٣ - ٣١٤ تر ٨٤٨، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) هو «إبراهيم بن عبد الغني بن إبراهيم بن الهيصم».
راجع تر ٥ من حولية ٨٥٩ هـ.

وكان لا بأس به بالنسبة إلى أبناء جنسه من القبطة، عفا الله عنه.

(٧) وتوفيت سورباي(١) موطوءة السلطان الملك الظاهر جقمق وحظيته بعد مرض طويل في بولاق يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الآخر.

وكانت جاركسية الجنس، ووجد السلطان عليها وجداً عظيماً، رحمها الله تعالى.

(٨) وتوفي الأمير سيف الدين شاهين بن عبد الله الطوغاني(٢) نائب قلعة دمشق في جمادي الأولى بها.

وكان من مساوىء الدهر بخلاً وحمقاً وجبناً. كان أصله من مماليك الأمير طوغان الحسني(٣) الدوادار في الدولة الناصرية فرج، واتصل بخدمة الملك الظاهر جقمق في أيام إمرته // وصار دواداره، فلما تسلطن جعله من جملة الدوادارية [٨٠] الصغار، ثم ولّاه نيابة قلعة حلب، ثم عزله وولاه بعد مدة نيابة قلعة دمشق إلى أن توفي، وتولى نيابة القلعة من بعده الأمير بيسق اليشبكي(٤)، عفا الله عنه.

(٩) وتوفي الناصري محمد بن علي بن شعبان ابن الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون(٥) في يوم الخميس سابع جمادي الآخرة.

---

(١) لها ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤١، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ٦٦ تر ٤٠٣، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤١، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ تر ١١٣٨.

(٣) هو «طوغان بن عبد الله الحسني، الظاهري برقوق»، ت ٨١٨ هـ. / ١٤١٥ م.
له ترجمة في: ابن حجر. إبناء الغمر ج ٣ ص ٨١ تر ٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ تر ١٢٧٨، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٦٨، الجوهري. نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ تر ٥٣١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١١ - ١٢، تر ٤٠.

(٤) راجع تر ٢٥ من حولية ٨٥٣ هـ.

(٥) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٦٣ - ٦٦٤ تر ٢٢٨٠، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٧ - ٥٢٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٥١، الضوء اللامع ج ٨ ص ١٨٤ - ١٨٥ تر ٤٧٠، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٤.

وكان محمد ـ المذكور ـ في مبادىء أمره من جملة أولاد الأسياد، وبه فاقة عظيمة إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق داخله المذكور، فحظي عنده وصار من ندمائه، ونالته السعادة، وكثر ماله وأملاكه.

وكان بشوشاً متواضعاً، عارفاً بفن الموسيقا ورمي النشاب، كلاهما بحسب الحال، إلّا أنه كان بخيلاً جداً، ذاق الغنى بعد فقر، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(١٠) وتوفيت خوند ست الملوك بنت الملك الظاهر ططر[١] وزوجة الأتابكي يشبك السودوني[٢] في يوم السبت ثالث عشرين جمادي الآخرة، ودفنت من الغد.

وكانت من خيار الخوندات، وأمها خوند بنت سودون الفقيه[٣] أم الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر، وهم من بيت دين وعفة.

(١١) وتوفي الشيخ الإمام العلّامة المحدث الرحلة زين الدين رضوان بن محمد بن يوسف العقبي[٤] الشافعي مستملي الحديث في يوم الاثنين ثالث شهر رجب.

وكان فاضلاً، عالماً، مفنناً في كل علم، رحمه الله تعالى.

(١٢) وتوفي الشيخ المعتقد أبو الفتح ابن أحمد بن محمد[٥]، وفاء

---

(١) راجع: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤١، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ٥٨ تر ٣٤٨.

(٢) راجع تر ٢ من حولية ٨٤٩ هـ.

(٣) هو «سودون بن عبد الله الظاهري برقوق». له ترجمة في: ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٣١٦ تر ١٢، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٣٤ تر ١١٤٨، المنهل الصافي مج ٢ ق ١١١ ب ـ ١١٢ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ تر ١٠٧٢.

(٤) هو «زين الدين، أبو نعيم، رضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة بن البهاء بن سعيد». له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٠٥ تر ١٠٤٣، المنهل الصافي مج ٢ ق ٦٩ ب ـ ٧٠ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٨ ـ ٢٤١، الذيل التام ق ٨٩ أ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٩ تر ٨٥٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٥) هو «محمد بن أحمد بن محمد بن محمد، أبو الفتح الإسكندري». له ترجمة في: =

السكندري(١) الأصل، المصري المولد، المالكي المذهب، الشاذلي الطريقة، المعروف بابن وفاء في يوم الاثنين أول شعبان، وصلى عليه بجامع عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ ودفن عند والده وجده بالقرافة، وكانت جنازته مشهودة.

وكان إماماً عالماً واعظاً(٢) فقيهاً شاعراً أديباً مفنناً، من بيت فضل وعلم وصلاح ودين، ونظم ووعظ، وله شعر رائق ونظم فائق، وتوفي ـ رحمه الله ـ وسنه نحو الستين سنة تقريباً.

ومن شعره:

توجَّه نحوكم سري وجهري ... وجئت حماكم أسعى وأسرى
وألفيت الفؤاد لكم جميعاً ... وغير العشق فيكم لست أدري
// وقفت ببابكم عبداً فقيراً ... أرجي فضلكم لغناء فقري [٨١]
فمنوا سادتي كرماً وجوداً ... فحسن صنيعكم كنزي وذخري
ومنوني فلم أعرف سواكم ... على حبي لكم حشري ونشري
عرفت الله حين عرفتكم يا ... حياة الحي عرفاً دون نكر

ومن شعره ـ أيضاً: [الوافر]

يا من لهم بالوفا يشار ... بأنفسكم تعمر الديار
لخوفنا أنتم أمان ... لقلبنا أنتم قرار
بوبلكم جَدْبُنَا خصيب ... بوجهكم ليلنا نهار
لكم تُشَدُّ الرحال شوقاً ... وبيتكم حقه يُزَارُ

[مخلع البسيط]

= ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩، السخاوي التبر المسبوك ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٩٢ ـ ٩٣ تر ١٨٦، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٦.

(١) كذا فى الأصل، وفى النجوم الزاهرة للمؤلف (ج١٥ ص٥٢٨): «فتح الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن الشيخ وفاء الإسكندري».

(٢) كتبت فى «أ» : «ورعا»، ثم عدلت لتكون: «ورعظا» مما يتوهم معه المثبت فى المتن هنا.

ومنها:

لو جئت أسعى على عيوني   كـان لي السعـد والفخـار
لا تـنـسـبـوني إلى سـلـو   قـلبي عـليـه السـلو عـار
لـكـن لمـا رأى الأعـادي   علو قـدري في الحب غـاروا

وقال أيضاً:

شربت من حبكم كأساً حلا وصفا   معنى تحـير فيه كـل من وصفـا
فاستغرق الوجد أجزائي وقد مُلِئَت   من نور معناكم الأوفى هدى وشفا
لو جئت حيكم أسعى على بصري   لكـان لي غايـة التعـظيم والشـرفـا
تـالله، مـا نـظرت عيني لـوجهكم   إلاّ امتلأت سروراً واكتسيت صفا
ولا تـذكـرت أني عـبـد حبـكم   إلاّ طربت وأهدي الوجد لي تحفـا
روحي لكم لم تزل بالغيب شاهدة   والقلب عن حبكم والله ما انصرفا
سيرت عزمي وحال الشوق يصحبني   حتى انتهى بي إلى أبـوابكم وقفـا
ثم استقرّيت في أكناف حضـرتكم   قرير عـين بوصـل بعد طـول جفا

[البسيط]

وقال رضي الله عنا بـه:

لم يلق في حبكم همـاً ولا فـرقـا   عبـد ترقى إلى عَلْيـائِكم فَـرَقَـا
أشهـدتمـوه جمـالاً جـل عن شبـهٍ   فهام وجداً وعشقـاً فيه مـذ عشقا
فقلبـه لم يمـل يـومـاً لغيـركـم   وطـرفـه لسـواكم قط مـا رمقـا
والله يـا سـادتي يـا منتهى أمـلي   مـازال حبـكم ديني ولي خُلُقَـا
// ومـذ تخفق قلبي بالـوداد لكم   مـا حـل ساحتـه غم ولا طـرقـا [٨٢]
قـد طاف قلبي بهـذا الحي مستلما   ركن الأمان وفي عهد الوفا صـدقا
وبـالصفا والـوفـا يسعى لبيتكم   يـروم طـولاً عـلى تقصيره غـدقـا

[البسيط]

وهي أطول من هذه.

وله غير هذه القصائد كثير، ومن غرر قصائده - أيضاً - القصيدة التي أولها:

الروح مني في المحبة ذاهبه ... فاسمح بوصل لاعدمتك ذاهبه
عرفت أياديك الكرام بأنها ... تأسو الجراح من الخلائق قاطبه
قد خصك الرحمن منه خصائصا ... فحللت من أوج الكمال مراتبه
وبنورك الوضاح في غسق الدُّجَى ... أطلعت في فلك الوفاء كواكبه
ما زلت بالمعروف تعرف دائماً ... وتنيل من آوى إليك مطالبه
لم يبق في قلبي سواك من الورى ... كلا ولا فيه لغيرك شائبه
بك يمنح الله الوجود بجوده ... ويبث فيه عطاءه ومواهبه
وتطيب منك أصوله وفروعه ... وتعيش أرواح لبعدك ذائبه
ربع الوفاء بنور وجهك عامرٌ ... أعذبت للوراد منه مشاربه
وجميل سترك بالوفا عمَّ الورى ... فمن احتمى فيه سترت معايبه

[الكامل]

(١٣) وتوفي الشهابي أحمد بن نوروز الخضري[١] شاد الأغنام بالبلاد الشامية، وأحد أمراء العشرات بالديار المصرية في يوم الأحد رابع عشر شعبان، وتولى إمرة الركب الأول بعد موته قانم التاجر.

وكان أحمد هذا ممن أنشأه الملك الظاهر جقمق، وكان سالبة كلية من كل علم وفن، مسرفاً على نفسه، غير مشكور السيرة في أفعاله وحركاته، عفا الله تعالى عنه.

(١٤) وتوفي الأمير سيف الدين تغري برمش[٢] بن عبد الله الجلالي الناصري

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٩٤ تر ٣٢٩، المنهل الصافي ج ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢ تر ٣٣١، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٩ - ٥٣٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٦، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٤٠ تر ٦٥٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٩ تر ٧٦٧، المنهل الصافي ج ٤ =

ثم المؤيدي المعروف بالفقيه[1] - نائب قلعة الجبل - بالقدس بطالاً بالطاعون في يوم الجمعة ثالث شهر رمضان بالقاهرة، ورابع شهر رمضان بالقدس.

كان اشتراه الملك الظاهر جقمق من حلب لما كان جندياً وقدمه لأخيه [٨٣] جاركس القاسمي // المصارع، ثم اتصل بعد جاركس إلى الملك الناصر فرج، ثم ملكه الملك المؤيد شيخ بعده وأعتقه، وحفظ القرآن العزيز، وتفقه يسيراً إلى أن صار خاصكياً بعد موت الملك المؤيد، ووقع له (وقائع) ذكرناها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي إلى أن أمره الملك الظاهر جقمق عشرة، وجعله نائب قلعة الجبل بعد موت الأمير ممجق النوروزي[2]، فراج أمره في الدولة قليلاً، ثم ركضت ريحه وعمل عليه حتى أخرج إلى القدس بطالاً، ومات به.

وكان عنده فضيلة ومشاركة في فنون، وله يد في أسماء الرجال، وذكاء وحذق، رحمه الله تعالى.

(١٥) وتوفي الأمير سيف الدين صرغتمش القلمطاوي[3] - أحد أمراء العشرات - بالقاهرة في يوم السبت رابع شهر رمضان، وأنعم بإقطاعه على سنقر الخازندار الجعيدي زيادة على ما بيده من حصة بجيبين القصر.

كان أصل صرغتمش هذا من مماليك الأمير قلمطاي[4] الدوادار وتنقل في

= ص ٦٨ - ٧٤ تر ٧٦٩، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٠ - ٥٣٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٧ - ٢٣٨، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٣ - ٣٤ تر ١٤٣، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(١) «المعروف بالفقيه» مكررة في «أ».

(٢) نسبة إلى «نوروز الحافظي»، ت ٨٤٤ هـ/ ١٤٤٠ م. له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١٢٣٣، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١٥٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٧٠ تر ٧١٢.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٥٤ تر ١٢١٦، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٤٩ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤١، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٢٢ تر ١٢٣٥، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٧.

(٤) هو «قلمطاي بن عبد الله العثماني، الظاهري برقوق»، ت ٨٠٠ هـ. / ١٣٩٨ م. له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٤٨ - ٥٤٩، المنهل الصافي مج ٣ =

الخدم حتى صار من جملة أمراء العشرات.

وكان مهملاً جداً، بخيلاً، سيء الخلق، عفا الله تعالى عنه.

(١٦) وتوفي الشهابي أحمد الكاشف[١] منفياً بدمشق في شهر رمضان.

كان أصله من جملة العوام، وتنقّل في الخدم حتى ولي كشف التراب بالغربية، ثم حدثته نفسه لما أثري وكثر ماله بالأستادارية فعمل عليه زين الدين يحيى الأستادار حتى أخرجه إلى دمشق ومات بها، رحمه الله.

(١٧) وتوفي الأمير سيف الدين طوغان بن عبد الله العثماني[٢] نائب القدس ثم نائب غزة في ذي القعدة.

كان من مماليك الأتابك ألطنبغا العثماني[٣]، وتنقّل بعد موت أستاذه حتى صار خاصكياً، ثم ولي نيابة القدس سنين، وقمع أهل الفساد، ومهد البلاد، وأضيف إليه نظر الحرمين في بعض الأحيان، ثم عزل بعد سنين وتولى حجوبية الحجاب بحلب بعد موت قاني باي الجكمي في حدود سنة خمسين وثمانمائة، ثم نقل إلى نيابة غزة فباشرها إلى أن توفي بها.

وكان شجاعاً سفاكاً للدماء، رحمه الله وعفا عنه.

(١٨) وتوفي المعلم محمد بن حسين بن الطولوني[٤] مهندس السلطان // في [٨٤]

= ق ٢٦ أ - ٢٧ ب، النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ١٦٣.

(١) له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٦، الذيل التام ق ٩٠ أ.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٣ تر ١٢٨٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ٦٩ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٤١ - ٢٤٢، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٣ تر ٤٥.

(٣) هو «ألطنبغا بن عبد الله العثماني، الظاهري برقوق»، ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م.
له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٤٧٥، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٩ تر ٥، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٥٠ تر ٥٣٢، المنهل الصافي ج ٣ ص ٥١ - ٥٣ تر ٥٣٣، النجوم الزاهرة ج ١٤ ص ١٥٤ - ١٥٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٠ تر ١٠٣٣.

(٤) له ترجمة في: السخاوي. الذيل التام ق ٩٠ أ، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٨.

ليلة الأحد أول ذي الحجة، ودفن من الغد، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني.

وكان شاباً يتدين، وفيه لين مع طيش وخفة، رحمه الله.

(١٩) وتوفي السيد الشريف شهاب الدين أحمد النعماني(١) ـ المقيم بمصر القديمة ـ في يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة.

وكان متديناً صالحاً، رحمه الله.

(٢٠) وتوفي الشيخ الإمام، العالم العلامة، الحافظ، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، حافظ عصره، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد ابن الشيخ نور الدين علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، المصري، الشافعي، المعروف بابن حجر(٢)، قاضي قضاة الديار المصرية وحافظها.

---

(١) هو «شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن حسن بن علي بن عبد الكريم بن أحمد بن عبد الكريم بن أحمد بن هاشم بن العباس بن جعفر بن علي بن موسى بن محمد بن داود بن إدريس، القسطنطيني، المصري، الشافعي».
له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨، الذيل التام ق ٨٩ أ، الضوء اللامع ج ١ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) له ترجمة في: التقي الفاسي. ذيل التقييد ق ١٠٩ ب ـ ١١١ ب، ابن ناصر الدين. توضيح المشتبة ج ١ ق ١٨٨، ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج١ ق١٠٦ ب ـ ١٠٩أ، ابن الغزي. بهجة الناظرين ق ٨٨ ـ ٩٠، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٦ ـ ٣٤٢، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٦٤ تر ٢٢١، المنهل الصافي ج ٢ ص ١٧ ـ ٣٢ تر ٧٢٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٢ ـ ٥٣٤، البقاعي. عنوان الزمان ق ٣٥ ـ ٦٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٣٠ ـ ٢٣٦، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، الذيل التام ق ٨٨ ب، الذيل علي رفع الإصر ص ٧٥ ـ ٨٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦ ـ ٤٠ تر ١٠٤، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٦ تر ١٠٢، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨٠ ـ ٣٨٢، المنجم في المعجم ق ١٣٠ أ، نظم العقيان ص ٤٥ ـ ٥٣ تر ٣٤، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤ ـ ٤٥٧، طاش كبرى زادة. مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨، المكناسي. درة الحجال ج ١ ص ٦٤ ـ ٧٢ تر ٩٤، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣.
وراجع مؤلفاتنا: التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، ابن حجر العسقلاني مؤرخاً، المقريزي وكتابه درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة «دراسة وتعريف».

مولده في ثاني عشرين شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة[١]، وتفقه بعلماء عصره، وبرع في الحديث حتى صار إمام وقته ووحيد دهره وفريد عصره، وقال الشعر المليح الفائق، وأفتى ودرس وولى عدة وظائف دينية، ثم ولي قضاء الديار المصرية غير مرة، أول ولاياته بعد عزل قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني[٢] في سابع عشرين المحرم في سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وعزل غير مرة حسبما ذكرناه مفصلاً في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، وآخر ولاياته لما عزل بقاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني في خامس جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسين (وثمانمائة)، واستمر مصروفاً إلى أن توفي ليلة السبت ثامن عشرين ذى الحجة، وصلى عليه من الغد بمصلاة المؤمني، ومشت أعيان

(١) ورد لابن حجر شاهد شعري أرخ فيه لمولده، قائلاً:

«شعبانُ عام ثلاثةٍ من بعد سبعِ   مائةٌ وسبعينَ اتفاقُ المولدِ»

كما ورد في ترجمته لنفسه (رفع الإصر ق ٣٦ ب) أن مولده كان في «شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة».

وهو بهذا يسقط اليوم المولود فيه، ولذا اجتهدت مصادر ترجمته في تحديد ذلك اليوم، فوقع بينها اختلاف كبير، حيث أشار الشوكاني (البدر الطالع ج ١ ص ٨٨) إلى أنه ولد في الثاني من شعبان، كما أن البقاعي (عنوان الزمان ج ١ ق ٣٥ أ) والسيوطي (المنجم في المعجم ق ١٣٠ أ، نظم العقيان ص ٤٥) وابن العماد الحنبلي (شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٧٠) يجعلون مولده في الثاني عشر من شعبان، على حين أن ابن خطيب الناصرية (الدر المنتخب ج ١ ق ١٠٦ ب) وابن تغري بردي (الدليل الشافي ج ١ ص ٦٤، المنهل الصافي ج ٢ ص ١٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣) والسخاوي (الجواهر والدرر ق ٤ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦) وابن طولون (القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤) يجعلون مولده في الثاني والعشرين من شعبان ـ كما جاء هنا ـ أما ابن فهد المكي (لحظ الألحاظ ص ٣٢٦) وابن الغزي (بهجة الناظرين ق ٧٧ أ) فإنهما يشيران إلى أنه ولد في الثالث والعشرين من شعبان.

(٢) هو «علم الدين، صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الحق البلقيني»، ت ٨٦٨ هـ/ ١٤٦٤ م.

له ترجمة في: ابن حجر. رفع الإصر ج ٢ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩، ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٥١ تر ١٢٠٥، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٤٥ ب ـ ١٤٦ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤، السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ١٥٥ ـ ١٨٤، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣١٢ ـ ٣١٤ تر ١١٩٩، السيوطي. التحدث بنعمة الله ص ٥٢، حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥، المنجم في المعجم ق ١٩٨ ب، نظم العقيان ص ١١٩ تر ٩١، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٤١٩، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٠٧.

الدولة في جنازته من داره بالقرب من باب القنطَرة إلى الرملة، وحضر السلطان الصلاة عليه، وكانت جنازته مشهودة إلى الغاية. قال بعض الأذكياء: إنه حرز من شهد جنازته فكانوا نحو الخمسين ألفاً أو أكثر، وكان يوماً عظيماً على المسلمين، حتى على أهل الذمة. ولقد حكى لي من رأى اليهود والنصارى يبكون عليه، ودفن بالقرافة، ورثاه الشعراء.

وكان له ـ رحمه الله ـ اليد الطولى في النظم والنثر، ومات ولم يخلف بعده مثله.

ومن شعره ما أنشدني من لفظه لنفسه:

٨٤ب] // خليلي ولى العمر منا ولم نتب ... وننوي فعال الصالحات ولكنا
فحتى متى نبني بيوتاً مشيدة ... وأعمارنا منا تهد ولا تبنا

[الطويل]

ومن شعره أيضاً:

سألت من لحظه وحاجبه ... كالقوس والسهم موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه ... وانقوس الحاجبان واقترنا (١)

[المنسرح]

ومن شعره أيضاً:

أتى من أحبائي رسول فقال لي ... ترفق وهن واخضع تَفُزْ برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا ... فصار عزيزاً حين ذاق هوانا

[الطويل]

وله أيضاً في وقاد:

---

(١) في هامش «أ»: «وقت رنا».

أحببت وقاداً كنجم طالع أنزلته . برضى الغرام فؤادي
وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلي إن ملت [1] نحو الكوكب الوقاد

[الكامل]

وله ـ أيضاً ـ رحمه الله :

وأهيف حياني يطيب وصاله ومن ريقه الخمر الحلال حلالي
أدار [2] لي الكأسين خمراً وريقه ونزهني عن جفوة وملالي

[الطويل]

وله ـ أيضاً ـ القصيدة النبوية الفائية التي أولها :

إن كنت تنكر شوقاً زادني كلفا حسبي الذي قد جرى من مدمعي وكفي
وإن تشككت فأسأل عاذلي شجني هل بت أشكو الأسى والبث والأسفا
أحبابنا ويد الأسقام قد عبثت بالجسم هل منكم لي بالوصال شفا
كدرت عيشاً تقضي في بعادكم وراق مني نسيب فيكم وصفا
سرتم وخلفتم في الحي ميت هوى لولا رجاء تلاقيكم لقد تلفا
وكنت أكتم حبي بعدكم زمنا حتى تكلم دمع العين فانكشفا

[البسيط]

وهي مطولة جداً أضربنا عن باقيها خشية الإطالة [3] ولقد مدح النبي ـ ﷺ ـ بعده قصائد .

وأما مصنفاته فكثيرة استوعبنا غالبها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي [4] وغيره، رحمه الله .

* * *

---

(١) في «أ» : «إن مات» .
(٢) في «أ» : «إذا ولى»، والتصويب من المنهل الصافي للمؤلف ج ٢ ص ٣٠ .
(٣) راجع باقي القصيدة في المنهل الصافي للمؤلف ج ٢ ص ٣٠ ـ ٣١ .
(٤) نفسه ج ٢ تر ٢٢٣ ص ٢٣ ـ ٢٧ .

سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وأرباب الدولة على ما تقدم ذكره خلا من ذكرناه في وقته.

المحرم

أوله الاثنين.

ففي يوم الثلاثاء تاسعه شكا تمراز نائب القدس ـ كان ـ علي القاضي أمين الدين
[٨٦] عبد الرحمن بن الديري إلى// السلطان، وادعى أنه أثار فتنة بالقدس حصل بسببها قتال، وقتل من مماليك تمراز شخص، وأن ابن الديري نادي بقفل المسجد الأقصى، وبالجهاد في تمراز، وأنه كافر. فاستشاط السلطان من ذلك وأمر بوضع الجنزير في رقبة عبد الرحمن بن الديري وبإرساله إلى حبس المقشرة، فوضع في رقبته جنزير وذهب به، فشفع فيه، فقلع الجنزير من رقبته عند باب الجامع الذي بالقلعة، وأمر بحمله هو وخصمه إلى القاضي المالكي، فحملا إليه.

وفي الخميس حادي عشره ضربت رقبة أسد الدين الكيماوي بمقتضى أنه ثبت عند القاضي شمس الدين محمد الديسطي المالكي زندقته، ثم بعد ذلك ألحق في الأسجال أنه ثبت عنده أنه ملحد كاذب.

قلت: وقتل أسد الدين هذا كان من أكبر المصالح، فإن سيرته عند الأعاجم قبيحة لأمور ارتكبها في تلك البلاد، ووقع له ـ أيضاً ـ مع ألوغ بك بن

شاه رخ ما كان فيه ذهاب روحه، ولكن منيته ما كانت إلا بمصر.

وقد عظم قتل أسد الدين هذا على خلائق من الناس ممن لا يعرف حقيقة أمره، وزعموا أن بعد قتله وقع الوباء والغلاء والشراقي، وهذه الآفات وليس كذلك، وإنما كل ما تراه بقدر مقدور.

وفي يوم السبت ثالث عشره وقع الصلح بين تمراز وبين ابن الديري وأبي الخير النحاس في بيت ناظر الخاص، وأعطى كل[1] منهما فرساً مسزوجاً.

وفيه جاوز تعريف الأموات المائة في كل يوم.

وفي يوم الأحد رابع عشره توفي شهاب الدين الهيتي أحد الطلبة.

وفي يوم الاثنين خامس عشره توفي شهاب الدين المسطيهي أحد نواب الحكم.

وكان عدة التعريف في هذا اليوم مائة وستة عشر.

وفيه جاوزت مصلاة باب النصر المائة في اليوم، ولا عبرة بالتعريف في أيام الطاعون.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره وصل عدة التعريف مائة وأربعة عشر.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره جاءت العدة مائة واثنين وثمانين.

وفي يوم الجمعة وصل ركب المماليك المجاورين إلى القاهرة.

وفي يوم السبت عشرينه // دخل الركب الأول من الحاج إلى القاهرة [٨٧أ] وأميره الأمير قانم التاجر، ثم دخل من الغد ركب المحمل وأميره الأمير سونجبغا اليونسي الناصري، وكلاهما أمير عشرة.

---

(١) في «أ»: «كلاً».

أوله الأربعاء.

فيه عظم الطاعون بالديار المصرية، فكان عدة من يموت فيه زيادة على ألف نفس تقريباً، ولا عبرة بمن يرد الديوان من الأموات، فإن غالب الناس في عظيم الوباء يخرج الأموات من غير إطلاق على توابيت الأوقاف، فلهذا يكون التعريف في أيام الوباء لا عبرة به.

وفي يوم الأربعاء هذا توفي سيدي أحمد ابن السلطان [1] الملك الظاهر جقمق.

وفي يوم الخميس ثانيه توفي شيخ سعيد السعداء علاء الدين الكرماني.

وفي يوم الاثنين سادسه توفي الشريف حسن بن علي المعزول عن نقابة الأشراف.

وفيه توفي برهان الدين إبراهيم بن ظهير ناظر الإسطبل ودفن من الغد.

وفي أول هذا الشهر توفي الشريف علي بن حسن بن عجلان المعزول عن إمرة مكة بثغر دمياط، وورد الخبر بموته في يوم الجمعة عاشره.

وفي يوم الجمعة ـ المذكور ـ توفي الأمير تمراز أمير سلاح، ودفن من الغد، يأتي ذكره في آخر هذه السنة مع من مات فيها من الأعيان.

وفي يوم السبت حادي عشره توفي جماعة من الأعيان، وهم: بنت السلطان الملك الظاهر جقمق، وهي شقيقة أحمد وعمرها في التاسعة، وتمراز المتقدم ذكره (و) دفن في اليوم المذكور، وهو يوم السبت.

وفيه ـ أيضاً ـ ماتت بنت الخليفة المستكفي بالله.

وفيه مات الناصري محمد ابن الأمير طوغان الحسني الدوادار في الدولة الناصرية والمؤيدية شيخ.

---

(١) في هامش «أ»: حاشية: من «ابن أخت السلطان مراد بك بن عثمان».

وفيه مات خازندار القاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف.

فكان هذا اليوم من الأيام المهولة، تحيرت أعيان الدولة إلى من تتوجه من الجنائز.

وفي يوم الأحد ثاني عشر صفر أُعيد القاضي برهان الدين إبراهيم بن الديري إلى الإسطبل السلطاني بعد موت ابن ظهير.

وفي يوم الاثنين ثالث عشره توفي قاضي القضاة بدر الدين محمد التنسي المالكي.

[٨٨] وفيه استقر الأمير جرباش الكريمي الظاهري// ـ حمو السلطان ـ في إمرة سلاح بعد موت الأمير تمراز القرمشي، واستقر الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي المعزول عن نيابة حلب في إمرة مجلس عوضاً عن جرباش ـ المذكور.

وفيه ـ أيضاً ـ أنعم على الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الثاني بإمرة تمراز القرمشي، وهي تقدمة ألف بالديار المصرية، وأنعم بإقطاع دولات باي على يونس السيفي آقباي المشد، والإقطاع أمرة طبلخاناه، وأنعم بإمرة يونس، وهي إمرة عشرة على جانبك الظاهري رأس نوبة الجمدارية على السيفي مغلباي الساقي، وجعلهما كل واحد أمير عشرة، فإن عشرة يونس كانت تقارب الطبلخاناه.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره توفي أزبك الساقي الظاهري جقمق، وحضر الصلاة السلطان عليه.

وفيه ـ أيضاً ـ توفي الأمير إينال اليشبكي، يأتي ذكره في آخر السنة.

وفي يوم الخميس سادس عشره لبس الأمير تمربغا الظاهري (خلعة) الدوادارية الثانية على إمرة عشرة عوضاً عن دولات باي المحمودي المؤيدي بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف بالديار المصرية.

وفيه أُنعم بإقطاع الأمير إينال اليشبكي على قاني باي الساقي المؤيدي،

واستقر من جملة أمراء العشرات.

وفي يوم الجمعة سابع عشره توفي القاضي ولي الدين أبو اليمن محمد بن قاسم.

وفيه توفي الأمير إسماعيل بن عمر الهواري بالقاهرة.

وفي يوم السبت ثامن عشره توفي سيدي محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق وهو في الخامسة، وأمه أم ولد.

وفيه توفي الأمير قراقجا الحسني الأمير آخور الكبير، ثم توفي ولده في ذلك اليوم، فجهزا من الغد معاً. فكان في ذلك عبرة لمن اعتبر. وحضر السلطان الصلاة عليهما معاً، وكثر أسف الناس عليهما. وكان سن ولده يقارب العشرين سنة.

وفي يوم الأحد توفي السيفي جانم الظاهري جقمق الدوادار المعروف بجانم خمسمائة.

وفيه - أيضاً - ماتت خوند فاطمة بنت السلطان الملك الظاهر جقمق وعمرها في الخامسة، وأمها أم ولد.

وفي يوم الاثنين عشرينه كان أول خمسين النصاري(١).

[٨٩] وفيه // تناقص الطاعون تناقصاً ظاهراً، بل كان تناقص قبل ذلك بأيام، ولكن فشا فيه النقص، ومع هذا النقص يموت في كل يوم خلائق، نسأل الله الموت على الإسلام.

وفي ليلة الاثنين عشرينه توفي الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان المعزول عن إمرة مكة قبل تاريخه.

وفي يوم الاثنين - أيضاً - ماتت أخت السلطان الملك الظاهر جقمق، وكان

---

(١) خمسون النصاري: هي الخمسون يوماً التالية لعيد القيامة.

قدومها من بلاد الجاركس في أوائل سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة أو في التي قبلها.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه توفيت زوجة السلطان خوند نفيسة بنت ناصر الدين بك بن دلغادر، وحضر السلطان الصلاة عليها.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه توفي سيدي محمد ولد السلطان وسنه في السادسة، وأمه - أيضاً - أم ولد.

وفيه - أيضاً - توفي الأمير بختك الناصري أحد أمراء العشرات، وأنعم بإقطاعه على الأمير يشبك المؤيدي الفقيه، وأنعم بإقطاع يشبك على الشهابي أحمد بن الأمير الكبير إينال العلائي، وهي إمرة عشرة.

وفي هذا اليوم توفي الأمير مغلباي الساقي الظاهري، وأنعم بإمرته على مغلباي الشهابي رأس نوبة الجمدارية.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه أنعم بإقطاع الأمير قراقجا الحسني على الأمير تنم أمير مجلس، وأنعم بإقطاع تنم على الأمير جرباش المحمدي الأمير آخور الثاني المعروف بكرد، وكلاهما تقدمة ألف، وأنعم بإقطاع جرباش ووظيفته على الأمير سودون المحمدي الأمير آخور الثالث المعروف بأتمكجي أحد أمراء العشرات.

ومعنى «أتمكجي» باللغة التركية: خباز، لأن الخبز اسمه «أتمك» - بفتح الهمزة وسكون التاء.

وأنعم بإمرة سودون أتمكجي على الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة.

وفيه - أيضاً - استقر الأمير قاني باي الجركسي الدوادار الكبير في الأمير آخورية الكبرى عوضاً عن الأمير قراقجا الحسني، واستقر عوضه في الدوادارية الكبرى الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي على مال بذله إلى الخزانة الشريفة.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه توفي السيفي بردبك الخاصكي الظاهري جقمق المعروف بإثني عشر.

وفيه توفيت الست أردباي الجاركسية زوجة الأمير تمراز القرمشي أمير سلاح المتوفي قبل تاريخه.

[٩٠] وفيه ـ أيضاً ـ توفي الشيخ المعتقد محمد بن عبد الرحمن // المعروف بابن سلطان، يأتي ذكره في آخر السنة.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه أخلع السلطان علي قاضي الإسكندرية ولي الدين محمد السنباطي باستقراره قاضي قضاة المالكية بالديار المصرية عوضاً عن ابن التنسي من غير سعي منه، وتولى قضاء الإسكندرية من بعده شمس الدين محمد بن عامر، أحد نواب الحكم المالكية.

وفيه رسم السلطان بنفي قشتم الناصري كاشف البحيرة إلى القدس الشريف.

وفيه ـ أيضاً ـ رسم بنفي إينال الساقي الظاهري جقمق المعروف بخوند إلى طرابلس، لكونه ضرب الزيني فرج كاتب المماليك السلطانية ضرباً مبرحاً.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه توفي الأمير تمرباي التمربغاوي رأس نوبة النوب.

وفيه ماتت زوجة القاضي كمال الدين ابن البارزي، وهي بنت الأمير ناصر الدين محمد بن العطار، وكانت من خيار نساء عصرها ديناً وعبادة وبرّاً، رحمها الله.

وفيه ـ أيضاً ـ توفي الزيني محمد ابن الزيني عبد الباسط وسنه نحو العشرين سنة تخميناً، وهذ ثالث ولد له مات في هذا الوباء.

شهر ربيع الأول

أوله الخميس.

فيه استقر الأمير الطواشي فيروز النوروزي الزمام والخازندار في إمرة حاج المحمل.

وفي يوم الجمعة ثانيه خرجت تجريدة إلى البحيرة ومقدمهم الأمير جرباش المحمدي المعروف بكرد ـ أحد مقدمي الألوف ـ وصحبته خمسة أمراء أخر.

وفيه توفيت الست سارة بنت الأتابك آقبغا التمرازي زوجة المقام الناصري محمد بن الملك الظاهر جقمق، وصلى (عليها) السلطان من الغد بمصلاة المؤمني، وهي بنت كريمتي رحمها الله.

وفي [1] يوم الاثنين خامسه استقر الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب عوضاً عن الأمير تمرباي التمربغاوي بعد وفاته، وأنعم بإقطاع تمرباي المذكور على الأمير بيغوث نائب حماه، وقد كتب بإحضاره، ثم تغير ذلك بعد أيام.

وفي يوم الثلاثاء سادسه توفي الزيني عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن الحاجب.

وفي يوم السبت عاشره توفي سيدي محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق وهو في الرابعة، وأمه أم ولد. وهذا رابع ولد مات له في هذا الطاعون، ولم يبق له ولد ذكر غير المقام الفخري عثمان.

[٩١] وفي يوم الاثنين ثاني عشره عزل الأمير// تمراز عن نيابة القدس وأعيد نائبها خشقدم العبد الرحماني.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره توفي الشهابي أحمد ابن القاضي بدر الدين ابن مزهر.

وفي هذه الأيام قل الطاعون بالقاهرة وكثر بضواحيها.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره توفي أيدكي الظاهري جقمق الدوادار.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره نفي جانبك المؤيدي المعروف بشيخ البجمقدار إلى حلب.

---

(١) «وفي»: مكررة في «أ».

وفي يوم الثلاثاء، سابع عشرينه أخذ السلطان من القاضي ولي الدين السفطي ستة عشر ألف دينار، وسبب ذلك أن قاضي القضاة الحنبلي كان وصياً على تركة قاضي القضاة بدر الدين محمد بن التنسي المالكي، فلما عرض قماش المذكور وموجوده فوجد في جملة أوراقه ورقة مكتوب فيها ما يدل على أنه كان عند ابن التنسي ستة عشر ألف دينار وديعة للسفطي، ثم وجد ورقة أخرى فيها ما يدل على أن السفطي أخذ وديعته المذكورة، فبلغ ذلك السلطان فتغير على السفطي ورسم بأخذ المبلغ المذكور منه؛ فحمل إلى الخزانة الشريفة بتمامه وكماله، ولم يرض السلطان بذلك، وهو في طلب شيء آخر.

قلت : « إن لكل ممسك تلفاً » .

ثم إن السلطان لم يقنعه ذلك وصار يطالبه بما وقع منه من الأيمان أنه ما بقي يملك شيئاً من الذهب، ووجد السلطان بذلك مخلصاً إلى أخذ ماله وتتبع ذلك.

شهر ربيع الآخر

أوله الجمعة.

(فيه) تكلم السلطان مع القضاة لما طلعوا لتهنئته بالشهر في حق السفطي وما وقع منه من الأيمان الحانثة، واستفتاهم في أمره، وحرض القضاة على مجازاته، فنزلوا من عند السلطان على أن يفعلوا معه الشرع. وبلغ السفطي ذلك فخاف وأخذ في السعي في رضى السلطان، واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد، ثم بعد أيام رضي السلطان عنه بعد أن قدم إلى السلطان قماشاً بمبلغ كبير.

وفي يوم الخميس سابعه لبس القاضي كمال الدين ابن البارزي كاتب السر كاملية سمور خلعة الاستمرار، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش.

[٩٢] وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره //، فيه أخذ السلطان من السفطي عشرة آلاف دينار.

وسبب ذلك أنها كانت وديعة عند القاضي نور الدين علي بن البرقي الحنفي، فبلغ السلطان ذلك، فأمر بأخذها، وهو مطالب ـ أيضاً ـ بغيرها.

وفي يوم الخميس رابع عشره أفحش السلطان في الحط على السفطي. وبالغ في ذلك بحيث إنه قال: «هذا ليس له دين، وهذا استحق القتل بما وقع منه من الأيمان الفاجرة بأن ليس له مال، وقد ظهر له جملة مستكثرة، وقد بلغني أن له عند شخص وديعة، مبلغ سبعة وعشرين ألف دينار باقية إلى الآن»، وظاهر كلام السلطان أنه يريد أخذها وأخذ روحه أيضاً، فبلغ السفطي هذه المقالة، فداخله من الرعب والخوف ما لا مزيد عليه، ومع ذلك بلغني في يوم الجمعة خامس عشره أن السفطي في تلك الليلة تزوج بكراً ودخل بها واستبكرها، فهذا دليل على عدم مروءته، فإني ما أظن أنه وقع لقاضي قضاة في الإسلام من البهدلة ما وقع له، مع علمي بما وقع لقاضي القضاة شمس الدين الهروي وغيره من قبله، ومع هذا كله ما وصل أحد إلى ما وصل إليه السفطي من البهدلة لمعان شتى.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره ورد الخبر بموت خشقدم نائب القدس، واستقر عوضه في نيابة القدس مبارك شاه السيفي سودون من عبد الرحمن أحد أمراء دمشق.

وفيه لبس القاضي علاء الدين علي بن محمد بن آقبرس محتسب القاهرة كاملية باستمراره في حسبة القاهرة على مال حمله إلى الخزانة الشريفة.

وفيه استقر فارس السيفي جارقطلو المعزول عن قطيا قبل تاريخه في أتابكية غزة عوضاً عن تمراز الأشرفي بحكم القبض عليه.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه رسم السلطان بنفي يارعلي[1] العجمي الطويل، ثم شفع فيه، فرسم له بلزوم داره بخانقاه سرياقوس.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه عقد مجلس بالقاضي الشافعي وجماعة من الفقهاء الشافعية بسبب ابن آقبرس.

وفي هذا الشهر ترادفت الأخبار من بلاد حلب بأن أهلها في رجيف عظيم

---

(١) رسم هذا الاسم في «أ» هكذا: «ير على»، وهو صواب، لكن ما أثبت في المتن هو الأولى لتوحيد الرسم في سائر جوانب المخطط. المحقق.

بسبب جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وكثر كلام العامة في ذلك، ولهج الناس بسفر السلطان إلى البلاد الشامية.

[٩٣] وفي يوم السبت سلخه توفي الأمير سيف// الدين أركماس من صفر خجا المؤيدي، وأنعم بإقطاعه على الأمير أسندمر الجقمقي، وأنعم بإقطاع أسندمر المذكور وهو إمرة خمسة على بردبك البجمقدار الظاهري جقمق.

جمادى الأولى

أوله الأحد.

ففي يوم الاثنين ثانيه استقر الأمير أزبك من ططخ الظاهري رأس نوبة عوضاً عن أركماس المؤيدي بعد موته.

وفيه استقر الزيني عبد الرحمن بن الكويز آستادار السلطان بدمشق، عوضاً عن محمد بن أرغون شاه النوروزي الأعور بحكم وفاته.

وفي يوم الأربعاء رابعه استقر علي بن إسكندر في حسبة القاهرة، عوضاً عن ابن آقبرس بسفارة أبي الخير النحاس على مال بذله.

وسبب عزل ابن آقبرس ارتفاع الأسعار، فإن القمح أبيع كل أردب بثلاثمائة درهم، والفول بما يقارب ذلك، والشعير كل أردب بدينار، وزاد ثمن الدقيق على مائة درهم البطة.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره رسم السلطان بمسك يار على العجمي ونفيه، فرسم عليه إلى آخر النهار، ثم أفرج عنه وعن نائبه القاضي عز الدين عبد العزيز المنبابي بعد أن عملت المصلحة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه خرجت تجريدة إلى البحيرة، أربعمائة مملوك وعدة أمراء ومقدمهم الأمير الكبير إينال العلائي، وصحبته من الأمراء المقدمين الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس، والأمير قاني باي الجاركسي أمير آخور، وعدة من الأمراء الطبلخانات والعشرات.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه عزل قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني الشافعي.

وسبب ذلك أن شخصاً من نوابه بمصر القديمة يعرف بابن إسحاق وقع له أنه حكم بزوجية امرأة مات عنها زوجها بعد أن طلقها في مرض موته؛ فحكم القاضي علاء الدين ابن آقبرس بأنها بائنة منه بعد أن أقامت البينة عنده أنه مات وهي في عصمته، ثم حضرت بينة أخرى، وقيل: إنها هي البينة المذكورة بعينها عند القاضي ابن إسحاق المذكور بأنه طلقها قبل موته؛ فحكم بأنها في عصمته، فبلغ هذا الخبر السلطان، فطلب ابن إسحاق المذكور وضربه ضرباً مبرحاً وحبسه بحبس المقشرة، ثم عزل قاضي القضاة// المذكور، ولهج بتولية الشيخ [٩٤] جلال الدين المحلى، فقال جلال الدين: لا أقبل الولاية إلا بشروط منها أن لا أتكلم في الأوقاف ولا أولى قضاة الريف، وظهر منه تمنع، فعند ذلك تكلم أرباب الدولة في إعادة قاضي القضاة علم الدين صالح، فأجاب السلطان وأخلع على علم الدين من الغد باستمراره.

جمادى الآخرة

أوله الثلاثاء.

فيه لبس قاضي القضاة علم الدين صالح خلعة الاستمرار.

ولما استهل هذا الشهر انحطت الأسعار فيه يسيراً، فأبيع فيه القمح بمائتين وتسعين الأردب، والفول بمائتين وأربعين الأردب، والشعير بمائة وستين. هذا مع أن زيادة البحر في هذه السنة أنقص من العام الماضي في هذا الوقت بعدة أصابع.

وفي يوم الخميس ثالثه عين السلطان الأمير تمراز من بكتمر المؤيدي المصارع المعزول عن نيابة القدس إلى سفر الوجه القبلي، وصحبته عدة من المماليك السلطانية.

وفي يوم الجمعة رابعه توجه الأمير قانم التاجر أحد أمراء العشرات وكبير

الدلالين رسولاً إلى ابن عثمان متملك بلاد الروم صحبة قصاد ابن عثمان المذكور.

وفي يوم الخميس رابع عشره ندب السلطان الأمير تمربغا الدوادار الثاني إلى توجه البحيرة إلى الأمراء المجردين بها، وعلى يده مرسوم شريف يتضمن الإفراج عمن مسكه الأمراء من عرب محارب بعد أن توغر خاطر السلطان على الأمراء لقبضهم على المذكورين، فإنهم كانوا أحضروا إلى السلطان في غيبة الأمراء وأمنهم وأخلع عليهم، فلما توجهوا إلى البحيرة وقاتلوا الأمراء قبضوا عليهم لما رأوه من المصلحة في القبض عليهم.

وفي يوم السبت تاسع عشره رسم السلطان بنفي الأمير سودون السودوني الحاجب الثالث، ثم شفع فيه وأمر بإقامته بالصحراء بطالاً.

وسبب نفيه أنه كان له مغل في إقطاعه، فحضر المغل إلى ساحل بولاق فكلمه المحتسب في بيع نصف مغله وتخلية نصفه، فامتنع من البيع، وكان [٩٥] القمح قد عز وجوده، فكلم أبو الخير النحاس السلطان// في أمره، فأمر بنفيه. وكان لأبي الخير النحاس مع سودون السودوني هذا أمور ذكرناها في ترجمة أبي الخير النحاس في تاريخنا المنهل الصافي.

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه قدم الأمير تمربغا من البحيرة بعدما أطلق من توجه بسببهم.

وفي هذه الأيام - أعني من يوم الخميس إلى يوم الأحد - توقف النيل عن الزيادة، بل نقص نقصاً فاحشاً، ثم أخذ في زيادة ما نقصه، فاضطربت الناس لذلك وكثر ازدحام الناس على حوانيت الخبازين، ونهب(١) بعض العامة الخبز من الدكاكين، وعظم هذا الأمر، وأبيعت البطة الدقيق بمائة وخمسة وثلاثين درهماً والقمح بنحو الأربعمائة درهم الأردب، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وكان يوم الخميس المذكور يوم حادي عشري(٢) مسرى.

---

(١) في «أ»: «ونهبت».

(٢) في «أ»: «حادي عشرين».

وفي يوم الأحد سابع عشرينه قدم أخو السلطان الملك الظاهر جقمق من بلاد الجاركس، وكان قدم قبل هذا التاريخ مرة أخرى في الدولة الأشرفية، وهيئته قبح المنظر، ونفسه أخبث من منظره.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه وصل الأمير قراجا العمري من دمشق ـ المتولى ولاية القاهرة قبل تاريخه.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه وصل الأمير جانبك الظاهري مشد جدة ورفيقه القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن نصر الله.

وفيه نودي بزيادة أربعة أصابع، إصبعان من النقص، وإصبعان زيادة، فبقي لتكملة ستة عشر ذراعاً ستة أصابع، وذلك بعدما توقف عن الزيادة خمسة أيام حسبما ذكرناه.

وفي يوم الثلاثاء هذا (و) يوافقه سادس عشرين مسري، وهذا شيء لم يعهد مثله إلا نادراً جداً.

وفي يوم الأربعاء سلخه الموافق له سابع عشرين مسرى أوفي النيل ستة عشر ذراعاً وإصبعين من الذراع السابع عشر، فحصل للناس بهذا الوفاء الفرح التام والسرور الذي لا مزيد عليه، فنزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان وعدى النيل وخلق المقياس، ثم عاد وفتح خليج السد على العادة، فكان هذا النهار من الأيام المشهودة.

ولقد أحسن سبط الملك الحافظ حيث (يقول) في هذا المعنى:

جبر الخليج بكسره كسر الورى   طرأ فكل قد غدا مسرورا
// الماء سلطان فكيف تواترت   عنه البشائر إذ غدا مكسورا [٩٦]
[الكامل]

شهر رجب

أوله الخميس.

فيه زاد البحر خمسة أصابع، فتزايد سرور الناس بهذه الزيادة أعظم من امسه.

وفي هذا اليوم قدم الأمير جانبك تقدمته إلى السلطان، وكان أبو الخير النحاس وغر خاطر السلطان على المذكور بأمور ذكرها عنه لغالبها حقيقة، فأمر (السلطان) بالترسيم عليه، وآل أمره إلى أن يزن مالاً له صورة، يزيد على ثلاثين ألف دينار.

وفي يوم الجمعة ثانيه نودي على البحر بزيادة ثمانية أصابع، فكمل بهذه الزيادة خمسة عشر إصبعاً من الذراع السابع عشر، ولله الحمد.

ومع هذا سعر القمح أزيد من أربعمائة درهم الأردب، والبطة الدقيق بمائة وخمسين درهماً إلى ما دونها.

وفي يوم السبت عاشره أمر السلطان بنفي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني إلى القدس، فتكلم في أمره بعض أرباب الدولة، فرسم (السلطان) له بأن يقيم في داره بطالاً، ثم بعد ذلك أمر بالترسيم عليه ونفيه إلى طرسوس. فشفع فيه، فرسم بتوجهه إلى القدس، وأخذ في عمل مصالحه.

ولما وقع ذلك اتفق أن بعض الأعيان سألني - فيما بيني وبينه - بأن قال: هل سمعتم بأن قاضي قضاة ينفي إلى طرسوس؟ فقلت له: ما نعلم إلا أن قضاة القضاة يحبسون بالمقشرة مع أرباب الجرائم، أعني بذلك ما وقع للسفطي قبل تاريخه. فضحك لذلك من حضرنا من الجلساء.

قلت: وزماننا هذا لا ننكر فيه ما يفعل بالقضاة وغيرهم، فإن السلطان - نصره الله - جعل نفسه والقضاة الأربعة(١) هنداسة لمن أراد أن يثني عليه من الأطراف، فيقول: هذا فلان خير مني ومن القضاة الأربعة(٢). ويكون الممدوح بهذه الصفة شخصاً(٣) من الأوباش أو من المماليك الجلبان، ويقع منه ذلك بحضرة القضاة، فعلى هذا لا ينكر على السلطان ما يفعله بالقضاة ولا بغيرهم.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره سافر الأمير قراجا العمري إلى محل ولايته بالقدس الشريف. وكان قد استقر المذكور في نيابة القدس قبل تاريخه بأيام

(١) في «أ»: «الأربع».
(٢) نفسه.
(٣) في «أ»: «شخص».

قلائل مسئولاً في ذلك عوضاً عن مبارك شاه السيفي سودون من عبد الرحمن.

// وفيه توفي الأمير سودون المحمدي المعروف بأتمكجي الأمير آخور [٩٧] الثاني.

وفي هذا اليوم - أيضاً - أخلع السلطان على الشيخ يحيى المناوي باستقراره قاضي قضاة الشافعية، بعد عزل قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني.

وفيه رسم السلطان للشيخ علاء الدين القلقشندي الشافعي بأن يستقر في تدريس الخشابية عوضاً عن قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، قبل في المجلس، ثم استعفى عند نزوله لعلمه أن هذه الوظيفة لها مع البلاقنة نحو ستين سنة.

وفي يوم الخميس خامس عشره رسم للقاضي علم الدين صالح بعدم السفر إلى القدس، وأنه يقيم بداره بطالاً.

وفيه استقر الأمير برسباي الإينالي المؤيدي، الأمير آخور الثالث أمير آخور ثانياً (١)، بعد موت الأمير سودون أتمكجي، وأنعم عليه - أيضاً - بإقطاعه، إمرة طبلخاناه، واستقر عوضاً عن برسباي المذكور في الأمير آخورية الثالثة الأمير سنقر العائق الجعيدي الظاهري جقمق، وذلك في غيبة سنقر لأنه في تجريدة البحيرة صحبة الأمراء.

وفي الثلاثاء عشرينه رسم السلطان بأن يكتب مرسوم إلى دمشق بضرب الزيني عبد الرحمن بن الكويز آستادار السلطان بدمشق وحبسه بقلعتها.

وسبب ذلك أنه لما خرج من القاهرة ووصل إلى دمشق أخرج مرسوماً شريفاً بأنه يجلس فوق أمراء دمشق ما عدا أتابكها الأمير خير بك المؤيدي، فشق ذلك على أمراء دمشق، فكاتب الأمير جلبان نائب دمشق السلطان في ذلك؛

---

(١) في « أ »: « أميراً آخوراً ثانياً ».

فأنكر السلطان المرسوم ونهر القاضي كاتب السر وأوسعه سباً. والظاهر أن المرسوم كان الزيني عبد الرحمن زاد فيه ما يليق بخاطره، والله أعلم .

وفي يوم السبت رابع عشرينه ورد الخبر بأن الأمير قراجا العمري نائب القدس لما خرج من القاهرة متوجهاً إلى القدس الشريف اعترضه الأمير بيبرس ابن بقر شيخ العربان بالشرقية وقد انهزم من هلبا [بن](١) سويد الخارجين عن الطاعة فأنجده قراجا المذكور وقاتل معه المذكورين ، فحصل بين الفريقين مقتلة عظيمة انتصر فيها قراجا وبيبرس بن بقر ، وقتلا منهم / / جماعة كثيرة ، [٩٨ب]
وأمسك قراجا منهم نحو الثمانين نفراً على ما قيل . فلما بلغ السلطان هذا الخبر ندب الأمير جانبك شاد جدة إلى إحضار هؤلاء الممسوكين بعد أن يسمروا على الجمال ويحضر بهم إلى القاهرة .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه استقر القاضي علاء الدين ابن آقبرس في وظيفة نظر الأحباس(٢) بعد عزل قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي عنها لكبر سنه، فلم يشكر ابن آقبرس على ما فعله، لأنه سعى في ذلك سعياً زائداً، وكان الأليق به ترك ذلك، ومقام كل منهما معروف في العلم والقدر والرياسة .

وفيه حضر سنقر العائق من البحيرة، وأخلع عليه بالأمير آخورية الثالثة عوضاً عن برسباي المؤيدي كما تقدم ذكره.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه جرت واقعة غريبة، وهو أنه لما كان وقت الخدمة السلطانية ـ أعني بعد طلوع الشمس بقدر عشر درجات ـ وقفت العامة بشوارع القاهرة من داخل باب زويلة إلى تحت القلعة وهم يستغيثون ويصرخون

---

(١) راجع : القلقشندي. صبح الأعشى ج ١ ص ٧٠.
(٢) نظر الأحباس: وظيفة موضعها: التحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة ، وما هو من ذلك على سبيل البر والصدقة لأناس معينة .
راجع : القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٨.

بالسب واللعن ويهددون بالقتل والفتك، ولا يدري أحد ما الخبر، لعظم الغوغاء، إلى أن اجتاز علي بن إسكندر محتسب القاهرة، فلما رأوه أخذوا في زيادة ما هم فيه، ثم رجموه من باب زويلة إلى أن وصل إلى باب القلعة وهو سائق وهم خلفه، وهم مع ذلك لا يسكت لسانهم عن السب القبيح له وتعداد ما وقع له في شبيبته ووصلته بأبي الخير النحاس، وصاروا يخاطبونه في وجهه بمخاطبة قبيحة إلى الغاية ـ يستحي من ذكرها ـ فلما نجا منهم وطلع إلى القلعة استمروا بالشوارع وقوفاً، وانضم إليهم من المماليك السلطانية جماعة كثيرة، وهم على ما هم عليه من السب واللعن، وصاروا يعرضوا بذكر أبي الخير النحاس، ووقفوا في انتظاره إلى أن يطلع إلى القلعة. وكان أبو الخير قد ركب من داره وقصد الطلوع إلى القلعة على عادته ـ وكان عادته الطلوع وقت انفضاض الخدمة، وطلوع السلطان من الحوش إلى الدهيشة، وكان لا يجتمع به إلا في خلوة بالقبة داخل الدهيشة ـ فعرفه بعض أصحابه بالواقعة، فخرج من ظاهر القاهرة إلى أن وصل إلى باب الوزير، بلغ المماليك الذين هم في // انتظاره أنه [٩٩] فاتهم فألقوا رءوس خيولهم غارة والعامة خلفهم حتى وافوه في أثناء الطريق، فأكل ما قسم الله له من الضرب بالدبابيس وانهزم أمامهم، وركبوا قفاه وهم مستمرون في الضرب له ولحواشيه، وهو عائد إلى جهة القاهرة، ولوى عزمه عن طلوع القلعة إلى أن وصل إلى جامع أصلم بسوق الغنم، ضربه شخص من العامة على رأسه صرعه عن فرسه، فقام ورمى بنفسه إلى بيت أصلم الذي بالقرب من جامع أصلم، والبيت المذكور ساكن فيه شخص يدعى يشبك من المماليك السلطانية من طبقة الزمام.

ومن غريب الاتفاق أن أبا الخير النحاس كان قبل تاريخه بمدة يسيرة شكا يشبك هذا ـ صاحب الدار ـ إلى السلطان وشوش عليه غاية التشويش، وأرجف يشبك المذكور بالنفي غير مرة بسببه، حتى أخذه أغاته[١] الأمير فيروز الزمام وبعثه إلى أبي الخير النحاس على هيئة غير مرضية، فلما رآه أبو الخير على تلك الحالة صفح عنه، بعد أن حصل ليشبك هذا من الخوف والصغار ما لا مزيد عليه.

فانظر إلى هذا الدهر وأحواله.

(١) المقصود: «سيده».

والمقصود أن أبا الخير لما ضرب وطاح عن فرسه، وكان الضارب له عبداً أسود، وأخذ عمامته عن رأسه ورمى أبو الخير نفسه إلى بيت يشبك المذكور، فهجمت عليه العامة والمماليك إلى البيت ـ وكان يشبك غائباً عن بيته ـ وأخذوا في ضربه والإخراق به وعروه حتى أخذوا أخفافه من رجليه .

واختلفت الأقوال في الإخراق به، فمنهم من قال: أركبوه حماراً عرياناً وأشهروه في البيت المذكور، ومنهم من قال أعظم من ذلك.

ثم نجا منهم وألقى بنفسه من حائطه إلى موضع آخر، فتبعوه وأوقعوا به ـ أيضاً ـ وهو معهم عريان، ونهبوا بيت يشبك المذكور وأخذوا ما فيه. فلما وصل يشبك إلى داره ما أبقى ممكناً من مساعدة أبي الخير النحاس، وماذا يفعل ـ مسكين ـ مع السواد الأعظم؟

واستمر على ذلك حتى أرسل السلطان ـ الأمير جانبك الوالي نجدة لهم، فساق حتى لحقه فما خلصه منهم حتى أشرف على الهلاك، فأخذه جانبك وأراد أن يركبه فرساً فما استطاع لعظم ما به من الضرب والإهانة [1] وقد أصابه
[١٠٠] الضرب في رأسه ووجهه// وسائر بدنه، فأركبه عرياناً وعليه ما يستره على بغلة، وأردفه بواحد من خلفه على البغلة المذكورة، يحفظه من الوقوع لضعفه عن الحركة، وأخذه وتوجه به على تلك الحالة إلى بيت الأمير تمربغا الدوادار الثاني بالقرب من جامع سودون من زاده، والعامة خلفه ينادون عليه بأنواع السب، ويذكرون له فقره وما قاساه من الذل والهوان قبل وصلته بالسلطان إلى أن وصل إلى بيت تمربغا بغير عمامة على رأسه، فاستمر في بيت تمربغا إلى الليل، وتوجه إلى داره مختفياً خائفاً مرعوباً، فسبحان من يعز ويذل .

هذا مع عدم تستر العوام في الحط عليه بالشوارع تجاه أعيان الدولة من غير خوف ولا تستر، كل ذلك بغير خاطر السلطان، ولم يسعه إلا السكات ، فإن المماليك والعامة صاروا الجميع في هذه الواقعة على كلمة واحدة، فكان هذا

---

(١) في «أ»: الأهنا.

اليوم من الأيام المشهود، فإني ما رأيت ولا سمعت بمثل هذه الواقعة، وقد سبق كثير من إحراق المماليك السلطانية بأعيان مباشري الدولة من الهجم على بيوتهم وأخذ أموالهم، ولكنهم كانوا يبقون للصلح موضعاً، إلا هذا فإنهم ما كانوا يريدون إلا أخذ روحه. وهم معذورون فيه، فإنه كان بالأمس في الحضيض واليوم صار في الأوج، ومع هذا الانتقال الزائد صار عنده شمم وتكبر على من كان لا يرضى أقل غلمانه أن يستخدمه في أقل حوائجه.

شعبان

أوله السبت، ثم ثبت (أنه) الجمعة بعد أيام .

ففي يوم السبت ثانيه عزل ابن إسكندر عن حسبة القاهرة، ورسم لزين الدين الأستادار بالتكلم في الحسبة، فامتنع أولاً، ثم أجاب وباشرها بغير خلعة، ففرحت العامة بتوليته لأنه كان في أمسه - أعني يوم وقع لأبي الخير النحاس ما وقع - أمر بالنداء بأنه يوم السبت يبيع كل أردب قمح بدينار، وكان سعر القمح إذ ذاك نحو خمسمائة درهم الأردب، فلما نزل من القلعة وأخذ يتكلم في الحسبة وأرسل فتح شونته بساحل بولاق وباع منها من غير تحجير، لكنه كذب// في السعر وباع بالسعر المذكور. [١٠١]

وكان علي بن إسكندر قد حجر على بيع القمح إلا بإفراج منه للبائع، وقيل: إنه كان يشتري القمح بسعر ثم يبيعه بسعر آخر أزيد من الأول، حتى أن بعض الناس اشترى قمحاً بغير إذنه، فضربه وأشهره، ونادى عليه: جزاء، وأقل جزاء [١] من يشتري القمح.

قلت: وكان له أشياء من هذا النموذج.

وفي يوم الاثنين ثالثه وصل الأمير خيربك المؤيدي أحد أمراء العشرات بمن معه من البلاد الصعيد (ية).

---

(١) في «أ»: «جزاه وأقل جزاه».

وفيه وصل نوكار الحاجب من حلب.

وفيه أخلع السلطان على أبي الخير النحاس كاملية حمّراء بمقلب سمور، ونزل إلى داره خائفاً مرعوباً لكنه شق القاهرة، إلا أنه لم يسلم من الكلام، وصار بعض العوام يقول: «أيش هذه البرودة»، وبعضهم يقول: «إذا اشتهيت أن تضحك على الأسمر لبسه أحمر»، وصار أبو الخير يسلم على من رآه في الطريق من الناس، فمنهم من لا يرد عليه السلام، ومنهم من يقول في قفاه: «خيرتك وإلا ينحسوها». ولم ينزل معه من الرؤساء ولا أرباب الدولة إلا المقر الجمالي ناظر الخواص.

وفي يوم الخميس سابعه حضر إلى القاهرة الأمير جانبك شاد جدة، وعبد الله كاشف الشرقية، وصحبتهما العرب الممسوكين، وهم نحو ثمانين نفراً مسمرين على الجمال تسمير سلامة، فأمر السلطان بتخليتهم ونزولهم من على الجمال، ورسم بحبسهم بالمقشرة فحبسوا بها، ولما رأيتهم سألت من شخص يسمى «دمرداش» ـ كان ولي كشف الشرقية قبل تاريخه ـ ما هؤلاء؟ قال: «بيعة الرطب بقطيا» ـ انتهى.

وكان انتهاء زيادة النيل في هذه السنة ثلاثة أصابع من الذراع التاسع عشر، وذلك في يوم الأربعاء سادس شعبان، الموافق له سابع عشري[1] توت.

وفي يوم الاثنين حادي عشره كان قدوم الأمراء من البحيرة، فأخلع السلطان علي أعيانهم، أعني الثلاثة: الأتابكي إينال العلائي، والأمير تنم أمير مجلس، والأمير قاني باي الجاركسي أمير آخور.

[١٠٢] وفي يوم الاثنين ثامن عشره برز الأمير جرباش// الكريمي المعروف بقاشق ـ أمير سلاح ـ وقاضي القضاة بدرالدين محمد الحنبلي، والزيني عبد الباسط بن خليل، ومعهم جماعة من الناس إلى الحجاز على هيئة الرجبية.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه ورد الخبر من الشام بموت الأمير بيسق اليشبكي نائب قلعة دمشق ـ رحمه الله.

(١) في «أ»: «سابع عشرين».

شهر رمضان

أوله الأحد.

أهل هذا الشهر والناس في جهد وبلاء من تزايد الأسعار في كل ما يؤكل، خصوصاً القمح، فإنه أبيع في هذه الأيام بستمائة درهم الأردب، والدقيق بنحو مائتي درهم البطة، والفول بخمسمائة درهم الأردب، والشعير بأربعمائة درهم الأردب، وكل شيء تزايد سعره أضعاف ما كان عليه، وعدم وجود اللحم إلا بجهد، هذا والموافق لهذا الشهر من شهور القبط بابه، وأين الناس من الحصاد؟!

وفي يوم الجمعة سادسه ويوافقه سادس عشرين بابه لبس السلطان القماش الصوف الملون برسم الشتاء، وألبس الأمراء المقدمين على العادة.

وفي يوم السبت سابعه عزل قاضي القضاة شيخ الإسلام سعد الدين سعد بن الديري الحنفي نفسه عن القضاء بسبب حمام السفطي وما وقع له فيها من الحكم السابق، وأظهر قاسم الكاشف صاحب الحمام حكم بعض قضاة الريف بما ينقض حكم قاضي القضاة المذكور، وميل السلطان ظاهراً مع من حكم لقاسم الكاشف، فلما تبين ذلك لقاضي القضاة سعد الدين عزل نفسه وصمم على عدم الولاية، وسُئِلَ في العود فلم يقبل، واختفى الشيخ ولي الدين السفطي فلم يعرف له مكان.

وفي يوم السبت رابع عشره أعيد قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري إلى وظيفة القضاء على عادته بعد تمنع زائد.

وفي يوم الاثنين سادس عشره عقد مجلس بين يدي السلطان بالعلماء والقضاة بسبب حمام السفطي، وظهر السفطي من خبائه[1] وحضر المجلس، وانفصل العقد على غير طائل.

وفيه خرج الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب والأمير جرباش

---

(١) في الأصول: «خباه».

[١٠٣] المحمدي المعروف بكرد - أحد مقدمي الألوف - إلى البحيرة لقتال// العربان العاصية.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره ورد الخبر بموت شمس الدين محمد الحموي ناظر القدس الشريف.

شوال

أوله الثلاثاء.

في يوم السبت خامسه عزل السلطان القاضي جمال الدين يوسف الباعوني الشافعي عن قضاء دمشق، ورسم للنويري قاضي طرابلس بقضاء دمشق، فعارضه القاضي كمال الدين البارزي - كاتب السر - وقال: هذا رجل جاهل لا يصلح لقضاء دمشق. فقال السلطان: قاضي حلب؟ فأعاد كاتب السر القول، وقال: كلاهما لا يصلح لقضاء دمشق. فقال السلطان: نولي الشيخ علاء الدين القلقشندي. فقال الصاحب جمال الدين ناظر الخواص: ما يرضى. فقال السلطان ما معناه: نغصبه على ذلك، وخشن في القول. فلما نزل القاضي كاتب السر سأل الشيخ علاء الدين في ذلك، فامتنع بالكلية، وورد الجواب على السلطان بذلك، فرسم أن يستقر السراج الحمصي في القضاء. وكان الحمصي - يومئذٍ - بالقدس في مشيخة الصلاحية.

وفي يوم السبت ثاني عشره قبض السلطان على نجم الدين أيوب ابن بدر الدين حسين ابن ناصر الدين محمد الشهير بابن بشارة مقدم العشير ببلاد صيدا، وحبسه بالبرج من قلعة الجبل.

وفي يوم الخميس سابع عشره برز المحمل إلى بركة الحاج وأميره الأمير الطواشي الرومي فيروز النوروزي الزمام والخازندار، وأمير (الركب) الأول الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني، وحج في هذه السنة من الأعيان الأمير طوخ من تمراز الناصري - أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية - بيني بازق، وبيني بازق باللغة التركية أعني غليظ الرقبة - وبيني بضم الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف - ومعناه: رقبته، وكسر النون، بازق بفتح الباء الموحدة وألف

وزاي مكسورة وقاف ساكنة ـ وحج في هذه السنة ـ أيضاً ـ الشهابي أحمد بن الأتابك إينال العلائي.

وخرج فيروز المذكور وفي وظيفته أقوال وقدره في انحطاط، وهو أن العادة تكون «نقادة» تحت نظر الزمام من جملة أوقاف الخدام بالمدينة الشريفة، فدخل فيروز ـ المذكور ـ يشاور السلطان قبل هذه الأيام في عدم// متحصلها في هذه [١٠٤] السنة، وأنـ(ـه) إلى الآن ما حصل منها شيء فقال له السلطان: انفق من عندك، ثم خذ من تحت يدك، ثم أمر أبا الخير النحاس بالتحدث عليها، فقال أبو الخير: يا مولانا السلطان، شرط الواقف أن يكون النظر لمن كان زماماً. فقال السلطان: قد وليتك زماماً، فأشار أبو الخير بيده إلى السلطان أن له شيء ـ يعني ذكر ـ ففطن السلطان لذلك، ثم أجاب بأن قال: ولو كان اثنين ـ يعني ذكرين ـ فما أمكن أبو الخير إلا أنه نزل وصر الصرر من عنده نحو الثلاثة آلاف دينار.

قلت: ولو أراد أبو الخير الزمامية إذ ذاك لكان وليها، فإن مقصود السلطان كان صر الصرر، ودع الدنيا تنقلب ظهراً لبطن.

وفي يوم السبت تاسع عشره لبس القاضي ولي الدين الأسيوطي (خلعة) مشيخة الجمالية عوضاً عن ولي الدين السفطي بحكم تسحبه واختفائه، فإن السفطي منذ نزل من القلعة بعد عقد المجلس الأخير اختفى.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه وصل إلى القاهرة الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب والأمير جرباش كرد من تجريدة البحيرة.

وفيه عزل ابن عامر قاضي الإسكندرية واستقر عوضه شخص يعرف بالمحلي ـ شافعي المذهب ـ والعادة أن لا يكون قاضيها إلا مالكياً، فأخرق السلطان العادة لما وصل إليه الشيخ الكبير ـ انتهى.

وفيه عزل السلطان الأمير يشبك من جانبك المؤيدي الصوفي عن نيابة طرابلس لشكوى أهل طرابلس منه لكثرة ظلمه وسوء سيرته، ثم أعيد من الغد إلى نيابته.

ذو القعدة

أوله الأربعاء.

في يوم السبت رابعه عزل السلطان الأمير يشبك الصوفي عن نيابة طرابلس ثانياً ثم أُعيد ـ أيضاً ـ وفي إعادته أقوال.

وفي (يوم) الاثنين ثالث عشره أُعيد قاضي دمشق جمال الدين الباعوني الشافعي إلى وظيفة القضاء بها.

وفي يوم الخميس سادس عشره أخلع السلطان على الأمير حسن بك بن سالم الدوكاري بنيابة حمص بعد عزل الأمير بردبك السيفي سودون من عبد الرحمن.

وفيه توفي الشرفي يحيى بن العطار ودفن من الغد.

وفي يوم الاثنين عشرينه استقر الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة في حسبة// القاهرة مضافاً لما بيده من الإمرة والحجوبية وغيرها، ومنع زين الدين [١٠٥]
الأستادار من التحدث فيها.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه نودي بالقاهرة على ولي الدين السفطي بأن من أحضره إلى السلطان يكون له مائة دينار، وهدد من أخفاه بعد ذلك بأنواع العقوبة والنكال.

ذو الحجة

أوله الخميس.

في (يوم) الجمعة ثانيه عقد السلطان عقده على بنت كرتباي أمير بلاد الجاركس الواصل إلى القاهرة قبل تاريخه وصحبته ابنته المذكورة، وأسلما، واختتن كرتباي ـ المذكور ـ وحسن إسلامه على ما قيل، وبنى السلطان بها في ليلته، وأزال بكارتها.

وكان السلطان قد أنعم على ولده الفخري عثمان بوصيفة فأزال عثمان

ـ أيضاً ـ بكارتها في الليلة المذكورة، وبشر السلطان بذلك، فأنعم على من بشره بمائتي دينار فرحاً بولده عثمان المذكور.

وفي يوم السبت ثالثه استقر عبد العزيز بن محمد الصغير الأمير آخور من جملة الحجاب بالقاهرة بعد أن قدم عدة خيول.

وفي يوم الخميس ثامنه وصل الأمير يشبك الصوفي نائب طرابلس إلى القاهرة بطلب، وتمثل بين يدي السلطان بمجرد وقوفه ـ بعد تقبيل الأرض ـ ورسم السلطان بتوجهه إلى ثغر دمياط بطالاً، فنزل من وقته وتوجه إلى ثغر دمياط.

وفيه رُسم بعزل شهاب الدين أحمد بن الزهري عن قضاء الشافعية بطرابلس، واستقر مكانه برهان الدين إبراهيم السُوبيني، ورسم بأن يكتب مرسوم شريف للقاضي برهان الدين ـ المذكور ـ بالكشف عن أمر الأمير يشبك الصوفي المعزول عن نيابة طرابلس.

وفيه رسم بالقبض على الأمير قراجا العمري نائب القدس، وتوجهه إلى دمشق بطالاً.

وقد أعيد مبارك شاه العبد الرحماني إلى نيابة القدس.

وفيه عزل الأمير علان المؤيدي عن حجوبية حجاب حلب لشكوى الأمير قاني باي الحمزاوي ـ نائب حلب ـ عليه، واستقر عوضه في الحجوبية الأمير سودون من سيدي بك القرماني أحد مقدمي حلب، ثم انتقض ذلك كله في اليوم (المذكور) واستمر علان على حجوبيته بسفارة القاضي كمال الدين البارزي// ـ كاتب السر ـ فإنه أعلم السلطان بالمحاضر التي وردت من [١٠٦] علان ـ المذكور ـ تتضمن أن التشاجر الذي وقع بينه وبين النائب ـ المذكور ـ إنما هو بسبب إزالة المنكرات من حلب والأمر بالمعروف والقيام في ذلك. فلما سمع السلطان مقالة القاضي كاتب السر رسم بإعادته.

ومن غريب الإتفاق في هذه السنة، أنه مات فيها من المواشي كالأبقار والأغنام وغير ذلك ما لا يدخل تحت الحصر من عدم العلوفة والفناء، فأيقن كل أحد بغلو سعر الأضحية، فلما كان العشر الأول من ذي الحجة وصل إلى

القاهرة من الأبقار والأغنام شيء كثير، حتى أبيعت بالثمن البخس.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره وقف إلى السلطان جماعة من أهل المعرة وشكوا على الصارمي إبراهيم بن بيغوث - نائب حماه - وعلى ابن العجيل، وأنهوا عنهما أشياء قبيحة أوجبت تغير خاطر السلطان عليهما؛ وندب السلطان السيفي جانم الساقي الظاهري إلى حماه بطلب إبراهيم بن بيغوث - المذكور - وطلب ابن العجيل وفي رقبة كل واحدٍ منهما جنزير.

وخرج جانم - المذكور - في يوم الجمعة بعد الصلاة وفي ظن كل أحد أن بيغوث يخرج عن الطاعة ولا يرسل ولده على هذه الهيئة.

وفيه وصل بدر الدين حسن بن المزلق ناظر جيش دمشق بعد أن كشف عن بلاد صيدا، عن أمر نجم الدين أيوب بن بشارة المقبوض عليه قبل تاريخه، وأحضر صحبته عدة محاضر تتضمن عظائم في حق ابن بشارة، منها أنه تزوج بثمانية نسوة، ومنها أنه قتل بيده جماعة، وأمر بقتل سبعة وعشرين نفراً، ومنها (أنه) استولى في مدة مباشرته - وهي نحو أربع سنين - على مائتي ألف دينار وسبعة عشر ألف دينار وأربعمائة دينار، وأشياء من هذا النمط يطول شرحها.

ولما كان يوم الاثنين تاسع عشره رسم السلطان بتسمير ابن بشارة - المذكور - فسمر، وطيف به القاهرة على جمل، ثم وسط من يومه - المذكور - ووسط معه شخص آخر من أعوانه.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه، فيه أخلع السلطان على الأمير قشتم الناصري - الواصل من القدس الشريف قبل تاريخه - باستقراره// في كشف [١٠٧] الوجه البحري على عادته، بعد عزل محمد الصغير.

وفي يوم السبت رابع عشرينه قدم مملوك الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب، ومملوك علان حاجب حلب، وتمثلا بين يدي السلطان وتفاوضا في الكلام، وكل منهما يتكلم عن أستاذه، فمال السلطان إلى الأمير قاني باي الحمزاوي وعزل الأمير علان المذكور عن حجوبية حلب، ورسم له بالتوجه إلى طرابلس بطالاً، ورسم بأن يستقر عوضه في حجوبية حلب سودون القرماني

المتقدم ذكره، ثم بطل ذلك. ووليها قاسم بن جمعة القشاشي على مال بذله في ذلك، وأنعم بإقطاع قاسم - المذكور - وإمرته - وهي إمرة طبلخاناه بدمشق - على الأمير -جانبك شيخ المؤيدي المعزول عن حجوبية حلب قبل تاريخه أيضاً.

وفيه رسم السلطان لماماي المظفري - أحد الدوادارية الصغار - بالتوجه إلى دمياط وأخذ الأمير يشبك الصوفي منها مقيداً وحبسه بثغر الإسكندرية.

وفيه وصل مبشر الحاج أيدكي الأشرفي وأخبر بموت الشريف سراج الدين [عبد الحميد][1] قاضي الحنابلة بمكة، وأخبر - أيضاً - بموت قاضي قضاة مكة الخطيب أبو اليمن النويري، وأخبر - أيضاً - بسلامة الحاج والرخاء الزائد.

قلت: والرخاء بمكة في هذه السنة من الغرائب، لغلو الأسعار بالديار المصرية، لأن السعر في العام الماضي كان بالقاهرة كل أردب (قمح) كان بمائة وعشرين درهماً، والفول بثمانين درهماً الأردب، والدقيق العلامة بأربعين درهماً البطة. ومع هذا الرخاء أبيع الحمل الدقيق بمكة في تلك السنة بعشرة دنانير الحمل، والفول المجروش ويبتين بدينار.

وفي هذا العام الناس بالقاهرة في جهد من غلو الأسعار، وكل أردب قمح بنحو ثمانمائة درهم، والفول بخمسمائة درهم، والدقيق كل بطة بمائتين وخمسين درهماً، وهو مع هذا قليل الوجود ولا يوجد إلا بعسر زائد، ومع ذلك أبيع الحمل الدقيق بمكة بمثل سعره في العام الماضي. وأما الفول المجروش فأبيع بأنقص من العام الماضي، فإنه أبيع في هذه السنة كل أربع ويبات بدينار، وكان الظن بخلاف ذلك.

[١٠٨] وفي يوم الخميس خامس عشرينه// رسم باستقرار الأمير يشبك النوروزي - حاجب حجاب دمشق - في نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير يشبك الصوفي بمال بذله في ذلك، وحمل إليه التشريف والتقليد على يد الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات، ورسم بإعادة الأمير جانبك الناصري

---

(١) ساقط من «أ»، مثبت من «ت»

إلى حجوبية حجاب دمشق عوضاً عن يشبك النوروزي، وجهز تشريفه وتشريف حاجب حلب على يد بلبان الظاهري الخاصكي.

وفيه رسم بتوسيط ثلاثة من مشايخ العربان بالبحيرة فوسطوا في الحال بالقاهرة، وهم: إسماعيل بن زايد، ورحاب، وسقر. وكانوا مسجونين بقلعة الجبل.

وفيه أنعم السلطان بإمرة جانبك المنتقل إلى حجوبية حلب بدمشق على الأمير بردبك العجمي المقيم بدمياط بطالاً، والمعزول عن نيابة حماه قبل تاريخه، وهي تقدمة ألف بدمشق.

وفي هذه السنة ورد الخبر بوقوع الخسف بين أرض سيس وطرسوس، ولم أتحقق مقدار الأرض التي خسفت.

وفي هذه السنة ـ أيضاً ـ كان الفراغ من بناء جامع زين الدين الآستادار بخط بولاق على النيل، ولم أدْرِ المصروف على بنائه من أي وجه.

وفيها ـ أيضاً ـ كان الفراغ من تجديد سبيل ابن قايماز خارج القاهرة.

وفي هذه السنة شرع الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الخواص في حفر بئر تكون منهلاً للحاج بمنزلة البويب[1]، ثاني منزلة الحاج.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة ـ أعني الماء القديم ـ سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة أصابع.

* * *

---

(١) منزلة البويب: في أول طريق الحاج المصري، فيما بين بركة الحاج والطليحات.
راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ١٤ ص ٣٨٦ .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

(١) توفي الشيخ شهاب الدين أحمد الهيتي(١) الشافعي، أحد أعيان طلبة الشافعي.

كان مجاوراً بالجامع الأزهر، مكباً على الإشغال والاشتغال، مع دين وصيانة وعفة وصلاح، إلى أن توفي بالجامع ـ المذكور ـ في يوم الأحد رابع عشر المحرم، رحمه الله تعالى.

(٢) وتوفي القاضي شهاب الدين أحمد المسطيهي(٢) الشافعي أحد نواب الحكم في يوم الاثنين خامس عشر المحرم، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي // سيدي أحمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق(٣) في يوم [١٠٩] الأربعاء أول صفر، وهو في السابعة.

---

(١) هو «أحمد بن علي بن إبراهيم بن مكنون الهيتي، الأزهري، الشافعي»، له ترجمة في:
ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٥، الذيل التام ق ٩٠ ب ـ ٩١ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٦ ـ ٧ تر ١٦.

(٢) هو «أحمد بن علي بن عامر بن عبد الله»، له ترجمة في:
ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٠ ـ ٢١ تر ٦٥.

(٣) له ترجمة في: السخاوي، الضوء اللامع ج ١ ص ٢٦٧، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٢.

وأمه خوند شاه زادة بنت ابن عثمان متملك بلاد الروم.

ومات للملك الظاهر في هذا الطاعون ثلاثة ذكور أخر وشقيقة أحمد ـ هذا ـ وبنت أخرى، ذكرناهم في وقتهم فيمن تقدم، رحمهم الله.

(٤) وتوفي الشيخ علاء الدين الكرماني(١) شيخ خانقاه سعيد السعداء في يوم الخميس ثاني صفر. وكان خيراً ديناً مشكور السيرة، رحمه الله تعالى.

(٥) وتوفي السيد الشريف حسن بن علي(٢) المعزول عن نقابة الأشراف قبل تاريخه، في يوم الاثنين سادس صفر. وكان من بيت رياسة وشرف، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه.

(٦) وتوفي القاضي برهان الدين إبراهيم بن ظهير(٣)، ناظر الإسطبل السلطاني في يوم الاثنين سادس صفر ـ أيضاً ـ ودفن من الغد، رحمه الله تعالى (٤).

---

(١) هو «علاء الدين، أبو الحسن علي الكرماني، الشافعي»، له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٨٣، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٥٧ تر ١٦٧.

(٢) هو «حسن بن علي، بن أحمد بن علي بن حسين، الحسني، الأرموي». له ترجمة في: السخاوي، التبر المسبوك ص ٢٧٩، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٠٥ تر ٤٢٠.

(٣) هو «إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن ظهير، السلموني، القاهري ـ الحنفي»، له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧١ ـ ٢٧٢، الذيل التام ق ٩١ أ، الضوء اللامع ج ١ ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٤) يتبع ذلك في هامش «أ» حاشية هي: «حاشية: وتوفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أبي يزيد الهندي الحنفي، شيخ الجوهرية بالجامع الأزهر بالطاعون في سنة... وكان له تدريس القانباهية برأس سويقة معم، وتلقاها عن نجم الدين القرشي. وكان أحد أشياخنا ـ رحمهم الله تعالى ـ لم... تعمر للأنصاري الحنفي».

(٧) وتوفي السيد الشريف علي بن حسن بن عجلان[١]ـ المعزول عن إمرة مكة قبل تاريخه ـ بالطاعون في ثغر دمياط في أوائل صفر. وكانت له محاضرة حسنة ومعرفة، وعنده كرم. وبالجملة فهو من سلالة طاهرة، وورد الخبر بموته في يوم الجمعة عاشر صفر ـ رحمه الله تعالى.

(٨) وتوفي الأمير سيف الدين تمراز بن عبد الله القرمشي[٢] الظاهري برقوق أمير سلاح في يوم الجمعة عاشر صفر ـ أيضاً ـ ودفن من الغد، ولم يحضر السلطان الصلاة عليه لشغله عنه بجنازة بنته حسبما ذكرناه قريباً أنه مات في اليوم المذكور عدة من الأعيان.

وتمراز المذكور أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وترقى من بعده إلى أن ولي نيابة غزة في الدولة الأشرفية برسباي سنين، ثم عزله وأحضره إلى القاهرة على إمرة مائة وتقدمة ألف، ثم جعله رأس نوبة النوب بعد الأمير أركماس الظاهري المنتقل إلى الدوادارية الكبرى بعد خروج الأمير أزبك المحمدي إلى القدس بطالاً، فدام تمراز على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى الأمير آخورية الكبرى بعد القبض على الأمير جانم الأشرفي، فلم تطل مدته، ونقله الظاهر// إلى إمرة سلاح بعد الأتابك يشبك السودوني [١١٠
المشد، فدام على ذلك تمراز إلى أن مات في التاريخ المذكور.

---

(١) هو «علي بن حسن بن عجلان بن رميثة بن محمد بن الحسن بن علي بن قتادة الحسني المكي»، له ترجمة في:
ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٢، الذيل التام ق ٩١ ب"، الضوء اللامع ج ٥ ص ٢١١ تر ٧٠٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج١ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ تر ٧٩٠، المنهل الصافي ج ٤ ص ١٤٨ ـ ١٥٠ تر ٧٩٢، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٩، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٨ تر ١٥٣، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٢.

وكان أميراً عاقلاً، ساكناً، كريماً، جواداً، قليل الكلام فيما لا يعنيه، نادرة في أبناء جنسه.

سمعت الأتابك آقبغا التمرازي يقول عنه: لولا أنه مسرف على نفسه لكنت أقول: هذا من الأبدان(١) الصالحين؛ لاشتماله على محاسن لم تعرف من مثله، رحمه الله تعالى.

(٩) وتوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد(١) ابن قاضي القضاة ناصر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عواض بن نجا ابن أبي الثناء حمود بن نهار بن مؤنس بن حاتم بن نيلى بن جابر بن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - حواري رسول الله - ﷺ - وابن عمته، هكذا نقلته من خطه. قاضي قضاة الديار المصرية، التنسي المالكي الإسكندري الأصل، في يوم الاثنين ثالث عشر صفر، وكانت جنازته مشهودة.

وكان فقيهاً ديناً عالماً عفيفاً، قامعاً لشهود الزور، مشكور السيرة في أحكامه إلى الغاية، بحث إنه كان مفرداً في معناه. وكان له نظم.

من ذلك ما قاله في النوم في طاعون سنة سبع وأربعين وثمانمائة، أنشدنيه إجازة إن لم يكن سماعاً:

إلـه الخلق* قـد عـظمت ذنـوبي فسامح، مـا لعفـوك من مشـارك
أغث يـا سيـدي عبـداً فقيـراً أنـاخ بـبـابـك الـعـالي ودارك

[الوافر]

قلت: وهذا مثل قول حافظ العصر، قاضي القضاة شهاب الدين أحمد ابن حجر - رحمه الله - وهو مما أنشدني من لفظه لنفسه:

---

(١) في «أ»: «الأبدال».

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٩٨ تر ٢٠٥٣، المنهل الصافي مج ٣ ق ٧٨ أ - ٧٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٧ - ٥٤٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٤ - ٢٨٧، الذيل التام ق ٩١ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٢٣٩ - ٢٤٥، الضوء اللامع ج ٧ ص ٩٠ - ٩٢ تر ١٨٤، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٣.

سـرت وخـلفتـني غـريبـاً   في الدار أصلي هـوى بنارك
أدرك حشـاً حـرقت غـراماً   في ربـعـك المعـتـلي ودارك

[مخلع البسيط]

ومما يقارب هذا المعنى قول الفخر ابن مكانس:

بـحق الله دع ظـلم المـعنى   ومتعـه كـما يهـوى بـأنسـك
وكف اللوم يـا محبوب عمن   بيومك رحت تهجره وأمسك

[الوافر]

// ومن شعره ـ أيضاً ـ فيما يقرأ على قافيتين مع استقامة الوزن: [١١١]

جفـوت من أهـواه لا عن قـلي   فـظل يجفـوني يـروم الكـفـاح
ثـم وفـا لي زائـراً بـعــده   فـطاب نشـر من حبيـب وفـاح

[السريع]

قلت: وهذا ـ أيضاً ـ مثل قول شهاب الدين ابن حجر:

نسيمكم ينعشني في الـدجى   طال، فمن لي بمجيء الصباح
ويا صباح الـوجوه فـارقتكم   فشبت هما إذ فقدت الصباح

[السريع]

وأنشدني ـ أيضاً ـ من لفـظه لنفسه في المعنى العـلامة شمس الـدين النواجي:

خليـلي هـذا ربـع عـزة فـاسعيـا   إليه وإن سالت أدمعي به طوفـان
فجفني جفـا طيبِ المنـام وجفنهــا   جفاني، فيا لله من شـرك الأجفان

[الطويل]

ومثله ـ أيضاً ـ لقاضي القضاة صدر الدين علي بن الأدمي الحنفي:

يـا متهمي بـالسقم كن منجـدي   ولا تـطل رفـضي فـإني عـليـل

أنـت خليـلي فبحـق الهـوى كن كشجـوني راحماً يـا خليـل

[السريع]

(١٠) وتوفي الأمير سيف الدين إينال بن عبد الله اليشبكي[١]، أحد أمراء العشرات في يوم الأربعاء خامس عشر صفر.

كان أصله من مماليك الأتابك يشبك الشعباني وتنقل في الخدم من بعده حتى صار خاصكياً في الدولة الأشرفية، ورأس نوبة الجمدارية، ثم امتحن بسبب تربة أستاذه، ثم تأمر في الدولة الظاهرية جقمق عشرة، واستمر إلى أن مات، رحمه الله (وعفا عنه)[٢].

(١١) وتوفي القاضي ولي الدين أبو اليمن محمد ابن تقي الدين قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر الشيشيني الأصل، المحلى الشافعي، المعروف بابن قاسم[٣] في يوم الجمعة سابع عشر صفر.

كان أولاً يلي قضاء المحلة، وصحب الملك الأشرف في حال إمرته، فلما تسلطن قربه وأدناه ونادمه لدعابة كانت فيه وحسن محاضرة وخفة روح مع إفراط السمن، حتى إنه كان لا يحمله إلّا الجياد من الخيل، ونالته السعادة بذلك،
[١١٢] وأثرى، وعدّ من الرؤساء // ثم ولى نظر الحرم بمكة ومشيخة الخدام بالمدينة الشريفة إلى أن طلبه الملك الظاهر جقمق إلى القاهرة وصادره، ثم رضي عنه ونادمه بعد ذلك إلى أن توفي.

---

(١) مضاف من « ت ».

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ١٧٧ تر ٦٢٦، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢١٦ تر ٦٢٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٨، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٣٠ تر ١٠٨٦، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٧.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٧٤ تر ٢٣١٥، المنهل الصافي مج ٣ ق ٦٣ أ - ٦٤ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٩ - ٢٩٠، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٨١ - ٢٨٢ تر ٧٧٧.

وكان خيراً ديناً لطيفاً، ذا طباع لينة، عفيفاً عن المنكرات، رحمه الله تعالى.

(١٢) وتوفي الأمير إسماعيل بن عمر الهواري[١] أمير هوارة ببلاد الصعيد، وكانت وفاته بالقاهرة في يوم الجمعة سابع عشر صفر.

(١٣) وتوفي الأمير سيف الدين قراقجا بن عبد الله الحسني[٢] الظاهري، الأمير الآخور الكبير في يوم السبت ثامن عشر صفر.

وتوفي ولده ـ أيضاً ـ في يومه المذكور. وجهزا معاً، ودفنا من الغد، وحضر السلطان الصلاة عليهما جملة.

وكان قراقجا ـ المذكور ـ من محاسن الدنيا ديناً وعفة وأدباً وتواضعاً مع حسن السيرة.

وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق، وتأمر بعد موت الملك المؤيد شيخ وترقى في الدولة الأشرفية برسباي إلى أن صار من جملة أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثانياً، ثم ولي إمرة مائة وتقدمة ألف إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق رأس نوبة النوب بعد الأمير تمراز القرمشي في سنة اثنتين وأربعين، ثم في السنة نقله إلى الأمير آخورية الكبرى بعد تمراز ـ المذكور ـ أيضاً، فاستمر في الأمير آخورية سنين، وبنى عدة أملاك، أوقف غالبها على مدرسته التي أنشأها بالقرب من قنطرة طقزدمر.

وكان عارفاً بأنواع الفروسية، رأساً في ركوب الخيل، وقد استوعبنا ترجمته في تاريخنا «المنهل الصافي» بأوسع من هذا، لكنا اختصرنا في ترجمته هنا هو وغيره

---

(١) هو «إسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز البنداري الهواري»، له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨، الذيل التام ق ٩٢ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٠ تر ٩٦٦.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٣، الذيل التام ق٩٢ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٢١٦ تر ٧٢٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٣.

لكثرة من مات في هذه السنة بالطاعون، كل ذلك خشية الإطالة.

(١٤) وتوفي السيد الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان بن رميثة[١] المعزول عن إمرة مكة المشرفة بالقاهرة في ليلة الاثنين عشرين صفر، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني، ودفن على والده بالصحراء بعد أن مات أكثر أصحابه.

وكان قدومه إلى القاهرة صحبة الحاج في هذه السنة للسعي في إمرة مكة، فكان أحق بقول أبي الفتح البستي:

«أراق دمـي أراق دمي[٢]»

[الوافر]

عفا الله ـ تعالى ـ عنه.

(١٥) وتوفيت خوند نفيسة[٣] بنت الأمير ناصر الدين بك بن دلغادر، زوجة // السلطان الملك الظاهر جقمق في يوم الثلاثاء حادي عشر صفر، وحضر السلطان الصلاة عليها. [٢١ ا]

ونفيسة ـ المذكورة ـ كان تزوّجها الأتابك جانبك الصوفي لما قدم على أبيها ناصر الدين بك ببلاده، ووافقه ناصر الدين بك ـ المذكور ـ على مخالفة الملك الأشرف برسباي واستولدها بنتاً، واستمرت نفيسة عند أبيها حتى طلبها الملك الظاهر جقمق، فقدمت القاهرة مع والدها بعد سنة ثلاث وأربعين ومعها بنتها من جانبك الصوفي، فتزوّجها السلطان، ودامت في عصمته إلى أن توفيت

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٣، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ١١ ص ١٣٤ تر ٤٣٤.

(٢) كذا في الأصل، وصوابه:
« أرى قدمـي أَرَاقَ دَمِـي »

(٣) لها ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٣٠ تر ٧٩٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٣.

بالطاعون في التاريخ المذكور، رحمها الله تعالى.

(١٦) وتوفي الأمير بختك الناصري[١]، أحد أمراء العشرات بالديار المصرية في يوم الأربعاء سادس عشرين صفر، وكان متوسط السيرة لا يعتد به.

(١٧) وتوفي الأمير مغلباي الساقي الظاهري المعروف بطاز[٢]، أحد مماليك الظاهر جقمق وخواصه في يوم الأربعاء ثاني عشرين صفر، وسنة نيف على عشرين سنة.

وكان من مساوىء الدهر، وتأمر قبل موته بأقل من نصف شهر، عفا الله عنه.

(١٨) وتوفي الشيخ المعتقد، العالم الصالح، محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن سلطان، المعروف بالشيخ محمد بن سلطان[٣]، الغزي الأصل، المصري الدار والوفاة، الشافعي. في يوم الأحد سادس عشرين صفر.

وكان الناس فيه على قسمين ما بين معتقد ومنتقد، والقسم الأول أوفر، وكان لا يتردد إلى أحد من الناس، بل الأكابر والأعيان تتردد إلى بابه، وكانت معيشته جيدة، ولا يعرف أحد من أين ينفق، واختلفت الأقوال في أمره، حتى قيل: إنه كان يعرف علم الكيمياء أو ضرباً منه، رحمه الله.

وكان شيخاً فصيحاً، للطول أقرب، مليح الشكل، أبيض اللحية نيرها، صاحب علم ومعرفة ومحاضرة حسنة ومشاركة جيدة في عدة علوم، واطلاع واسع واشتغال قديم. جالسته كثيراً،، رحمه الله تعالى، وعفا عنه.

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٨، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢ تر ٧.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣٧ تر ٢٥١٦، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٩٣، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٥ تر ٦٧٧.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(١٩) وتوفي الأمير سيف الدين تمرباي بن عبد الله التمربغاوي[١]، رأس نوبة النوب في يوم الأربعاء تاسع عشرين صفر.

[١١٤] كان أصله من // مماليك الأمير تمربغا المشطوب نائب حلب، وتنقل من بعده في الخدم حتى اتصل بخدمة الملك الظاهر ططر حال إمرته، فلما تسلطن ططر جعله دواداراً ثالثاً إلى أن نقله الملك الأشرف برسباي إلى الدوادارية الثانية بعد موت الأمير جانبك الأشرفي الدوادار الثاني على إمرة عشرة، ثم صار من جملة أمراء الطبلخانات بعد مدة، واستمر على ذلك حتى صار أمير مائة ومقدم ألف في الدولة العزيزية يوسف، ثم نقله الملك الظاهر إلى وظيفة رأس نوبة النوب بعد قراقجا الحسني بحكم انتقاله إلى الأمير آخورية في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، واستمر على ذلك إلى أن مات بعد أن سافر أمير حاج المحمل غير مرة، وكان مهملاً لا ذات ولا أدوات.

(٢٠) وتوفي الزيني عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعروف بابن الحاجب[٢] في يوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الأول، وهو من بيت رياسة وأصالة، وهو آخر رؤساء بني الحاجب رحمه الله تعالى.

(٢١) وتوفي الشهابي أحمد ابن القاضي بدر الدين محمد بن محمد بن مزهر[٣] في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول، ودفن من الغد بتربة والده بالصحراء في عنفوان شبيبته.

وكل هؤلاء ماتوا بالطاعون رحمهم الله.

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٢٢ تر ٧٧٨، المنهل الصافي ج ٤ ص ٩١ - ٩٣ تر ٧٨٠، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٩، الذيل التام ق ٩٢ أ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٩ تر ١٦٢، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٣.

(٢) هو «عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله»، له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨١، الضوء اللامع ج ٤ ص ٨٤ تر ٢٣٨.

(٣) هو «أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الخالق بن عثمان»، له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٧، الذيل التام ق ٩١ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ١٧١ تر ٤٨٦، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢٢) وتوفي الأمير سيف الدين خشقدم السيفي سودون من عبد الرحمن[١] نائب القدس في شهر ربيع الآخر، وتولى نيابة القدس من بعده مبارك شاه خشداشه.

وكان خشقدم المذكور من أطراف الناس المهملين، لا تعرف أحواله فتشكر أو تذم، عفا الله عنه.

(٢٣) وتوفي الأمير سيف الدين أركماس بن عبد الله من حيدر خجا[٢] المؤيدي شيخ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، المعروف بأركماس الأشقر في يوم السبت سلخ شهر ربيع الآخر، وكان عنده تغفل زائد، رحمه الله.

(٢٤) وتوفي الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله المحمدي[٣] المؤيدي المعروف بأتمكجي - أعني خبازاً باللغة التركية - في يوم الاثنين ثاني عشر شهر رجب، وهو في عشر الخمسين.

وكان أميراً شجاعاً مقداماً كريماً، وعنده أدب وتواضع، رحمه الله تعالى.

// (٢٥) وتوفي الأمير سيف الدين بيسق بن عبد الله اليشبكي[٤] نائب [١١٥] قلعة دمشق في شعبان بها.

وكان بيسق المذكور من مماليك الأتابك يشبك الشعباني، وتنقّل في الخدم

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٦ تر ٩٨٢، المنهل الصافي مج ٢ ق ٤٠ أ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٩، الذيل التام ق ٩٢ أ، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٧٤ تر ٦٧٩..

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٧، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٨ تر ٨٣٢.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٣٥ تر ١١٥٥، المنهل الصافي مج ٢ ق ١١٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٠، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٦ تر ١٠٨٥، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٤.

(٤) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٠ تر ٧٤١، المنهل الصافي ج ٣ ص ٥٠٤ - ٥٠٥ تر ٧٤٣، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٧٨ - ٢٧٩، الذيل التام ق ٩٢ أ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٣ تر ١١٥.

من بعده حتى صار في الدولة الظاهرية جقمق أمير خمسة، ثم أمير عشرة، ثم ولي نيابة قلعة صفد مدة، ثم عزل وقدم القاهرة على إمرة عشرة، وولي نيابة دمياط إلى أن نقله الملك الظاهر منها إلى نيابة قلعة دمشق بعد موت شاهين الطوغاني في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، فدام بقلعة دمشق حتى توفي بها.

وكان بيسق ـ المذكور ـ من خيار الناس ديناً وشجاعة وتواضعاً وأدباً، رحمه الله.

(٢٦) وتوفي شمس الدين محمد الحموي[١] ناظر القدس الشريف في شهر رمضان بالقدس.

وكان الحموي هذا من صغار أهل حماه حتى اتصل بخدمة المقر الكمالي ابن البارزي وباشر توقيعه أثرى، وعرف بين الناس إلى أن طلبت نفسه الزيادة، وسعى في نظر القدس حتى وليه، فلم تطل مدته، ومات في التاريخ المذكور، ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾ (٤٤ : الأنعام).

(٢٧) وتوفي يحيى بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر[٢]، القاضي شرف الدين، الحموي الأصل، الكركي المولد، المصري المنشأ والدار والوفاة، الشهير بابن العطار، الأديب الشاعر في يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة.

وكان مولده في شهر رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وكان مخلطاً له محاسن ومساوىء، وهو ممن أنشأه المقر الكمالي البارزي، وكان له نظم ونثر ومشاركة في فنون، ومن شعره:

---

(١) هو «محمد بن صلاح بن يوسف، الحموي، الشافعي»، له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨٧، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٧٣ تر ٦٩٨.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٧٤ ـ ٧٧٥ تر ٢٦٢٠، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٧٤ أ ـ ٢٧٥ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٤ ـ ٥٤٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٩٤ ـ ٢٩٨، الذيل التام ق ٩١ أ، الضوء اللامع ص ٢١٧ ـ ٢٢١ تر ٩٤٤، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٨.

لأمـر أرى هـذا العـذار تبسـما وأطلع في ليـل الشبيبـة أنجـما
وأرشـد لما أن دجـا غيهب الصبـا ء حتى اهتـدى بـالنجم فيـه وعلما
فأهدي الهدى لكنه قد نهى النهى وداوي لعمـري كلما الجهـل كلما
فكم عندما أبصـرت فودي أبيضـا جرت عن دم حمر المدامع عنـدما
وكم قد همى جفني كما تمطر السما بـدمـع نما لكن بما يشبه الـدمـا
وما أنا بـاكٍ للشباب الـذى مضى ولكن لعمـر في التصـابي تضـرمـا
ألفت البكـا لما أنفت (من) البغـا وعبت. الهوى كأساً فعفت[١] المحرما
// وكم قد طما بحر بعيني قط ما عهدناه في عصـر الصبا منهـا همـا [١١٦]
وأعرضت عن شمسي وبدري وكوكبي ووجهت وجهي للذي فـطر السـما
فعوضني بالمـدح في صاحب اللوا عن النـظم والتشبيب في رية اللما
ولسـت مـوفٍ بـالمـدائـح حقـه ولـو أن لي في كـل جـارحـةٍ فـما

[الطويل]

ومن شعرهِ ـ أيضاً ـ من قصيدة مطولة :

أهـل بـدر إن أحسنـوا أو أسـاءوا أهـل بـدر فليفعـوا مـا شـاءوا
إن أفـاضوا دمعي فكم قـد أفادوا مـنـه مـن ودادهـم وأفـاءوا
وعيـوني إن فجّـروهـا عيـونـا بـدمـوع كـأنهن دمـاء
لا تلمهم عـلى احمرار دمـوعي فـلهم عـنـدي اليـد البـيضـاء
أنـا راضٍ منهم وإن هم رضـوني فـســواء عـنـدي الـقـلى واللقـاء
يـا نـزولاً بمهـجـتي في ريـاض مـن وداد أغـصـانها لـفـاء
كـل غصن عليـه طـائـر قلبي صـادح تـقـتـدي بـه الـورقـاء
صـدحـه كـلـه حـنـين ووجـد واشـتـيـاق ولـوعـة وبـكـاء
منـع السهـد طيفكم ولحظي صـار حتى من عندي البـرحـاء
وعـزولي يـرى سـلوى فـرضـا أنـا مـن رأيـه عـلى بـراء
يـدعى في الهوى إخـائي ونصحي ليت شعري من أين هذا الإخاء ؟

---

(١) في «أ» : «قفعت».

عينه عن محاسن الحب عميا ... ء وأذني عن عذله صماء

[الخفيف]

وهذه القصيدة تزيد على ستين بيتاً.

وله موشحة كل [شطر] قرينة من كلام شاعر، لم يسبق لمثله، وهي :

المتنبي :
أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... وظل يسفح بين العدلِ والعذلِ

ابن النبيه :
يا ساكن السفح كم عين بكم سفحت ... ملء الزمانِ وملء السهلِ والجبلِ

ابن اللبان :
قلب معني ومدمع صبب ... يجر أذياله وينسحب

الموصلي :
لمن عيناً غدت بالدمع في لجج

ابن الفارض :
وكل طرف عن الإغفاء لم يبح

ابن نباتة :
ومهجة (الصب) للأشجان قد صلحت

ابن الفارض :
لا خير في الحب إن أبقى على المهج

[١١٧] // ابن نباتة :
لم يبق لي في الهوى ملاذ ... يا ليتني مت قبل هذا

الصفدي :
تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

المتنبي :
فلا أقول لشيء ليت ذلك لي

ابن زيدون :
ما جال بعدك طرفي في سنا القمر
الغزي :
فـإن ذلـك ذنـب غـيـر مغـتـفـر

ابن [ال] نبيه :
لي همة [لدني] قط ما طمحت
الغزي أيضاً :
لـمـا تـواضـع أقـوام على غـرر

البهاء زهير :
وأيـن مـا كـنـت كـنـت عـبـدك   لأن قـلـبـي أقـام عـنـدك
ابن الجوزي :
عـلى تعاد دعـاوى للهـوى قبلي   وأنت تعـلـم أني بـالغـرام مـلي
القيسراني :
بمـا بعطفيـك من لين ومن صلف   تلاف مضناك قد أشفي على التلف
ابن النبيه :
فالموت إن غضت الأجفان أو فتحت   يا أكحل الطرف أو يا أزرق الطرف

علاء الدين ابن أيبك
لسـائـل الـدْمـع صـرت بـاهـر   وسـرت والقلب مـنـك خـاطـر

الصوري :
يردى الطعين وحد الرمح لم يصل   ما خاب من سأل الحاجات بالأسل
وغـادة أشرقت كـالبـدر في الـظلم
المتنبي :
وقبلتـني عـلى خـوفٍ فمـا لـفمي

ابن [ال] نبيه :
لا ، بل هي الشمس زالت بعدما جنحت

الحلي:

كم اختلسنا من العناق فلم تدم لي وغير الله لم يدم

البدر الدماميني:

وكم سرقنا على الأيام من قبل ونحن بالأنس بالتلاقي

الشريف الرضى:

بلا رقيب كشرب الطائر الوجل

ومن شعره ما كتبه للقاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف لما كان بدمشق:

يا سيداً جد بالنوى لي وطال ما جاد بالنوال
من يوم سافرت زاد نقصي يا طول شوقي إلى الكمال
[مخلع البسيط]

وكانت وفاته في التاريخ المذكور، وصلى علبه من الغد، وحضر السلطان الصلاة عليه .

(٢٨) وتوفي السيد الشريف قاضي القضاة سراج الدين عبد اللطيف الفاسي[١] الحنبلي، قاضي قضاة مكة بها في أواخر السنة.

وكان كريماً متواضعاً، ورحل من مكة إلى الشرق[١]، واجتمع بالقان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك غير مرة، وأكرمه غاية الإكرام، وعاد من عنده بأموال كثيرة، وكان لشاه رخ // وبنيه فيه اعتقاد ومحبة زائدة، رحمه الله تعالى. [١١٨]

---

(١) هو «عبد اللطيف بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن سعيد بن عبد الملك»، له ترجمة في:
ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٢٩ تر ١٤٨٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢٤٠ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ٢٨١ - ٢٨٢، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ٤ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ تر ٩٢٣، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢٩) وتوفي قاضي القضاة أبو اليمن محمد النويري[1] الشافعي ، قاضي مكة وخطيبها في ذي القعدة بها ، وتولّى من بعده قاضي القضاة جلال الدين أبو السعادات ابن ظهيرة .

وكان القاضي أبو اليمن المذكور خيراً، ديناً ، عفيفاً، قل أن ترى العيون مثله، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

---

(١) هو « محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله ، الهاشمي ، العقيلي ، النويري »، له ترجمة في :

ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٦، السخاوي . التبر المسبوك ص ٢٩٠ - ٢٩١ ، الذيل التام ق ٩٠ أ، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٤٣ - ١٤٤ تر ٣٦٠، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٨ .

سنة أربع وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية الملك الظاهر جقمق العلائي الظاهري، والخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، والقاضي الحنفي شيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري، والقاضي الشافعي شرف الدين يحيى المناوي، والقاضي المالكي ولي الدين السنباطي، والقاضي الحنبلي بدر الدين ابن عبد المنعم البغدادي ـ وهو في الحجاز ـ والأمير الكبير الأتابك إينال العلائي الناصري، وأمير سلاح جرباش الكريمي المعروف بقاشوق، وهو ـ أيضاً ـ في الحجاز، وأمير مجلس تنم من عبد الرزاق المؤيدي، والأمير آخور الكبير قاني باي الجاركسي، وحاجب الحجاب تنبك البردبكي، ورأس نوبة النوب أسنبغا الطياري، والدوادار الكبير دولت باي المحمودي المؤيدي، ومقدمو الألوف: المقام الفخري عثمان ابن السلطان، وطوخ من تمراز الناصري المعروف بيني بازق، والشهابي أحمد بن علي بن إينال، والطنبغا اللفاف الظاهري، وجرباش المحمدي المعروف بكرد، وشاد الشراب خاناه يونس السيفي آقباي نائب الشام، والزردكاش تغري برمش السيفي يشبك بن أزدمر، وكلاهما طبلخاناه، والخازندار قراجا الظاهري، ونائب قلعة الجبل يونس العلائي الناصري، وكلاهما أمير عشرة، والزمام والخازندار الطواشي فيروز النوروزي، وهو أمير حاج المحمل في هذه السنة، ومقدم المماليك جوهر النوروزي، ونائبه مرجان العادلي المحمودي.

ومباشرو الدولة: كاتب السر القاضي كمال الدين البارزي، وناظر

الجيش محب الدين ابن الأشقر، والوزير // أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، [١١٩] والأستادار زين الدين يحيى قريب ابن أبي الفرج، وناظر الخواص جمال الدين يوسف بن كاتب جكم.

وملوك الأقطار ونواب البلاد وغيرها: أمير مكة المشرفة الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وأمير المدينة النبوية الشريفة أميان بن مانع بن علي الحسيني، وأمير الينبع الشريف هلمان.

نواب البلاد الشامية: ونائب دمشق جلبان الأمير آخور، ونائب حلب قاني باي الحمزاوي، ونائب طرابلس يشبك النوروزي حاجب حجاب دمشق، وهو إلى الآن لم يدخل طرابلس، ونائب حماه بيغوث الأعرج المؤيدي، ونائب صفد يشبك الحمزاوي، ونائب غزة خيربك[١] النوروزي، ونائب الكرك حاج إينال الجكمي، ونائب القدس مبارك شاه العبد الرحماني، وهو إلى الآن بدمشق، ونائب ملطية جانبك الجكمي، ونائب إسكندرية برسباي البجاسي.

وبممالك العجم وجغتاي: صاحب سمرقند وغيرها من ممالك العجم ألوغ بك بن شاه رخ بن تيمورلنك، ملك البلاد بعد وفاة أبيه شاه رخ وأجلي أولاد أخيه باي سنقر إلى أطراف العجم، وهم علاء الدولة وبابر ومحمد، وملك محمد بعض البلاد من العجم واستوطنها بالبعد عن ألوغ بك، وعلاء الدولة التجأ إلى قلعة مع جدته لأبيه كهرشاه خاتون، وهي أم ألوغ بك ـ أيضاً ـ وصاحب تبريز وبغداد والسلطانية وغيرها جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد التركماني، وديار بكر مع أولاد قرايلك وأعظمهم جهان كير بن علي بك بن قرا يلك، وصاحب برصا وأدرنابولي وغيرهما من بلاد الروم خوند كار مراد بك بن محمد كرشجي بن يلدريم بايزيد بن مراد بن أرن خان بن أردن علي بن عثمان بن سليمان بن عثمان، وبجانب من بلاد الروم اسفنديار بن أبي يزيد، وببلاد قرمان إبراهيم بن قرمان، ونائب أبلستين سليمان ابن ناصر الدين بك محمد بن دلغادر.

---

(١) في «أ»: «جبريل».

وبممالك الغرب: صاحب تونس وبجاية وسائر بلاد أفريقية السلطان أبو عمرو عثمان ابن أبي عبد الله محمد ابن أبي فارس عبد العزيز ابن أبي العباس أحمد الحفصي المغربي.

[١٢٠] وبممالك الفرنج: سبعة عشر // ملكاً يطول الشرح في ذكرهم، وببلاد الحبشة الحطي الكافر ومحاربه سعد الدين صاحب جبرت(١)، نصره الله.

المحرم

أوله السبت، الموافق لحادي عشرين مسري.

دخلت هذه السنة والناس في جهد وبلاء من غلو الأسعار، والسعر فيه: القمح بثمانمائة درهم الأردب إلى ما دونها، والشعير كذلك، وهو قليل الوجود، والدقيق العلامة بمائتين وسبعين درهماً البطة إلى ما دونها، والرطل الخبز بستة دراهم، لكنه كثير الوجود يومئذ، وكان قبل تاريخه بمدة يسيرة عزيز الوجود، ثم إنه كثر على الدكاكين ولله الحمد.

وفي يوم السبت أول هذا الشهر وصل الأمير برد بك العجمي الجكمي من ثغر دمياط وطلع إلى القلعة، ونزل بعد تقبيل الأرض على أنه يقيم بالقاهرة مدة يسيرة يعمل مصالحه ويتوجه إلى دمشق، إلى محل إمرته كما ذكرناه في ذي الحجة.

وفيه أخلع السلطان على الأمير محمد بن تومان بن محمد باستقراره في إمرة آل فضل، عوضاً عن ابن عمه العجل بن قرقماس بن حسن بن نعير بحكم عزله.

---

(١) جبرت (جبرة)، وتسمى ـ كذلك ـ أوفات (وفات): إحدى ممالك المسلمين في الحبشة ـ قديماً، كانت مملكة عامرة بالقرى، رخيصة الأسعار، يتكلم أهلها الحبشية والعربية، ويتمذهبون للشافعي والحنفي.
راجع بشأنها: المقريزي. الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ٦ ـ ٧، القلقشندي. صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦

وفي هذه الأيام وصل قاسم المؤذي كاشف الوجه القبلي غريم السفطي ميتاً ، محمولاً على جمل ليدفن بالقاهرة بعد أن مرض يوماً واحداً .

وفي يوم الاثنين عاشره وصل الأمير آقبردي الساقي الظاهري نائب قلعة حلب إلى القاهرة وتمثل بين يدي السلطان، ثم نزل بالميدان.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره وصل الزيني عبد الباسط بن خليل من الحجاز الشريف وطلع إلى القلعة وقبل الأرض، وأخلع عليه كاملية صوف أبيض بفرو سمور بمقلب سمور، ونزل إلى داره ومعه وجوه الدولة، ومجيئه على النجب، وقد خلف الأمير جرباش قاشوق وقاضي القضاة الحنبلي بالعقبة، وسفر الجميع من مكة المشرفة من غير أن يعرجوا إلى المدينة النبوية، فإنهم زاروا القبر الشريف في توجههم إلى مكة، ولما قضوا مناسك الحج قفلوا راجعين إلى الديار المصرية، فلهذا كان قدومهم في هذا التاريخ.

وفي يوم الخميس ثالث عشره وصل الأمير جرباش الكريمي الظاهري أمير سلاح، وتخلف قاضي القضاة بدر الدين الحنبلي مع الركب الأول في وسط النهار، وطلع // جرباش إلى السلطان في يومه، وقبل الأرض ، وأخلع عليه [١٢١]
كاملية بمقلب سمور وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، وخرج من بين يدي السلطان، ودخل إلى ابنته خوند صاحبة القاعة بالدور السلطاني وسلّم عليها، ثم نزل من باب السلسلة وبين يديه جماعة من أعيان الأمراء إلى سكنه تجاه القلعة في البيت المعروف ببيت الأمير الكبير.

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه وصل إلى القاهرة ركب كبير من الحاج من المجاورين بمكة المشرفة من المماليك السلطانية وغيرهم.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه وصل السيفي جانم الساقي الظاهري من حماه وصحبته إبراهيم بن الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج نائب حماه وابن العجيل شيخ المعرة، وكلاهما في الحديد، وأوقفهما جانم المذكور بين يدي السلطان، وحضر في الوقت الشكاة عليهما، فسمع السلطان المطالعة التي على يد جانم من نائب حماه، ثم أمر بحبسهما في البرج من القلعة، ولم يسمع عليهما دعوى

الشكاة ، بل طيب خاطر الشكاة (بـ) أن قال لهم : قد حضر غرماؤكم ، ثم قام من وقته ودخل إلى الدهيشة .

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه وصل الركب الأول من الحاج وأميره حسبما ذكرناه الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني، وصحبته الأمير طوخ من تمراز المعروف ببيني بازق أحد مقدمي الألوف بالقاهرة، وقاضي القضاة بدر الدين الحنبلي.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه وصل أمير حاج المحمل الأمير الطواشي فيروز النوروزي الزمام الخازندار ببقية الحاج.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه أنعم السلطان على الغرسي خليل بن شاهين الشيخي أحد مقدمي دمشق بإمرة عشرين زيادة على ما بيده من الإمرة .

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه عقد السلطان عقد الأمير أزبك من ططخ الظاهري على ابنته من مطلقته خوند بنت البارزي ، وهي أعظم أولاده ، وكان العقد بقاعة الدهيشة بحضرة السلطان بعد نزول الأمراء من صلاة الجمعة من غير جمع .

١٢٢] وفي يوم السبت تاسع عشرينه توفي الطواشي كافور الهندي رأس نوبة // الجمدارية وساقي خاص ـ كان ـ قبل تاريخه.

صفر

أوله الاثنين .

في يوم الخميس رابعه استقر أبو الفتح الطيبي أحد أعوان أبي الخير النحاس في نظر جوالي دمشق ووكالة بيت مالها على أنه يقوم في السنة للخزانة الشريفة بخمسين ألف دينار على ما قيل. كل ذلك بسفارة أبي الخير النحاس.

وفيه لبس عبد العزيز بن محمد الصغير (خلعة) شاد الدواوين السلطانية عوضاً عن جانبك اليشبكي والي القاهرة ، وصار عبد العزيز المذكور أمير آخوراً وحاجباً وشاد الدواوين ، وهذا شيء لم يعهد مثله ، فإن كل وظيفة من هؤلاء

مستقلة بذاتها ومنزلتها معروفة كما وضعته الأوائل من الملوك .

وفي يوم السبت سادسه توفي التاجر داود المغربي .

وفي يوم الخميس حادي عشره حبس القاضي شمس الدين محمد الديسطي المالكي بحبس الديلم بسبب دعوى القاضي ناصر الدين ابن المخلطة المالكي عليه بمجلس شيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري الحنفي بأنه قال في حقه: ما أنا مثل ابن المخلطة أتناول(1) الرشا ، وكلام آخر من هذا النوع، وأقيمت عليه البينة بذلك، فحبس.

وفيه رسم بكتابة توقيع شمس الدين محمد بن سعيد بقضاء الحنابلة بمكة عوضاً عن الشريف سراج الدين بحكم وفاته.

وفيه ـ أيضاً ـ رسم السلطان لوالي القاهرة أن يضرب العبد المعتقد سعدان ـ عبد قاسم الكاشف ـ ويشهره ثم يحبسه بحبس المقشرة، ففعل به ذلك.

وحكاية هذا العبد غريبة، وهو أنه لما مات أستاذه قاسم المؤذي الكاشف في أوائل هذه السنة خلف موجوداً وأموالاً وأولاداً لصلبه، فأراد زين الدين يحيى الأستادار أن يحتاط على الموجود ليأخذه على عادة أمثاله، فنهاه هذا العبد وأفحش عليه في القول على طريقة الفقراء الأحمدية وأمعن في ذلك، وصعد إلى مقعد الأستادار، واختلفت الأقوال في مقالته للأستادار، فمنهم من قال: إنه سبه، ومنهم من قال: إنه رمى بعمامته عن رأسه. والمقصود أن الأستادار أراد أن يرسم عليه، فتقدم إليه الرسول وأراد أن يمسكه // فصار لا يستطيع الحركة [١٢٣]
ـ هذا على ما قيل، ولم أنقل ذلك عمَّن أثق به ـ فلما سمع زين الدين ذلك رد ما كان أخذه لأستاذه، وتوجه هذا العبد إلى بيت أستاذه وأقام به، وقد شاع ذكره في القاهرة، وتحاكت الناس ما وقع له مع الأستادار وزيادة ونوّه بذكره العوام في الطرقات، حتى صار كل أحد يلهج بذكره، فعند ذلك قصده الناس من كل فج

---

(١) في «أ»: «أتنا»، بإسقاط الواو واللام.

للزيارة والتماس بركته، وتردد الناس إليه فوجاً فوجاً، وعظم ذلك حتى صار لا يتوصل إليه أحد إلاّ بعد جهد كبير من كثرة الخلائق، وافتتن الناس [به]، ثم صار يحتجب عن الناس، وصار لا يتصل إليه إلاّ من له شوكة أو يكون من أعيان الدولة، وبقيت الحارة التي هو ساكن بها تشبه بعض المفترجات من كثرة الخلائق والبيعة والمتنزهين والزوار، واستمر ذلك أزيد من عشرة أيام وأمره في نمو وزيادة، وزاره جماعة من أكابر الأمراء وأعيان الدولة، وقصده ذوو العاهات وأرباب الأمراض الزمنة، وكثر الكلام فيهم وما وقع لهم معه إلى أن بلغ السلطان أمره، أمر والى القاهرة والأمير تنبك حاجب الحجاب بضربه وحبسه، فلما دخلا عليه تهاون الأمير تنبك في ضربه ولم يجسر عليه، وبلغ السلطان ذلك، فرسم بنفي تنبك ـ المذكور ـ إلى ثغر دمياط بطالاً، وتولى الطواشي خشقدم ووالي القاهرة ضرب العبد ـ المذكور ـ وحبسه، وتوجه الأمير تنبك إلى ثغر دمياط من الغد، ومسفره الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة.

ولما حبس هذا العبد أصبح الوالي من الغد فوجد على باب السجن خلائق، فضرب البعض وحبس البعض ممن له اعتقاد في العبد المذكور.

وفي يوم السبت ثالث عشره أفرج عن شمس الدين محمد الديسطي من حبس الديلم وأدعى عليه عند قاضي القضاة ولي الدين السنباطي المالكي بدعاوى كثيرة، والله أعلم بصحتها، إلى أن اقتضى أمر القاضي تعزيره فعزره تعزيراً بالغاً، وأفحش في أمره إفحاشاً شنيعاً أظهر فيه الغرض التام في أذاه مراعاة لخاطر أبي الخير النحاس، ثم أشهره في شوارع القاهرة عرياناً ينادي عليه: «هذا جزاء من يهرب من الشرع الشريف». ثم حبس ثانياً.

[١٢٤] وسبب هذه // القضية وتحامل النحاس عليه أنه لما مات داود المغربي التاجر بعد أن أوصى [إلى]الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب والصاحب جمال الدين ناظر الخواص وغيرهما، فتقدم الديسطي هذا وختم على موجود داود المغربي على أنه من جملة الأوصياء، أو من جهة من هو وصي، وبلغ أبا الخير النحاس الخبر، ووقع بسبب ذلك كلام بين أبي الخير والديسطي، وحلف الديسطي أنه ما ختم، وطلع أبو الخير إلى السلطان واستماله على أن يكون هو

المتحدث على تَركة داود المغربي، فنزل من وقته وأرسل إلى الديسطي بعض رسل الشرع ففر الديسطي من الرسول وساق فرسه حتى طلع إلى القلعة ودخل إلى السلطان وسأله بأن يدعي عليه عند قاضي القضاة الحنفي، ونزل، فادعى عليه عنده، ثم وقع ما حكيناه إلى يومنا هذا.

وفيه برز المرسوم الشريف بإحضار الأمير خشقدم الناصري المؤيدي الساقي أحد مقدمي ألوف دمشق إلى القاهرة ليستقر على إقطاع الأمير تنبك حاجب الحجاب وحجوبيته بالديار المصرية، ويتوجه الأمير علان المؤيدي المعزول عن حجوبية حلب قبل تاريخه والمقيم بطرابلس بطالاً على إقطاع خشقدم ـ المذكور ـ بدمشق وتقدمته.

وفي يوم الاثنين خامس عشره، فيه لبس الأمير آقبردي الساقي نائب قلعة حلب خلعة السفر، ورسم له بالتوجه إلى حلب.

وفي هذه الأيام رسم باستقرار قاضي القضاة جلال الدين أبي السعادات ابن ظهيرة في قضاء مكة عوضاً عن قاضي القضاة أمين الدين أبي اليمن النويري بعد موته.

وفي يوم الاثنين هذا طلب السلطان من[1] ولدي الأمير تنبك حاجب الحجاب المنفي إلى دمياط ومن مباشريه ثلاثين ألف دينار، يعني المتوفر، ثم آل أمرهم إلى حمل عشرة آلاف دينار على ما قيل.

وفي هذه الأيام عزل السلطان بدر الدين حسن بن الصواف الحنفي عن قضاء حماه، وولّى عوضه العلامة شهاب الدين أحمد بن عربشاه الدمشقي مسئولاً في ذلك.

وفيه عزل ابن الزويغة آستادار السلطان بحماه وحاجبها، وولّى عوضه يغمور، وأنعم عليه بجميع وظائف ابن زويغة. ويغمور هذا من أوباش الناس، له مدة يسيرة منذ صار جندياً، وإنما كان من سنيات يخدم تبعاً عند

---

(١) «من»: مكررة في «أ».

[١٢٥]الأجناد والخاصكية // وذلك على مال بذله يغمور المذكور، وبسفارة أبي الخير النحاس.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره رسم السلطان بأن ينقل الأمير جانم الأمير آخور ـ وكان قريب الملك الأشرف برسباي ـ من القدس الشريف ويحبس بحبس الكرك.

وكان جانم ـ المذكور ـ قد جاور بمكة سنيات بعد خروجه من الحبس وأحب أن يتوجه إلى القدس، فسأل في ذلك، فأنعم له بالمجيء إلى القدس، فلما وصل إليه تُكلم فيه عند السلطان، فرسم بحبسه.

وفيه أفرج عن شمس الدين الديسطي من حبس الديلم.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه وصل الأمير قانم التاجر من بلاد الروم وعليه خلعة خوند كار مراد بك بن عثمان متملك برصا.

وفيه مات الطواشي عبد اللطيف الرومي الإينالي.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره وصل الأمير جانبك اليشبكي والى القاهرة ومحتسبها من ثغر دمياط بعد أن أوصل الأمير تنبك إليها وتناول منه ألف دينار تسفيرة أو أقل منها.

وفي الثلاثاء ثالث عشرينه، فيه نودي بالقاهرة بأن لا يلبس النصارى واليهود على رءوسهم أكثر من سبعة أذرع من العمائم.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه استقر قاضي القضاة زين الدين عمر الخرزي الشافعي في قضاء حلب بعد عزل ابن وجيه.

وفيه لبس الأمير بردبك العجمي الجكمي أحد مقدمي الألوف بدمشق إمرة حاج محمل دمشق، ورسم له بالتوجه إلى دمشق.

شهر ربيع الأول

أوله الثلاثاء.

في يوم الجمعة رابعه، ويوافقه ثالث عشرين برمودة لبس السلطان القماش الأبيض على العادة.

وفي يوم السبت خامسه رسم السلطان بأن يكتب مرسوم شريف بعزل الأمير حاج إينال الجكمي عن نيابة الكرك وأن يستقر مكانه في نيابة الكرك الأمير طوغان دوادار السلطان بدمشق، واستمر ذلك إلى أن طلع أبو الخير النحاس إلى القلعة بعد نزول مباشري الدولة، وكلم السلطان في عود الحاج إينال - المذكور - إلى نيابة الكرك، فأجابه السلطان إلى ذلك وأبطل ما كان رسم به. كل ذلك في أقل من نصف نهار.

وفيه، يوم الأحد سادسه عمل السلطان // المولد النبوي على العادة في [٢٦ كل سنة.

وفي يوم الاثنين سابعه أمر السلطان بالإفراج عن عبد قاسم الكاشف من حبسه بالمقشرة، ورسم له بالتوجه إلى حيث شاء، ولا يقيم بالقاهرة.

وفي يوم الخميس عاشره عزل السلطان القاضي برهان الدين السوبيني الشافعي عن قضاء طرابلس، وأعيد ابن عز الدين إلى قضاء طرابلس بمال بذله.

وفي يوم الجمعة حادي عشره توفي الشيخ المسند المعمر الخطيب شمس الدين الرشيدي.

وفي يوم السبت ثاني عشره، فيه ورد الخبر من القدس الشريف بموت شاد بك الجكمي بعد مرض طويل. وفي يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول هذا.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرة، فيه كان الابتداء في مهم بنت السلطان الملك الظاهر جقمق على الأمير أزبك، وعمل السلطان في اليوم المذكور مدة هائلة للأمراء بالحوش السلطاني من القلعة، وأصبح

المهم الكبير من الغد في يوم الخميس في بيت خالها كمال الدين ابن البارزي كاتب السر بالقاهرة بالخراطين وهو مهم النسوة وأمامهم الرجال فكان في بيت الأمير أزبك خارج بابي زويلة بداره التي عمرها الأمير قزطوغان الآستادار، وركب الأمير أزبك المذكور في آخر النهار المذكور بعد صلاة المغرب من داره المذكورة وتوجه إلى أن نزل بقاعة بالقرب من الخيميين، ثم ركب بعد عشاء الآخرة وبين يديه الأمراء والأعيان مشاة، وحمل الأمراء الشموع أمام فرسه، ولبس أطلسين متمر[1] ومشى القاضي كمال الدين البارزي أمام فرسه والقاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش، والصاحب جمال الدين ابن كاتب جكم ناظر الخواص في آخرين إلى أن وصل إلى بيت القاضي كمال الدين ابن البارزي نزل عن فرسه ودخل قاعة الفرح وجليت عليه بنت السلطان وبنى بها.

وأما المهم المذكور فليس بذاك، وإنما كان كعادة مهمات بعض الأكابر غير أن شوارها كان خارجاً عن الحد، ولم يحمل على رءوس الحمالين على عادة الأشورة، لكنه أخرج من الحواصل ونصب في بيت الدخول ـ أعني بيت خالها [١٢٧] القاضي كمال الدين // كاتب السر.

ولما كان الفراغ من نصب الجهاز وفرش البيت المذكور أذن للناس بعد ذلك في الدخول والتفرج في الجهاز المذكور، فرأى الناس من الأقمشة والزراكش وأنواع الفراء وأواني البلور والمصاغ من الفضيات والتحف من الصيني المكتب ما أدهشهم وحيرهم.

ودخلت أنا القاعة المذكورة ورأيت بها من الأقمشة ما لم أره قبل تاريخه، ولم أر قليلاً في هذا المعنى، فإن كريمتي خوند فاطمة كانت زوجة الملك الناصر فرج بن برقوق، وكانت هي خوند الكبرى صاحبة القاعة إلى أن مات الملك الناصر عنها، وكانت زوجة والدي الأولى خوند بنت الملك المنصور حاجي والثانية خوند حاج ملك بنت ابن قرا زوجة الملك الظاهر برقوق، وقد رأيت ما

(١) المتمر كما جاء في قول المقريزي (الخطط ج ٢ ص ٢٢٧): «شاش من عمل الإسكندرية، حرير شبيه بالطويل، منسوج بالذهب».

كان لهن من الأقمشة والأمتعة والتحف، ومن ثم إلى يومنا هذا فكثير، ومع هذا ما رأينا بل ولا سمعنا بمثل هذا الشوار ولا بمثل كثرته ولا حسنه، ولا ما اشتمل عليه من أنواع البشاخين المزركشة[1] ومن شراريب الفوط المكللة باللؤلؤ الهائل، ومن أنواع التحف التي لم يسبقها أحد من الخوندات قبلها إلى الملك - انتهى.

وفي يوم الخميس وصل الأمير خشقدم إلى القاهرة وقبل الأرض بين يدي السلطان، وأنعم عليه بتقدمة ألف، عوضاً عن الأمير تنبك حاجب الحجاب حسبما تقدم ذكره.

وفيه أخلع السلطان على تنبك النوروزي الخاصكي بنيابة صهيون بعد عزل بردبك العجمي السيفي طرباي أحد أمراء طرابلس.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه أخلع على الأمير خشقدم الناصري المقدم ذكره باستقراره في حجوبية الحجاب عوضاً عن تنبك المذكور.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه وصل محب الدين محمد بن الشحنة الحنفي قاضي قضاة حلب إلى الأبواب الشريفة وتمثّل بين يدي السلطان.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه توفي الأمير علي باي الساقي الأشرفي

شهر ربيع الآخر

أوله الأربعاء.

فيه نودي بالقاهرة على الفلوس الجدد بأن كل رطل بستة وثلاثين درهماً بعد أن كانت باثنين وأربعين درهماً، الرطل.

وفيه عين السلطان من المماليك السلطانية والخاصكية مائة وعشرة خاصكية // لحفظ السواحل من مفسدي الفرنج. [١٢٨]

وفي يوم الخميس ثانيه أنعم السلطان على الأمير تمراز الأشرفي الزردكاش بإمرة عشرة بعد موت الأمير علي باي الأشرفي.

(١) المقصود: دائر السرير، أو الناموسية.
راجع: د. سعيد عاشور. العصر المماليكي ص ٣٩٦.

وفيه ـ أيضاً ـ عين السلطان جماعة أُخر من المماليك السلطانية مضافاً إلى من عينه في أمسه لحفظ الثغور الإسلامية.

وفي يوم السبت رابعه نودي على الفلوس الجدد على ما كانت عليه أولاً حسبما ذكرناه.

وفي يوم الاثنين سادسه لبس الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الخواص خلعة الرضى بعد أن ألزم الجمالي المذكور بحمل مائة ألف دينار إلى الخزانة الشريفة، وكل ذلك بواسطة أبي الخير النحاس، فإنه لم يزل يوغر خاطر السلطان على المذكور ويطمعه في ماله ويحسن له القبض عليه والمصادرة له حتى أذعن له السلطان في ذلك وانقاد إلى مقالته، ومن حينئذ أخذ أمر ناظر الخاص في انحطاط، وصار أبو الخير هو صاحب الحل والعقد في الممالك، واستفحل أمره بهذه الواقعة كثيراً وعظم وضخم، فإن أبا الخير كان قد تقدم على جميع أرباب الدولة وأبادهم ما خلا ناظر الخاص هذا، فإن الكلمة كانت قد بقيت بينهما في الدولة وصارا كفرسي رهان، وبقي كل منهما يخالف الآخر فيما يرومه، والآن قد انحصرت الكلمة في أبي الخير [النحاس]:

إذا تم أمر بدا نقصه ... توق زوالاً إذا قيل تم

[المتقارب]

وفي اليوم المذكور استقر زين الدين عبد القادر بن الرسام الحموي في نظر جيش حلب عوضاً عن محب الدين ابن الشحنة بحكم عزله.

وفي يوم الثلاثاء سابعه رسم السلطان بالترسيم على محب الدين ابن الشحنة والتوجه به إلى بيت الأمير دولات باي الدوادار لشكوى بعض أهل حلب عليه.

وفي يوم الأربعاء ثامنه كان مهم الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس على أخت السلطان الملك الظاهر جقمق الواصلة في العام الماضي من بلاد الجاركس.

وفي يوم الخميس تاسعه عزل السلطان القاضي كمال الدين ابن البارزي

عن وظيفة كتابة السر، والسبب الموجب لذلك أن عبد العزيز بن محمد // [١٢٩] الصغير لما توجه إلى ثغر دمياط في شهر ربيع الأول. وصحبته فرس للأمير تنبك الحاجب من قبل السلطان الملك الظاهر على عادة الأمراء البطالين، كتب على يد المذكور مرسوم شريف يتضمن أخذ أجرة الأحكار التي بالثغر، فلمّا توجه عبد العزيز ـ المذكور ـ أفحش في حق أهل دمياط وظلم وعسف، وألزمهم بما لا قدرة لهم عليه، ولما استطال على أهل دمياط حصل له إخراق من بعض عامة أهل دمياط، ورجم وشج في جبينه وفي أنفه بحجر، وبلغ السلطان ذلك فشق عليه ما فعله عبد العزيز المذكور ورسم بإحضاره، وكتب بذلك على يد شعبان البريدي، وأنعم السلطان على شعبان ـ المذكور ـ بعشرين ظاهرياً من الخزانة الشريفة، وخرج شعبان من يومه متوجهاً إلي ثغر دمياط لإحضار المذكور، ثم التفت السلطان إلى كاتب السر ـ المذكور ـ وعنفه وأغلظ عليه بعد أن أنكر ما رسم به، وقال: لم أرسم بشيء من ذلك. فأخذ القاضي كمال الدين في محاققته والإمعان في ذلك إلى أن ظهر صدق مقالته، فعز ذلك على السلطان وعزله، فنزل كاتب السر ـ المذكور ـ إلى بيته بطالاً، وترددت إليه أكابر الدولة، وكثر الكلام في أمره، واستمر ذلك إلى ما سيأتي ذكره.

وفي يوم السبت حادي عشره رسم السلطان بعزل الأمير محمد بن توقان ابن نعير عن إمرة آل فضل وولى مكانه غنام بن عمه، وحمل تقليده على يد السيفي خشكلدي الدوادار.

وفي يوم الاثنين ثالث عشره توفي سيدي محمد ابن السلطان الملك الظاهر جقمق وسنه دون عشرة أشهر.

وفيه رسم السلطان بنفي الأمير سودون لإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش ـ أحد أمراء العشرينات ورأس نوبة ـ إلى القدس، وسبب نفيه أن السلطان كان بلغه أن العرب العاصية من محارب قد وصلوا إلى بلاد البحيرة، فندب إلى قتالهم الأمير جرباش المحمدي المعروف بكرد، أحد مقدمي الألوف، والأمير سودون قراقاش ـ المذكور ـ فخرجا من يومهما وذلك في يوم السبت حادي عشره

وكبسا إلى محارب غارة بمن معهم وظفروا بمال محارب فاستولوا عليها، ونزحت محارب فأخذوا المال وعادوا إلى بر الجيزة إلى أن وصلوا إلى منبابة تجاه بولاق
[١٣٠] فعدى الأمير جرباش والأمير سودون قراقاش ـ المذكور ـ البحر وتركا // ما أخذاه من مال محارب في بر منبابة وقد أمن القوم بأن محارب فروا منهم، وأيضاً قد وصلوا تحت حرم السلطان، فلم يكن إلاّ قدر ساعة وإذا بمحارب قد انهلّت بخيولهم غارة وظفروا بأموالهم، وأضافوا إلى ذلك أثقال الأميرين، ووصلوا إلى البحر، بل وإلى المراكب التي للتعدية، وأخذوا ممن كان هناك ما قدروا على أخذه، فهذه الحادثة لم يعهد مثلها ،بل ولا سمعنا بأن عرب محارب تصل إلى منبابة وتفعل ما حكيناه.

فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه وأمر بنفي الأمير سودون، وأما جرباش فأكرمه لزوجته خوند شقراء بنت الملك الناصر فرج بن برقوق.

وفيه استقر ابن الهمام المقدسي في آستادارية السلطان بدمشق بعد عزل أسندمر الأرغون شاوي.

وفيه استقر القاضي زين الدين فرج بن السابق في كتابة سر حماه على عادته.

وفيه وصل القاضي بدر الدين حسن بن علي بن محمد الشهير بابن الصواف الحنفي قاضي حماه.

وفي الخميس سادس عشره لبس المقر الكمالي ابن البارزي خلعة الاستمرار.

وفيه توفي العلائي علي بن عبد الله الزردكاش المعروف بابن خواجا.

وفيه حضر جماعة من أهل دمياط بسبب الشكوى على عبد العزيز بن محمد الصغير، فرسم لهم السلطان بالطلوع إلى النلعة في يوم السبت لمحاققة المذكور.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه توفيت زوجة الأمير قاني باي الجاركسي.

وفيه طلع عبد العزيز بن محمد الصغير إلى القلعة ووقف بباب الدهيشة

فلم يـؤذن له بالدخول[1]، ومنع من ذلك، فاشتد عليه الأمر وداخله الوهم لكونه زور مرسوماً عن السلطان بخطه، وأيضاً مما فعله مع أهل الثغر، فنزل من وقته وترامى على أبي الخير النحاس، فأشار عليه المذكور بالطلوع يوم السبت ومحاققة أخصامه بين يدي السلطان، ففعل، فلما تمثل بين يدي السلطان أمر السلطان بأن يرسم على عبد العزيز ـ المذكور ـ حتى يرد ما أخذ من أهل دمياط بعد أن أُهين وهُدد بالضرب والحبس.

وفي يوم السبت ـ المذكور ـ عقد مجلس بالقضاة الأربعة[2] بين يدي السلطان بسبب بدر الدين ابن الصواف قاضي حماه // وأدعى عليه أنه كان بحماه [١٣١]
مسجد قد تهدم في واقعة تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة، وأنه نقضه[2] وبنى بأنقاضه جامعاً بحماه، ثم انفض المجلس من غير بيان، ونزل ابن الصواف في الترسيم وآل أمره إلى أن حمل إلى الخزانة الشريفة ثلاثة آلاف دينار وخمسمائة دينار، وهذا هو المقصود.

قلت: وله عادة بهذه الفعلة القبيحة منذ ولى قضاء حماه بأنه يزن في المنصب ما بدا له، وما أدرى من أين يكون متحصل هذا إذا وزن هذا المبلغ العظيم، فالله أعلم.

وفي يوم الاثنين عشرينه استقر القاضي حسام الدين ابن بُرَيْطَع في قضاء الحنفية بدمشق بعد عزل القاضي حميد الدين.

وفيه برز المرسوم الشريف بعزل الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج عن نيابة حماه وتوجه الأمير قرا جانبك الظاهري جقمق أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بمسكه وحبسه بقلعة دمشق، وأخلع على الأمير سودون ـ الأمير آخور ـ بتوجهه بتقليد الأمير سودون الأبو بكري المؤيدي أتابك حلب

---

(١) في «أ»: «في الدخول».

(٢) في «أ»: «الأربع».

(٣) في «أ»: «نقله».

باستقراره في نيابة حماه عوضاً عن بيغوث الأعرج، ورسم بأن يستقر عوضاً عن سودون في أتابكية حلب الأمير علي باي المؤيدي العجمي أحد مقدمي الألوف بحلب، وأنعم بتقدمة علي باي المذكور على الأمير إينال الساقي الظاهري جقمق المنفي قبل تاريخه إلى طرابلس.

وإينال هذا يعرف بإينال خوند لأنه كان في شبيبته جميلاً.

وفيه استقر العلاء على البندقداري زردكاشا ثالثاً عوضاً عن علي بن خوا-جا المتوفي قبل تاريخه.

وفيه برز الأمر الشريف لعبد العزيز بن محمد الصغير أن يلزم داره ولا يركب فرساً، وأن يرد ما أخذه من معين الدين الأبرص الدمياطي، وأن يرد إلى أهل دمياط ما أخذه منهم سرعة وإلا يضرب بالمقارع، فامتثل المذكور ما رسم به في الحال.

وفيه حضر مبارك شاه نائب القدس إلى الأبواب الشريفة وعزل في يومه بالسيفي إياس البجاسي الخاصكي ، وكلاهما ممن لا يؤبه إليه في الدولة .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه برزت المراسيم الشريفة لعبد العزيز بن محمد الصغير بدفع ما أخذه من أولاد الأمير تنبك البردبكي الحاجب والأمتعة، فرد جميع ما كان أخذه منهم بتمامه وكماله.

[١٣٢] وفي يوم الاثنين سابع عشرينه صرف // الشيخ محب الدين محمدابن العلامة مولانا زاده، سبط الأقصرائي عن إمامة المقام الشريف.

وفيه برزت المراسيم الشريفة بعود ابن الشحنة إلى حلب في ترسيم إينال باي الخاصكي، ثم بطل ذلك على أنه يستمر على ما كان عليه، ويحمل للخزانة الشريفة خمسين ألف دينار.

وفيه حضر قاضي سواكن إلى القاهرة وذكر للمقام الشريف أن الحبشة عمروا نحواً من مائتي مركب لغزو المسلمين وأن قصدهم (أن) يقطعوا[١] جريان بحر النيل ويعوقونه عن المسلمين .

---

(١) في الأصل : « يقطعون » .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه وقع بالقاهرة حادثة شنيعة إلى الغاية، وهو أن الشيخ علي محتسب القاهرة هجم على بيت العلامة الشيخ قوام الدين حسين العجمي الحنفي بعد أن دبر عليه حيلة بأن أرسل إليه قبل تاريخه شخصاً عجمياً على أنه من جملة الطلبة، فلما تمكّن الرجل من التردد إلى الشيخ قوام الدين وصار يطلع إليه بلا إذن حمل معه في هذا اليوم آلات ضرب الزغل[1]،كالسكة[2] والإصبع[3] وغير ذلك في جراب وقال للشيخ قوام الدين: «انظر يا سيدي ما أفعل. فوقف الشيخ قوام الدين وهو متهيء للركوب لبعض حوائجه، فصار الرجل يعيقه عن الذهاب ويطيل معهم الحديث حتى طرقهم الشيخ علي المحتسب وأخذ الشيخ قوام الدين والجراب الذي فيه آلات الزغل وسرح للرجل العجمي حتى هرب وترك جرابه، وأخذ الشيخ قوام الدين ـ المذكور ـ وطلع به إلى السلطان بعد أن كتب محضراً بالعدول أنه وجد آلة الزغل عنده، فرسم السلطان بحبس الشيخ قوام الدين بالبرج من قلعة الجبل.

وكانت عداوة الشيخ على المحتسب لقوام الدين هذا بسبب أن السلطان لما نفى الشيخ على المحتسب قبل تاريخه أنعم على الشيخ قوام الدين بزاوية الشيخ علي المحتسب المطلة على الرملة بالقرب من المصنع، ثم شفع في الشيخ على المحتسب فعاد إلى مشيخته وغيرها، فحقد عليه الشيخ علي بسبب ذلك وأراد إثلام عرضه عند السلطان ففعل به هذه الفعلة.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه أخلع السلطان علي الشيخ على المحتسب باستقراره شيخ شيوخ خانقاه سرياقوس عوضاً عن الشيخ شهاب الدين أحمد ابن القاضي محب الدين ابن الأشقر بحكم عزله.

وفي هذا // الشهر ورد الخبر من نائب إياس أنه حصل بمدينة إياس [١٣٣] زلزلة عظيمة سقط منها عدة أبنية، وسقط من قلعتها بدنة عظيمة من شدة الزلزلة

(١) المقصود: آلات تزييف العملة.

(٢) هي القالب الذي يصب فيه المعدن.

(٣) هو آلة ـ يضغط بها على جزءي السكة.

جمادى الأولى

أوله الخميس.

فيه استقر الأمير سونجبغا اليونسي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة أمير حاج الرجبية.

وفي يوم السبت ثالثه أمر السلطان بحبس القاضي بدر الدين محمود بن عبيد الله الأردبيلي الحنفي أحد نواب الحكم بالقاهرة بحبس المقشرة، وحبس معه شهاب الدين ابن العريف وجماعة أخر؛ بسبب أنهم شهدوا عند القاضي بدر الدين ـ المذكور ـ بوقف بنت الأمير أسنباي الساقي الظاهري جقمق، وحكم القاضي المذكور بالوقفية ، ولم يعلم القاضي ـ المذكور ـ والشهود أن السلطان له غرض في إبطال الحق وأخذ البيت المذكور لأسنباي بأي طريق كان ، فما شاء الله كان .

وفي يوم الاثنين خامسه أخرج السلطان الشيخ قوام الدين من البرج بالقلعة وضربه في الملأ العام على أكتافه، ورسم بنزوله إلى حبس المقشرة بعد أن ينادي عليه: « هذا جزاء من يفعل الزغل»، وأشياء من هذا النوع، وذلك بعد أن عقد السلطان في أمسه مجلساً بالقضاة الأربعة(١) وأحضر الشيخ قوم الدين ـ المذكور ـ فلم يثبت عليه شيء، ولم يعترف الشيخ قوام الدين بما يوجب عليه التعزير، وإنما قال: ما هي إلّا حيلة دبّرها عليّ الشيخ علي المحتسب ويفحص السلطان عن صدق مقالتي (ثم) يفعل بي السلطان ما يشاء، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه وفعل به من الغد ما ذكرناه، فشق على الناس ما وقع للشيخ قوام الدين ـ المذكور ـ إلى الغاية.

وفيه أخرج القاضي بدر الدين ابن عبيد الله من حبس المقشرة وتوجه إلى بيت نقيب الجيش.

وفيه عزل القاضي جمال الدين الباعوني الدمشقي الشافعي عن قضاء

---

(١) في « أ »: « الأربع ».

دمشق بالقاضي برهان الدين إبراهيم السوبيني المعزول عن قضاء طرابلس قبل تاريخه.

وفي يوم الثلاثاء سادسه طلب السلطان القاضي بدر الدين ابن عبيد الله إلى بين يديه وصحبته الشهود المذكورين // وكلمهم في شهادتهم في الوقفية، [١٣٤] فأجابوا بأنهم باقون على شهادتهم وأن للبيت كتاب وقف وهو عند ابن الأوجاقي، وهو مسافر في الحجاز. فلما سمع السلطان كلامهم أمر بإعادتهم إلى سجن المقشرة، فتكلّم شيخ الإسلام قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري الحنفي في أمرهم، فنهره السلطان ولم يلتفت إلى كلامه، ومضوا بهم إلى المقشرة فحبسوا بها ثانياً، وكتب مراسيم شريفة إلى مكة المشرفة تتضمن إحضار شهاب الدين أحمد بن الأوجاقي من مكة المشرفة إلى القاهرة صحبة الأمير تمراز المؤيدي شاد بندر جدة.

وفيه كُتب توقيع باستقرار محمد بن توقان بن نعير على إمرة آل فضل وعزل ابن عمه غنام عنها، كل ذلك قبل أن يصل الخبر إلى غنام بولايته فولي وعزل وهو لا يدري.

وفي يوم الخميس ثامنه لبس القاضي محب الدين ابن الشحنة خلعة قضاء حلب الحنفية، وتكون كتابة السر بها لولده.

وفيه أخلع على السوبيني باستقراره في قضاء دمشق بعد عزل الباعوني كما تقدم.

وفي يوم الجمعة تاسعه نودي على الفلوس المضروبة قديماً بستة وثلاثين درهماً الرطل، والمضروبة الجديدة معاددة.

وفيه - أيضاً - نودي على الفضة المضروبة بسكة السلطان تكون على حالها بأربعة وعشرين الدرهم، وما هو خارج عن سكة السلطان تكون بعشرين درهماً.

وفي يوم السبت عاشره، ويوافقه سابع عشرين بئونة أحد شهور القبط

أخذ قاع النيل المبارك فجاءت القاعدة ستة أذرع وخمسة عشر إصبعاً.

وفي يوم الأحد حادي عشره أحضر السلطان مماليك الأمير تنم إلى بين يديه وعين منهم نحو العشرة ورسم بحبسهم بحبس المقشرة بسبب تجرئهم على أستاذهم - المذكور - وشكواه عليهم .

ولما أصبح من الغد في يوم الاثنين ثاني عشره وانفض الموكب السلطاني ونزل الأمير تنم - المذكور - صحبة الأتابك إينال العلائي وغيره من الأمراء، فلما صار برأس سويقة منعم احتاطت المماليك الجلبان السلطانية بالأمير تنم كما يحتاط الخاتم بالإصبع، وخشنوا له في القول لشكواه على مماليكه وحبس السلطان [١٣٥] لهم // بسببه، فأخذ الأتابك إينال في تسكينهم وضمن لهم خلاص المماليك المذكورين من حبس المقشرة، فعند ذلك خلوا عنه ورجعوا غارة إلى زين الدين يحي الأستادار بعد نزوله من الخدمة فوافوه بالقرب من جامع الأمير الطنبغا المارديني، ونزلوا عليه بالدبابيس، فلما أحس بالضرب ألقى بنفسه عن فرسه وهرب إلى أن نجده الأمير أزبك الساقي والأمير جانبك والى القاهرة وأركباه فرسه وتوجها به إلى داره، ثم رجع المماليك إلى جهة القلعة ووقفوا تحت الطبلخاناه لانتظار أبي الخير النحاس عند نزوله من القلعة.

قلت : وهذا أول نكبة أبي الخير النحاس.

فبلغ النحاس الخبر، فمكث نهاره عند السلطان بالقلعة، فلما تحققوا إقامته بالقلعة شق عليهم ذلك واتفقوا على نهب داره، فنزلوا من وقتهم إلى داره على هيئة مزعجة، فوجدوا أبواب داره مغلقة وقد وقف مماليكه بأعلى الأبواب لمنع المماليك من الدخول، فوقع بين الفريقين قتال ساعة، ثم حرقوا المماليك باب داره التي بين السورين ودخلوا إلى بيت أبي الخير - المذكور - وفعلوا ما يطول الشرح في ذكره من أخذهم الأقمشة والأمتعة والتحف، واستمرت النار تعمل في باب الدار حتى اتصلت لعدة بيوت بجوارها، فاحترقت أماكن، ولم تصل النار إلى داره لأنها كانت فوق الريح، لكن احترق بابه والعلو الذي كان عليه إلى أن دثر، وكان قد تناهى في عمل الباب المذكور وعلوه.

ولما تزايد أمر النار وعظمت خشينا أن يعظم ذلك إلى أن يصل إلى دارنا وتوجهت أنا وجماعة، ثم حضر والي القاهرة والشيخ على المحتسب حتى قدرنا على طفي النار بعد جهد كبير، وأغلقت بعض حوانيت القاهرة، وكان يوماً مهولاً، ومع هذا كله لم تتأسف الناس لما وقع لأبي الخير من عظم نفرتهم منه.

ثم اصبح يوم الثلاثاء ثالث عشره والمماليك الجلبان وقوف بالرملة محدقين بالقلعة مصممين على الفتك بأبي الخير ـ المذكور ـ وطلبوا تسليمه من السلطان، وعزل الأمير جوهر مقدم المماليك السلطانية، وعزل الأمير زين الدين الأستادار.

وانفض الموكب // ونزل كل من أرباب الوظائف إلى محله مختفياً، ونزل [١٣٦]
الأمير تمربغا الدوادار الثاني والأمير أزبك من ططخ الساقي والأمير بردبك البجمقدار(١)، فلما صاروا بالرملة من تحت القلعة ضربوا عليهم المماليك الجلبان حلقة وحدثوهم في عودهم إلى السلطان والكلام معه في أغراضهم، فقال لهم تمربغا: وما الغرض؟ قالوا: عزل جوهر مقدم المماليك، وتسليم غريمنا ـ يعني أبا الخير النحاس. فعاد تمربغا إلى القلعة من ساعته وعرف السلطان بمقصودهم.

وكان الأمير الكبير قد طلع في باكر النهار وصحبته الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، وأما تنم أمير مجلس فإنه كان طلع من أمسه وبات بالقلعة في طبقة الزمام وقال: ما أنزل حتى يفرج السلطان عن مماليكي المحبوسين خشية من المماليك الجلبان السلطانية. فلما طلع الأمير الكبير شفع في مماليك الأمير تنم، فرسم بإطلاقهم، ثم أخذ الأمير الكبير يتكلم مع السلطان في أمر المماليك الجلبان وفي الرضا عنهم والسلطان مصمم على مقالته بالأمس من أنه يرسل ولده عثمان وحريمه إلى الشام ويخلع هو نفسه من السلطنة ويتوجه إلى حال سبيله، فنهاه الأمير الكبير عن ذلك، وقام السلطان ودخل إلى القاعة بالدهيشة، فكلمه بعض أمرائه في أمر المماليك ـ أيضاً ـ فشق ثوبه غيظاً ونزل الأمير الكبير وصحبته الأمراء المذكورون إلى دورهم، والمقصود أن الأمير تمربغا لما طلع إلى

---

(١) البَجْمقدار أو البَشْمَقدار: حامل نعل السلطان أو الأمير.
راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩.

القلعة وعرف السلطان كلام المماليك الجلبان وأن قصدهم عزل مقدم المماليك وتسليم أبي الخير النحاس، فلما أراد السلطان أن يتكلم سبقه بعض أمرائه بالكلام، وأظنه الأمير قراجا الظاهري الخازندار وقال: يجبر مولانا السلطان خاطر مماليكه بعزل المقدم وإخراج النحاس من القاهرة، فانقاد السلطان إلى كلامه ورسم بعزل جوهر مقدم المماليك. وتوجهه إلى المدينة الشريفة، وإخراج النحاس إلى مكة المشرفة، وعاد تمربغا بهذا الخبر إلى المماليك السلطانية فرضوا بذلك، وتوجه كل واحد إلى حال سبيله، وتم ذلك إلى بعد الظهر من ذلك اليوم، توجه بعض المماليك الجلبان إلى الأمير أسنبغا الطياري وكلمه في أنه

[١٣٧] يطلع إلى السلطان // ويطلب منه إنجاز ما وعد به من إخراج النحاس وعزل مقدم المماليك، فركب أسنبغا وطلع من وقته إلى القلعة وكلم السلطان في ذلك، فلما سمع السلطان مقالة أسنبغا اشتد غضبه وطلب جوهر مقدم المماليك ونائبه الأمير مرجان العادلي المحمودي وأخلع عليهما باستمرارهما، ورسم بأن يكون النحاس على حاله بالقاهرة، وأمر الأمير تغري برمش الزردكاش أن يستعد للقتال، فخرج تغري برمش الزردكاش من وقته ونصب عدة مكاحل على أبراج القلعة، وقال السلطان: «مالهم عندي إلا السيف، وأنا أعرف أخصامي، وفي الغد يظهر كل أمر». فبلغ الأمراء ذلك، فطلع منهم جماعة كبيرة وقعدوا بالدهيشة، فأمرهم السلطان بالنزول إلى دورهم، فنزلوا من وقتهم، واستمر الحال إلى باكر يوم الأربعاء رابع عشره، جلس السلطان على الدكة بالحوش كما جلس بالأمس ثم التفت إلى شخص من خاصكيته وقال: أين الذين قلت عنهم؟ فقال: يحضرون الآن، فقال السلطان: أحضر بهم. فنزل المذكور إلى المماليك الجلبان وأخذ منهم جماعة كبيرة وطلع بهم إلى السلطان، وكان السلطان قد قام من على الدكة ودخل إلى الدهيشة، فلما مثلوا بين يديه قال لهم: قد غفرت لكم ذنبكم، انزلوا، امضوا إلى حال سبيلكم. ولم يطيب خاطرهم، بل قال لهم: كنت أردت قتلكم، والآن قد عفوت عنكم. فلم يتكلم أحد منهم بكلمة ونزلوا وتفرقوا من وقتهم.

وأظن أن السلطان كان في أمسه اتفق مع بعض الأجلاب وأرضاهم في الباطن، فخذل بعضهم بعضا، والله أعلم.

واستمر أبو الخير النحاس بالقلعة خائفاً من النزول إلى داره إلى يوم الخميس خامس عشره، نزل إلى داره على حين غفلة قبيل العصر بنحو خمس درجات وانحاز بداره وقفل الأبواب.

ومن غريب ما اتفق في هذه الأيام أن المماليك الجلبان منعت غالب المتعممين من ركوب الخيل وركبت الفقهاء وأعيان الدولة من المباشرين الحمير، وبقيت المماليك يقفون في الطرقات والشوارع، فمن عاينوه من المتعممين على فرس أوقعوا به، وأما حواشي أبي الخير النحاس وأصحابه فإنهم تخابوا عن العين // بالكلية. [١٣٨]

وفي يوم السبت سابع عشره ورد الخبر بعصيان الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج نائب حماه وخروجه عن الطاعة وانضمامه إلى العجل بن نعير.

وفي يوم الأحد ثامن عشره نزل السلطان من قلعة الجبل وبين يديه جميع أمرائه وأعيان دولته بغير قماش الموكب، وتوجه إلى بحر بولاق لينظر إلى الجسر الذي أمر بإنشائه بين الطنبدية ومعصرة الخليفة، فوصل إليه ونظر إلى عمارته وهو راكب على فرسه، فأعجبه عمله، وخلع على المعلم على ابن إسكندر وعلى ابن ظهير وعلى جماعة أخر ممن باشر عمل الجسر المذكور، ثم رجع وطلع إلى القلعة بعدما شق القاهرة.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه وصل البلاطنسي من دمشق إلى القاهرة وطلع إلى السلطان وشكا على أبي الفتح الطيبي ناظر جوالي دمشق، وذكر عنه عظائم، ولا زال يمعن في الحط عليه إلى أن رسم السلطان بعزله وحضوره إلى القاهرة في جنزير، ونزل البلاطنسي من القلعة بعد أن أكرمه السلطان، وحصل على مقصوده من عزل الطيبي.

وفيه رسم السلطان لأبي الخير بالسفر إلى المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بعد أن يكتب جميع موجوده ويرسله إلى السلطان من الغد، ورسم السلطان بعمل حسابه، وتردد إليه جوهر الساقي الحبشي غير مرة

من قبل السلطان، وكثر الكلام في أمره.

وأصبح من الغد في يوم الخميس ثاني عشرينه طلع أبو الخير النحاس إلى القلعة في الغلس من غير إذن من السلطان واختفى بالقلعة إلى أن انفض الموكب ولازال حتى اجتمع بالسلطان، ثم نزل من يومه وقد أصلح ما فسد، وأنعم له السلطان بموجوده، وترك له جميع ما كان قد عزم على أخذه، فانصلح أمره بذلك قليلاً، وشق ذلك على أخصامه كثيراً، واستمر بداره وقد هابه الناس وكثر ترداده إليه.

وفيه استقر الشيخ علي الطويل الخراساني في حسبة القاهرة على عادته عوضاً عن الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة.

[١٣٩] وفيه أفرج السلطان // عن القاضي بدر الدين محمود بن عبيد الله ورفقته من حبس المقشرة.

وفيه رسم السلطان بإبطال ما رسم به قبل تاريخه من عزل أبي الفتح الطيبي وإحضاره إلى القاهرة.

وفيه ـ أيضاً ـ أمر السلطان البلاطنسي بالسفر إلى دمشق بعد أن لهج بحبسه في حبس المقشرة لولا أن شفع فيه بعض الأعيان، فتحقق الناس ميل السلطان إلى أبي الخير النحاس.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه أرجف بالقاهرة بركوب المماليك الجلبان من الغد، فأصبح يوم السبت وليس لما أشيع حقيقة.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه، فيه برز المرسوم الشريف بعزل عبد الله الكاشف بالشرقية وإحضاره في الحديد لشكوى أبي الخير النحاس عليه، وأنعم بإمرته ووظيفته على الأمير أسندمر الجقمقي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة زيادة على ما بيده، فتأدب بهذه الفعلة من يروم السوء لأبي الخير النحاس، وكف أعيان الدولة عن الكلام فيه.

وفيه رسم السلطان للأمير قاني باي الحسنى المؤيدي أحد أمراء العشرات

بالديار المصرية بأن يستقر في أتابكية حماه عوضاً عن السيفي سنقر جار قطلو .

وفي الثلاثاء سابع عشرينه حضر عبد الله الكاشف ونزل في بيت زين الدين يحيى الأستادار وحصل الرضا عليه من الغد على مال بذله وحمله إلى الخزانة الشريفة.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه أنعم السلطان بإمره قاني باي الحسنى على مملوكه شاهين الظاهري الساقي ـ وشاهين المذكور وجوده عار على بني آدم ـ واستقر السيفي برقوق الظاهري ساقياً عوضاً عن شاهين المذكور.

وفيه استقر الطواشي سرور الطربائي شيخ الخدم بالحرم النبوي عوضاً عن الطواشي فارس الرومي الأشرفي بحكم عزله، ثم عزل سرور المذكور في يوم السبت واستقر فارس على عادته.

وفيه برز المرسوم الشريف لجوهر الساقي بنزوله إلى أبي الخير النحاس وصحبته نقيب الجيش الناصري محمد بن أبي الفرج ليمضيا به إلى الشرع الشريف ماشياً ليدعي القاضي شرف الدين موسى التتائي الأنصاري عليه بمجلس الشرع الشريف، ورسم له أن يحتاط بعد ذلك على موجوده، فنزل جوهر ـ المذكور ـ من وقته إلى أبي الخير النحاس وأخرجه // من بيته ماشياً [١٤٠]
مسوكاً مع نقيب الجيش وقد ازدحمت العامة على بابه يريدون الفتك به، فجاء جوهر ـ المذكور ـ وجماعة من المماليك منهم وانطلقت الألسن إليه بالسب واللعن، واستمروا خلفه وأمامه في الطرقات على ذلك إلى بيت قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي، فأدخلوه إلى المدرسة الصاحبية محتفظاً به مع رسل الشرع، وعاد جوهر الساقي وشرف الدين التتائي إلى الحوطة على موجوده وحواصله، ووجدت العامة بغياب جوهر فرصة إلى الدخول إلى أبي الخير النحاس. فهجموا عليه وضربوه ضرباً مبرحاً إلى أن صاحت رسل الشرع عليهم، وهربوه إلى مكان بالمدرسة المذكورة، يقال إنه بيت الخطابة وأعلموا قاضي القضاة بذلك، فأرسل قاضي القضاة خلف الأمير جانبك والي القاهرة حتى أخرجه من المدرسة المذكورة إلى بيت قاضي القضاة، وأدعى شرف الدين التتائي عليه بدعاوى يطول الشرح في ذكرها .

والسبب الموجب لهذه القضية هو أن أبا الخير النحاس لما وقع له مع المماليك الجلبان ما حكيناه من إقامته بقلعة الجبل من يوم الاثنين إلى يوم الخميس خامس عشره ونزل إلى داره في اليوم المذكور قبيل العصر وبقي الناس في أمره على قسمين، فمن الناس من لا يسلم عليه ولا يلتفت إليه، ومنهم من صار يرتجيه ويتردد إليه وهم القليل من الناس، ودام على ذلك إلى أن وصل البلاطنسي من دمشق واجتمع بالسلطان في يوم الأربعاء حادي عشرينه ـ حسبما ذكرناه ـ وأنصفه السلطان وعزل لأجله أبا الفتح الطيبي ورسم بسفر أبي الخير النحاس إلى المدينة النبوية، فلما أصبح أبو الخير في يوم الخميس وطلع إلى القلعة من غير إذن واجتمع بالسلطان، ولا زال به حتى أصلح ما كان فسد من أمره، ثم نزل إلى داره وقد وقع بينه وبين التاجر شرف الدين موسى التتائي.

وسبب الواقعة بينهما أن شرف الدين ـ المذكور ـ كان في هذه المدة هو رسول أبي الخير النحاس إلى السلطان، ومهما كان له من الحوائج يقضيها له عند السلطان، فظهر لأبي الخير النحاس بطلوعه إلى القلعة في هذا اليوم أن شرف الدين ـ المذكور ـ ليس هو له بصاحب، وأنه ينقل عنه إلى السلطان ما ليس هو
١٤] مقصوده، بل ما فيه دماره، وبطلوع // النحاس في هذا اليوم ـ أيضاً ـ راج أمره كثيراً وعظم في أعين الناس، فإن السلطان رسم في اليوم ـ المذكور ـ باستقرار أبي الفتح الطيبي في وظيفته وقضى له عدة حوائج، وظهر ميل السلطان إليه، وترددت الناس إليه فوجاً فوجاً لا سيما لما مقت السلطان البلاطنسي بعد ذلك الإقبال عليه أولاً، وأيضاً عزل عبد الله الكاشف لأجله، واستمر من يوم الخميس وهو يوم طلوعه إلى القلعة إلى يوم الخميس تاسع عشرينه ـ أعني اليوم المذكور ـ وحصلت له هذه النكبة، انتدب إليه شرف الدين ـ المذكور ـ ووقع ما حكيناه.

واستمر في بيت القاضي الشافعي وهو يسمع من العامة وغيرهم أنواع السب والبهدلة، وهم يزدحمون على باب القاضي لرؤيته، وصارت تلك الحارة كبعض المفترجات لعظم سرورهم به، وأعجب من هذا أنني لم أنظر في تلك المدة احداً إلا وهو مسرور بما وقع لأبي الخير هذا، حتى النساء في بيوتهن، وأما النصارى واليهود فسرورهم به كان يخرج عن الحد.

وأصبح من الغد في يوم الجمعة طلب السلطان خيوله ومماليكه فأخرجوهم من داره وطلعوا بهم إلى السلطان بعد أن شقوا بهم القاهرة وازدحمت الناس لرؤيتهم، فكانت عدة الخيول نيفاً على أربعين فرسا، منهم بغال أزيد من عشرة والباقي خبول خاص هائلة، والمماليك نحواً من عشرين نفراً، واستمر شرف الدين التتائي يتتبع آثاره وحواصله وهو مجتهد في ذلك. هذا بعد أن أشهد على أبي الخير ـ المذكور ـ أن جميع ما (يملكه) (١) من الأملاك والذخائر والأمتعه والقماش وغير ذلك للسلطان الملك الظاهر دون ملكه، وليس له فيه ملك ولا دافع ولا مطعن.

وفي هذا الشهر كان سعر الغلال: القمح بخمسمائة درهم الأردب إلى ما دونها بعد أن وصل قبل تاريخه إلى ثمانمائة وخمسين الأردب، والفول بثلاثمائة وستين الأردب إلى ما دونها، والشعير من مائتين وثمانين إلى مائتين وخمسين الأردب، والدقيق العلامة بمائة وسبعين درهم البطة.

ومضى هذا الشهر وليس أحد من المتعممين يقدر أن يعلو على ظهر فرس، بل صار الجميع يركبون البغال والحمير ما عدا كاتب السر وناظر الجيش والوزير وناظر الخاص والأستادار وكاتب المماليك السلطانية وكاتب العليق وناظر الإسطبل وناظر كاتب السر والباقون كما ذكرنا، حتى لقد قال لي بعض نواب الشرع: قد ألحقونا هؤلاء // المماليك الأجلاب بأهل الذمة في [١٤٢] عدم ركوب الخيل، فلا قوة إلا بالله.

جمادى الآخرة

أوله السبت.

فيه لبس عبد الله الكاشف خلعة الاستمرار بعد أن وزن مالاً له صورة.

وفيه رسم بفتح حواصل أبي الخير النحاس ففتحت، فوجد فيها من الذهب العين نحو سبعة عشر ألف دينار، ووجد له من الأقمشة والتحف والفرو

---

(١) ساقط من «أ»، مثبت من النجوم الزاهرة للمؤلف.

والقرقلات[1] التي للحرب والصيني والكتب أشياء كثيرة، ووجد له ـ أيضاً ـ حجج مكتتبة على أربابها نحو من ثلاثين ألف دينار، فحمل الذهب العين إلى السلطان ونوع من التحف، وختم على الباقي حتى يباع، ودام شرف الدين التتائي في الفحص عن موجوده، وأخرج السلطان جميع تعلقات النحاس من الإقطاعات والحمايات والمستأجرات وغير ذلك.

وفي يوم الأحد ثانيه طلعت تقدمة الأمير جلبان نائب الشام صحبة دواداره وأمير آخوره، وهي تقدمه هائلة تشتمل على خيول وصوف وأنواع الفراء والبعلبكي والمخمل والشقق الحرير، ومن جملة ذلك ذهب عين نحوعشرة آلاف دينار، وعدة الخيول تزيد على مائتي فرس، منها فرسان بأقمشة ذهب، والباقية على عادة التقادم، وجميع التقدمة على رءوس الحمالين، وهم نحو ثلاثمائة حمال.

وفي هذه الأيام لبس قاصد نائب الشام خلعة السفر، وكان له من يوم وصل لم يخلع عليه إلى يومنا هذا.

ولما استولى السلطان على خيل أبي الخير ـ المذكور ـ فرقه على منْ اختار:

بـذا قـضـت الأيـام مـا بـين أهـلـهـا
مـصـائـب قـوم عـنـد قـوم فـوائـد
[الطويل]

وفيه ـ أيضاً ـ ورد الخبر من عند الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب على يد رأس نوبته بأن جهان شاه بن قرا يوسف يريد [أن] يشتي على جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وليس لجهان كير المذكور مخلص سوى قدومه إلى البلاد الحلبية، وليس بحلب عساكر لرده عنها. وكان وصول القاصد ـ المذكور ـ في عشرة أيام، فكتب له الجواب وعدة مراسيم تتضمن خروج النواب بالبلاد الشامية إلى أطراف البلاد الحلبية.

---

(١) القرقلات: جمع قرقل، وهي: نوع من الدروع المتخذة من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر.
راجع: المصدر السابق ج ٤ ص ١١.

وفي يوم الأحد المذكور ـ أخلع السلطان على الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جكم ناظر الخواص وعلى زين الدين يحيى الآستادار خلعتي // [١٤٣] الاستمرار، وأخلع على شرف الدين التتائي باستقراره في جميع وظائف أبي الخير النحاس، وهم عدة وظائف: نظر البيمارستان المنصوري، ونظر الجوالي، ونظر الكسوة، ووكالة بيت المال، ونظر خانقاه سعيد السعداء ووكيل السلطان، وعدة وظائف أخر دينية ومباشرات.

وفي يوم الثلاثاء رابعه، فيه رسم السلطان بنفي القاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر إلى الشام، فنزل من وقته متوجهاً إلى دمشق من غير أن يدخل إلى داره إلى أن وصل إلى ظاهر القاهرة ، رسم بعوده ، فعاد إلى داره على كره منه ، وما كان غرضه إلا الخروج من الديار المصرية .

وسبب ذلك أن السلطان لما جلس على الدكة بالحوش السلطاني على عادته وقرىء عليه الجيش، حصل منه حنق على القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش وأوسعه سباً، وهم أن يضربه بالنمجاة غير مرة، ثم بلغ السلطان أن قاسم ابن قرايلك قد وصل إلى القرب من خانقاه سرياقوس، فتعجب السلطان من قدومه، لأنه لما خرج من عند ابن أخيه جهان كير بن علي بك بن قرايلك من ديار بكر مبايناً له، توجه إلى أبلستين عند الأمير سليمان ابن ناصر الدين بك بن دلغادر، فأرسل سليمان إلى السلطان يطلب منه الإذن بقدوم قاسم المذكور إلى الديار المصرية، فلم يأذن له السلطان بذلك ورسم بإقامته عند سليمان بن دلغادر، وكتب بذلك مرسوم شريف، فلم يلبث السلطان بعد ذلك إلا أياماً قلائل وبلغه حضور قاسم ـ المذكور ـ فعز عليه ذلك، وسأل كاتب السر: هل كتب له في المرسوم بالقدوم ؟ فقال : نعم ، وليس الأمر كذلك ، وإنما أراد كاتب السر بهذا الجواب أن يحتاط من قوله نعم من أن يكون دلس عليه في ذلك ، فطلب السلطان المسودة فلم يجد فيها إذناً بحضوره ، فعند ذلك رسم السلطان بضربه ، فلكمه الأمير برسباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني لكمة واحدة وأخرج من بين يدي السلطان منفياً .

وفيه أمر السلطان بتسليم الزيني عبد الرحمن بن الكويز إلى والي القاهرة ليستخرج منه ما بقي عنده مما كان التزم بحمله إلى السلطان // قبل تاريخه. [١٤٤]

وفيه رسم بنقل أبي الخير النحاس من عند قاضي القضاة الشافعي إلى عند قاضي القضاة المالكي ليدعي عليه بدعاوى، فأخذه والي القاهرة وتوجه به من بيت القاضي الشافعي إلى عند المالكي بالدرب الأصفر وأركبه حماراً وشق به الشارع بعد أن ازدحمت الناس بالشوارع والحوانيت لرؤيته، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة.

وفي يوم الأربعاء خامسه ادعى عليه بمجلس القاضي المالكي السيد الشريف شهاب الدين أحمد - دلال الأملاك - بدعوى شنيعة أوجبت وضع الجنزير في رقبة أبي الخير - المذكور - بعد أن كتب محضر بكفره، وأقام السيد الشريف البينة عند قاضي القضاة بذلك فلم يقبل بعض البينة، واستمر في بيت القاضي المالكي إلى العصر من يومه، نقل إلى حبس الديلم على هيئة غير مرضية، على حمار وفي رقبته جنزير - نعوذ بالله من زوال النعم - ومر بتلك الحالة من الشارع الأعظم وعليه من الذل والصغار ما أحوج أعداءه أن يبكوا عليه، وما ربك بظلام للعبيد، ولقد أنشد القائل:

يا من علا وعلوه أعجوبة بين البشر
غلط الزمان برفع قد رك ثم حطك واعتذر

[الكامل]

وفي اليوم - المذكور - ظهر قاضي القضاة ولى الدين محمد السفطي بعد اختفائه نحو ثمانية أشهر وسبعة أيام، وطلع من الغد في يوم الخميس سادسه إلى السلطان، فسلم عليه، فأكرمه السلطان، ونزل إلى داره.

وفيه وصل الأمير قاسم بن قرايلك إلى القاهرة صحبة قاصد الأمير سليمان بن دلغادر، وتمثل بين يدي السلطان وقبل الأرض، ثم نزل إلى الميدان.

وفي يوم السبت ثامنه خلع السلطان على إينال باي الخاصكي الأشرفي الفقيه بتوجهه إلى دمشق للكشف عن حال أبي الفتح الطيبي والفحص عن حقيقة أمره، ويفعل به ما أمر به.

وفي يوم الأحد تاسعه رسم السلطان بنفي المعلم محمد الصغير أحد

الحجاب وولده عبد العزيز المبعود قبل تاريخه إلى قوص، ثم شفع فيهما على أنهما يلزما دارهما.

قلت: ما أحسن هذا لو دام واستمر.

وفي يوم الاثنين عاشره لبس القاضي محب الدين ابن الأشقر خلعة // [١٤٥] الاستمرار.

وفيه رد على الأمير فيروز النوروزي الخازندار أوقاف الحرمين التي كان أبو الخير النحاس استولى عليها في العام الماضي.

وفيه خلع علي أسندمر الأرغون شاوي باستقراره في أستادارية السلطان بدمشق وشد الأغوار[١] عوضاً عن ابن الهمام، ورسم بالقبض على ابن الهمام، وتولية أسندمر ـ المذكور ـ على مال وعد به نحو العشرة آلاف دينار.

وفي هذه الأيام ترادفت النجابة من حلب وأخبروا بسير جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز علي جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد، وجهان كير ليس له ملجأ إلا القدوم إلى البلاد الحلبية، وأن جهان شاه يتبعه حيثما توجه، فنفرت قلوب أهل حلب من هذا الخبر، ونزح منها خلائق، وغلا ثمن الحيوان بها بسبب السفر منها، وأشياء من هذا النموذج مدلولها طلب عسكر يخرج من الديار المصرية، فلما سمع السلطان بهذا الخبر رسم بعرض العسكر الخاصكية في يوم الأربعاء ثاني عشره ليعين منهم لسفر التجريدة إلى حلب جماعة.

وفي (يوم) الثلاثاء حادي عشره لبس القاضي محب الدين ابن الشحنة (خلعة) بإعادته إلى نظر جيش حلب عوضاً عن عبد القادر بن الرسام، وذاك زيادة على ما بيد ابن الشحنة ـ المذكور ـ من قضاء الحنفية بحلب وكتابة سرها كما

---

(١) شد الأغوار: من وظائف الدولة المملوكية في الشام، يتحدث شاغلها عن الأغوار، والمطابخ، والسكر.

راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨٨.

كان أولاً ، بعد أن التزم ابن الشحنة ـ المذكور ـ بمال كبير ، ثم بتحصيل عليق خيول المماليك السلطانية التي عساها تتجرد إلى البلاد الحلبية .

وفي هذه الأيام أشيع بالقاهرة بأن أبا الخير النحاس قد تجنن في سجنه بالديلم، وأنه صار يخلط في الكلام.

قلت: وإن كان هذا الخبر غير صحيح فحق له أن يتجنن، فإنه كان في الأول (١) وضيعاً ثم ترفع إلى أن ملك الديار المصرية بأسرها ، بل والشامية والحلبية ، وصار هو صاحب الحل والعقد في جميع الممالك ، وقد أصبح اليوم كما ترى وقد أخذت أمواله وأملاكه ، وموجوده في أيدي البيعة ، ويقال :

« من ذاق الغنا بعد فاقة يموت ، وفي قلبه من الفقر واجس » .

وهذا المغتر كان أولاً فقيراً مملقاً متحيلاً على الرزق، ثم صار على حين غفلة ملكاً عظيماً، ورأى من العز ونفوذ الكلمة ما لم يره غيره في زماننا هذا، مع علمي بمن تقدمه، ثم رده الله إلى أسفل مما كان عليه أولاً، // فإنه كان من [١٤٦]
قبل فقيراً قليل الجدة لا غير، والآن فقد صار فقيراً مسجوناً مقيداً، وفي ذهاب روحه أقوال، فنسأل الله حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره عرض السلطان خاصكيته وعين منهم ثلاثمائة وخمسين خاصكياً لسفر التجريدة، ثم رسم بعرض المماليك السلطانية في يوم الأحد القابل ليعين منهم ـ أيضاً ـ جماعة للسفر، ورسم السلطان بأن يكون مقدم هذا العسكر الأمير الكبير الأتابك إينال العلائي الناصري، وعين صحبته جماعة من الأمراء مقدمي الألوف وغيرهم.

فمن الألوف الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير لا غير ، ومن أمراء الطبلخانات : الأمير أرنبغا اليونسي الناصري أحد رءوس النوب ، والأمير برسباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني، ومن أمراء العشرات الأمير أزبك من ططخ الظاهري رأس نوبة وصهر السلطان، والأمير أسنباي الجمالي

---

(١) في « أ » : ضرب على كلمة « الأول » بعلامة « حشـ » ، بما يشير إلى أن ذلك من فعل الناسخ ، وقد صحح في الهامش الأيمن ليكون : « أولاً » .

الساقي الظاهري، والأمير بردبك البجمقدار الظاهري، وهؤلاء الثلاثة مماليك الملك الظاهر جقمق والأمير يشبك من سلمان شاه المؤيدي الفقيه رأس نوبة والأمير يلباي المؤيدي رأس نوبة.

ثم أصبح من الغد في يوم الخميس ثالث عشره تكلم الأمير الكبير إينال - المذكور - مع السلطان في قلة العسكر المتوجه معه من الأمراء وغيرهم، فكان من كلامه أن قال: يا مولانا السلطان، العدو خارجي غريب وعسكره في كثرة، وهؤلاء العسكر لا يطيقون رده لقلتهم، فعظم ذلك على السلطان واشتد غضبه، وقال للأمير الكبير: أنت مالك غرض في السفر، وما أشبه هذا الكلام. فكف الأمير الكبير عن الكلام، وقال: المرسوم مرسوم مولانا السلطان، وأمر السلطان على الرأس والعين، ورأى السلطان أحسن مما نراه نحن. ثم انفض الموكب ودخل السلطان إلى الحوش واستصوب كلام الأمير الكبير، وعين من الأمراء مقدمي الألوف مضافاً إلى العسكر الأمير أسنبغا الناصري الطياري رأس نوبة النوب، ورسم بعدم سفر الأمير بردبك البجمقدار لقلة جدته، ولم يعين عوضه أحداً.

وفيه لبس السيفي بردبك التاجي الخاصكي خلعه سفره إلى مكة ليكون
// بها ناظر الحرم الشريف ومحتسب مكة المشرفة وشاد عمائرها[1] عوضاً عن [١٤٧]
السيفي بيرم خجا الأشرفي الفقيه، وسفر بردبك - المذكور - إلى مكة في البحر الملح وصحبته جماعة من المعمارية وغيرهم.

وفيه وصل أبو الفتح الطيبي من دمشق على أقبح هيئة.

وفي ليلة السبت خامس عشره كان خسوف القمر، ابتدأ به الخسوف من بين العشاءين إلى أن خسف غالب جرم القمر، واشتدت حمرة ما بقي منه بحيث إنه لم يبق له ضوء، وأزهرت النجوم بالسماء كآخر ليلات الشهر، ودام ذلك إلى بعد عشاء الآخرة بنحو الساعة، ثم أخذ ينحل قليلاً قليلاً.

---

(١) شد العمائر: من أمراء العشرات، يتحدث في العمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار . . . إلخ.

راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢.

وفي يوم السبت ـ المذكور ـ ويوافقه أول أبيب ـ نُودي على النيل بزيادة خمسة أصابع لتتمة خمسة أذرع وخمسة وعشرون إصبعاً.

وفيه أفرج السلطان عن العلامة الشيخ قوام الدين العجمي من حبس المقشرة.

وفي يوم الأحد سادس عشره جلس السلطان بالحوش وعرض المماليك السلطانية وعين منهم زيادة على مائة وعشرين نفراً أضافهم لمن كتب أولاً قبل تاريخه للتجريدة من المماليك السلطانية، وعين من الأمراء ـ أيضاً ـ في اليوم ـ المذكور ـ الأمير مرجان العادلي المحمودي نائب مقدم المماليك وغيره.

وفيه استغاث السيد الشريف غريم أبي الخير النحاس على رءوس الأشهاد وقال: قد ثبت الكفر على غريمي النحاس وأُقيمت البينة، والقاضي لا يحكم بموجب كفره وضرب رقبته.

وكان الشريف ـ هذا ـ قد تمثل بين يدي السلطان قبل تاريخه وذكر نوعاً من هذا الكلام، فرسم السلطان للقاضي المالكي بأنه إن ثبت على أبي الخير ـ المذكور ـ كفر فليضرب عنقه بالشرع ولا يلتفت القاضي لما بقي عند أبي الخير النحاس من المال للسلطان، فإن حق النبي ﷺ أبْدَى من حق السلطان، فلما سمع الشريف ذلك اجتهد غاية الاجتهاد، وله ـ أيضاً ـ من ينبهه ويغريه ويلزمه بالكلام ويقويه على ذلك. هذا والقاضي يتروى في أمره وينظر في حال البينة،
[١٤٨] ثم بلغ قاضي القضاة المالكي ولي الدين السنباطي // مقالة الشريف بعد أن تكرر هذا الكلام من الشريف في عدة أماكن، فركب المالكي من وقته وطلع إلى السلطان واجتمع به وكلمه في أمر أبي الخير، فأعاد السلطان عليه الجواب بمقالته أولاً، وقال له كلاماً معناه: إن أمر هذا راجع إليك، ومهما كان الشرع افعله معه ولا تتوقف لمعنى من المعاني. فقال قاضي القضاة ولي الدين السنباطي: يا مولانا السلطان، قد فوضت[١] أمر هذه الدعوى لنائبي القاضي جمال الدين ابن عبد الغفار فهو ينظر فيها بحكم الله ـ تعالى ـ وانفض المجلس.

---

(١) في «أ»: «قد فوض»، والتصويب من النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٢١.

وكان السلطان قد أرسل في أول النهار إلى أبي الخير النحاس ـ الطواشي جوهر التركماني الجمدار يسأله عن الأموال، ويهدده بالضرب والنكال، فلم يلتفت أبو الخير إلى كلامه، وقال: قد أخذ السلطان جميع المال والأملاك، وهذه الأمتعة في الأسواق تباع في كل يوم، ولم يبق معي شيء، ولم يزده على ذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره ضرب الصارمي إبراهيم ابن الأمير بيغوث نائب حماه ـ كان ـ الخارج يومئذ عن الطاعة بين يدي السلطان بحضرة قاصد والده ضرباً متوسطاً ، ثم أعاده إلى محبسه بالبرج من القلعة .

وكان سبب هذه الحركة أن أباه كان قد أرسل في أمسه نجاباً إلى السلطان يطلب منه الأمان والإفراج عن ولده هذا، وعلى يد النجاب ـ أيضاً ـ كتاب الأمير جلبان نائب الشام، والكتاب يتضمن الشفاعة في بيغوث ـ المذكور ـ فلم يلتفت السلطان إلى ما أتى به النجاب، وفعل ما ذكرناه في هذا اليوم من ضرب هذا الشاب بغير ذنب، فلا قوة إلّا بالله.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه لبس القاضي كمال الدين ابن البارزي خلعة الاستمرار بعدما انقطع بداره مدة طويلة حسبما ذكرناه.

وكان القاضي معين الدين عبد اللطيف بن العجمي نائب كاتب السر يباشر الوظيفة في هذه الأيام.

وفيه خلع على القاضي نظام الدين عمر بن مفلح بإعادته إلى قضاء الحنابلة بدمشق.

وفيه سافر برد بك التاجي إلى مكة المشرفة بمن معه من المعمارية وغيرهم في البحر.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه سافر السيفي إينال باي الخاصكي إلى دمشق وصحبته أبو الفتح الطيبي على أقبح // وجه لينظر في حقيقة أمره ويفعل معه [١٤٩] مقتضى الشرع الشريف.

وفيه ثبت عند قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي فسق

القاضي عز الدين ابن قاضي القضاة جمال الدين البساطي المالكي أحد نواب الحكم المالكية وأحد من شهد على أبي الخير النحاس، ثم أرسل قاضي القضاة شرف الدين المناوي من الغد إلى عز الدين ـ المذكور ـ بإقامته من مجلس حكمه فقام من وقته ودار على أرباب الدولة وعرفهم ما وقع في حقه من قاضي القضاة ـ المذكور ـ وطلب أن يعقد له مجلس بالقضاة الأربعة[1] وأعيان الفقهاء في يوم الأربعاء سادس عشرينه بحضرة السلطان بالحوش من القلعة، فلما كان عقد المجلس وحضرت القضاة والشهود الذين شهدوا على أبي الخير النحاس والشريف ابن المصبح المدعي على أبي الخير النحاس سأل السلطان القاضي الشافعي: هل ثبت على أبي الخير النحاس الكفر؟ فقال الشافعي: الدعوى عند قاضي القضاة المالكي، فتكلم القاضي المالكي بكلام طويل حاصله أنه لم يثبت على أبي الخير عنده شيء. فلما سمع السلطان كلامه طلب عز الدين ابن البساطي فنهض عز الدين البساطي قائماً بين يدي السلطان ليتكلم، فبادره القاضي الشافعي وقال: قد ثبت فسق هذا الرجل عندي. فالتفت السلطان إلى عز الدين وقال: أنا أعرفك منذ أربعين سنة، أمضوا به إلى حبس المقشرة، ثم طلبه ثانياً وأعاد عليه القول، ثم رسم بحبسه بعد أن نهره، ثم طلب بقية الشهود الذين شهدوا على أبي الخير النحاس، وهم ابن الكوم الريشي وغيره فأمر بهم فحبسوا الجميع بحبس المقشرة من قبل أن يسمع كلامهم، فلما رأى الشريف المدعي ما وقع تكلم وقال: يا مولانا السلطان، الشهود الذين شهدوا في عز الدين بالقدح قد رجعوا عن شهادتهم، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه، بل قال له: أنت قلت لي بالأمس: إن القاضي المالكي ارتشى في فضبه أبي الخير وألغى أمره، امضوا بالشريف الآخر إلى حبس المقشرة أيضا.

فنزلوا بالجميع وحبسوا بحبس المقشرة عند أرباب الجرائم، وقد تراجع أمر أبي الخير النحاس بعدما أُرجف بضرب رقبته غير مرة، وقد لبث الناس أياماً يترددون ويزدحمون عند خيمة الغلمان ينتظرون مجيئه لتضرب رقبته هناك، لكن لكل أجل كتاب.

---

(١) في «أ»: «الأربع».

// ثم رسم السلطان في اليوم ـ المذكور ـ بإخراج النحاس من حبس [١٥٠]
الديلم إلى بيت قاضي القضاة الشافعي، فتوجه الأمير جانبك اليشبكي والى القاهرة وأخرجه من سجن الديلم مجنزراً، ماشياً بين يديه بعد أن شق به الشارع وهو راكب خلفه، ويمشي على مشيه، على هيئته، إلى أن أوصله إلى بيت قاضي القضاة ـ المذكور ـ بخط سويقة الصاحب وقد ازدحمت الناس لرؤيته، وكان الوقت قبيل العصر بنحو العشر درجات.

ومر أبو الخير في هذه الخطرة على أماكن كان يمر بها في موكبه أيام عزه، فسبحان من يعز ويذل.

قلت: وفي الجملة، خروجه ـ الآن ـ من حبس الديلم هو خير من توجهه أولاً من بيت قاضي القضاة المالكي إلى حبس الديلم، والمراد به ـ الآن ـ خير مما كان يراد به إذ ذاك، فانظر إلى فعل هذه الدنيا مع المغرمين بها. قال قائلهم وأجاد:

أرى الدنيا تقول لعاشقيها حذار حذار توبيخي وفتكي
ولا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي

[الوافر]

ولما وصل أبو الخير إلى بيت القاضي الشافعي أسلمه والى القاهرة إليه، فأمر قاضي القضاة في الوقت برفع الجنزير من عنقه، ثم قام بعد ساعة شخص وادعى على أبي الخير بعدة دعاوى شنعة، فاعترف أبو الخير ببعضها وسكت عن البعض، فحكم قاضي القضاة ـ المذكور ـ بإسلامه وحقن دمه، وفعل به ما وجب عليه من التعزير بمقتضى مذهبه، وسلمت مهجته من القتل بعد أن أيقن كل أحد بسفك دمه، ثم أمر به أن يحبس في بيت القاضي ـ المذكور ـ في الترسيم حتى يتخلص من تعليقات السلطان.

وفي يوم الخميس سابع عشرين (الشهر) وصل ساعي [١] من عند الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب وعلى يده كتاب يتضمن خروج العسكر المصري

---

(١) في « أ » : « ساعٍ » .

إلى البلاد الحلبية، ففي الحال أمر السلطان بكتابة بطاقة إلى قطيا على جناح الطائر برد من توجه من النجابة في أمسه .

وهو أن السلطان كان بعد أن عين التجريدة قبل تاريخه سكت عن ذلك لانتظار ما يرد عليه من الجواب، فلما تمادى الخبر أرسل في أمسه نجابة إلى البلاد
[١٥١] الشامية يحرضهم على الاهتمام بالسفر في // نصف شعبان، فلم يكن إلّا ليلة واحدة وقدم هذا الخبر على يد الساعي المذكور، فأخذ السلطان في تجهيز العساكر، ثم بطل ذلك جميعه بعد أيام قلائل، وفتر عزمه عن إرسال تجريدة، وسكن عن ذلك كله.

وفيه وصل الطواشي سنقر الرومي الجمدار المتوجه قبل تاريخه من قبل السلطان إلى بلاد أبلستين لإحضار الخاتون بنت الأمير سليمان بن دلغادر نائب أبلستين ليتزوج السلطان بها .

وفيه لبس الأمير أسندمر الأرغون شاوي آستادار السلطان بدمشق خلعة السفر.

وفيه أعيد القاضي بدر الدين حسن بن الصواف إلى قضاء الحنفية بحماه على مال بذله في ذلك، لا أخلف الله عليه.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه رسم بالإفراج عن السيد الشريف ابن المصبح غريم أبي الخير النحاس من حبس المقشرة وعن الشهود الذين شهدوا على أبي الخير أيضاً.

وفيه رسم بنفي أبي الخير النحاس إلى مدينة طرسوس محتفظاً به، ورسم أن يقيد ويجنزر من خانقاه سرياقوس، فمضى الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة إليه وأخرجه من بيت قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي راكباً على فرس في الثلث الأول من ليلة السبت تاسع عشرينه، وذلك بعد أن حلف أبو الخير النحاس ـ المذكور ـ في أمسه يميناً مغلظاً بمجلس قاضي القضاة ـ المذكور ـ أنه لم يبق معه شيء من المال غير مبلغ يسير جداً برسم النفقة، وأنه صار فقيراً

مملقاً لا يملك ما قل ولا ما جل، فسبحان المطلع على السرائر.

ومضى هذا الشهر وقد عز وجود البغال، وأبيعت بأغلى الأثمان لكثرة طلابها من الفقهاء وغيرهم لما منعوهم من ركوب الخيل حسبما ذكرناه قبل تاريخه.

شهر رجب

أوله الاثنين.

أهل هذا الشهر والناس في جهد عظيم من غلو الأسعار في سائر المأكولات لا سيما الغلال، فإن أثمانها زاد (ت) المثل أمثال لعدم وفاء النيل. فإن الموافق لأول هذا الشهر من شهور القبط ثامن عشر مسرى والبحر يومئذ في الذراع الخامس عشر مع أنه متصل الزيادة في كل يوم إلى يوم تاريخه، فأبيع القمح فيه بستمائة درهم الأردب إلى // ما دونها، والفول والشعير بأربعمائة [١٥٢] درهم الأردب إلى ما دونها، والأرز بألف وخمسمائة درهم الأردب إلى ما دونها، والجبن الأبيض باثني عشر درهماً الرطل، والمقلى بأربعة عشر درهماً الرطل - وهو مع ذلك عزيز الوجود - والشيرج بخمسة عشر درهماً، وقس على هذا.

وهذا الغلاء له الآن نحو السنتين، والسعر تارة يزيد على هذا وتارة ينقص، فأعلى ما أبيع به القمح في هذه المدة تسعمائة درهم الأردب، وأرخص ما أبيع به أربعمائة درهم وخمسين درهماً الأردب، وهو ما بين هذه الأسعار إلى يومنا هذا، فسبحان المتكفل بأرزاق العباد، وإلى الآن والناس تخشى عاقبة هذا النيل في السنة المذكورة.

وفي هذا اليوم استقر الشيخ أبو الفضل محمد المغربي المالكي في تدريس التفسير بالقبة المنصورية قلاوون بين القصرين عوضاً عن القاضي محيي الدين عبد القادر الطوخي الشافعي، ونزل أبو الفضل - هذا - إلى المنصورية ومعه قضاة القضاة وأعيان الفقهاء وغيرهم، وجلس للتدريس على عادة من تقدمه في ذلك.

وفيه سافر الأمير قاني باي الحسني المؤيدي المنعم عليه قبل تاريخه بأتابكية حماه حسبما ذكرناه في وقته.

وفي يوم الخميس رابعه برز الأمير سونجبغا اليونسي الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة وأمير حاج الرجبية من القاهرة بمن معه من الحجاج وأناخ بالريدانية خارج القاهرة، وسافر في هذا الركب الأمير جرباش المحمدي الناصري المعروف بكرد ـ أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ـ بعياله وزوجته خوند شقراء بنت السلطان الملك الناصر فرج، وسافر ـ أيضاً ـ الأمير تغري بمش الزردكاش أحد أمراء الطبلخانات، وعدة خلائق من الأعيان وغيرهم.

وفي يوم السبت لبس ابن العجيل شيخ المعرة خلعة باستقراره في مشيخة المعرة على عادته أولاً، وهذا بعد أن حبس بالبرج من قلعة الجبل نحواً من خمسة شهور.

وفيه حضر تغري بردي القلاوي كاشف البهنساوية بجماعة من مفسدي العرب فقوصصوا على فعلتهم.

وفي يوم الاثنين ثامنه سافر سونجبغا أمير الرجبية من الريدانية إلى بركة الحاج.

[١٥٣] وفيه سافر العلاء على // الزردكاش المعروف بالبندقداري إلى الأمير جهان شاه بن قرا يوسف متملك أذربيجان وغيرها على النجب.

وفي يوم الاثنين هذا ـ ويوافقه رابع عشرين مسرى ـ نودي على النيل بزيادة إصبع واحد[١] لتتمة أحد وعشرين إصبعاً من الذراع السادس عشر ـ أعني أنه بقي للوفاء ثلاثة أصابع ـ فظن كل أحد بوفاء النيل من الغد، فأصبح في يوم الثلاثاء تاسعه ـ ويوافقه خامس عشرين مسرى ـ نقص البحر ثلاثة أصابع ، فصار النقص عن الوفاء ستة أصابع ـ فما شاء الله كان ـ فعظم قلق الناس لذلك، وارتفع سعر الغلال زيادة على ما كانت عليه من الغلو قبل تاريخه، ثم نقص ـ أيضاً ـ في يوم الأربعاء إصبعين[٢]، فلما سمع السلطان ذلك أرسل إلى الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بمبلغ له جرم وأمره بأن

(١) في هامش « أ » : «صوابه أصبعين».
(٢) في هامش « أ » : «صوابه ثلاثة».

يتوجه إلى الآثار النبوية[1] يتصدق به هناك ويدعو الله بعود الزيادة على جاري العادة، ثم ندب السلطان الشيخ علي العجمي محتسب القاهرة ليعمل بالآثار - أيضاً - سماطاً هائلاً للفقراء وغيرهم، فتوجه الشيخ علي إلى الآثار وفعل ما أمره السلطان به، وصرف على ذلك جملة مستكثرة، ثم رسم في الغد - وهو يوم الخميس حادي عشره، وسابع عشرين مسري - للجمالي ناظر الخواص بعمل سماط في المقياس، وأن يحضره بنفسه ويحمل معه من أنواع الفواكه والحلوى شيئاً كثيراً، فتوجه الصاحب جمال الدين - المذكور - وفعل ما أمره به السلطان، وباشر ذلك بنفسه، وجمع القراء والفقراء وأهل الصلاح بالمقياس في الليلة المذكورة، وكثر الدعاء في هذا المكان المبارك والتضرع والابتهال إلى الله - تعالى - بزيادة النيل.

وكان النقص يومئذ عن الوفاء نحو عشرة أصابع، بل مما كان وصل إليه، فعلى هذا يكون النقص أكثر من عشرة أصابع.

وفي هذا اليوم توفي القاضي شرف الدين محمد ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادي الحنبلي، وعظم مصابه على أبيه. انتهى.

قلت: وأصبح // يوم الجمعة ثاني عشره والقاضي ناظر الخاص [١٥٤] بالمقياس، وحضر الخليفة المستكفى بالله - أيضاً - وعدة خلائق، وصلى الجميع بجامع الروضة - بالقرب من المقياس - وقام الخليفة بعد صلاة الجمعة ودعا الله - سبحانه وتعالى - بسبب إجراء النيل، وأمن الناس على دعائه، وكانوا خلقاً. وكذا وقع في غالب جوامع القاهرة، وكثر الضجيج في هذا اليوم والبكاء والتضرع إلى الله - تعالى - فكان هذا اليوم من الأيام المهولة التي لم نعهد بمثلها في وباء ولا غيره، ومع هذا كله نقص البحر - أيضاً - زيادة على النقص الأول، فأيقن الناس بالهلاك، فسبحان المتصرف في ملكه كيف شاء.

واستمر البحر على هذه الحالة من عدم الزيادة، والناس بسببه في جهد وبلاء، من تكالب الناس على الخبز في الحوانيت والأفران، وعظم ازدحامهم على

(١) في « أ »: « النبوي ».

هذا المعنى، وعمّ هذا البلاء جميع الخلائق إلى يوم الأحد رابع عشره ـ ويوافقه الثلاثون من مسرى أحد شهور القبط ـ أمر السلطان الشيخ على المحتسب بأن يطوف في شوارع القاهرة وبين يديه المدراء[١] يعلمون الناس بأن في غد يكون الاستسقاء بظاهر القاهرة، وأشيع نزول السلطان الملك الظاهر جقمق للاستسقاء، وأصبح من الغد في يوم الاثنين خامس عشره ـ وهو أول يوم من أيام النسيم ـ خرج قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي إلى الصحراء ماشياً بين الخلائق والعالم من الصوفية والفقهاء إلى أن وقف بين تربة الملك الظاهر برقوق وبين قبة النصر قريباً من الجبل، ونصب له هناك منبر، وحضر الخليفة وبقية القضاة، وصاروا في جمع موفور إلى الغاية من سائر الخلائق والطوائف، وخرجت اليهود والنصارى بكتبهم، وصلى قاضي القضاة ـ المذكور ـ بجماعة من الناس، ودعا الله ـ سبحانه وتعالى ـ بإجراء النيل، وأمن الناس على دعائه، وعظم ضجيج الخلائق من البكاء والتضرع إلى الله ـ تعالى ـ وانتشرت الصحراء بالناس، ودام ذلك إلى آخر الساعة الثانية من يوم الاثنين ـ المذكور ـ ثم انصرفوا على ما هم عليه من الدعاء والابتهال إلى
[١٥٥] الله ـ تعالى ـ // فكان هذا اليوم من الأيام التي لم يعهد مثلها.

وفي هذا اليوم توفي العلّامة شهاب الدين أحمد بن عربشاه الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في آخر السنة.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره وصل السيفي سودون الأمير آخور المتوجه قبل تاريخه بتقليد الأمير سودون الأبو بكري المؤيدي بنيابة حماه.

وفيه ورد كتاب نائب غزة الأمير خير بك النوروزي يتضمن أن أبا الخير النحاس مريض، وأنه يسأل أن يقيم بغزة إلى أن ينصل من مرضه ثم يسافر إلى طرسوس، فكتب إليه الجواب بتوجهه إلى طرسوس سرعة من غير أن يتعوق اليوم الواحد.

---

(١) المدراء: جمع مدير، وهم أعوان في الديوان، وعملهم أخذ القصص ونحوها وإدارتها على كاتب السر فمن دونه، ليكتب كل منهم ما يلزمه من متعلقها.
راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ١ ص ١٣٩.

وفي هذه الأيام استمر النيل متماسكاً عن الزيادة، والناس بسببه في أمر مريج، بل نقص فيها عدة أصابع، وعظم البلاء وعم جميع الخلائق، بحيث أنك لا ترى إلّا باك ومبتهل إلى الله ـ تعالى ـ رئيسها ووضيعها ـ وصارت الناس في هذه البلية بالسوية، وعدم الخبز من الدكاكين، وصار لا يؤخذ إلّا من الأفران إلّا بجهد[1] في الليل، ورسل المحتسب تحمي الأفران من النهب، وارتفع سعر القمح إلى سبعمائة درهم، وليته موجود، وإنما عز وجوده بالسواحل، وصار لا يتوصل أحد لشرائه إلّا بجهد ممن له وجاهة وشوكة في الدولة، وأما الضعيف الفقير فصار لا يصل إلى شراء القمح البتة، وسببه أن المماليك السلطانية صاروا يأخذون الغلال من المراكب باليد، حتى إن منهم من كان لا يزن لها ثمناً، بل كان إذا استولى عليها أخذها بما فيها وتوجه إلى حال سبيله، فكف أصحاب الغلال عن البيع خوفاً من هؤلاء الظلمة، فعظم البلاء بهذه الواقعة أكثر وأكثر، حتى أرسل السلطان الأمير مرجان العادلي المحمودي نائب مقدم المماليك السلطانية إلى الآثار النبوية[2] وأخذ عنده عدة مراكب بسبب منع المماليك من ركوب المراكب والتقدم إلى ملاقاة الغلال في البحر فكفوا حينئذ قليلاً، ثم رسم السلطان لصهره ومملوكه الأمير أزبك من ططخ الساقي الظاهري وللأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة بأنهما يتوجهان إلى ساحل بولاق ويجلسان على باب شونة زين الدين الآستادار / / ويشرعان في بيع ما فيها من [١٥٦]
الغلال بستمائة درهم الأردب، وذلك برضى زين الدين الأستادار، فإنه أحب ذلك خوفاً من أن ينهبها المماليك السلطانية، فتوجها إلى ساحل بولاق وفعلا ما أمرهما به السلطان، وداما على ذلك أياماً، فنال بعض الناس من شراء ما يحتاج إليه من القمح، وبعد عن آخرين.

ودام هذا الحال إلى يوم الخميس ثامن عشره، خرج الخليفة والقضاة الأربعة[3] إلى الاستسقاء ثانية، وخرج معهم من الخلائق ما لا يحصى عددهم إلّا

---

(١) كذا في الأصل، وصوابه: «وصار لا يؤخذ من الأفران إلّا بجهد».

(٢) في «أ»: «النبوي».

(٣) في «أ»: «أربع».

الله ـ تعالى ـ وصلى قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي صلاة الاستسقاء، وخطب خطبة طويلة بليغة جداً، وقد انتشرت البرية بالناس وعظم الضجيج والبكاء والتضرع إلى الله ـ تعالى ـ وكان خروج قاضي القضاة ـ المذكور ـ في هذا اليوم إلى الصحراء ماشياً ـ شاهدته بعيني[١] رأسي، وأما في يوم الاثنين لم أره ماشياً، وإنما قيل عنه ذلك، وقيل: إنه توجه راكباً ـ وطال وقوف الناس في هذا اليوم للدعاء بخلاف يوم الاثنين، إلى أن ورد عليهم منادي البحر ونادى بزيادة إصبع واحد من النقص، فسر الناس بذلك سروراً زائداً، وحصل لهم الجبر ولله الحمد والمنة.

ولقد شاهدت في هذه الأيام أعاجيب، منها أنني أدركت الوباء العظيم في سنة ثلاث وثلاثين، ثم في سنة إحدى وأربعين، ثم في سنة سبع، وثمان وأربعين، ثم في سنة ثلاث وخمسين، وكان وباء سنة ثلاث وثلاثين مهولاً إلى الغاية، بحيث أنه مات فيه في اليوم الواحد من الخلائق نيف على عشرة آلاف نفر، ومع ذلك[٢] كنت أجد إذ ذاك بالمفترجات والشوارع جماعة من العامة يضحكون ويهزلون، ومنهم من كان يقع فيها قدر عليه، هذا مع عظم الوباء المفرط وسرعة الموت، إلاّ هذه الأيام، فما تجد من الناس إلاّ باكياً أو متضرعاً إلى الله ـ تعالى ـ أو مهموماً لكثرة عياله، أو تجد جماعة في بعض الأماكن فلا يكون كلامهم ـ غالباً ـ إلاّ في القمح والدقيق والخبز، فكان هذا دأب الناس في هذه الأيام.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره خرج القوم ـ أيضاً ـ إلى الاستسقاء في المكان ـ المذكور ـ وفعلوا كفعلتهم في أول يوم وفي الثاني// من التضرع والدعاء إلى [١٥٧]
الله ـ تعالى ـ وهذه المرة الثالثة، فإن الأولى كانت في يوم الاثنين، والثانية في يوم الخميس، والثالثة في هذا اليوم ـ أعني يوم الجمعة ـ ونودي فيه ـ أيضاً ـ بزيادة إصبع واحد من النقص ـ ولله الحمد.

---

(١) في «أ»: «بعين».

(٢) في «أ»: «ذالك»

والغريب أن الناس يتشاءمون على الملك بخطبتين في يوم واحد، فوقع ذلك في هذا اليوم من غير موجب لذلك، وكان يمكنهم تأخير الاستسقاء الثالث إلى غير يوم الجمعة، هذا وما فطن أحد لذلك إلّا بعد وقوعه، وقد تذكرت أنا هذه الحكاية قبل وقوعها ولكنني سكت للتجربة، فلعمري هل العادة تجري أم هي خرق العادة؟ فكانت خرق العادة، وما حصل للسلطان إلّا كل خير.

وفي يوم السبت عشرينه نقص البحر ثلاثة أصابع، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وفيه نودي بالقاهرة بالكف عن المعاصي وصيام يوم وفطر يوم، وبعرض المماليك السلطانية من الغد لينهاهم السلطان عن أخذ الغلال ويأمرهم بسكنى الطباق من قلعة الجبل، ففعل ذلك من الغد.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه ـ ويوافقه ثاني نوروز القبط، وهو ثاني توت أحد شهور القبط ـ فيه كان انتهاء زيادة النيل في هذه السنة أولاً وآخراً خمسة أصابع من الذراع السادس عشر، وهذا شيء لم يعهد ولا سمعنا بمثله منذ سنين، فسبحانه يتصرف في ملكه كيف يشاء.

وفي يوم الاثنين نودي بزيادة أصبع واحد، فأنعم السلطان على منادي البحر ابن أبي الرداد عندما بشّره بزيادة هذا الإصبع بمائة دينار، واستمرت الزيادة من يوم تاريخه في كل يوم على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه سافر محب الدين ابن الشحنة قاضي قضاة الحنفية بحلب وناظر جيشها بعدما أقام بالقاهرة شهوراً .

وفي يوم السبت سابع عشرينه ـ ويوافقه ثامن توت ـ فيه انتهت زيادة النيل إلى سبعة عشر إصبعاً من الذراع السادس عشر، وبقي للوفاء سبعة أصابع، فنقص من الغد في يوم الأحد ثامن عشرينه وتاسع توت إصبعاً واحداً // فعاد [١٥٨] اضطراب الناس على ما كان عليه أولاً.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه عزل السلطان الطواشي عبد اللطيف

الفلاح شاد الحوش السلطاني بالطواشي جوهر اليشبكي المعروف بالتركماني بعد أن أمر السلطان الأمير فيروز النوروزي الزمام والخازندار بضرب عبد اللطيف ـ المذكور ـ مائتي عصاة على رجليه، ففعل فيروز ذلك، ورسم لعبد اللطيف ـ المذكور ـ أن يلزم داره.

وعبد اللطيف هذا كان أصله من الفلاحين ببعض قرى القاهرة، فلما كان صغيراً ببلده نزل يوماً إلى البحر للسباحة، أخذت الترسة[1] ذكره وخصيتيه، فأخرج وتداوى إلى أن عوفي، قدم به والده إلى الأمير خشقدم الظاهري الزمام ـ كان في الدولة الأشرفية برسباي ـ فأخذه خشقدم وضمه إلى الخدام إلى أن ترقى وولى شاد الحوش السلطاني وصار من أمره ما حكيناه، ولازال عبد اللطيف ـ المذكور ـ على حاله إلى أن توفي سنة ست وخمسين وثمانمائة.

ومضى هذا الشهر وقد كثرت الأمراض الحارة بالقاهرة وفشت في الناس.

وفيه ركب أعيان الدولة من الفقهاء والكتبة على الخيول على عادتهم لاشتغال المماليك السلطانية عنهم بما هو أهم من ذلك من توقف البحر عن الزيادة وغلو الأسعار.

وفي هذا الشهر رسم السلطان لفارس التركماني بالتوجه إلى جزيرة قبرس من بلاد الفرنج ليشتري منها مغلاً ويعود به إلى القاهرة بعد أن دفع إليه مبلغاً من الذهب، وأحاله ـ أيضا ـ بما عند صاحب قبرس من دراهم الجزية.

وفي هذا الشهر توفي الأمير جانبك النوروزي على ما يأتي ذكره.

شعبان

أوله الثلاثاء، الموافق لحادي عشر توت.

أهل هذا الشهر والناس في أمر مريج من كثرة الأمراض، والمصيبة العظمى عدم وفاء النيل إلى هذا اليوم وغلو الأسعار في سائر المأكولات.

---

(١) هي «السلحفاة البحرية»

والأسعار فيه: القمح بألف درهم الأردب إلى ما دونها ،وهو مع ذلك عزيز الوجود جداً، والفول والشعير بستمائة درهم الأردب، وهما في قلة إلى الغاية، والدقيق العلامة بثلاثمائة درهم البطة، بل وأزيد. وعلى هذا السعر فقس كل شيء.

وفي هذه الأيام ورد الخبر بفرار الأمير تمراز من بكتمر المصارع المؤيدي // شاد بندر جدة من جدة إلى جهة الهند. [١٥٩]

وقصته أنه اشترى مركباً مروساً بألف دينار من شخص يسمى يوسف البرصاوي الرومي وأشحنه بالسلاح والرجال، وأخذ جميع ما تحصل للسلطان من بندر جدة وسافر بعدما أشحنه بالزاد والآلات أياماً، واستخدم عدة رماة، وأخذ ما تحصل للسلطان من البندر المذكور ـ وهو نيف على ثلاثين ألف دينار أو أقل من ذلك بيسير ـ وتوجه إلى حيث شاء، فلما بلغ السلطان هذا الخبر كان(١) عليه أدهى وأمر.

وفي يوم السبت خامسه قبض السلطان على علي بن إسكندر معلم المعمارية وأسلمه للأمير جانبك والي القاهرة ليستخرج منه سبعة آلاف دينار، ثم آل أمره على حمل أربعة آلاف دينار فحملها بعد بيع موجوده، ثم نفي إلى البلاد الشامية، واستقر من بعده يوسف شاه العلمي.

وفي يوم الاثنين سابعه، ويوافقه سابع عشر توت نودي على البحر بزيادة إصبع واحد لتتمة عشرين إصبعاً من الذراع السادس عشر، وقد بقي للوفاء أربعة أصابع، فأخذ من الغد في يوم الثلاثاء في النقص إلى يوم الخميس عاشره الموافق لعشرين توت، أجمع رأي السلطان مع أرباب الدولة على فتح خليج السد من غير تخليق المقياس وقد بقي على الوفاء ثمانية أصابع لتكملة ستة عشر ذراعاً، فنزل والي القاهرة ومعه بعض جماعة إلى سد الخليج وفتحه، ومشى الماء في الحلجان شيئاً هيناً، وقد تزايد بكاء الناس وانتحابهم لما عاينوه من عدم جريان

---

(١) في الأصل: «فكان».

الماء في مثل هذه الأيام، فكان هذا اليوم من الأيام المهولة التي لم يعهد بمثلها، وأخذ البحر من يوم تاريخه في النقص إلى أن نزل بالتدريج في أيام من بابة وقد شرق غالب البلاد بالوجه القبلي والبحري، وعمّ هذا البلاء جميع الناس.

وفي يوم الاثنين رابع عشره خلع السلطان على الأمير قاسم بن قرايلك بنيابة الرها وغيرها بديار بكر وأمده بالأموال والسلاح وغير ذلك، وندبه لقتال ابن أخيه جهان كير بن علي بك بن قرايلك بعد أن رسم له أن يقيم بالقاهرة أشهراً لعمل احتياجه.

وفي هذه الأيام ورد(١) الخبر بأن مركب السلطان المشحونة بآلات عمارة الحرم المكي قد غرقت في البحر المالح بما فيها من الأخشاب والدقيق والغلال وغير ذلـك من أزواد الحجاج الرجبية، وكان قد تقدمها مركب أخرى غرقت قبل تاريخه // [١٦٠] وذهب جميع ما في المركبين، وقيمة ما فيها من آلة العمارة ففط نحو خمسة(٢) عشرة ألف دينار، وأما ما كان فيهما من غير الأخشاب وآلة العمارة فشيء كبير.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه لبس الأمير جانبك الظاهري [خلعة] شد بندر جدة على عادته عوضاً عن تمراز.

وفي يوم الأحد عشرينه توفي الأمير سودون السودوني.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه برز المرسوم الشريف بعزل القاضي برهان الدين إبراهيم السوبيني الشافعي عن قضاء دمشق، ورسم بحبسه بقلعة دمشق.

وسبب ذلك أن السلطان كان قبل تاريخه رسم بأن لا يحكم في أبي الفتح الطيبي إلّا القاضي المالكي بدمشق، وسمع القاضي المالكي الدعوى عليه بمجلسه، وتوانى القاضي المالكي في الحكم بما وجب عليه بمقتضى مذهبه، فبادر السوبيني هذا وحكم بحقن دم أبي الفتح الطيبي مع علمه بما رسم به

---

(١) في الأصل [illegible]

(٢) في «أ»: «خمس».

السلطان من أن لا يحكم في أبي الفتح ـ المذكور ـ إلّا المالكي، ومع علمه ـ أيضاً ـ بسبق الدعوى عنده، فبلغ السلطان ذلك، مع إنكار أهل دمشق عليه بسبب ذلك، وعقد بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة.

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه رسم بنفي الأمير طوخ من تمراز المعروف بيني بازق أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية إلى القدس الشريف، ثم شفع فيه في ليلة الاثنين، فاستمر على عادته.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه لبس القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري [خلعة] نظر الحرمين : القدس والخليل عليه السلام.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه عقد مجلس بالحوش السلطاني بحضرة السلطان بالقضاة الأربعة[٢] وأعيان الفقهاء بسبب السوبيني، وانفض المجلس من غير بتات، ثم عقد مجلس آخر في يوم الأربعاء في بيت القاضي كمال الدين البارزي كاتب السر الشريف فلم يظهر له ـ أيضاً ـ فائدة، وكثر الكلام فيه بين الفقهاء المالكية والشافعية، وانفصل المجلس من غير طائل.

شهر رمضان

أوله الخميس.

في يوم الأربعاء سابعه وصل الأمير تنبك من بردبك الظاهري حاجب الحجاب ـ كان ـ من ثغر دمياط بطلب من السلطان، وكان منفياً بطالاً بالثغر ـ المذكور ـ نفاه السلطان بسبب عبد قاسم الكاشف المتقدم ذكره، وطلع إلى القلعة // وقبل الأرض بين يدي السلطان، ووعد بكل خير، ورسم له أن [١٦١]
يمشي الخدمة على عادته أولاً، ولكنه لم ينعم عليه بإمرة ولا بإقطاع، وأصبح الأمير تنبك من الغد حضر الخدمة السلطانية وأجلس في منزلته أولاً مع مقدمي الألوف.

(١) في «أ» : «الأربع».

وفيه لبس الصاحب أمين الدين ابن الهيصم خلعة بسبب ري البلاد الجيزية، وكونه فرق إطلاقات المماليك السلطانية على العادة في كل سنة، وكان هذا بخلاف القياس، فإن غالب ضواحي القاهرة شراقي حتى خليج الزعفران والمطرية وبركة الحبش، وهذا شيء لم يسمع بمثله.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره وصل إلى القاهرة العلاء علي البندقداري الزردكاش من أزرنكان، وأخبر بأخذ أمراء جهان شاه بن قرا يوسف أزرنكان والقبض على صاحبها محمود بن قرايلك، وأشياء من هذا النوع.

وفيه رسم لنائب طرسوس بالقبض على أبي الخير النحاس وضربه على سائر جسده خمسمائة عصاة، وأخذ جميع ما معه من المماليك والجوار (ي)، وخرج المرسوم في اليوم المذكور على يد نجاب، وفعل ما أمر به السلطان.

وفي يوم الجمعة سادس عشره - ويوافقه سادس عشرين بابه - لبس السلطان القماش الصوف الملوّن وألبس الأمراء مقدمي الألوف على العادة.

وفي يوم الاثنين سادس عشريه ورد الخبر من الشام بأن أبا الفتح الطيبي ضربت رقبته بسيف الشرع بحكم القاضي المالكي بدمشق في ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان - هذا - بعد أن ألغى حكم القاضي برهان الدين إبراهيم السوبيني الشافعي بعد عزله وقدومه إلى القاهرة.

وفيه ورد الخبر من نائب دوركي وغيره من نواب البلاد الشامية بأن جهان شاه بن قرا يوسف عزم على التوجه نحو البلاد الحلبية، فعظم ذلك على السلطان إلى الغاية، وتحرّك جهان شاه إلى نحو البلاد الحلبية، يكون ذلك في تبع جهان كير بن علي بن قرايلك، فرسم السلطان أن يكتب مرسوم شريف إلى الأمير سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر صاحب أبلستين بمنع جهان كير من العبور إلى بلاده إذا فر أمام جهان شاه، وجهز له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش.

[١٦٢] وفي هذه السنة بطلت مسايرة أمير // حاج المحمل، وهو أن أمراء الحج

كانوا يفعلون ذلك على القواعد السالفة، فيظهر بذلك التجمل الزائد والفرجة التامة، وتخرج الناس لرؤية ذلك ذهاباً وإياباً.

وسبب بطلان المسايرة أن الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني كان أمير حاج[1] المحمل في هذه السنة، فلم يركب للمسايرة واعتذر من قلة سفر المماليك إلى الحج في هذه السنة. فإن القاعدة كل من كان يحج من المماليك السلطانية والأعيان يركب في خدمة أمير حاج[2] المحمل إذا ركب للمسايرة، وأيضاً لما بالناس من الغلاء المفرط والأنكاد المترادفة.

وقد مضى شهر رمضان هذا عن الناس بعدما قاسوا فيه شدائد من عظم الغلاء، وعمّت البلوى جميع الخلائق، وعز وجود سائر المأكولات، فأبيع القمح فيه بألف ومائتي درهم الأردب إلى ما دونها وفوقها، والشعير بثمانمائة درهم الأردب إلى ما دونها، والفول بسبعمائة درهم الأردب إلى ما دونها، والدقيق العلامة بأربعمائة درهم البطة، ولحم الضأن في عظمه بأحد عشر[3] درهماً الرطل، والشيرج باثنين وعشرين درهماً الرطل، والجبن الأبيض بخمسة عشر درهماً الرطل، والمقلي بثماني عشرة درهماً الرطل، وأما الخضراوات فعزيزة الوجود جداً.

شوال

أوله السبت.

فيه سافر خشكلدي الزيني الدوادار إلى البلاد الشامية على النجب لإخراج تركمان الطاعة نجدة لنواب البلاد الشامية المقيمين بالبلاد الحلبية.

---

(١) في الأصل: «أمير الحاج المحمل».
(٢) نفسه.
(٣) في الأصل: «بإحدى عشرة درهماً».

وفي يوم الاثنين ثالثه أخلع السلطان علي قاضي القضاة ولي الدين محمد السفطي بإعادته إلى مشيخة المدرسة الجمالية برحبة باب العيد بعد عزل القاضي ولي الدين الأسيوطي عنها.

وفي يوم الثلاثاء رابعه وقت أذان المغرب توفي الزيني عبد الباسط على ما يأتي ذكره في آخر السنة إن شاء الله.

وفي يوم السبت ثامنه ورد الخبر من ثغر الإسكندرية بأن الإفرنج أخذوا أربعة مراكب من مراكب المسلمين بعد أن وصل المسلمون إلى ثغر رشيد، فاستولت الفرنج على المراكب المذكورة بجميع ما فيها من الغلال والدقيق المجلوب من (البلاد) التركية وغيرها، فيكون قيمة ما أخذ فيها ـ تقريباً ـ تنيف على مائة ألف دينار على ما قاله غير واحد من التجار وغيرهم. وكان عدة [١٦٣] مراكب الفرنج زيادة على خمسة عشر مركباً، ولهؤلاء // الفرنج حول ثغر الإسكندرية وغيرها من الثغور وسواحل المسلمين نحو عشرة أيام، فما شاء الله كان.

وقد حدث في هذا الشهر من الأنكاد والأخبار المهولة أشياء كثيرة، منها ورود هذا الخبر، ومنها ـ أيضاً ـ أنه وصل كتاب من صاحب سواكن يتضمن أن الحطى[1] الكافر صاحب الحبشة شرع في عمل عدة مراكب برسم غزو المسلمين وأخذ سواحل البلاد الحجازية، وقد تكرر هذا الخبر في هذه السنة غير مرة، ومنها وصول جهان شاه بن قرا يوسف إلى أطراف البلاد الحلبية، هذا مع غلو الأسعار وعظم البلاء على الناس من القحط والجوع وعدم الرّيّ في الأعمال المصرية، وتشتت نواب البلاد الشامية من إقامتهم هذه المدة بالبلاد الحلبية، فنسأل الله حسن العاقبة.

وفي يوم الاثنين سابع عشره توفي الشيخ كمال الدين المجذوب.

وفيه برز الأمير تمربغا الدوادار الثاني بالمحمل إلى بركة الحاج وصحبته أمير

---

(١) المقصود سلطان الحبشة.

الركب الأول الأمير خيربك المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة وهما في قلة من الحاج إلى الغاية، حتى إنني لم أر في هذه السنة من الحجاج إلاّ جماعة يسيرة جداً، وكيف لا والفول بأكثر من سبعمائة درهم الأردب.

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه قدم الخبر من البلاد الحلبية على السلطان بعود جهان شاه بن قرا يوسف من أطراف ممالك السلطان إلى ديار بكر بن وائل من غير أن يحصل منه منذ[1] إقامته تشويش.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه توفي الأمير أركماس الظاهري الدوادار الكبير ـ كان ـ رحمه الله.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه توفي الأمير جانبك الجكمي بعد مرض طويل.

ذو القعدة

أوله الأحد.

في يوم الخميس خامسه برز الأمر الشريف باستقرار الأمير جانبك التاجي المؤيدي نائب بيروت في نيابة غزة عوضاً عن الأمير خيربك النوروزي، بحكم عزله وتوجهه إلى دمشق بطالاً.

وكتب ـ أيضاً ـ باستقرار جغنوس أحد أمراء دمشق في نيابة بيروت عوضاً عن جانبك ـ المذكور.

وولايتهما على مال بذلاه للخزانة الشريفة.

وفي يوم السبت رابع عشره ورد الخبر من ثغر الإسكندرية // بموت [١٦٤] الشريف حسن تاجر السلطان بالثغر المذكور.

وفي يوم الاثنين سادس عشره ورد الخبر من مكة المشرفة على يد السيفي

(١) في «أ»: «في منذ إقامته».

جانبك الخاصكي الظاهري البواب بموت الأمير تغري برمش الزردكاش أحد أمراء الطبلخانات.

وفي يوم الخميس تاسع عشره أنعم السلطان على السيفي دقماق اليشبكي الخاصكي بإمرة عشرة من إقطاع الأمير تغري برمش الزردكاش، وأنعم بباقي إقطاع تغري برمش - المذكور - على الأمير قراجا الظاهري الخازندار زيادة على ما بيده لتكمل له إمرة طبلخاناه.

وفي يوم الجمعة عشرينه طلق السلطان خوند شاه زادة بنت ابن عثمان، ورسم لها أن تقضي العدة بدارها من الدور السلطانية ثم تنزل إلى بيتها بالقاهرة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه لبس الأمير دقماق اليشبكي - المقدم ذكره - زردكاشا عوضاً عن الأمير تغري برمش الزردكاش بحكم وفاته بمكة المشرفة.

وفي يوم السبت ثامن عشرينه عزل الأمير دقماق عن الزردكاشية واسترجع منه الإمرة المنعم بها عليه من إقطاع الأمير تغري برمش الزردكاش، وأعيد إليه إقطاعه القديم، ثم رد إليه ما كان حمله للخزانة الشريفة من الذهب بسبب الزردكاشية والإمرة، فإنه كان قد التزم بحمل أربعة آلاف دينار، فحمل منها بعضها.

وسبب عزله أغرب، وهو أنه لما ولي الزردكاشية أراد عرض الزردخاناه ليظهر بذلك نتيجة للسلطان. فعظم ذلك على ناظر الزردخاناه بدر الدين بن ظهير وغيره، ودخل بدر الدين إلى السلطان وأوغر خاطر السلطان على دقماق، فاستحال إلى كلامه وعزله، واسترجع منه الإمرة، ورده إلى الجندية، واستقر الأمير لاجين الظاهري عوضه زردكاشا.

وأعجب من هذا أن إقطاع دقماق القديم كان قد أنعم به السلطان على شخص يسمى جانبك الأشرفي الشهير بالظريف أحد الدوادارية الصغار، وأنعم بإقطاع جانبك - المذكور - على جانبك البواب القادم من مكة المشرفة، والمخبر

بموت الأمير تغري برمش الزردكاش، فلما رد السلطان إقطاع دقماق القديم إليه صار جانبك الدوادار بلا إقطاع، فإن إقطاعه خرج لجانبك البواب، فأعطاه السلطان الإمرة المنعم // بها على دقماق المذكور، ولم يكن جانبك ـ المذكور ـ [١٦٥] من الخاصكية المرشحين للإمرة.

وفي يوم الاثنين سلخه خلع على الأمير لاجين الظاهري أحد أمراء العشرات، ولالاة(١) المقام الفخري عثمان بالزردكاشية عوضاً عن دقماق اليشبكي، وأنعم على جانبك الأشرفي الدوادار بالإمرة المسترجع بها من دقماق، واستقر قايتباي الأشرفي ثم الظاهري دواداراً عوضاً عن جانبك الأشرفي المقدم ذكره.

ذو الحجة

أوله الثلاثاء.

فيه توفي قاضي القضاة ولي الدين السفطي، ودفن من الغد في يوم الأربعاء ثانيه، وكان غير مشكور السيرة.

وفي يوم الخميس ثالثه استقر القاضي ولي الدين الأسيوطي في المشيخة (ب) المدرسة الجمالية بعد موت السفطي، وكان قد وليها مرة أخرى بحكم عزل السفطي عنها.

وفي يوم الاثنين سابعه وصل إلى القاهرة النجاب المتوجه قبل تاريخه إلى طرسوس بضرب أبي الخير النحاس، وأخبر بأن نائب طرسوس لما وقف على المرسوم الشريف وعلم مضمونه أرسل أحضر أبا الخير ـ المذكور ـ وضربه ضرباً مبرحاً، ثم عصره فلم يجد معه شيئاً إلّا مبلغاً يسيراً ليس هو الغرض، ووجد عنده مملوكاً وجارية وبعض قماش صوف، فكتب الجواب بذلك، ثم أعاده إلى الحبس.

---

(١) أي المربي له.

وفي هذا العيد رُئِيَ أعاجيب. منها عظم غيار الأضحية، حتى إنه لم ير فيها سمين إلّا نادراً جداً. ومنها أن رؤساء عصرنا هذا صاروا في هذا العيد على أقسام؛ فمنهم من فرق على خدمه وحواشيه فلوساً وغنماً، ومنهم من فرّق على البعض وقطع البعض من الأجانب، ومنهم من نزح عن دياره وتغرب عن أوطانه من القاهرة إلى بعض القرى ليفوز بنفسه من تفرقة الأضحية في مثل هذه السنة، وهو الأمير زين الدين يحيى الأستادار، وتبعه في ذلك الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم.

وفي يوم الأحد ثالث عشره رسم السلطان بالإفراج عن الأمير يشبك من جانبك المؤيدي الصوفي المعزول عن نيابة طرابلس قبل تاريخه من سجنه بالإسكندرية، وتوجهه إلى ثغر دمياط بطالاً.

وفي يوم الاثنين رابع عشره وصل كتاب الناصري محمد بن مبارك نائب ألبيرة يتضمن بأن ورد عليه كتاب الأمير رستم مقدم عساكر جهان شاه بن قرا يوسف المقيم على أرغونية بديار بكر، أنه قبض على الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج
[١٦٦] نائب حماه ـ كان ـ // الخارج عن الطاعة ـ الآن ـ وأخذ جميع ما معه، وجعله في الترسيم، وأن رستم ـ المذكور ـ يريد أن يحج في هذا العام. فكتب جوابه بالشكر له على ما فعله، وطلب بيغوث منه، والإذن له في الحج.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره وصل إلى القاهرة ساع من البلاد الحلبية وعلى يده مطالعات من النواب بالبلاد الشمالية، وأخبروا بأن أعوان جهان شاه أخذوا مدينة ماردين بالأمان ما عدا قلعتها، وأنهم ضايقوا جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد وحصروه بها، وأخبروا ـ أيضاً ـ أن والدة جهان كير كانت قد وصلت إلى حلب وقصدت القدوم إلى المواقف الشريفة لترضى الخواطر الشريفة عن ولدها جهان كير ـ المذكور ـ فمنعها النواب من ذلك وأعادوها إلى ألبيرة لتعود إلى حيث جاءت، أو حتى يأتيها إذن من السلطان، وأخبروا ـ أيضاً ـ أنهم كاتبوا الأمير رستم بذلك وأعلموه بما فعلوه مع والدة جهان كير، ثم قالوا في كتبهم: ونحن منتظرون ما يرد علينا من المراسيم الشريفة في ذلك.

فكتب الجواب لهم بالإنكار عليهم فيما فعلوه من رد والدة جهان كير إلى ألبيرة، وأيضاً مكاتبتهم إلى رستم بذلك، ورسم بعود والدة جهان كير إلى البلاد الحلبية ثم قدومها إلى القاهرة مكرمة مبجلة.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه وصل مبشر الحاج، وأخبر بالأمن والسلامة ورخاء الأسعار، وأن الحمل الدقيق أبيع بمكة بخمسة عشر أشرفياً، وهذا بخلاف القياس، لغلو الأسعار بالديار المصرية، وأيضاً لما غرق في البحر المالح في هذه السنة من الغلال وأحمال الدقيق وغير ذلك - حسبما ذكرناه في وقته - وأخبر - أيضاً - بموت قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء الحنفي قاضي مكة وعالمها في تاسع عشر ذي القعدة من السنة رحمه الله.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه نودي بالقاهرة على الفلوس الجدد بأن يكون الرطل الواحد منها بستة وثلاثين درهماً بالوزن المصري.

وفي الثلاثاء تاسع عشرينه أمر السلطان بنفي الأمير الطواشي جوهر النوروزي مقدم المماليك السلطانية إلى القدس الشريف.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - ستة أذرع وخمسة عشر أصبعاً//، مبلغ [١٦٧] الزيادة خمسة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً، وكان قبل ذلك وصل إلى عشرين إصبعاً من الذراع السادس عشر، وهي سنة الشراقي، فلا قوة إلاّ بالله.

* * * *

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان المقدم ذكرهم رحمهم الله ـ تعالى ـ وعفا عنهم

(١) توفي الأمير زين الدين قاسم(١) كاشف الوجه القبلي ، وغريم السفطي(٢) ، المعروف بالمؤذي ، في أول المحرم ، وحمل إلى القاهرة ميتاً(٣) فدفن بها .

(٢) وتوفي الطواشي كافور الهندي(٤) رأس نوبة الجمدارية ـ كان ساقياً ـ في يوم السبت تاسع عشرين المحرم ، ودفن من الغد في تربة معتقته خوند هاجر(٥) بنت الأتابك منكلي بغا الشمسي ، وزوجة الملك الظاهر برقوق ، المتوفية في طاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، المعروفة بخوند الكعكيين ، وسميت بذلك لسكناها بخط الكعكيين ، رحمه الله تعالى .

(٣) وتوفي الطواشي عبد اللطيف(٦) الرومي الإينالي في يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر عن نحو المائة سنة ، وورثه أحفاد معتقه ، وهما الشهابي أحمد ومحمد ولدا أمير علي بن إينال ، رحمه الله تعالى .

(٤) وتوفي المسند المعمر الخطيب شمس الدين محمد ابن الخطيب

(١) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٣ ، الذيل التام ق ٩٣ ب ـ ٩٤ أ ، الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٣ تر ٦٥٠ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٧ .
(٢) راجع تر ٢٠ من هذه الحولية .
(٣) ذكر « السخاوي » أنه « تمرض يوماً واحداً » .
(٤) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٣ ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٦ تر ٧٦٦ .
(٥) لها ترجمة في : المقريزي . السلوك ج ٤ ص ٨٤٧ ، ابن حجر . إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٥٢ تر ٤٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٣٢ تر ٨٠٨ .
(٦) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٢ ، الضوء اللامع ، ج ٥ ص ٣٤١ تر ٩٥٢ .

عبد الله الرشيدي الشافعي[1]

ومولده ليلة رابع عشر شهر رجب سنة تسع وستين وسبعمائة ، ولنا منه إجازة بجميع مروياته ، وسماع .

وكانت وفاته يوم الجمعة حادي عشر شهر ربيع الأول ، رحمه الله تعالى .

(٥) وتوفي الأمير شادبك الجكمي[2] مقدم الألوف بالديار المصرية ، ثم نائب حماه بطالاً بالقدس بعد مرض طويل في يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الأول .

كان أصله من مماليك الأمير جكم من عوض نائب حلب، وتنقل في الخدم من بعده حتى اتصل بخدمة الملك الظاهر ططر لما كان أميراً، فلما تسلطن ططر قربه وأدناه، وتأمر في أوائل الدولة الأشرفية برسباي، وصار من جملة رءوس النوب سنين، ثم صار أمير طبلخاناه ورأس نوبة ثانياً، إلى أن ولي نيابة الرها عوضاً عن الأمير إينال العلائي، فاستمر بالرها مدة وعزل، وقدم إلى القاهرة، ودام بها إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق // بإمرة مائة وتقدمة ألف في [١٦٨] أوائل دولته في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فاستمر على ذلك سنين إلى أن ولي نيابة حماه في حدود الخمسين وثمانمائة، فلم تطل مدته بحماه وعزل وقدم القدس بطالاً، فدام به مدة، وأشيع عنه وعن الأمير إينال الأبو بكري الأشرفي كلام، فقبض عليهما وحبسا ببعض القلاع الشامية في سنة اثنتين وخمسين مدة، ثم أطلقا، وتوجه شادبك ـ هذا ـ إلى القدس بطالاً فدام به إلى أن توفي رحمه الله.

وكان قصيراً جداً، وعنده سرعة حركة مع إقدام، وكان الملك الظاهر جقمق يكرمه أولاً لما كان الأتابك يشبك السودوني في قيد الحياة، لأنهما كانا في

(١) هو « محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن لاجين الرشيدي ، القاهري ، الشافعي » .
له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٧ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠ ، الذيل التام ق ٩٣ أ ، الضوء اللامع ج ٨ ص ١٠١ ـ ١٠٢ تر ٢١٢ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، تر ١١٦٨ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢١٧ أ ـ ٢١٨ ب ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٧ ـ ٥٤٨ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٩ ، الذيل التام ق ٩٣ ب ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ تر ١١٥٠ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٨ .

خدمة ططر معاً، فلما توفي يشبك انحط قدر المذكور، رحمه الله تعالى.

(٦) وتوفي الأمير علي باي[١] من دولات باي العلائي الأشرفي الساقي، أحد أمراء العشرات.

كان خصيصاً عند أستاذه الملك الأشرف برسباي، رقاه إلى أن جعله خازنداراً، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وعظم في دولته، ثم صار بعد موته من جملة أمراء الطبلخانات، وشاد الشراب خاناه إلى أن قبض عليه الملك الظاهر جقمق وحبسه سنين، ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة هينة بالبلاد الشامية، فدام على ذلك مدة يسيرة، وأنعم عليه بإمرة عشرة بالقاهرة، فاستمر على ذلك إلى أن توفي يوم الثلاثاء تاسع عشرين شهر ربيع الأول، وحضر الملك الظاهر جقمق الصلاة عليه بمصلى المؤمني.

وكان شاباً طوالاً، حسن الشكل، شجاعاً، مقداماً، كثير الوقار والسكون، محبباً للناس.

وتوفي - رحمه الله - في شبيبته، عفا الله عنه.

(٧) وتوفي سيدي محمد ابن الملك الظاهر جقمق[٢] في يوم الاثنين ثالث عشر شهر ربيع الآخر وسنه دون عشرة أشهر، ودفن بمدرسة الملك الظاهر برقوق بين القصرين.

وسبب دفنه بمدرسة الظاهر كون أمه خوند بنت الأمير جرباش الكريمي[٣]

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٩١ تر ١٧٠٤، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣١٣ ب - ٣١٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٨ - ٥٤٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٣٢، الذيل التام ق ٩٣ ب، الضوء اللامع ج ٥ ص ١٥١ تر ٥٢٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٧٨.

(٢) له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٣٧، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢١٢ تر ٥٢٣.
واللافت للانتباه أن «الظاهر جقمق» كان له من المحمدين أربعة غير هذا، مات أولهم سنة ٨٤٧ هـ، بينما مات الثلاثة الباقين سنة ٨٥٣ هـ. عن أربع، وخمس، وست سنين.
راجع: السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ٢١٠ - ٢١٢ تر ٥١٩ : ٥٢٣.

(٣) هو «جرباش بن عبد الله الكريمي، المعروف بقاشق، أمير سلاح الظاهر جقمق»، ت ٨٦١ هـ. / ١٤٥٦ م.
له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٣ تر ٨٣٦، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٥٦ - ٢٦٠ تر ٨٣٨، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٣ - ١٨٤، السخاوي. الضوء اللامع =

أمير سلاح والدتها زوجة الأمير جرباش بنت قاني باي[1] قريب الملك الظاهر برقوق .

ودخل نعشه // من باب زويلة، وهذا بخلاف قاعدة المصريين، فإنهم [١٦٩] يتشاءمون بدخول النعش من باب زويلة ـ انتهى .

(٨) وتوفي العلاء علي[2] ابن الخواجا عبد الله الدمشقي الأصل الزردكاش ، أحد من رقاه الملك الظاهر جقمق حتى جعله خاصكياً ، ثم من جملة الزردكاشية إلى أن توفي بعد أن عظم وأثرى وضخم في الدولة ، في يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الآخر ، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة باب الوزير .

وكان شاباً حسناً كريماً ، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنا وعنه .

(٩) وتوفيت زوجة[3] الأمير قاني باي الجاركسي[4] ، الأمير آخور الكبير ، في يوم الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الآخر ، ودفنت بتربة زوجها التي جددها عند دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل .

وهي أم ولد لأستاذ زوجها الأمير جاركس القاسمي المصارع[5] ، عفا الله عنها .

= ج ٣ ص ٦٦ ـ ٦٧ تر ٢٧٢ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣٧ .

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣١ تر ١٨٢١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٦ تر ٦٦٥ .
ويشير السخاوي (الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١٦ تر ٧٠٣) إلى أنه الابن البكر لقانقز ـ أخت الظاهر برقوق .

(٢) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٣ ، الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٥٤ تر ٨٥٢ .

(٣) لم يصرح السخاوي (التبر المسبوك ص ٣٤٣) ـ كذلك ـ باسمها .

(٤) ت ٨٦٦ هـ . / ١٤٦٢ م .
له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠ تر ١٨١٨ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٥ ب ـ ٦ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣١٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٤ تر ٦٥٧ .

(٥) هو « جاركس بن عبد الله القاسمي ، الظاهري برقوق ـ المصارع » ، ت ٨١٠ هـ . / ١٤٠٧ م .
له ترجمة في : ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٩٠ تر ٦ ، ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٣٤ تر ٨٠٩ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٠٩ ـ ٢١١ تر ٨١١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٦٧ تر ٧٣ .

(١٠) وتوفي القاضي شرف الدين محمد ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن عبد المنعم[١] البغدادي الأصل الحنبلي ، في يوم الخميس حادي عشر شهر رجب ، وعظم مصابه على والده قاضي القضاة بدر الدين ـ المذكور ـ بل وعلى كل أحد ؛ فإنه مات في عنفوان شبيبته مع ما كان احتوى عليه من المحاسن والعقل والسؤدد .

وكان مولده في حدود سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه .

(١١) وتوفي العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الدمشقي الحنفي ، المعروف بابن عربشاه[٢] ، في يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب بالقاهرة غريباً عن أهله ووطنه .

ومولده في ليلة الجمعة ـ داخل دمشق ـ في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، هكذا أملى على من لفظه وكتب لي بخطه .

وكان إماماً بارعاً في عدة علوم، عارفاً بفنون كثيرة، مفنناً، (و) كان يحسن نظم القريض جيداً باللغات الثلاث [٣] : العربية والعجمية والتركية، وكان له مصنفات مفيدة حسنة ، رحمه الله .

(١٢) وتوفي الأمير جانبك النوروزي[٤] في شهر رجب بمنزلة العريش بطريق دمشق قاصداً إلى الديار المصرية بعد عزله عن نيابة صهيون .

[١٧٠] وكان فيه شجاعة وإقدام، وكان أصله من مماليك// الأمير نوروز الحافظي ، وتأمر عشرة في أوائل الدولة الظاهرية جقمق ، ثم ولي نيابة صهيون ، رحمه الله .

(١) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ ، الذيل التام ق ٩٣ ب ، الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ تر ٥٨١ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٨٠ ـ ٨١ تر ٢٨٢ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ١٣١ ـ ١٤٥ تر ٢٨٤ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٤٩ ـ ٥٥١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧ ، الذيل التام ق ٩٣ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ١٢٦ ـ ١٣١ تر ٣٧٩ ، السيوطي . نظم العقيان ص ٦٣ تر ٤٠ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٨٠ ـ ٢٨٤ .

(٣) في « أ » : « الثلاثة » .

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ تر ٨٣٠ ، النجوم الزاهرة =

(١٣) وتوفي الأمير سودون السودوني الظاهري[1] برقوق أحد أمراء العشرات والحجاب في يوم الأحد العشرين من شعبان ، وهو في عشر التسعين .

وكان مهملاً ، مسرفاً على نفسه ، غفا الله عنه .

(١٤) وتوفي أبو الفتح محمد الطيبي[2] مضروب الرقبة في دمشق بحكم قاضي القضاة المالكي بها ، في ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان .

كان أبو الفتح هذا في ابتداء أمره يتكسب بتحمل الشهادة بحوانيت الشهود، وكان يصحب النحاس في أيام خموله، فلما عظم أبو الخير النحاس ونالته السعادة قرب أبا الفتح هذا وجعله أحد خواصه وخدمه، فأثرى أبو الفتح وضخم، وركب الخيول، وصار له خدم وحشم، فلم يرض بذلك ورام الدرجة العليا، وتولى وكالة بيت مال دمشق ونظر جواليها بسفارة أبي الخير النحاس، وتوجه إلى دمشق وظلم وعسف، فلم تحمد سيرته، وقدم البلاطنسي إلى القاهرة وشكا عليه إلى السلطان، ورماه بعظائم. وصادف ذلك انحطاط أمر النحاس، فنال منه أهل دمشق ما راموه، وأثبتوا عليه محاضر بالكفر، ووقع بسبب ذلك أمور تقدمت في الحوادث، وآل أمره إلى أن ضربت رقبته بسيف الشرع.

والعجب أن أهل دمشق كانوا هم القائمين[3] عليه حتى قتل ، فلما قتل بكوا عليه وشهدوا جنازته . وصاروا يقولون : هذا الشهيد ، هذا المظلوم ، هذا المقهور . انتهى .

= ج ١٥ ص ٥٥١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٨ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٦١ تر ٢٤٨ .

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٣٧ تر ١١٥٨ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ١١٤ ب - ١١٥ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥١ - ٥٥٢ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٩ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٩ تر ١٠٦٢ .

(٢) هو « أبو الفتح ، محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم ، الطيبي ، القاهري ، القادري ، الشافعي » .

له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٤١ ، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٤١ - ١٤٢ تر ٣٥٧ .

(٣) في « أ » : « القائمون » .

(١٥) وتوفي القاضي زين الدين عبد الباسط[١] بن خليل بن إبراهيم الدمشقي الأصل والمولد والمنشأ ، المصري الدار والوفاة ، ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية في يوم الثلاثاء رابع شوال وقت أذان المغرب ، ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء ظاهر باب النصر .

ومولده بعد التسعين وسبعمائة بدمشق، وبها نشأ، وخدم القاضي بدر الدين ابن الشهاب محمود، ثم اتصل من بعده بخدمة الأمير شيخ المحمودي نائب دمشق، وقدم معه إلى القاهرة بعد قتل الملك الناصر فرج في سنة خمس عشر وثمانمائة، فلما تسلطن الأمير شيخ قربه وأدناه وولاه نظر // الخزانة [١٧١] الشريفة، وصار من عظماء الدولة في أيامه، وأثرى وعمر الأملاك الكثيرة، وأنشأ مدرسة بخط الكافوري تجاه داره، كل ذلك في الدولة المؤيدية شيخ، ثم ولّي نظر الجيوش المنصورة بعد عزل القاضي كمال الدين ابن البارزي في يوم الاثنين سابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وثمانمائة في الدولة الظاهرية ططر، ثم صار عظيم الدولة الأشرفية برسباي وصاحب حلها وعقدها، وطالت أيامه إلى أن قبض عليه الملك الظاهر جقمق بعد أن باشر في أيامه أشهراً وصادره، وأخذ منه ما ينيف على مائتيّ ألف دينار وخمسين ألف دينار ذهباً ،ثم أطلقه فتوجه إلى الحج، ثم عاد إلى دمشق، ثم قدم إلى القاهرة أولى وثانية، وفي الثالثة استوطنها إلى أن حج في سنة ثلاث وخمسين في الرجبية، وعاد إلى القاهرة وأقام بها حتى توفي بها بطالاً بعد مرض طويل.

وكان له محاسن ومساوىء، والثاني أكثر[٢]، وقد استوعبنا حاله في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي فلينظر هناك في باب العين والباء ، لأننا ذكرنا مآثره وما أنشأه بالحرمين والقدس والديار المصرية وغير ذلك .

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ تر ١٣٥٥ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ١٩١ ب ـ ١٩٣ أ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٢ ـ ٥٥٤ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢ ، الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٤ ـ ٢٧ تر ٨١ .

(٢) أشار ابن تغري بردي إلى ذلك في المنهل الصافي (مج ٢ ق ١٩٣ ب) بقوله :
« . . . وكان صاحب معروف وصدقات وكرم وإنعام على حواشيه ومن يلوذ به ، على أن سيئاته=

وما كان يسمى بالباسطية فهو من إنشائه، فإننا لا نعلم أحداً في الدول سمى بهذا الإسم وعرف (به بين) الناس[1] غيره، وفي هذا القدر كفاية .

(١٦) وتوفي الشيخ كمال الدين المجذوب[2] في يوم الاثنين سادس عشر شوال ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته مشهودة ، وكان لبعض الناس فيه اعتقاد حسن . ومات وهو في عشر السبعين ـ تقريباً ـ رحمه الله تعالى .

(١٧) وتوفي الأمير سيف الدين أركماس[3] الظاهري الدوادار الكبير في يوم الجمعة ثامن عشرين شوال بطالاً بالقاهرة .

أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وطال عمره في الجندية إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة طبلخاناه وجعله نائب قلعة دمشق، فدام بها إلى أن نقله منها الملك الأشرف برسباي إلى تقدمة ألف بالديار المصرية، وتولى نيابة قلعة دمشق عوضه الأمير صرغتمش مملوك والدي، ثم جعله الأشرف رأس نوبة النوب بعد القبض على تغري بردي المحمودي، ثم جعله دواداراً كبيراً بعد إخراج الأمير أزبك إلى القدس، فدام في الدوادارية // حتى عزله الملك [١٧٢]
الظاهر جقمق ونفاه إلى دمياط، فدام بالثغر سنين، ثم طلب إلى القاهرة ودام بها بطالاً إلى أن توفي.

= لهم كانت أضعاف حسناته ، لشراسة خلقه ، وبذاءة لسانه ، وسوء بادرته ، وحدة مزاجه ، مع ظلم وعسف وسطوة وجبروت ، وخفة وطيش ، بحيث إنه كان إذا تغير على أحد لا يقنعه منه إلا ذهاب روحه ، وكان يعاقب على الذنب الخفيف الألف عصاة فما دونها ، وقتل من خدمه جماعة تحت العقوبة ، يعرف ذلك من له إلمام وصحبة . . . إذا حنق يتساوى عنده الكبير والصغير ، غير أنه كان إذا راق مزاجه يتدارك أمره مع الكبير ويبذل له ما قلّ وما دلّ ، ولا زال به حتى يسترضيه ، وأما الصغير فحاله موقوف معه إلى يوم القيامة » .

(١) في « أ » : وعرف بالناس . . .

(٢) هو « محمد بن صدقة بن عمر ، الدمياطي ، الشافعي ».
له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ تر ٦٩٠ ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٨٤ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ١٠٩ تر ٣٣٧ ، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢ تر ٣٧٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٩ تر ٨٣٦ .

وكان ديناً إلّا أنه كان مهملاً قليل الشر والخير، رحمه الله تعالى.

(١٨) وتوفي جانبك بن عبد الله الجكمي[١]، الأمير سيف الدين، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة في يوم السبت تاسع عشرين شوال.

وكان متوسط السيرة مهملاً، وأصله من مماليك الأمير جكم من عوض المتغلب على حلب، وهو - أيضاً - ممن تأمر في الدولة الظاهرية جقمق، ولم يكن جانبك هذا ممن له ذكر في الدولة حتى تشكر أفعاله أو تذم، عفا الله عنه.

(١٩) وتوفي الشريف حسن[٢]، أحد التجار بثغر الإسكندرية في ذي القعدة[٣] وخلف مالاً كثيراً. وكان غير مشكور السيرة في دينه، عفا الله عنه.

(٢٠) وتوفي قاضي القضاة ولي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف السفطي[٤] الشافعي في يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة، ودفن من الغد بعد مرض يوم واحد.

وهو صاحب العظمة بأوله والأهوال بآخره، ذكرنا نبذاً من حاله في عدة أماكن من مصنفاتنا.

كان أصله من سفط الحناء بالوجه البحري، ونشأ بالقاهرة، واشتغل في مبدأ أمره، وناب في الحكم سنين، ثم حبب له طلب الدنيا فشمر لذلك ساعد الاجتهاد حتى أهلك الناس وأباد، وصحب الأكابر وصار يأخذ منهم حتى

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٣٩ تر ٨٢٥، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٤٢ تر ٨٢٧، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٢٨، الذيل التام ق ٩١ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٦ تر ٢٢٢.

(٢) ترجمه السخاوي (التبر المسبوك ص ٣٢٨، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٣٣) باسم «حسن بن بدر الدين - الشريف»، غير مزيد على ذلك في اسمه.

(٣) في «أ»: «في ذي القعدة» مكرر.

(٤) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٩٩ تر ٢٠٥٦، المنهل الصافي مج ٣ ق ٧٩ أ - ٨١ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٥ - ٥٥٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٣٤ - ٣٣٧، الذيل التام ق ٩١ أ؛ الذيل على رفع الإصر ص ٢٤٥ - ٢٥٥، الضوء اللامع ج ٧ ص ١١٨ - ٢٢١ تر ٢٥٦، السيوطي. نظم العقيان ص ١٣٩ تر ١٣٤.

الصحن الطعام، فكثر لذلك ماله، وصحب من جملة الناس السلطان الملكَ الظاهر جقمق لما كان أميراً، فلما تسلطن قربه وأدناه حتى صار هو صاحب الحل والعقد في المملكة، وترددت الناس إلى بابه لقضاء حوائجهم، فما عف ولا كف عن أخذ مال ولا سباب عرض حتى جمع من المال ما لا يحصر كثرة، ولا زال أمره ينمو وحرمته تزداد حتى ولي عدة وظائف[1]، ثم ولي قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية[2]، فعندما تمَّ أمره ولت عنه الدنيا، وأخذ أمره في انحطاط، ولله در القائل:

إذا تم أمر بدا نقصه تـوق[3] زوالاً إذا قيل تم

[المتقارب]

ولما ولي القضاء ساءت سيرته فوجد بذلك عدوه أبو الخير النحاس سبيلاً // للتكلم فيه عند السلطان، فتكلم وأمعن،ولازال به حتى أخرج عنه [١٧٣]
جميع وظائفه شيئاً بعد شيء حسبما تقدم في وقته مياومة، إلى أن عزله عن القضاء في سنة اثنتين وخمسين، فعند ذلك انحط قدره إلى البهموت[4] ونال منه أعداؤه ما أملوه، ثم التفت السلطان إلى أخذ ماله، ومال عليه، حتى حبسه بحبس المقشرة مع أرباب الجرائم، ورسم بتوجهه إلى بيت قاضي القضاة ماشياً غير مرة ـ كما ذكرنا في أصل هذا الكتاب في محله أيضاً ـ وقاسى أهوالاً وشدائد وذلاً وبهدلة إلى أن اختفى نحو ثمانية أشهر، ولم يظهر حتى نكب أبو الخير النحاس، ولله در القائل:

---

(١) عد منها السخاوي (راجع مصادر ترجمته) : تدريس التفسير في الحمالية « سنة ٨٢٧ هـ »، ومشيخة الصوفية بها « سنة ٨٣٣ هـ. »، ووكالة بيت المال « سنة ٨٤٢ هـ. » ونظر الكسوة « سنة ٨٤٣ هـ. »، ونظر البيمارستان المنصوري « سنة ٨٤٩ هـ. »، وتدريس الصلاحية المجاورة للإمام الشافعي والنظر عليها « سنة ٨٥٠ هـ. » .

(٢) كان ابتداء ولايته يوم الخميس، خامس عشر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وثمانمائة للهجرة، عوضاً عن « العلم البلقيني » .
السخاوي . الذيل على رفع الإصر ص ٢٤٩ .

(٣) في حاشية « أ » : «حاشية: صوابه: توقع».

(٤) المقصود بذلك : إلى الحضيض .

لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى   عليهم فكان العز لم يحن
جاد الزمان بصفو ثم كدره   هذا بذاك ولا عتب على الزمن
[البسيط]

ولما نكب أبو الخير النحاس تراجع أمر السفطي قليلاً بعد ظهوره من الاختفاء ، وولي مشيخة الجمالية فلم تطل مدته وتوفي في التاريخ المذكور .

وكان له أوراد هائلة وصلاة وخشوع وصوم وعبادة، مع بذاءة لسان وفحش في لفظه، وبطش وجبروت، وبخل زائد حتى على نفسه، عامله الله بما يستحق.

(٢١) وتوفي قاضي القضاة بهاء الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن عمر بن يوسف بن إسماعيل الصاغاني[١] الأصل المكي المولد والدار والوفاة ، الحنفي ، قاضي مكة وعالمها ، في تاسع عشرين ذي القعدة بمكة المشرفة .

ومولده في ليلة التاسع من رجب سنة تسع وثمانين وسبعمائة، ونشأ بمكة وطلب العلم حتى برع في الفقه والأصلين والعربية، وشارك في عدة فنون، وأفتى ودرس عدة سنين، وولي قضاء مكة سنين عديدة، وطالت أيامه، وكان المعول على فتواه بمكة المشرفة، وصنف عدة تصانيف مفيدة ذكرناها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، وولي القضاء من بعده الشيخ أبو حامد أخوه، وكان أحق بها وأهلها، رحمه الله تعالى.

(٢٢) وتوفي الأمير تغري برمش[٢] بن عبد الله الزردكاش الأمير سيف الدين
[١٧٤] أحد أمراء // الطبلخانات وزردكاش السلطان . وكانت وفاته بمكة المشرفة في آخر هذه السنة .

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ تر ٢٠١٠ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٦٥ ب - ٦٦ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٨ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٣٤ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٨٤ - ٨٥ تر ١٧٢ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ تر ٧٦٦ ، المنهل الصافي ج ٤ ص ٦٥ - ٦٨ تر ٧٦٨ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٥٨ - ٥٥٩ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٢٨ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٤ - ٣٥ تر ١٤٥ .

وأصله من مماليك الأمير يشبك من أزدمر[1]، وترقى بعد موته حتى صار زردكاشاً صغيراً في الدولة الأشرفية برسباي، ثم ولى الزردكاشية الكبرى، وأنعم عليه بإمرة عشرة، واستمر على ذلك حتى جعله الملك الظاهر جقمق من جملة أمراء الطبلخانات، وسافر أمير الحاج غير مرة، وتوجه إلى الغزوات كثيراً جداً في عدة دول.

وكان أشقر، ضخماً بخيلاً، مغرماً بجمع الأموال، مثرياً، عمر عدة أملاك بالقاهرة وبولاق، وعمر جامعاً حسناً على النيل بساحل بولاق، وله عدة مآثر أخر، رحمه الله تعالى.

* * *

---

(١) هو «يشبك من أزدمر الظاهري برقوق»، قتل سنة ٨١٧ هـ. / ١٤١٤ م.
راجع ترجمته في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٨٦ تر ٢٦٤٩، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٨٥.

[انتهى الجزء الأول من المجلد الأول ،
يتلوه ـ بإذن الله ـ في أول الجزء الثاني منه :
حوادث سنة خمس وخمسين وثمانمائة للهجرة]

سنة خمس وخمسين وثمانمائة

استهلّت هذه السنة - ووافق ذلك العاشر من أمشير أحد شهور القبط - وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر جَقْمَق العلائي الظاهِريّ ، وخليفة الوقت أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وهو على خطة[1] . والقضاة والأمراء ونواب البلاد الشامية وسائر أرباب الدولة على حالهم في أوّل العام الماضي ما عدا الزَّرْدكَاش فإنه الأمير لَاجِين ، وليها بعد موت تَغْرِي بَرْمُش كما ذكرناه في محلّه ، ونائب غزة الأمير جَانِبَك التَّاجي[2] المؤيّدي ، وليها بعد عزل خيربك النوروزي ، وشرف الدين موسى التتائي[3] الأنصاري المستقر في وظائف أبي الخير النحاس .

والأسعار في زيادة عن الحدّ، فالقمح بألف وخمسمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والفول والشعير بنحو ألف درهم الإردب إلى ما دونها، وهما في قلة إلى الغاية، والدقيق العلامة بخمسمائة درهم البطة إلى ما دونها، والتبن بخمسمائة درهم الحمل إلى ما دونها، وأبيع الحمل التبن بثغر دمياط بألف درهم الحمل فتعطّل لذلك عِدّة دواليب بالثَّغْر المذكور، وخربت بساتين عديدة بالقاهرة وضواحيها، وأبيع الفدان من البرسيم الأخضر بعشرين أشْرَفياً، ثم وصل في

---

(١) المقصود : أنه في مرض موته .

(٢) نسبة إلى « التاج الوالي »، توفي في جمادى الثانية سنة ثمان وستين وثمانمائة للهجرة.

راجع : ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٨٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٥ - ٥٦ تر ٢٢٠ .

(٣) التتائي : نسبة إلى « تتا »، إحدى قرى المنوفية - السخاوي . نفسه ج ١١ ص ١٩٤ .

أخر السنة إلى ثلاثين أشرفياً، ثم عزّ وجوده البتة، وأبيع الحطبُ بمائة درهم الحملة، وهو في زيادة. وأما اللحوم فقليلة جداً، وأما سمينها فنادر.

[١٧٥] وماء النيل المحمول إلى القاهرة // بأزيد من عشرين درهماً الرَّاوية.

والجبن المقلي لا يوجد إلاّ نادراً، والجبن الأبيض الجاموسي باثنيّ عشر درهماً الرطل، والشيرج والزيت بأربعة وعشرين درهماً الرطل، والزيت الحار بخمسة عشر درهماً الرِّطل.

وأجرة طحن الإردب، القمح بمائة وعشرين درهماً الإردب، وقد اتخذ غالب الناس في بيوتهم كل واحد رحى من حجر يطحن بها قمحه.

والسمن بثلاثين درهماً الرطل، والعسل النحل بنحو ذلك، والدبس باثنيّ عشر درهماً الرطل، والأرز بأربعة وعشرين درهماً القدح، والخبز بثمانية دراهم الرطل.

وقد كثرت الفقراء بالديار المصرية وعظم إلحاحهم في السؤال، بحيث إنه لا يكاد الشخص يمر في الطرقات إلاّ وهم في أثره، ويكررون له السؤال.

المحرم

أوله الخميس، ويوافقه عاشر أمشير أحد شهور القبط.

فيه أخلع السلطان على الأمير الطواشي مرجان العادلي المحمودي نائب مقدم المماليك باستقراره مقدم المماليك السلطانية، عوضاً عن جوهر النوروزي بحكم إخراجه إلى القدس الشريف بطالاً، وأخلع على عنبر الطنبدي باستقراره في نيابة تقدمة المماليك عوضاً عن الأمير مرجان المذكور.

وفي يوم الجمعة ثانيه توفي الخليفة أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، وهو في عشر الستين.

وفي يوم الاثنين خامسه جلس السلطان الملك الظاهر بالقصر الأعلى من قلعة الجبل داخل القصر الأبلق، واستدعى الشرفي حمزة ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، وحضر القضاة وأعيان الدولة واجتمعوا على مبايعة حمزة المذكور بالخلافة، فاستفتح قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي

الشافعي البيعة بخطبة قصيرة في غير المعنى، ثم سكت في أثناء الخطبة ظاناً أن البيعة قد تمت، فعند ذلك ابتدأ القاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر الشريف بخطبة بليغة حمد الله - تعالى - فيها وأثنى على نبيه محمد ﷺ ثم على الخليفة بعبارة طلقة مع فصاحة وحسن تأدي إلى أن استتمت البيعة، وبايعه // السلطان ومن حضر من القضاة والأعيان على مراتبهم، ثم سأل [١٧٦] القاضي كمال الدين - المذكور - الخليفة بأن يفوض إلى السلطان ويقلده أمور الرعية ، ويجعله (١) يتصرّف في المملكة كيف شاء ، وعدد له أشياء من هذه المقالة ، ثم استدعى السلطان التشريف الخليفتي (٢) وألبسه حمزة - المذكور - ووثب السلطان قائماً على قدميه إلى أن تم لبسه ، وعاد وقرأ الفاتحة ، ثم قام ونزل إلى داره بين يديه وجوه الدولة من القضاة والأمراء وأعيان الدولة ، واجتمعت الناس لرؤيته ، ولقب بالقائم بأمر الله .

وفي يوم الخميس خامس عشره وصل إلى القاهرة ولد جهان كير بن علي بك بن قرايلك وعلى يده مطالعة من والده تتضمن ما معناه أن جهان كير مملوك السلطان، ويطلب رضى الخواطر الشريفة عليه. فأكرم السلطان الولد - المذكور - وبعد أيام أنعم عليه بإمرة عشرة بطرابلس، ورسم له بالتوجه إلى طرابلس ويكون معه بها نحو عشرة نفر من حاشية والده جهان كير، والولد - المذكور - سنه دون عشر سنين.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه وصل الأمير سونجبغا اليونسي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، أمير حاج الرجبية، وصحبته الأمير جرباش المحمدي الناصري أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، ومن الغد وصل الأمير خيربك المؤيدي ورأس نوبة أمير الركب الأول بمن معه من الحاج.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه وصل الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني أمير حاج المحمل ببقية الحاج.

وفي هذا الشهر استقر القاضي شهاب الدين أحمد التلمساني المغربي في

(١) في الأصل : « وجعله » .

(٢) في الأصل : « الخليفيتي » .

قضاء المالكية بدمشق بعد عزل القاضي سالم.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر توفي القاضي جمال الدين ابن هشام أحد نواب الحكم الحنابلة.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه توفي الرئيس مجد الدين عبد الرحمن بن الجيعان ناظر الخزانة الشريفة وكاتبها.

وفي هذا الشهر توفي القاضي شمس الدين محمد، قاضي مدينة ألينبع المعروف بابن زبالة.

صفر

[١٧٧] // أوله الجمعة.

في يوم السبت تاسعه وصل قصاد الأمير جهان شاه بن قرا يوسف متملك تبريز وبغداد وما والاهما إلى الديار المصرية وأنزلوا بالميدان من تحت قلعة الجبل إلى يوم الاثنين حادي عشره عمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني من القلعة، وطلع القصاد - المذكورون - وتمثلوا بين يدي المواقف الشريفة وقدموا هدية جهان شاه - المذكور - وصحبتهم ابن أخي جهان شاه - أعني ابن أصبهان بن قرا يوسف - والهدية تشتمل على بعض خوذ وزرديات وجمال بخاتي أربعة عشر جملًا، وكان كتاب جهان شاه بالعجمي فعرب، فكان معناه التودد إلى السلطان، وأنه تحت طاعته، واعتذر - أيضاً - من قدومه إلى ديار بكر وأخذه أزرنكان ومدينة ماردين من جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وأنه[1] ما فعل ذلك به إلاّ بخروج جهان كير عن طاعة السلطان، ولسوء سيرته في الرعية؛ والمقصود رفع يد جهان كير من ممالك ديار بكر، وتولية عمه الشيخ حسن بن قرايلك ليكون تحت طاعة السلطان.

ثم ذكر قاصد جهان شاه أن جهان شاه أرسل بولد أخيه أصبهان إلى السلطان ليكون تحت نظر السلطان ومن جملة مماليكه، فأخذه السلطان في الحال وضمه إلى ولده المقام الفخري عثمان. والصبي - المذكور - سنه نحو العشر سنين.

(١) في الأصل: «وأن».

ثم انفض الموكب وعاد القصاد إلى حيث أنزلوا بالميدان، ومنعوا من الاجتماع بالناس، ورتّب لهم السلطان في كل يوم - برسم النفقة - عشرة آلاف درهم.

وفي يوم الأحد سابع عشره ورد الخبر بقدوم الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي نائب حماه - كان - الخارج عن طاعة السلطان قبل تاريخه إلى حلب صحبة الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك نائب ألبيرة طائعاً للسلطان، وعلى يد القاصد عدة مطالعات من نواب البلاد الشامية تتضمن الشفاعة في بيغوث المذكور والرضى عنه، فقبل السلطان شفاعتهم، وكتب بإحضار بيغوث - المذكور - إلى الديار المصرية على أحسن الأحوال.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره عمل السلطان مَدّةً هائلة لقصاد جهان شاه بالقلعة.

وفي يوم الأربعاء العشرين منه أنعم السلطان // على قصاد جهان شاه [١٧٨] بمبلغ ألفيّ دينار برسم نفقة السفر، وأنعم السلطان - أيضاً - على الأمير قانم التاجر المؤيدي معلم الأسواق بألف دينار، وندبه للتوجه صحبة القصاد، رسولاً إلى جهان شاه، وجهّز السلطان على يد قانم - المذكور - إلى جهان شاه بهدية هائلة تشتمل على قماش سكندري مذهب وغيره من أنواع الأقمشة الحرير، ما قيمته نحو خمسة عشر ألف دينار تقريباً.

وفي يوم الأربعاء هذا ورد الخبر بموت خوندكار مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم في سابع المحرم من السنة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه سافر الأمير قانم وقصاد جهان شاه إلى محل قصدهم.

شهر ربيع الأول

أوله السبت.

فيه توفي الشيخ شمس الدين محمد بن حسان الشافعي شيخ خانقاه سعيد السعداء، وتولى مشيخة سعيد السعداء من بعده الشيخ خالد.

وفي يوم الأحد ثانيه ركب السلطان الملك الظاهر جقمق ونزل إلى بيت

زين الدين يحيى الأستادار/ليعوده؛ لانقطاعه عن الخدمة الشريفة في داره. وسبب انقطاعه أن المماليك السلطانية أوقعوا به بباب القلة(1) من قلعة الجبل، وشج في رأسه، ونزل محمولاً إلى داره، وكثر الكلام في أمره إلى هذا اليوم انكف الناس عن الكلام فيه، فلم يطل جلوس السلطان عنده، وركب من عنده وعاد إلى بيت الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الخواص الشريفة ونزل إليه، وأقام عنده قليلاً، ثم ركب وعاد إلى القلعة، وبعد طلوع السلطان إلى القلعة جهّز كل واحد من الأستادار وناظر الخاص تقدمة هائلة وأرسل بها إلى السلطان، فكانت تقدمة ناظر الخاص تشتمل على ذهب عين خمسة آلاف دينار، ومن الصوف الملّون خمسين ثوباً، ومن البعلبكي مائة ثوب، ومن المخمل الملوّن خمسين ثوباً، ومن الفرو سمور خمسة أبدان، ومن الوشق خمسة أبدان ـ أيضاً ـ وسنجاب عدة أبدان، وقماش سكندري كالمناديل المذهبة والشقق الحرير وغير ذلك جملة مستكثرة، وسكر نبات وحلوى وفاكهة على عدة حمالين

[179] وأما تقدمة // الأستادار فكانت تشتمل على ذهب عين خمسة آلاف دينار ـ أيضاً ـ وبعلبكي خمسمائة ثوب، ومخمل مدثر وساذج أربعين ثوباً، وقماش سكندري ما بين مناديل مذهبة وشقق حرير وغير ذلك شيء كثير، ومن الخيول ..انية أفراس، وسكر نبات وحلوى وفاكهة على عشرين حمالاً .

وفي يوم الثلاثاء رابعه لبس زين الدين الأستادار خلعة الاستمرار ، كامليَّةً بفرو سَمُّور .

وفي أوائل هذا الشهر وردت الأخبار من البلاد الشامية بأن جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد أرسل أخاه حسناً(2) وصحبته جماعة من عسكره لقتال عسكر جهان شاه بن قرا يوسف الذي هو صحبة عمه الشيخ حسن بن قرايلك، فسار حسن ـ المذكور ـ بمن معه غارة وبيت عمه الشيخ حسن بمن معه من عسكر جهان شاه وطرقه بغتة ، فظفر بعمه الشيخ حسن بن قرايلك

---

(1) باب القلة : عرف بذلك لأجل أنه كان هناك قلة بناها الملك الظاهر بيبرس ، وهدمها المنصور قلاوون ، ثم جدده الناصر محمد بن قلاوون

راجع : المقريزي . الخطط ج 2 ص 212 .

(2) في الأصل : « حسن » .

ـ المذكور ـ ونائبه ، وقتلهما معاً ، وحز رأسهما ، وقتل معهما عدة كبيرة من عسكر جهان شاه بن قرا يوسف ، وأبدع فيهم . ثم عاد حسن ـ هذا ـ إلى أخيه جهان كير بآمد مؤيداً منصوراً .

وفي يوم الخميس سادسه لبس الجمالي ناظر الخواص كاملية بفرو سمور .

وفي يوم الخميس ثالث عشره توفي القاضي شمس الدين محمد ، ابن أخت السخاوي .

وفي يوم الجمعة رابع عشره ـ ويوافقه حادي عشرين برمودة أحد شهور القبط ـ لبس السلطان القماش الأبيض على العادة .

وفي يوم الاثنين سابع عشره عقد السلطان عقده على بنت القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل، وكان متولي العقد قاضي القضاة بدر الدين محمد بن عبد المنعم الحنبلي، وخلع السلطان عليه كاملية بفرو سمور بعد إنجاز العقد.

وفي الجمعة،حادي عشرينه سافر زين الدين الأستادار إلى الوجه البحري لحفر بحر المنزلة وعمل مصالح تلك النواحي على ما يزعم، وسافر معه الأمير إينال العلائي الناصري أتابك العساكر والأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس.

[١٨٠] وسبب سفرهما صحبته أن زين الدين ـ المذكور ـ عرف السلطان // أن لهما بتلك النواحي بلاداً داخلة في إقطاعاتهما، وحسن إلى السلطان توجههما معه للنظر في مصالح بلادهما، فإن بحر المنزلة قد انسد[١] فمه، وصار فيه الرمل كالجبال ، فرسم لهما السلطان بالسفر معه ، فتبرما من ذلك ، فلم يقبل السلطان عذرهما وألزمهما بالسفر معه ، فسافرا صحبته في اليوم المذكور .

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه توفي الشيخ شمس الدين محمد الكاتب الحنفي الرومي.

وفي يوم الخميس عشرينه استقر صاحبنا القاضي بدر الدين محمد بن القطان في قضاء طرابلس، ثم عزل بعد أيام ورشح والده عوضه، وكلاهما لم يل.

---

(١) في الأصل : « استد » .

وفي هذا الشهر انحط سعر الغلال، فأبيع القمح بثمانمائة درهم الإردب إلى ألف درهم، وأبيع الفول بسبعماية درهم الإردب إلى ما دونها وإلى ما فوقها ، وهو قليل جداً، والشعير بنحو ذلك، وانحط سعر التبن، فأبيع الحمل المحاشاة بنحو ثلاثمائة درهم الحمل، وكان وصل قبل تاريخه إلى سبعمائة درهم الحمل، وأبيع الدقيق العلامة بمائتين وخمسين درهماً البطة بعد أن وصل إلى خمسمائة درهم (١) البطة ، والرطل الخبز بأربعة دراهم الرطل بعد ثمانية دراهم الرطل ، وطال مكث هذا الغلاء بالديار المصرية حتى افتقر فيه جماعة من أهلها لطول مكث الغلاء بها .

وفي هذا الشهر - أيضاً - والذي قبله، فشا في الناس أمراض حادة توعك منها خلائق لا تدخل تحت حصر، وتوفي خلائق أيضاً.

وفيه - أيضاً - وردت الأخبار من البلاد الشامية بغلو أسعارها إلى الغاية، وأن القمح أبيع فيها بستمائة درهم فضة الغرارة، ووقع الغلاء بها - أيضاً - في سائر المأكولات.

وسبب ذلك كثرة الخلائق الذين قدموا عليها من مصر وغيرها فارين من الغلاء، وأيضاً من عظم ما وقع بها من الثلوج، ولله الأمر.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين.

في يوم الخميس حادي عشره ورد على السلطان مطالعة الشريف بركات صاحب مكة تتضمن بأنه (٢) ورد عليه من الهند الخبر بعود الأمير تمراز المؤيدي [١٨١] المصارع من بلاد كالكوت إلى جهة بندر / / جدة ، وأنه اشترى بما كان معه من مال السلطان الذي أخذه من بندر جدة أصنافاً من البهار(٣) بسبب المتجر ، وأنه في عزمه العودة إلى طاعة السلطان .

---

(١) في الأصل : « درهما » .

(٢) في الأصل : « بأن » .

(٣) البهار : نبت طيب الرائحة ، يقال له : « عين البقر » ، أو « بهار البر » .
راجع : المنجد ص ٥١ .

وفي يوم السبت ثالث عشره وصل الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي إلى الديار المصرية وقبل الأرض بين يدي السلطان، وخلع عليه سلاريا أحمر بفرو سمور، ونزل مكرماً مبجلاً.

وفي يوم الاثنين خامس عشره سافر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات إلى بلاد الروم لتولية خوندكار محمد بن مراد بك بن عثمان الملك بعد وفاة أبيه مراد بك.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره أرسل الشيخ المعتقد محمد السفاري المقيم بجامع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إلى الشيخ علي الطويل المحتسب العجمي - محتسب القاهرة - بفقيرين ومعهما جنزيرين وباشتين، وقالا له: أمرك الشيخ محمد السفاري أن تجعل في عنقك هذه الباشة وهذا الجنزير، وتجعل الأخرى في عنق نائبك القاضي عز الدين. فلما سمع الشيخ علي ذلك منهما أشهد عليهما بذلك، وطلع بهما من الغد في يوم السبت إلى السلطان وأخبره بمقالتهما، فأمر بهما السلطان فضربا بين يديه ضرباً مبرحاً على أكتافهما، وضرب دوادار والي مصر على مقعدته[1]، فإنه كان هو الذي أتى بهما إلى الشيخ علي المحتسب بالأمس بأمر الشيخ محمد السفاري، ثم شهرا بالقاهرة وحبسا بحبس المقشرة، وطلب السلطان الشيخ محمد السفاري ليوقع به، فتوجه إليه دوادار الأمير جانبك والي القاهرة وطلبه من غير إزعاج، فلم يلتفت الشيخ محمد إليه وسب السلطان، وحفظت عنه كلمات في حق السلطان تدل على قرب زوال السلطان إن صدق، منها أنه قال: إن السلطان يموت في يوم حادي عشرين جمادي الأولى من السنة ، ومن الناس من نقل عنه أنه قال : اكتبوا عني ذلك - هذا على ما قيل - وكثر تخبط العوام ، بل غالب الناس في ذلك ، واختلفت الأقاويل في أمر الشيخ محمد - المذكور - وما سيأتي أعجب .

وفي هذا الشهر أشيع بالقاهرة أن السلطان ذكر أبا الخير النحاس بخير، وأنه في عزمه الإفراج عنه والرضي / / عليه ، فبلغ السلطان ذلك ، فبرز مرسومه إلى نائب طرسوس بضربه مائة عصاة ، وهذه افتقادة مني إليه ! [١٨٢

(١) في الأصل : « مقعده » .

جمادى الأولى

أوله الثلاثاء.

فيه سافر الشهابي أحمد بن إينال ـ أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ـ إلى ثغر رشيد بمماليكه وحشمه لحفظ الثغر ـ المذكور ـ من مفسدي الفرنج.

وفي يوم الثلاثاء ثامنه سافر الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج إلى دمشق ليقيم بها بطالاً، ورتب[1] له بها في كل شهر مائة دينار برسم النفقة إلى أن ينحل له إقطاع.

وفي يوم الجمعة حادي عشره توفي الشيخ محمد السفاري صاحب الواقعة مع الشيخ علي المحتسب قبل تاريخه، وهوْ القائل بأن السلطان الملك الظاهر جقمق يموت يوم حادي عشرين هذا الشهر، فمات الشيخ محمد ـ المذكور ـ قبل ذلك في يوم حادي عشر الشهر ـ المذكور ـ فهذا الأمر من الغرائب، لكونه يبشر بموت السلطان في يوم معين ويموت هو قبله بعشرة أيام، ولم يظهر لكلامه بعد ذلك صحة.

وأغرب من هذا ـ على ما حكى لي من أثق به ـ أن الشيخ محمد السفاري لما قال هذا الكلام وازدحم الناس على بابه لسماع هذا الكلام منه، قال بعض الفقراء ممن لا يؤبه إليه: حتى يعيش محمد السفاري إلى ذلك اليوم. فكان كذلك، فكان الكشف من هذا الفقير الثاني أعظم.

وقد ظهر لي بموت الشيخ محمد السفاري في هذا التاريخ شيء ـ وهو الصواب ـ وهو أن الشيخ لما طلبه السلطان ليوقع به، بعد أن بلغه ما وقع لفقيريه من الضرب والحبس والإهانة عظم عليه ذلك وعلم بموت نفسه في يوم حادي عشر الشهر، فقال كلاماً معناه في اليوم الفلاني نستريح بالموت، فتحرف الكلام على من سمع قوله: «في يوم حادي عشره» بيوم حادي عشرينه، وأما بقوله نستريح بالموت، فإنه[2] أشار بذلك إلى السلطان لا إلى نفسه، فإن غالب الفقراء أرباب الكشف لما يحصل لهم نوع من الكشف يقولون: يأتينا الخبر عن

(١) «ورتب»: مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل: «بأنه».

أنفسهم، ويقصدون بذلك لمن حضر، فحملت العوام كلام الشيخ على هذه القاعدة بأن الشيخ محمد لما قال: نموت في اليوم الفلاني ما قصد إلاّ عن السلطان لكونه ضرب فقراءه ولم // يكن غير ذلك، فإن الشيخ محمد السفاري كان خيراً ديناً حسن السيرة يقصد للزيارة، رحمه الله تعالى. [١٨٣]

وفي يوم الجمعة هذا ورد الخبر من البلاد الحجازية بأن تمراز المصارع فر من بلاد الهند إلى جبرت، مملكة السلطان سعد الدينّ بغير مال، وهذا الخبر فيه أقوال.

وفي يوم الاثنين رابع عشره قدم الأمير قراجا العمري من دمشق إلى القاهرة، وكان مقيماً بدمشق من جملة الأمراء البطالين.

وفي يوم الأحد العشرين منه ـ ويوافق سادس عشري[١] بؤنة أحد شهور القبط ـ أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً، وكان النيل في هذه السنة قد احترق احتراقاً زائداً حتى خاض الناس من عدة مواضع من ساحل بولاق إلى منبابة، وقل جريان الماء إلى الغاية، وقاست الناس في هذه الأيام من البلاء والشدائد والغلاء والجهد ما لا مزيد عليه، واتضع جانب أهل الديار المصرية رئيسها ووضيعها، بل أشرفت القاهرة على الخراب، ونزح عنها خلائق من أهلها لا تدخل تحت الحصر إلى البلاد الشامية، وورد عليها من أهل القرى ومن الأعراب أمثال من خرج منها، وكثر الفقراء منهم بالقاهرة حتى صاروا فوجاً فوجاً في الطرقات، ومات منهم خلائق كثيرة من شدة القحط.

جمادى الآخرة

أوله الخميس.

في ثامنه بنى السلطان ببنت الزيني عبد الباسط.

وفيه سافر زين الدين يحيى الأستادار إلى جهة المنصورة بالوجه البحري.

وفي يوم السبت عاشره لبس القاضي شهاب الدين أحمد بن الزهري قضاء الشافعية بطرابلس.

---

(١) في الأصل: «سادس عشرين».

وفي يوم الأحد حادي عشره وصل ابن بشارة مقدم العشير بالبلاد الشامية وأخبر أنه طرق صور عدة مراكب من الفرنج تزيد على عشرين مركباً وهجموا صور ونهبوا من بها حتى أدركم ابن بشارة ـ المذكور ـ بمجموعه وقاتل الفرنج قتالاً شديداً حتى (أ) جلاهم عن البلد، وقتل من الفريقين جماعة، وانتصر المسلمون، وقبض ابن بشارة ـ المذكور ـ على عدة من الفرنج وقطع رءوسهم ، ولله الحمد .

وفي يوم الاثنين ثاني عشره ورد الخبر بموت السيد الشريف هلمان بن وبير بن نخبار أمير مدينة ألينبع في أواخر جمادى الأولى. وكان مشكور السيرة على مذهب القوم.

[١٨٤] وفي (يوم) الأربعاء[١] رابع عشره // ورد الخبر بأن عشر مراكب من مراكب الفرنج هجمت على الطينة وقاتلوا من بها ، وقتل من المسلمين خمسة نفر ، وقتل من الفرنج جماعة ، ثم رجعت الفرنج بالخزي والهوان .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه لبس عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الحجاب والأمير آخورية [خلعة] شاد الأوقاف ، وكان السلطان قد رسم له بذلك قبل تاريخه بمربعة[٢] ، وباشر عبد العزيز المذكور ذلك ، وأمر ونهى في أرباب الأوقاف ، وظلم وعسف لا سيما في مباشري مدرسة الملك الناصر حسن ؛ فإنه رسم عليهم وأبادهم ، فلما خلع عليه في اليوم ـ المذكور ـ ونزل بخلعته إلى داره أرسل قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري الحنفي ورقة [بخطه][٣] إلى السلطان يعرفه بسوء سيرته وبما فعله في مباشري وقف مدرسة السلطان حسن ، ووَجَد بذلك من له غرض في عزله من أعيان الدولة سبيلاً

---

(١) الطينة : مدينة قديمة ، عُرِفَت بأواريس ، كانت على البحر المتوسط بقرب بور سعيد الحالية ـ راجع : علي مبارك . الخطط ج ١٨ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٢) المربعة ، والجمع المربعات : مراسم مربعة تكتب من ديوان الخاص بخط مباشريه ، في ورق شامي ، وتُرْسل إلى ديوان الإنشاء لتُحْفظ به بعد أن تخرج المناشير على صورتها .
راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

(٣) مضاف من « ب » .

للتكلم فيه ، فتكلم وأمعن ، فعزله السلطان من وقته ، وأرسل بالطواشي مرجان الحسني الحبشي الجمدار الخاص إليه بعزله ، وبأخذ الخلعة من عليه ، وبأخذ المربعة من يده ، فنزل مرجان إليه واقتلع الخلعة من عليه وأخذ المربعة منه ، فسرّ الناس بعزله سروراً زائداً ، وأشيع - أيضاً - بين الناس بعزله عن إمرة حاج الركب الأول . وكل ما يفعله عبد العزيز هذا يكون في الغالب بغير رضى أبيه محمد الصغير .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشرينه وصل زين الدين الأستادار من سفرته إلى جهة المنصورة.

شهر رجب

أوله الجمعة، ويوافقه سادس أبيب(١).

فيه نودي على النيل المبارك بزيادة خمسة(٢) عشر إصبعاً من الذراع الثاني عشر، وقد تطاول الناس للزيادة في هذه السنة، وكثر السؤال عن ذلك بحيث إن النساء قد صرن يسألن عن ذلك.

قلت: والناس معذورون في كثرة السؤال عن هذا المعنى في مثل هذه السنة، فإن الديار المصرية قد أشرفت على الخراب من عظم ما وقع فيها في هذه السنين من الغلاء المتداول والقحط المتطاول، ثم الشراقي العظيم، وقد نفد ما بأيدي الناس من المتاع والأموال، وخلت غالب القرى من أهلها، والعالم منتظرون هذا النيل القادم، فإن كان وإلاّ فالله تعالى يحسن العاقبة // بمحمد وآله. [١٨٥]

وفي هذه الأيام انحل سعر الغلال بالديار المصرية، فأبيع القمح بتسعمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والفول بدون ذلك بيسير، وهو قليل الوجود جداً، والشعير بخمسمائة درهم الإردب إلى ما فوقها، وأما سائر ما يؤكل من اللحوم والأجبان فبالغلو الزائد الخارج عن الحد .

(١) في هامش الأصل: «صوابه: مسرى».
(٢) في الأصل « خمس عشرة ».

وفي (يوم) الثلاثاء ثاني عشره أمر السلطان بعزل القاضي كمال الدين ابن البارزي عن كتابة السر.

وسبب ذلك غريبة من الغرائب، وهو أن ورثة شمس الدين محمد الحموي ناظر القدس وقفوا إلى المواقف الشريفة بقصة بسبب الشكوى على من وضع يده على تركة شمس الدين - المذكور - فحال قراءة كاتب السر للقصة - المذكورة - أمر السلطان بعزله وتوجهه إلى حبس المقشرة من غير أن يعلم أحد ما الموجب لذلك، فخرج كاتب السر لوقته وجلس بجامع الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل فلم يطل جلوسه، وإذا بالمرسوم قد برز بنزوله إلى داره على أنه يزن خمسة آلاف دينار، فنزل إلى داره معزولاً ولسان حاله يقول: «ما أحسن هذا لو دام واستمر»، وأخذ يستعفي عن الوظيفة بكل ما تصل القدرة إليه فلم يسمع له ذلك، ورسم بطلوعه ولبسه خلعة الاستمرار حسبما يأتي.

وفي يوم الخميس رابع عشره - ويوافقه تاسع عشر مسرى أحد شهور القبط - أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، ونودي عليه بزيادة إصبعين من الذراع السابع عشر، فنزل المقام الفخري من وقته في وجوه الناس من الأمراء وأعيان الدولة إلى أن عدى النيل، وخلق ، ياس، ثم عاد في الحراقة حتى فتح خليج السد على العادة، ثم ركب وطلع إلى القلعة، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة لعظم سرور الناس بوفاء النيل، وخلق الناس بعضهم بعضاً بالزعفران، وكثر حمد الناس وشكرهم لله - تعالى - على هذه المنة العظيمة ولله الحمد. وما أحسن قول سبط الشيخ شرف الدين ابن الفارض في هذا المعنى، رحمه الله:

[١٨٦] // يا رب بالمختار من كل الورى   أسبل على المقياس خلعة ستره
وأفض على السد المبارك ماءه   وأكسره رب فجبرنا في كسره

[الكامل]

وفيه وصل الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي المتوجه قبل تاريخه إلى جهان شاه بن قرا يوسف إلى القاهرة مريضاً في محفة.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره رسم السلطان بعود النواب بالبلاد الشامية من البلاد الحلبية إلى محل كفالتهم، وكان لإقامتهم بالبلاد الحلبية فوق السنة.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه لبس القاضي كمال الدين ابن البارزي كاتب السر خلعة الاستمرار بعد أن تمنع من الطلوع غير مرة.

وفي هذا الشهر ورد الخبر من الصعيد بأن في ناحية بوتيج[1] نخلة جافة نبع من رأسها ماء كثير ملأت منه جملة أوان[2] من جملتها أواني زجاج جهزت إلى الأبواب الشريفة، فوجد الماء صافياً عذباً طيباً، فأمر السلطان بالاحتفاظ على الماء بالشراب خاناه السلطانية.

ثم وقفت بعد ذلك على كتاب نائب الوجه القبلي يذكر فيه فصولاً من جملتها: أن أمر النخلة النابع منها الماء ببوتيج صحيح مع أنها جافة جداً، مع كلام آخر ـ انتهى.

شعبان

أوله الأحد، ويوافقه آخر أيام النسيء، آخر السنة القبطية.

فيه كانت[3] زيادة النيل إصبعاً واحداً[4] لتتمة عشرة أصابع من الذراع الثامن عشر، والأسعار إلى الآن متحسنة، غير أنها انحطت قليلاً، فأبيع القمح بتسعمائة درهم الإردب إلى ما فوقها، والشعير بخمسمائة وخمسين درهماً الإردب إلى ما دونها، والفول بثمانمائة درهم الإردب إلى ما دونها، وحب البرسيم بثمانية دنانير الإردب إلى ما دونها، وانحط سعر بقية المأكولات قليلاً، ثم بيع الدقيق بمائتين وخمسين درهماً البطة، والخبز بثلاثة دراهم الرطل، والجبن المقلي بأربعة وعشرين درهماً الرطل، والجبن الأبيض بنيف وعشرين درهماً الرطل، والعسل النحل بسبع وثلاثين درهماً الرطل، والزيت الحار بثلاثة عشر درهماً للرطل، والزيت الطيب بثمانية[5] عشر درهماً للرطل، والشيرج بأربعة[6] وعشرين درهماً

---

(١) بوتيج: مدينة قديمة، عُرفت باسم «تابوتوكه»، قبلي أسيوط.
راجع: علي مبارك. الخطط ج ٨ ص ١٩.

(٢) في الأصل: «أواني».

(٣) في الأصل: «كان».

(٤) في الأصل: «إصبعاً واحداً».

(٥) في الأصل: «بثماني».

(٦) في الأصل: «بأربع».

للرطل، ولحم الضأن في عظمه بأربعة عشر درهماً الرطل، ولحم البقر بعشرة دراهم الرطل ثم صار في أول رمضان باثني عشر درهماً الرطل، والسمن بأربعين درهماً الرطل، وقس على ذلك.

وفي يوم الاثنين تاسعه وصل جانبك شاد بندر جدة إلى القاهرة.

[١٨٧] وفي يوم الخميس // تاسع عشره ورد الخبر بموت الأمير برديك العجمي الجكمي نائب حماه ـ كان ـ وأحد مقدمي دمشق ـ الآن ـ وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج نائب حماه ـ كان ـ المقدّم ذكره.

وفي يوم الجمعة عشرينه ـ ويوافقه تاسع توت أحد شهور القبط ـ نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة تسعة أصابع من الذراع التاسع عشر، وكان ذلك نهاية زيادة النيل في هذه السنة.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه نزل الملك الظاهر من القلعة وشق القاهرة حتى نظر مدرسته التي أنشأها وجددها بسويقة الصاحب، ثم عاد ونزل إلى بيت ابنته زوجة الأمير أزبك من ططخ الساقي الظاهري، وأقام عندها ساعة جيدة بدرب الطنبدي من سويقة الصاحب، ثم ركب من عندها وطلع إلى القلعة، وبعد ركوبه وطلوعه إلى القلعة أرسل إليه الأمير أزبك ـ المذكور ـ بعدة خيول ومماليك وأصحن حلوى كثيرة، فقبل الحلوى ورد ما سواها.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه رسم السلطان بتفرقة دراهم الكسوة على المماليك السلطانية على العادة في كل سنة، لكل مملوك ألف درهم(١)، فقعد مقدم المماليك الأمير مرجان على سلم الإيوان للتفرقة على العادة في كل سنة، واستدعاهم كاتب المماليك السلطانية فامتنعوا من الأخذ، وطلبوا الزيادة، وهددوا الجمالي ناظر الخواص بالضرب وغيره، وبلغ السلطان الخبر فغضب من ذلك وخرج من وقته ماشياً حتى وصل إلى الإيوان، وجلس على السلمة السفلى بالقرب من الأرض، واستدعى كاتب المماليك ـ المماليك فلم يلتفت أحد إلى استدعائه

(١) سقطت عبارة «لكل مملوك... على العادة في كل سنة»، وقد استدركت في هامش الأصل مختصراً «دراهم» بـ «م».

ولا أخذ أحد شيئاً وصمموا على طلب الزيادة، وصاروا عصبة واحدة، وتكرر استدعاء كاتب المماليك لهم وهم على ما هم عليه، فلم يسع السلطان إلاّ أن دعا عليهم وقام غضبان[1] حتى عاد إلى الدهيشة، وقد حصل له بمجيئه غاية الهوان، وشدَّد[2] المماليك على ناظر الخواص في الطلب، وهو مقيم بالدهيشة من القلعة إلى أن تضحى النهار فقام وهم بالنزول وأراد الركوب، فمنعه من ذلك بعض أصحابه وحذَّره غاية التحذير، فعاد إلى الدهيشة بعدما وصل إلى باب المدرج، ثم نزل من / / يومه وانقطع عن الخدمة حتى وقع الاتفاق على [١٨٨] أن يكون لكل مملوك ألفا[3] درهم، فرضوا بذلك، وأخذوا النفقة.

وفي يوم الأحد تاسع عشرينه عزل عبد العزيز بن محمد الصغير عن إمرة حاج الركب الأول ثم أعيد بعد أن سعى في ذلك سعياً كبيراً.

شهر رمضان

أوله الاثنين.

أهل هذا الشهر والناس في أمر مريج من عدم اللحوم والغلاء المفرط في سائر الأقوات، الذي لم يعهد مثله في سالف الأعصار، وكثرت الفقراء بالقاهرة إلى الغاية، واتسعت الأراضي بالري، واحتاج[4] الفلاحون إلى التقاوى لزراعة الأرض، وعزت الأبقار بالقاهرة وضواحيها، حتى أبيع الزوج البقر الهائل بمائة وعشرين ديناراً وما دونها.

وأغرب من ذلك ما حدثني السيفي إياس الخاصكي خازندار الأتابك آقبغا التمرازي بحضرة الأمير أزبك الساقي وغيره من الأعيان: أنه رأى ثوراً هائلاً ينادي عليه بأربعين ألف درهم، فاستغربت مقالته، وأردت أن أسمع ما يقول غيره ممن حضر حتى أثق بهذا الخبر لأكتب عنه ذلك، فقال أزبك: نعم،

---

(١) في الأصل: «غضباناً».
(٢) في الأصل: «وشددوا».
(٣) في الأصل: «ألفيّ».
(٤) في الأصل: «واحتاجت».

وأنا سمعته يقول كذلك للمقر الجمالي ناظر الخاص، فلما سمع إياس ذلك وفهم عني أني استغربت هذه الحكاية شرع يذكر جماعة ممن رأى ذلك وعاينه - انتهى.

قلت: تفقر خلائق ممن ليس لهم مروءة وأخذوا في السؤال، واتضع حال جماعة ممن لهم شهرة واسم، لعظم القحط وطول مكثه في هذه السنين الثلاث، وأمسك في هذه الأيام جماعة من البيعة ومعهم لحوم الدواب الميتة ولحوم الكلاب، وشهروا بالقاهرة، ونودي عليهم، وتفرغت حواصل الغلال التي كانت مدخرة عند أربابها من طول مكث الغلاء، وضاقت أعين الناس، ولولا أن القلوب اطمأنت بري البلاد في هذه السنة وإلاّ لكان الأمر أعظم من ذلك.

وفي يوم الخميس رابعه لبس القاضي سراج الدين عمر بن موسى الحمصي الشافعي [خلعة] قضاء دمشق، عوضاً عن القاضي جمال الدين يوسف الباعوني.

وفيه - أيضاً - استقر القاضي شهاب الدين أحمد الزهري الشافعي في قضاء حلب عوضاً عن ابن الخرزي - والخَرَزِيّ بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وكسر الزاي.

[١٨٩] وفيه // ورد الخبر بموت الشريف أميان بن مانع الحسني أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وولي الإمرة من بعده الشريف وبير بن قيس بن ثابت.

وفي يوم الخميس حادي عشره لبس الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك نائب ألبيرة حجوبية حجاب دمشق بعد عزل جانبك الناصري، وتوجه إلى القدس بطالاً. وكان قدوم ابن مبارك هذا في أوائل هذا الشهر.

وفيه خلع السلطان على الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة لسفر (٥) إلى الجون من بر التركية لعمارة عدة مراكب برسم الجهاد.

وفي يوم السبت العشرين منه لبس ابن مبارك خلعة السفر.

وفي يوم الاثنين، ثاني عشرينه سافر الأمير جانبك والي القاهرة إلى التركية ومعه عدة عمال وغيرهم.

وفي يوم الجمعة، سادس عشرينه - ويوافقه رابع عشرين بابه - لبس السلطان القماش الصوف الملون، وألبس الأمراء مقدمي الألوف على العادة.

وفي يوم السبت، سابع عشرينه توفي الأمير ناصر الدين محمد بن أَلْتُبُغَا الحاجب الثاني بحلب بالقاهرة غريباً عن وطنه.

وفيه - أيضاً - توفي تاج الدين محمد بن البلقيني الشافعي.

ومضى هذا الشهر بعد أن قاسى الناس فيه شدائد من غلو الأسعار في سائر الأقوات.

ووقع فيه - أيضاً - غريبة، وهو أن أرباب التقويم والحساب كانوا قد أجمعوا على أنه يكون في أوائل العشر الأخير من هذا الشهر قِران نحس يكون فيه قطع عظيم على السلطان الملك الظاهر جقمق، ثم في أواخر العشر - المذكور - يكون قران آخر ويستمر إلى يوم سلخ الشهر، وأجمعوا على وقوع ما لا يذكر، فمضى هذا الشهر والسلطان في خير وسلامة وعافية في بدنه وحواسه، ولازمته أنا في العشر - المذكور - لأرى فيه شيئاً يقارب مقالة هؤلاء الكاذبين ليكون لهم مندوحة في القول والعذر، فلم يقع له ما كدر عليه ولا تشوش في بدنه، ولا ورد عليه ما يسوءه من الأخبار المزعجة، ولا تنكد بسبب من الأسباب.

وقد كان شاع ذلك حتى لعل السلطان كان قد بلغه شيء من ذلك، وكان // ثم من الناس من قطع وجزم بوقوع ذلك، وفرغ الشهر ولم يقع ما [١٩٠]
قيل، وسكن الأمر، ويأبى الله إلاّ ما أراد[١]، فلعمري لو كان أهل هذا الشأن اشتغلوا عوضاً عن هذا الفن بصناعة من الصنائع والحرف التي تتعاناها العامة لكان خيراً لهم وأقوم من هذا الكذب المحض والاختراق في علم الغيب الذي يوقعهم في موبقات الإثم، وما أظن إلاّ أن هذا العلم ذهب وانقرض مع أهله

---

(١) في الأصل: وما أراداه.

كما ذهب غيره من علوم الأوائل، ولله در القائل:

دع النجوم لطرقي يعيش بها ... وبالعزيمة فانهض أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نهوا ... عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

[البسيط]

شوال

أوله الأربعاء.

في يوم الجمعة ثالثه ورد الخبر بموت الأمير يشبك الحمزاوي نائب صفد بها في ليلة السبت سابع عشري[1] شهر رمضان، وتولى نيابة صفد من بعده الأمير بيغوث المؤيدي الأعرج، وأنعم بإقطاع بيغوث على الناصري محمد بن مبارك المتولي حجوبية دمشق قبل تاريخه، وأنعم بإقطاع ابن مبارك - المذكور - على آقباي السيفي جارقطلو المعزول عن نيابة سيس، وهي - أيضاً - تقدمة ألف بدمشق.

وفيه استقر خيربك النوروزي المعزول عن نيابة غزة قبل تاريخه في أتابكية صفد.

وفي يوم السبت رابعه استقر القاضي برهان الدين إبراهيم السوبيني الشافعي في قضاء طرابلس، وكان بطالاً بدمشق.

وفيه استقر ابن عامر المالكي في قضاء المالكية بصفد.

وفي يوم الاثنين سادسه استقر الزيني سرور الطربائي الحبشي في مشيخة الخدام بالحرم النبوي عوضا عن الطواشي فارس الأشرفي بحكم عزله.

وفي يوم الخميس سادس عشره أعيد القاضي حميد الدين الحنفي إلى قضاء دمشق، وصرف قوام الدين.

وفيه لبس القاضي جمال الدين يوسف ناظر الخواص كاملية لفراغ الكسوة المجهزة لداخل البيت الشريف.

وفي يوم السبت ثامن عشره برز المحمل إلى بركة الحاج، وأمير المحمل في

(١) في الأصل: «عشرين».

هذه السنة سونجبغا اليونسي الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وأمير الركب الأول عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الأمير آخورية والحجاب الصغار، وهما في حج قليل إلى // الغاية. [١٩١]

وعدم سفر الناس إلى الحجاز في هذه السنة والخالية لغلو الأسعار وقلة الجمال.

وفيه ورد الخبر من مكة المشرفة بإرسال الأمير تمراز من بكتمر المؤيدي المصارع، الفار من بندر جدة قبل تاريخه خمسمائة تكرة من البهار إلى بندر جدة، ووعد بإرسال ما بقي عنده، وطلب تشريفاً بولاية اليمن، فكتب إليه الجواب بحضوره إلى الديارر المصرية أو إلى بندر جدة ويلبس خلعة السلطان، ووعد بكل خير.

من ذلك أن السلطان رسم بأن يكتب له بأنه يحضر ويجربنا هذه المرة. قلت: التجربة خطر، وأظنه يعرف ذلك.

وسبب إرسال تمراز هذا البهار، أنه لما سافر من بندر جدة وركب البحر صار كلما أتى إلى بلد ليقيم بها تستغيث تجار البلد إلى حاكمها ويقولون: أموالنا ببندر جدة، ومتى عرف الأمير جانبك متولي بندر جدة بأنه نزل عندنا أخذ جميع ما لنا. وكان السلطان قد ولى الأمير جانبك الظاهري على عادته على بندر جُدّة لما فر تمراز - المذكور - ووقع ذلك لتمراز في عدة بلاد إلى أن بلغ سيره على ظهر البحر ستة أشهر، فعندما عاين الهلاك رمى بنفسه إلى مدينة كالكوت وحاكم البلد - المذكور - سامري وأهلها - أيضاً - سمرة، وبها تجار مسلمون، فاستغاث التجار المسلمون بالملك السامري وقالوا له مثل مقالة غيرهم، فأراد السامري القبض على تمراز - المذكور - فأحس تمراز بذلك، فهيأ هدية عظيمة وأرسلها إلى السامري فقبلها، ثم أرسل يخبره بمقالة التجار، فقال تمراز: نعم أخذت مال السلطان لأشتري به للسلطان فلفلاً. فقال له السامري: اشتريه في هذا الوقت، واشحنه في مراكب التجار، فاشترى الفلفل وأشحنه في مركبين من مراكب التجار، والباقي أشحنه في مركب. وسار تمراز وقصد جدة إلى أن وصل إلى باب المندب من على اليمين[١] عند مدينة عدن، فأخذ المركبين المشحونة

(١) في الأصل: «اليمن».

بالفلفل وتوجه بها إلى جزيرة يقال لها الحديدة، تسمى كمران، فحضر أكابر الحديدة إلى تمراز - المذكور - وقالوا له: خذ مملكة اليمن، وحسنوا له ذلك، فمال إليهم تمراز وخرج // من المركب ونزل إلى بلدهم، وأخذ معه جميع ما في [١٩٢] المركب، ثم قال له أهل الحديدة: لنا عدو ما نقدر نملك اليمن حتى ننتصر عليه، وبلد العدو تسمى سحنة، فتوجه معهم وقاتل اهل سحنة فقتل في الوقعة، نذكره إن شاء الله - تعالى - فيمن مات آخر السنة.

فلما بلغ جانبك موته أرسل أخذ جميع البهار الذي كان معه.

وفي يوم الثلاثاء، حادي عشرينه سافر الركب الأول من الحاج، وسافر المحمل من الغد.

وفي يوم الخميس، ثالث عشرينه نفى السلطان الأمير أسندمر الجقمقي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة إلى البلاد الشامية على أقبح وجه؛ لشكوى زين الدين الأستادار عليه. فلما وقع ذلك بلغ زين الدين الأستادار توعد المماليك الجلبان له إن تم نفي أسندمر - المذكور - فخارت طباعه، فألح على السلطان في السؤال في عود أسندمر - المذكور - على حاله.

وفي هذا الشهر أكلت الدودة من القرط المزروع الأخضر ما لا يدخل تحت الحصر بسائر أقاليم مصر، لاسيما إقليم الجيزية والبهنساوية من الوجه القبلي، فإنها لم تدع فيه شيئاً إلَّا أتت عليه وأعدمته عن آخره، حتى أبيع الفدان البرسيم بعشرة دنانير، ثم انحط في آخر السنة، واحتاج الناس إلى التقاوى ثاني مرة مع غلو السعر وأكل الدودة في هذه السنة (مما) لم نسمع بمثله، فإن العادة إذا أكلت الدودة زرعاً تأكل منه شيئاً وتترك أكثره، بخلاف هذه السنة فإنها صارت ترعاه اعظم من رعي الجاموس والبقر، حتى لا تدع منه العرق الواحد، وكانت تأكل فيها تأكل الخمسين فداناً والمائة فدان، وأكثر، وأقل، فما شاء الله كان.

ذو القعدة

أوله الخميس.

ففي يوم الجمعة تاسعه قدم القاضي صلاح الدين خليل بن محمد بن

السابق كاتب سر دمشق، وطلع إلى السلطان من الغد.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره عزل السلطان الأمير قاني باي الحمزاوي عن نيابة حلب، بسبب أنه أرسل يعلم السلطان أنه بلغه من النواب بالبلاد الشمالية أن جهان شاه بن قرا يوسف يريد يشتي بنواحي ملطية، وأنه يريد يمشي على الأمير سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر نائب أبلستين، وأنه يسأل هل // إذا [١٩٣]
طلبه سليمان - المذكور - يوافقه على قتال جهان شاه أم لا؟ فحال ما سمع السلطان ذلك استشاط غضباً ورسم بعزله وولاية الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير لنيابة حلب عوضه، فامتنع دولات باي واستعفى واعترف في الملأ بعجزه، واعتذر بعدم أهليته لنيابة حلب، فأعفى، واستمر قاني باي الحمزاوي على عادته.

وفيه نفي أزبك اليشبكي الخاصكي، ثم شفع فيه فأعيد بعد أن أخرج السلطان من إقطاعه حصة بناحية مرصفا لحفيده ولد المقام الفخري عثمان، ثم بطل ذلك أيضاً.

وفي يوم الثلاثاء العشرين منه طلب السلطان أصحاب خيال الظل وحرق جميع ما معهم من الأشخاص المصنوعة للخيال، وكتب عليهم قسائم بعدم عملهم الخيال.

وفيه رسم السلطان بإبطال خدمة يوم الخميس من الموكب، وقال: في خدمة يوم الاثنين كفاية في الجمعة؛ فإنه كان أبطل قبل تاريخه بسنين خدمة السبت والثلاثاء من القصر السلطاني. فبقيت الخدمة على هذا الحكم في القصر بالكلفتاه في الجمعة يوماً واحداً وهو يوم الاثنين لا غير، وباقي الأيام تكون الخدمة بالحوش السلطاني من غير لبس الكلفتاه، وهذا شيء لم يعهد مثله، بل ولا سمعنا في سالف الأعصار (به) قبل ذلك.

ثم أبطل السلطان - أيضاً - ما كان يعمل بقلعة الجبل من الزفة بالمغاني والمواصيل والخليلية عند غروب الشمس وعند فتح باب القلعة في باكر النهار وبعد عشاء الآخرة التي يقال لها نوبة خاتون، ورسم لأرباب هذه الوظائف أن

يمضوا إلى حال سبيلهم، فعظم ذلك على الناس؛ فإن هذا الفعل كان به جمال في المملكة، فإنه كان يعرف فتح باب القلعة من مسافة بعيدة لعظم الغوغاء من الطبلخاناه والخليلية والمواصيل وغير ذلك، وكان يصير بذلك أبهة وعظمة زائدة ورعب وهيبة على من لا له إلمام بطلوع القلعة، فزال هذا كله.

وقد أبطل السلطان منذ تسلطن إلى يومنا هذا أشياء كثيرة من شعار المملكة بخلاف غيره من ملوك الترك، فإن كل واحد من ملوك الترك المتأخرين أبطل شيئاً مما فعله الملوك المتقدمة. وأول من أخذ في إبطال المحاسن الملك
[١٩٤] الظاهر برقوق، أبطل ركوب الموادين بعد سلطنته بمدة // طويلة، ثم أبطل الملك الناصر فرج التوجه إلى سرياقوس، ثم أبطل الملك المؤيد شيخ نيابة السلطنة بالديار المصرية، ثم أبطل الملك الأشرف برسباي زينة المراكب عند كسر البحر - أعني وفاء النيل - وأما ما أبطله السلطان الملك الظاهر جقمق فكثير.

ومما أبطله خدمة الإيوان عند قدوم القصاد الغرباء إلى الديار المصرية، وكان أمراً مهولاً إلى الغاية، رأيت أنا ذلك في الدولة الأشرفية غير مرة، ثم أبطل نزول السلطان إلى وسيم ببر الجيزة على عادة الملوك، ثم أبطل النزول إلى الإسطبل السلطاني للحكم بين الناس في يوم السبت والثلاثاء، ثم أبطل التوجه إلى الرماية للصيد بطيور الجوارح، ثم أبطل خدمة السبت والثلاثاء بالكلفتاه بالقصر السلطاني، ثم أبطل سوق المحمل في شهر رجب، وكان دوران المحمل من محاسن الدنيا وغرائبها، ثم أبطل مسايرة أمراء الحج في شهر رمضان، ثم أبطل خدمة يوم الخميس، لكنه عملها بعد ذلك في بعض الأحيان، ثم أبطل ضرب الخليلية بباب القلعة كما ذكرناه.

وأما ما أبطله من شعار السلطنة في لبسه وجلوسه وحركاته وأفعاله فكثير جداً - انتهى.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه أمر السلطان بحبس الأمير بيبرس بن بقر شيخ العربان وأميرها بالشرقية بحبس المقشرة، وحبس معه - أيضاً - ابن شعبان شيخ العربان وأميرها بالشرقية - أيضاً - ثم نقلا إلى البرج بعد أيام.

وقد حبس السلطان الملك الظاهر جقمق بحبس المقشرة جماعة من يوم تسلطن إلى يومنا هذا من الأعيان والعلماء والفقهاء وغيرهم زيادة على عشرة نفر، وهم قاضي القضاة ولي الدين السفطي الشافعي، والقاضي بدر الدين محمود بن عبيد الله الأردبيلي الحنفي أحد نواب الحكم وأعيان فقهاء الحنفية، والقاضي محب الدين أبو البركات الهيثمي أحد نواب الحكم وفقهاء الشافعية، والعلامة قوام الدين القمي العجمي الحنفي، والحافظ برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي، والقاضي شهاب الدين الزفتاوي الشافعي أحد نواب الحكم، والقاضي شهاب الدين أحمد البدماصي[1] // المعروف بقرقماس أحد [١٩٥]
نواب الحنفية ببولاق، والناصري محمد بن سيدي عمر بن بكتمر الحاجب، والقاضي شهاب الدين أحمد بن إسحاق الشافعي أحد نواب الحكم بمصر القديمة، وبيبرس بن بقر، وابن شعبان، والقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة جمال الدين المالكي البساطي أحد نواب الحكم المالكية.

وأما غير الأعيان من بياض الناس فكثير، وحبس ـ أيضاً ـ خلائق لا تحصى في غير حبس المقشرة كحبس الديلم والرحبة والبرج من القلعة.

وفي ليلة الثلاثاء سابع عشرينه توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن علي بن إينال اليوسفي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وأنعم بإقطاعه على الأمير تنبك البردبكي الظاهري المعزول قبل تاريخه عن حجوبية الحجاب على مال يحمله إلى الخزانة الشريفة على ما قيل، وكان تنبك[2] ـ المذكور ـ يتردد إلى الخدمة السلطانية من جملة الأمراء، وهو بغير إقطاع ولا وظيفة.

وفي يوم الخميس عمل السلطان الموكب لقصاد متملك بلاد الروم محمد بك بن مراد بك بن عثمان.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر قدم يلبغا الجاركسي نائب دمياط من الثغر ـ المذكور ـ معزولاً.

---

(١) في هامش «أ»: «ونسي المؤلف ابن بكور أحد نواب الحكم الشافعية، حبس بحبس المقشرة بعد الضرب والإشهار».

(٢) في «أ»: «لتنبك».

وفيه توفي الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان المكي الحسني بثغر دمياط ـ رحمه الله تعالى .

ذو الحجة

أوله السبت.

فيه ورد الخبر من مكة المشرفة بموت الأمير تمراز من بكتمر المؤيدي المصارع، على ما يأتي ذكره في آخر السنة.

وفي ليلة الثلاثاء رابعه توفي قاضي القضاة بدر الدين محمود العينتابي الحنفي.

وفي يوم الخميس سادسه قدم الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات من بلاد الروم بزي الأروام على عادة من تقدمه من القصاد المصريين.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره توفي السيد الشريف المعتقد عفيف الدين أبو بكر محمد الأيكي (العجمي)[1] الشافعي، نزيل مكة ـ بمنى بعد أن توعك مدة يسيرة ـ رحمه الله .

وفيه أخلع السلطان على عمر الكردي أحد أجناد الحلقة بالقاهرة بأستادارية السلطان بدمشق، وعلى يونس الدمشقي المعروف بابن دكدوك بأستادارية السلطان الكبرى بدمشق، وعمر ويونس هذان[2] من أطراف الناس
[١٩٦] الذين // لا يلتفت إليهم بالقاهرة والشام.

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه توفي الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد الترابي فجأة ، ودفن بزاويته.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه قدم القاضي جمال الدين يوسف بن الباعوني إلى القاهرة بعد عزله عن قضاء دمشق بطلب؛ لشكوى بعض أهل دمشق عليه بسبب وقف البيمارستان الدمشقي وغيره.

---

(١) مضاف من «ب».

(٢) في الأصل: «هاذين».

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه وصل مبشر الحاج الشهابي أحمد ابن الأمير سونجبغا اليونسي الناصري أمير حاج المحمل، وأخبر بالأمن والسلامة وغلو الأسعار بمكة، حتى إنه أخبر أن الحمل الدقيق أبيع بمكة بثمانية وعشرين ديناراً، وقس على ذلك. هذا مع قلة الحاج المصري إلى الغاية.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه لبس شرف الدين (موسى)[1] التتائي الأنصاري خلعة الاستمرار على وظائفه، بعدما حمل شيئاً قيمته آلاف (الـ) دنانير.

وفيه استقر منصور بن شهري في نيابة كركر.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه وصل قاضي دمشق سراج الدين عمر المصري الشافعي لمحاققة ابن الباعوني المقدم ذكره.

وفيه - أيضاً - وصل الأمير يشبك من سلمان شاه الفقيه المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة من صفد، المتوجه قبل تاريخه لتقليد الأمير بيغوث نائب صفد حسبما تقدم.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه عقد عند السلطان مجلس بالقضاة الأربعة[2] في الدهيشة من القلعة بسبب قضاة دمشق - الباعوني والحمصي - فاستقر عقد المجلس على عزل الحمصي وإعادة الباعوني لقضاء دمشق في أول الجلوس، وأظنها كانت مبيتة مع السلطان.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - أربعة أذرع وخمسة[3] عشر إصبعاً، مبلغ الزيادة في هذه السنة ثمانية عشر ذراعاً وتسعة[4] أصابع.

* * *

(١) مضاف من «ب».
(٢) في الأصل: «الأربع».
(٣) في هامش «أ» صوابه: أربعة عشر إصبعاً.
(٤) في هامش «أ» صوابه: ثمانية.

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الخليفة (أمير المؤمنين)(١) المستكفي بالله(٢) أبو الربيع
سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد ابن المعتصم بالله أبي
[١٩٧] بكر ابن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله / / أبي العباس
أحمد العباسي الهاشمي في يوم الجمعة ثاني المحرم بعد أن مرض أياماً ، ولم يعهد لأحد من إخوته وأقاربه ، ومات وهو في عشر الستين ، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني ، وعاد أمام الجنازة ماشياً إلى المشهد النفيسي حيث دفن ، وتولى حمله في بعض الأحيان إلى أن وصل إلى المشهد النفيسي ـ رحمه الله ـ .

وكانت ولايته للخلافة بعهد من أخيه المعتضد بالله أبي الفتح داود(٣) في العشر الأول من ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، فأقام في الخلافة إلى أن توفي(٤) .

كان رئيساً ساكناً عاقلاً ساكتاً كثير الصمت، ديّناً، خيّراً، منعزلاً عن

---

(١) مزيد من «ب».

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ تر ١٠٩٤ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٥٩ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٩ تر ١٠١٥ ، السيوطي . تاريخ الخلفاء ص ٥٩٣ ـ ٥٩٤ ، ابن الطولوني . النزهة السنية ج ١ ص ١٣٤ ، ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٣) راجع ترجمته ضمن وفيات حولية « خمس وأربعين وثمانمائة » .

(٤) في ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١ : « أقام في الخلافة تسع سنين ، ونحو عشرة أشهر » .

الناس، قليل الاجتماع بهم - وكان عدم اجتماعه بالناس لعدم إلمامه بالعلوم، فكان ما يفعله هو الصواب - هذا مع العقل التام، والتواضع، والسيرة الحسنة، والعفة عن المنكرات والفروج، والدين الغزير.

وتولى الخلافة من بعده أخوه حمزة[1]، ولقب بالقائم بأمر الله - رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٢) وتوفي القاضي جمال الدين ابن هشام[2] الحنبلي - أحد نواب الحكم الحنابلة - في العشر الأخير من المحرم[3]، وكان فقيهاً فاضلاً، مشكور السيرة في دينه وأحكامه، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٣) وتوفي الرئيس مجد الدين، عبد الرحمن بن الجيعان[4]، ناظر الخزانة الشريفة وكاتبها في يوم الخميس تاسع عشرين المحرم، بعد قدومه من الحجاز مريضاً - رحمه الله تعالى وعفا عنه.

---

(١) بويع له يوم الاثنين، خامس المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة، وخُلِعَ من الخلافة يوم الثلاثاء، ثالث رجب منها، لمجيئه إلى بيت «قوصون» - تجاه القلعة - مطاوعاً للمماليك الأشرفية في عزل «الأشراف إينال»، وكانت وفاته يوم الاثنين، سابع عشر شوال سنة اثنتين وستين وثمانمائة للهجرة.

راجع: ابن تغري بردى: الدليل الشافي ج ١ ص ٢٧٩ تر ٩٦٤، مورد اللطافة ق ٧٧ ب - ٧٩ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ١٦٦ تر ٦٣٩، السيوطي. تاريخ الخلفاء ص ٥٩٥، نظم العقيان ص ١٠٧ - ١٠٨، ابن الطولوني. النزهة السنية ج ١ ص ١٣٥، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨، ٣٢٦ - ٣٢٨.

(٢) هو «جمال الدين. أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن هشام».

له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦١ - ٣٦٢، الضوء اللامع ج ٥ ص ٥٦ - ٥٧ تر ٢٠٩، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨.

(٣) أشار السخاوي إلى أنه «مات في صفر، وأخطأ من قال: المحرم».

(٤) هو «مجد الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب».

له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٩، الضوء اللامع ج ٤ ص ٨٥ تر ٢٤٢، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨.

(٤) وتوفي القاضي شمس الدين محمد[1]، المعروف بابن زُبَالة الشافعي ، المصري الأصل والمولد ، قاضي مدينة ألينبع .

ومولده بباب البحر[2] خارج القاهرة ، وكان له سمعة بتلك البلاد وصيت ـ رحمه الله تعالى .

(٥) وتوفي السلطان مراد[3] بك بن محمد بك بن عثمان ، متملك برصا وأدرنا وكالى بولي وغيرهما من ممالك الروم في سابع المحرم من السنة ببلاد الروم ، وتولى الملك من بعده ابنه محمد بن مراد .

وكان خير ملوك زمانه عقلاً وحزماً وعزماً وكرماً وشجاعة وسؤدداً، أفنى عمره في الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ ثم في اللذات التي تهواها النفوس، فكان أمره ـ رحمه الله تعالى ـ كقول من سئل عن دينه، فقال: «أمزقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار». فعسى أن يكون من الذين قال الله ـ تعالى ـ في حقهم:
[١٩٨] ﴿ وآخرون اعترفوا // بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ (١٠٢ : التوبة) .

رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه، فإنه كان سياجاً عن المسلمين لسد الثغور والقيام بالجهاد، تقبل الله منه.

ومات وهو في أوائل الكهولية مرابطاً، وتسلطن من بعده ولده السلطان

---

(١) هو « محمد بن أحمد بن حمد »، له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٤٩ .

(٢) باب البحر : عرف قديماً باسم : « باب المقسم »، وموضعه الآن باب الحديد .
كان واقعاً في نهاية السور الشمالي لمدينة القاهرة من الجهة الغربية ، وكانت تجاوره ـ آنذاك ـ خطة عامره ، تلاشت سنة سبع وسبعين وسبعمائة للهجرة ، ثم خرب معظم بنيانها سنة ست وثمانمائة ، وإن بقيت فيها خمسة جوامع ، وعدة أسواق .
راجع : المقريزي. الخطط ج ٢ ص ١٢١ ـ ١٢٤ ، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٦ ح ٥ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣١ ـ ٧٣٢ تر ٢٤٩٩ ، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤٣ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢ ـ ٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٨٠، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٥٢ تر ٦٠٤، ابن إياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٨٨ .

محمد، وسلك طريق والده في الجهاد وفتح الحصون في البلاد، تقبل الله منهما.

وقد ذكرنا ترجمة مراد بك هذا مبسوطة مطولة في تاريخنا «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» فلينظر هناك، رحمه الله.

(٦) وتوفي الشيخ شمس الدين، محمد ابن حسان[١] ـ شيخ خانقاه سعيد السعداء ـ في يوم السبت أول شهر ربيع الأول.

وكان فقيهاً ديناً، مشكور السيرة، وولي مشيخة سعيد السعداء من بعده الشيخ خالد، رحمه الله.

(٧) وتوفي القاضي شمس الدين محمد[٢] بن محمد بن إسماعيل الحلبي الحجازي، ناظر دار الضرب، المعروف بابن أخت السخاوي ـ في يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول، وكان ديناً خيراً إلَّا أنه كان قليل البضاعة في العلم.

(٨) وتوفي الشيخ شمس الدين محمد[٣] الحنفي الرومي الأصل والمولد المصري الدار والوفاة، المعروف بالكاتب في يوم الأحد ثالث عشرين شهر ربيع الأول.

وكان شمس الدين ـ المذكور ـ ممن نال حظاً في الدنيا، كان قد اتصل بصحبة الملك الظاهر ططر وحظي عنده، بحيث إنه لما تسلطن أنعم عليه بعشرة آلاف دينار دفعة واحدة، ثم صار في الدولة الأشرفية متوسط الحال، معظماً عند غالب أرباب الدولة لا سيما عند أعيان الأمراء من حواشي ططر، ثم اتصل

---

(١) هو «محمد بن محمد بن علي بن محمد بن حسان»، له ترجمة في:
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٧١ ـ ٣٧٣، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٥٢ ـ ١٥٤ تر ٣٨٧.

(٢) هو «محمد بن محمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان بن عماد»، له ترجمة في:
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٣، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦٨، الضوء اللامع ج ٩ ص ٥٤ تر ١٤٨.

(٣) هو «شمس الدين، محمد بن محمد، الأبو بكري»، له ترجمة في:
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٤ ـ ٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٧٤، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١١٢ تر ٤١٩، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٠.

بالملك الظاهر جقمق وحظي عنده إلى الغاية حتى صار هو المشار إليه في الدولة والمقصود لأرباب الحوائج، ونالته السعادة، وأثرى، وحصل الكتب النفيسة والأملاك، وهو مع ذلك لا يبرح عن ركوب الحمار عندما يطلع إلى القلعة. وكان لا يقتني حماراً قط، بل يستكري حماراً من المكاري، واستمر على ذلك سنين إلى أن استفحل أمر أبي الخير النحاس، فلا زال به حتى نكبه السلطان الملك الظاهر جقمق وصادره بعد أن حبس بسجن الديلم، وعزر وتوجه إلى السجن ماشياً حسبما تقدم في حوادث سنة اثنتين وخمسين، وقطع السلطان // [١٩٩
معاليمه من الجوالي وغيره، وكان مرتبه في الجوالي يزيد على الدينارين كل يوم، ثم أفرج عنه الملك الظاهر من حبس الديلم ورسم له بلزوم داره، فلزمها، إلا أنه صار يطلع للسلطان في بعض الأحيان كآحاد الناس، واستمر على ذلك إلى أن توفي - رحمه الله.

وكان يكتب الخط المنسوب ويذاكر ببعض المسائل، وله إلمام بالأدب والتاريخ بحسب الحال، وكان شكلاً مهولاً، طوالاً، ذا لحية كبيرة، وعلى رأسه عمامة هائلة وقبع[1] كبير جداً، إلا أنه كان يعتريه النزلة في دماغه، فكان يلف على رأسه أزيد من ثوب بعلبكي عوضاً عن الشاش الشمسي، وكان قبعه نحو العشرة أرطال بالمصري، وكان عنده معرفة بصحبة الملوك، مع عفة وعدم طمع بالنسبة إلى غيره، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه.

(٩) وتوفي الشيخ محمد السفاري[2] في يوم الجمعة حادي عشر جمادي الأولى، وقد تقدمت واقعته مع المحتسب العجمي، حكيناها في حوادث شهر ربيع الآخر من هذه السنة في هذا الكتاب - رحمه الله.

---

(١) القبع، والجمع: الأقباع: طاقية تلبس تحت الخوذة أو العمامة، وربما لبسها العامة مفردة. كانت تباع في سوق خاص بها، هي سوق «الأقباعيين».

راجع: دوزي. المعجم المفصل ص ٢٧٩ - ٢٨١، ماير. الملابس المملوكية ص ٣٤، ٧٧، ٩٠، ١١١.

(٢) هو «أبو عبد الله الهوى السفاري»، له ترجمة في:

ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٧٥، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١١٧ تر ٤٥٠.

(١٠) وتوفي السيد الشريف هلمان[١] بن وبير بن نخبار ، أمير مدينة ألينبع بها في أواخر جمادي الأولى ، وهو في أوائل الكهولية .

وكان شاباً حسناً، مشكور السيرة لولا أنه على مذهب القوم. وتولى إمرة ألينبع من بعده أخوه سنقر.

وكانت ولاية هلمان - هذا - لإمرة ألينبع بعد عزل ابن أخيه معز بن هجار ابن وبير بن نخبار في سنة تسع وأربعين وثمانمائة.

وهلمان هذا هو الذي كان سعى في عود بركات بن حسن بن عجلان إلى إمرة مكة لصداقة كانت بينهما.

(١١) وتوفي الأمير برد بك العجمي الجكمي[٢] نائب حماه - كان - ثم أحد مقدمي الألوف بدمشق في أوائل شهر رجب ، وكان مشكور السيرة .

كان أصله من مماليك الأمير جكم من عوض المتغلب على حلب، ثم تنقل في الخدم من بعده حتى ولى عدة ولايات في دول عديدة، ثم ولى حجوبية حجاب حلب في الدولة الأشرفية برسباي، ودام على ذلك حتى نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة حماه بعد عصيان الأمير تغري برمش نائب حلب في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فاستمر في نيابة حماه إلى أن عزل عنها بعد أن // وقع [٢٠٠] بينه وبين أهلها وقعة هائلة قتل فيها جماعة، وخرج برد بك عن طاعة السلطان مدة ثم عاد إلى حماه، وقدم إلى الديار المصرية، وقبض عليه السلطان وحبسه بسجن الإسكندرية في حدود سنة سبع وأربعين إلى أن أفرج عنه في سنة ثلاث وخمسين، ونقله إلى ثغر دمياط، فدام بالثغر بطالاً مدة وطلب إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق عوضاً عن يشبك النوروزي حاجب حجاب

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٦٧ تر ٢٦٠٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٧١ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٥، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٨٠ - ٣٨١ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٠٩ تر ٨٩٨ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٢) له ترجمة ف ـ ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٥ تر ٦٤٨، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ تر ٦٤٩، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٣٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٧ تر ٢٩، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩١ .

دمشق المنتقل إلى نيابة طرابلس في سنة ثلاث وخمسين، ورسم له ـ أيضاً ـ بأن يتوجه أمير حاج محمل دمشق في السنة المذكورة، فتوجه إلى دمشق وحج وعاد، ودام بها حتى توفي في التاريخ المذكور ـ رحمه الله تعالى .

(١٢) وتوفي السيد الشريف أميان بن مانع الحسيني[١] المدني أمير المدينة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ في جمادي الآخرة بالمدينة الشريفة ، وتولى الإمرة من بعده الشريف زيد بن قيس بن ثابت ـ رحمه الله وعفا عنه .

(١٣) وتوفي الأمير ناصر الدين محمد المعروف بابن ألْتُبُغَا[٢] ، الحاجب الثاني بحلب في يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان بالقاهرة غريباً عن وطنه وعياله .

وكان مشكور السيرة، وله ثروة وأملاك، على أنه كان دخيلاً في الرياسة والسعادة ـ رحمه الله تعالى .

(١٤) وتوفي القاضي تاج الدين محمد[٣] ابن قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني الشافعي في يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان ، ودفن من الغد عن ثمانٍ وستين سنة .

وكان نائباً عن أبيه في الحكم بالقاهرة وغيرها، وتولى قضاء العسكر ، ثم ترك نيابة الحكم بآخره إلى أن توفي.

---

(١) هو « أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة »، له ترجمة في :
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٥ ـ ٦، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٥٦، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢١ تر ١٠٤١ .

(٢) في النجوم : « ألتغا »، وفي التبر : « البغا ».
له ترجمة في: ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٦، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦٤ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٣٤ ـ ٦٣٥ تر ٢١٨٢، المنهل الصافي مج ٣ ق ١١٧ أ ـ ١١٨ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٦ ـ ٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٩٤ تر ٧٦٢، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢ .

وكان قليل البضاعة في العلم، وخلف مالاً كثيراً[١] وعدة أولاد ذكور وإناث، وكان من البخل على أمر عظيم، حتى إنه كان يبخل حتى على نفسه.

ولما مات والده قاضي القضاة جلال الدين في سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وبلغ موته الحافظ شهاب الدين ابن حجر، وكان إذ ذاك بمكة مجاوراً، فقال[٢]:

مات جلال الدين قالوا ابنه يخلفه أو (ف) الأخ الراجح

// فقلت: تاج الدين لا لائق لمنصب الحكم ولا صالح [٢٠١]

[السريع]

قلت: أراد بصالح التورية بقاضي القضاة علم الدين صالح أخيه - رحمه الله.

(١٥) وتوفي الأمير يشبك الحمزاوي[٣] نائب صفد بها في ليلة السبت سابع عشرين شهر رمضان.

ويشبك - هذا - أصله من مماليك سودون الحمزاوي الظاهري الدوادار الكبير في الدولة الناصرية فرج، وتنقل مملوكه يشبك - هذا - من بعده في الخدم حتى ولي دوادارية السلطان بحلب في الدولة الظاهرية جقمق، ودام فيها سنين إلى أن نقل إلى نيابة غزة بعد عزل الأمير حطط عنها في سنة إحدى وخمسين - تقريباً - ثم نقل إلى نيابة صفد، وبها توفي، وتولى من بعده الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي نائباً.

وكان يشبك - المذكور - مشكور السيرة، رحمه الله.

(١٦) وتوفي الأمير شهاب الدين أحمد[٤] ابن الأمير علاء الدين علي ابن

---

(١) في الأصل: «كثيره».

(٢) البيتان في ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٨٠.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٨٩ تر ٢٦٥٩، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٩٤ ب - ٢٩٥ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٧، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٨١، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧٦ تر ١٠٨٧، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢.

(٤) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٦٥ تر ٢٢٢، النجوم الزاهرة ج ١٦

الأتابك إينال اليوسفي، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية في ليلة الثلاثاء سابع عشرين ذي القعدة، ودفن من الغد بتربة جده الأتابك إينال، ومشى الأعيان في جنازته من داره بالقرب من مدرسة سودون من زادة إلى مصلاة المؤمني، وحضر السلطان الصلاة عليه.

وأمير علي والد الشهابي أحمد - هذا - هو أستاذ الملك الظاهر جقمق، وإليه ينتسب بالعلائي، وبهذا المقتضى صار الشهابي أحمد أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية.

وكان أميراً ضخماً، عاقلاً، رئيساً، ديناً، عارفاً بأنواع الفروسية، وله محبة في الفقراء وأهل الصلاح. وكان سميناً جداً لا يحمله إلا الجياد من الخيل، وحسنت حاله بآخره وتفقه قليلاً، وصحب الفقراء، وهو الذي ساعد الشيخ إبراهيم المتبولي في بنائه ببركة الحاج السبيل والبستان وغير ذلك، وخلف عدة أولاد ذكور وإناث - رحمه الله تعالى.

(١٧) وتوفي السيد الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان[١] المكي الحسني بثغر دمياط في ذي القعدة.

وكان الملك الظاهر جقمق قبض عليه وعلى أخيه الشريف علي، وحبسهما بالبرج من القلعة مدة، ثم نقلهما إلى حبس الإسكندرية فحبسا بها مدة، ثم
[٢٠٢] أفرج عنهما ووجههما إلى ثغر دمياط فداما به إلى أن توفي الشريف // على في سنة ثلاث وخمسين، ثم توفي إبراهيم - هذا - في التاريخ المذكور - رحمهما الله تعالى.

(١٨) وتوفي تمراز البكتمري المؤيدي المصارع[٢] قتيلاً بالحديدة من

ص ٧، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٢ - ٣٥ تر ٢٢٤، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٥، الضوء اللامع ج ٢ ص ١٥ تر ٤١، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢.

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٥، الضوء اللامع ج ١ ص ٤١.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٢٦ تر ٧٩٢، المنهل الصافي =

بلاد اليمن في خامس عشرين شهر رمضان من السنة :

وأصل تمراز ـ هذا ـ من مماليك المؤيد شيخ ، ثم صار بعد موته في خدمة الأمير تنبك العلائي نائب الشام ـ المعروف بميق ـ ثم صار بعد موت تنبك خاصكيا في الدولة الأشرفية برسباي، ثم بقي من جملة الدوادارية في الدولة العزيزية يوسف إلى أن ندبه الملك الظاهر جقمق إلى شد بندر جدة بالبلاد الحجازية ـ أولى وثانية ـ وفي الثانية أنعم عليه بإمرة عشرة بعد موت آقبردي المظفري بمكة، ثم قدم القاهرة ودام بها سنين إلى أن ولي نيابة القدس بسعي فلم ينتج أمره وعزل ونفى إلى دمشق، ثم قدم إلى القاهرة وولي القدس ثانياً، وعزل ـ أيضاً ـ بعد مدة يسيرة، وأخرج إقطاعه بالقاهرة وصار بطالاً بلا إقطاع مدة طويلة، إلى أن ندبه السلطان إلى شد بندر جدة ثالثاً في سنة ثلاث وخمسين، فتوجه إلى البندر المذكور وباشره إلى أن انتهى أمره (بأن) بدا له أن يأخذ ما تحصل له من البندر وما تحصل للسلطان ويتوجه به إلى اليمن أو إلى حيث شاء، فابتاع له مركباً وأشحنها بالأزودة وآلات الحرب على أن يركب فيها إلى جهة الديار المصرية، وأخفى ذلك عن الناس حتى حول جميع ما معه إلى المركب، ثم نزل هو فيها وسافر إلى جهة اليمن، ثم بدا له بعد ذلك أمور وتوجه إلى الهند، ووقع له محن وقاسى أهوالاً، وآل أمره إلى أن جاء إلى اليمن ونزل بالحديدة، فأكرمه شيخها وأنزله عنده، واستفحل أمر تمراز بشيخ الحديدة، واستفحل أمر شيخ الحديدة بتمراز، وأرسل تمراز إلى الملك الظاهر بنحو خمسمائة تكرة من البهار، ووعده بإرسال ما بقي عنده من مال السلطان، وطلب من السلطان خلعة بولاية اليمن، فوعده السلطان بالخلعة إن قدم إلى الديار المصرية أو إلى بندر جدة، فبينما هو في ذلك إذ تحرك شيخ الحديدة على أعدائه ببيوت حسين وقاتلهم، فركب معه تمراز ـ هذا ـ بمن معه واقتتل الفريقان أشد قتال، فقتل تمراز ـ هذا ـ في المعركة،

= ج ٤ ص ١٥١ ـ ١٥٣ تر ٧٩٤ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٨، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٥٧ ، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٥ ـ ٣٦ تر ١٤٩، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩١ .

[٢٠٣] وقتل // معه شيخ الحديدة ، وقتل من عسكرهما نحو خمسين نفراً، فقتل من الجند أصحاب تمراز نحو العشرة، والباقون من الأعراب، وأخذ ما معه وحمل إلى بندر جدة، فسر السلطان بقتله. وقد حكينا أمره وشراءه المركب المروس، (وكيف وقع)[1] له في ركوب البحر إلى أن عاد وقتل، كل ذلك في هذا الكتاب، في حوادث السنة.

وكان رأساً في الصراع ، مع شجاعة وإقدام وحدة وبطش مع خفة وسوء خلق ، وكان أشقر ضخماً، للطول أقرب ـ رحمه الله تعالى.

(١٩) وتوفي قاضي القضاة ، شيخ الإسلام ، بدر الدين محمود ابن القاضي شهاب الدين أحمد العينتابي[2] الحنفي ، قاضي قضاة الديار المصرية وعالمها ومؤرخها ، في ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة ، ودفن من الغد بمدرسته التي أنشأها تجاه داره بالقرب من جامع الأزهر .

وكان مولده في سنة اثنتين وستين وسبعمائة بعينتاب، وكان إماماً عالماً فقيهاً نحوياً لغوياً مؤرخاً صاحب تصانيف مفيدة، أفتى ودرس سنين، وتولى حسبة القاهرة من أوائل القرن إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة، على أنه عزل منها غير مرة، وتولى قضاء القضاة بالديار المصرية مرتين، وأقام في ذلك سنين، وكان عارفاً باللغة التركية، محظوظاً عند الملوك، لا سيما خصوصيته بالملك الأشرف برسباي، فإنها كانت إلى الغاية. وكان ينادم الأشرف ويقرأ عليه ما خطر بباله من التاريخ ويفسره له باللغة التركية، ثم ركضت ريحه بعد موت الأشرف وعزل عن القضاء بشيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري، ولزم داره حتى كبر ومات في التاريخ المذكور ـ رحمه الله.

---

(١) مزيد من « ب ».

(٢) هو « محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود »، له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٢١ ـ ٧٢٢ تر ٢٤٦٥، المنهل الصافي مج ٣ ص ٢٣١ أ ـ ٢٣٣ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٨ ـ ١١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٧٥ ـ ٣٨٠، الذيل على رفع الإصر ص ٤٢٨ ـ ٤٤٠، الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٣١ ـ ١٣٥ تر ٥٤٥ ، السيوطي . بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٧٥ تر ١٩٦٧ ، نظم العقيان ص ١٧٤ ـ ١٧٥ تر ١٩٠ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٢٠) وتوفي السيد الشريف عفيف الدين أبو بكر محمد[١] الأيكي العجمي الشافعيُّ المعتقدُ نزيل مكة المشرفة، بمنى في ثاني يوم من أيام التشريق، فحمل ودفن خارج مكة، وكانت جنازته مشهودة، والناس في أمره على أقسام ـ رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٢١) وتوفي الشيخ المعتقد الصالح أحمد الترابي[٢] فجأة في يوم الجمعة حادي عشر ذي الحجة، ودفن بزاويته من الغد تجاه تربة الإسنوي، خارج باب النصر.

وكان رجلاً صالحاً ديناً خيراً، وكان بيننا صحبة ومحبة، ولي فيه اعتقاد ـ رحمه الله.

* * *

(١) هو «محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هادي بن محمد بن أبي الحسن بن أبي الفتوح إبراهيم بن حسان»، له ترجمة في:
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٦٩ ـ ٣٧١، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ تر ٣١٤، السيوطي. نظم العقيان ص ١٦٢ ـ ١٦٣ تر ١٧١.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٥٦، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦١ تر ٧٧٣.

سنة ست وخمسين وثمانمائة

[٢٠٤] أهلت هذه // السنة وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري، والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، وليها بعد موت أخيه المستكفي بالله أبي الربيع سليمان، وباقي أرباب الدولة من القضاة والنواب وأرباب الوظائف على حالهم كما قدمناه فيما مضى، خلا نائب صفد فإنه الأمير بيغوث المؤيدي، وليها بعد موت الأمير يشبك الحمزاوي، وتغير - أيضاً - من ملوك الأقطار محمد بن مراد بك بن عثمان، ولي مملكة الروم بعد موت أبيه مراد بك حسبما تقدم ذكره.

المحرم

أوله الاثنين.

فيه أعيد قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن الباعوني الشافعي إلى قضاء دمشق بعد عزل قاضي القضاة سراج الدين عمر بن موسى الحمصي.

وفيه توفي الشيخ علاء الدين ابن قطب الدين أحمد القلقشندي الشافعي، أحد علماء الديار المصرية، ودفن من الغد يوم الثلاثاء ثانيه، رحمه الله.

وفي يوم الاثنين ثامنه وصل محب الدين محمد بن الشحنة قاضي قضاة حلب وكاتب سرها إلى القاهرة، وطلع من الغد إلى السلطان، وخلع عليه كاملية بسمور.

وفي يوم الاثنين خامس عشره خلع السلطان علي القاضي جمال الدين يوسف بن الباعوني كاملية السفر.

وفي يوم الثلاثاء، سادس عشره لبس القاضي صلاح الدين، خليل بن محمد بن السابق، كاتب سر دمشق خلعة السفر.

وفي يوم السبت العشرين منه نفى السلطان السيفي دقماق اليشبكي إلى البلاد الشامية، وأنعم بإقطاعه على حفيده ولد المقام الفخري عثمان.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه وصل ركب الحاج الأول وأميره عبد العزيز بن محمد الصغير، ثم وصل المحمل من الغد في يوم الثلاثاء صحبة أمير الحاج الأمير سونجبغا اليونسي الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

وفيه سافر جانبك الظاهري شاد بندر جدة إلى البلاد الحجازية.

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه ولد للأمير أزبك من ططخ الظاهري الساقي ولد من بنت السلطان الملك الظاهر جقمق وسمي محمداً، وتفرقت حواشيه لبشارة الأعيان.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه وصل قصاد بير بضع[1] بن جهان شاه ابن قرا يوسف إلى القاهرة.

وفي هذا الشهر فشا الموت بالقاهرة كثيراً بغير الطاعون، وعظم ذلك عندما نقلت الشمس إلى برج الحوت.

وفيه ـ أيضاً ـ انحلت الأسعار، فأبيع القمح بثمانمائة // درهم الإردب [٢٠٥] إلى ما دونها، والفول بخمسمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والشعير بأربعمائة درهم الإردب إلى ما دونها، وهم في انحطاط ولله الحمد، والدقيق العلامة بمائتين وثلاثين درهماً البطة إلى ما دونها، والخبز بأربعة دراهم الرطل، والجبن المقلي بستة عشر درهماً الرطل، وقس على هذا جميع ما تقدم في السنة الخالية[2].

---

(١) في هامش «أ»: «وبير بضغ بكسر باء العجم، وهي خلاف الباء المعروفة الموحدة، وبعدها باء مثناة من تحت وراء مهملة ساكنتين، وبضع بضم الباء ثانية الحروف، وفتح الضاد المعجمة وسكون الغين المعجمة ـ انتهى ـ وبيرْ بُضَغْ».

(٢) في «ب»: «هذه السنة».

صفر

أوله الأربعاء.

فيه تزايدت الأمراض الحادة بالقاهرة، وتوفي جماعة كثيرة من الناس.

وفي يوم الخميس ثانيه طلع قصاد بير بضغ بن جهان شاه إلى القلعة بهدية مرسلهم إلى السلطان، والهدية بغلة هائلة وبعض سلاح وقماش حرير، فقرىء كتابه وقبلت هديته، وأنعم السلطان بالبغلة على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم.

وفي يوم الاثنين سادسه استعفى الأمير ألطنبغا الظاهري برقوق اللفاف أحد مقدمي الألوف[1] بالديار المصرية لضعف بدنه عن الحركة، وأنعم بإقطاعه وتقدمته على المقام الفخري عثمان، ولد المقام الشريف زيادة على ما بيد الفخري عثمان من تقدمة أخيه المقام الناصري محمد ابن الملك الظاهر جقمق، المنعم بها عليه بعد موت اخيه ـ المذكور ـ في سنة سبع وأربعين وثمانمائة.

وفي يوم الأحد تاسع عشره توفي الإمام العالم ناصر الدين محمد بن كزلبغا الإمام بالمدرسة الأشرفية برسباي.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه توفي عظيم الدولة وعالمها ورئيسها القاضي كمال الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي ناصر الدين أبي المعالي محمد بن البارزي الحموي الأصل والمولد، الجهني، الشافعي، كاتب السر الشريف.

شهر ربيع الأول

أوله الخميس.

فيه لبس القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيوش المنصورة كاملية بسمور باستمراره على وظيفة نظر الجيش.

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر المقام الفخري عثمان ولد المقام الشريف صلاة الجمعة عند والده بجامع الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة بالكلفتاه

(١) في «أ»: «اللفاف»، والتصويب من النجوم الزاهرة للمؤلف ج١٥ ص ٤٣٩.

والقماش، ورسم له أن يمشي الخدمة الشريفة على عادة أولاد السلاطين.

وفي يوم الاثنين خامسه توفي الشيخ زين الدين طاهر بن محمد بن علي النويري المالكي.

وفي يوم الخميس ثامنه استقر القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيش في كتابة السر عوضاً عن القاضي كمال الدين محمد بن // البارزي بعد موته [٢٠٦] واستقر الصاحب جمال الدين ناظر الخواص في وظيفة نظر الجيوش المنصورة مضافاً إلى ما بيده من نظر الخاص، عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر بحكم انتقاله إلى وظيفة كتابة السر، ونزلا إلى دورهما وبين يديهما وجوه الدولة.

وفي يوم الأحد حادي عشره توفي شهاب الدين أحمد بن يعقوب نقيب القاضي الشافعي، وكان مشكور السيرة.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره توفي قانصوه المصارع الأشرفي، وكان من الأفراد.

وفيه عمل السلطان المولد النبوي على العادة في كل سنة.

وفي يوم الأربعاء توفي بدر الدين محمد ابن فتح الدين صدقة المحرقي.

وفي يوم الخميس خامس عشره لبس القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر [خلعة] باستقراره في الأنظار المتعلقة بوظيفة كتابة السر.

قلت: وكان أخذ من القاضي محب الدين - المذكور - جميع تعلقات كتابة السر من قبله كالحمايات(١) والمستأجرات إلى ديوان الذخيرة، ولبسه للوظيفة بالاسم لا غير.

وفي يوم السبت سابع عشره نودي بالقاهرة على الذهب الظاهري كل دينار بمائتي درهم وخمسة وثمانين درهماً، وهدد من زاد في صرفه على ذلك.

وفي يوم الأحد ثامن عشره توفي أبو بكر المصارع أحد من أنشأه الملك الظاهر من أولاد الناس(٢).

---

(١) في «أ»: «الحمايات».

(٢) في «ب»: «من الأوباش».

وفي يوم الاثنين تاسع عشره كان أول خمسين النصارى.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه طلب شرف الدين موسى التتائي الأنصاري ناظر الجوالي نصارى القاهرة لأنه بلغه أنهم يشترون الجواري المسلمات وينصرونهن، فأمرهم بإحضار ما عندهم من الجواري لينظر في أمرهن، فإن وجدها مسلمة كانت في الأصل أو الذي سباها من بلادها كان مسلماً ردها إلى الإسلام، وأمر صاحبها ببيعها، فاستولى على جماعة منهن، وهو في تتبع ذلك.

قلت: ولا بأس بهذه الفعلة الصالحة، بل ينبغي لكل مسلم أن يفحص عن مثل هذه القضية، وينم بها إلى الحكام، ولو شق ذلك على أعيان الدولة من الأقباط - قبحهم الله تعالى.

[٢٠٧] وبعد // الخماسين تناقص الموت قليلاً، وانحطت الأسعار كثيراً.

وفي يوم الجمعة سلخه، ويوافقه سادس عشرين برمودة، لبس السلطان القماش الأبيض على العادة في كل سنة.

شهر ربيع الآخر

أوله السبت.

استهل هذا الشهر والموت فاش في الناس، لكن بغير طاعون، وأما الضعف فكثير جداً.

وفيه انحط سعر الغلال، فأبيع القمح بأربعمائة درهم الإردب إلى ما دونها وفوقها، والفول بثلاثمائة درهم الإردب إلى ما دونها، والشعير بمائتيّ درهم الإردب إلى ما دونها، والرطل الخبز بدرهمين، ولله الحمد.

وفي يوم السبت مستهله توفي الشيخ ولي الدين الرومي الحنفي نزيل جامع الأزهر، وكان للناس فيه اعتقاد.

وفي يوم الاثنين ثالثه استقر الشريف معز بن هجار بن وُبَيْر بن نخبار في إمرة الينبع عوضاً عن عمه سنقر بن وبير على مال كبير.

وفي يوم الثلاثاء رابعه توفي الرئيس سعدالدين أبو غالب القبطي الأصل الحنفي ، المعروف بابن عويد السراج .

وفي يوم الخميس سادسه لبس القاضي علاء الدين ابن وجيه [خلعة] نظر جيش حلب بعد عزل ابن الشحنة ، وحصل بولايته لأهل حلب سرور زائد[١] لبغضهم في ابن الشحنة ـ المذكور ـ حسداً له .

وفي يوم السبت ثامنه عقد مجلس بالقضاة بحضرة السلطان، وادعى السلطان علي محب الدين ابن الشحنة أن عنده وديعة للأمير تغري برمش نائب حلب نحو ثلاثين ألف دينار، فنزل ابن الشحنة على البيان بعد أن اعترف أنه لم يكن عنده لتغري برمش ـ المذكور ـ سوى أربعة آلاف دينار، وأنه ردها إليه، فلما نزل إلى داره تكلّم فيه أرباب الدولة عند السلطان فآل أمره إلى أنه يحمل للخزانة الشريفة مبلغاً من الذهب له جرم، اختلف في قدره، من عشرة آلاف دينار إلى ما دونها.

قلت: كل ذلك بوادر لأخذ السلطان أموال أهل الدولة .

وفي يوم الاثنين عاشره توفي الأمير سيف الدين ألطنبغا بن عبد الله اللفاف بطالاً بداره، ودفن من يومه، يأتي ذكره في آخر السنة.

وفيه لبس الشيخ علي المحتسب العجمي [خلعة] نظر التربة الناصرية ، حيث دفن الملك الظاهر برقوق بالصحراء ، وهذا النظر يكون لكتاب السر على ما شرط الواقف ، فوليها الشيخ علي باليد ، واستقلعها من القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر .

// وفي يوم الجمعة رابع عشره توفي بطرق النصارى أبو الفرج النصراني اليعقوبي ودفن من الغد. [٢٠٨]

وفي يوم الأحد سادس عشره لبس الشريف معز أمير الينبع كاملية خضراء بسمور ؛ خلعة السفر.

وفي هذا الشهر وصل الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بيشبك

---

(١) في « أ » : « سروراً زائداً » .

الصوفي المعزول عن نيابة طرابلس قبل تاريخه من ثغر دمياط بطلب، لمرض حصل له ، ورسم له بالتوجه إلى القدس الشريف ليقيم به بطالاً ، وأمره السلطان أن يقيم بالقاهرة ما شاء لعمل مصالحه .

جمادى الأولى

أوله الأحد.

في يوم الخميس خامسه رسم السلطان بتوجه القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف إلى حبس المقشرة ليحبس بها بعد أن أوسعه سباً، فشفع فيه من حضر من أرباب الدولة، فرسم له بأن يتوجه إلى بيت الأمير دولات باي المؤيدي المحمودي الدوادار الكبير على أن يحمل إلى الخزانة الشريفة خمسة آلاف دينار أو يتوجه إلى المقشرة، فنزل - المذكور - إلى بيت الأمير دولات باي الدوادار وأقام به إلى بعد ظهر يومه، فأذعن إلى حمل المبلغ المذكور، فرسم بإطلاقه، فركب وتوجه إلى داره وانقطع عن الخدمة السلطانية إلى يوم يأتي ذكره، وأخذ في حمل المبلغ.

وسبب هذه القضية الفاحشة أن شخصاً من العرب وقف إلى السلطان وادعى أن إقطاعه خرج عنه في العام الماضي بغير موجب، فلما سمع السلطان كلام البدوي التفت إلى القاضي محب الدين - المذكور - وقال للبدوي: هذا الفاعل التارك هو الذي أخرج إقطاعك - يعني أيام ولايته لنظر الجيش - ثم أمر به. انتهى.

وفي هذا اليوم - أيضاً - طلب السلطان الزيني عبد الرحمن بن الكويز، ورسم بالترسيم عليه في بيت الأمير تمربغا الدوادار الثاني حتى يرد إلى الأمير قرقماس الأشرفي أحد أمراء الطبلخانات وقريب الملك الأشرف برسباي ما أخذه منه من ثمن قرية ابتاعها قرقماس منه بالدقهلية، والقرية تسمى منية العرايا من أعمال القاهرة، والثمن - المذكور - نحو أربعة آلاف دينار. وكان لما باعها الزيني
[٢٠٩] عبد الرحمن - المذكور - لقرقماس من سنيات //، استأجرها بمبلغ هائل، فلما انقضت مدة الإجارة واستولى عليها قرقماس لم يجدها تفي بالمبلغ المعين من

الخراج في كل سنة، فشكاه إلى السلطان، فطلبه السلطان وألزمه برد الثمن إلى قرقماس ـ المذكور ـ وأخرج السلطان القرية ـ المذكورة ـ إلى الذخيرة السلطانية، واستمر ابن الكويز في الترسيم أياماً حتى عمل المصلحة وأفرج عنه، وردت القرية إليه.

وفي أوائل هذا الشهر وردت الأخبار من النواب بالبلاد الشامية بعود جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز وبغداد من ديار بكر بن وائل إلى جهة بلاده بعد أن أقام بديار بكر وحواشيه تحاصر مدينة آمد وماردين نحو السنتين، وأقام جيشه على حصار جهان كير بن علي بك بن قرايلك بآمد قريباً من سنتين، وكذلك على ماردين، ثم رحلوا بعد ذلك بغير طائل، وداموا في هذه المدة الطويلة بديار بكر، ورحلوا ولم يستولوا على قلعة واحدة من قلاعها، غير أنهم استولوا على مدينة ماردين ما خلا قلعتها لا غير، والمقصود من ماردين قلعتها.

ولما أراد جهان شاه الرحيل من جهة ديار بكر أظهر الصلح بينه وبين جهان كير بن علي بك بن قرايلك وتصاهرا باللفظ، وأرسل جهان شاه خلعته إلى جهان كير، ثم سافر.

قلت: وكان عود جهان شاه من ديار بكر على رغمه، لأنه[1] بلغه أن بابوراً ابن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك وصل إلى الري، وأنه يريد المشي على بلاد جهان شاه ـ المذكور ـ انتهى.

وفي يوم الاثنين تاسعه، لبس القاضي محب الدين ابن الأشقر خلعة الاستمرار على وظيفة كتابة السر، وباشر الوظيفة على عادته.

قلت: وما كان أغناه عن لبس هذه الكاملية التي غرم قبل لبسها خمسة آلاف دينار، وقد استراح المرحوم القاضي كمال الدين ابن البارزي من هذا النموذج القبيح.

وفي يوم الاثنين سادس عشره، خرجت تجريدة من القاهرة إلى البحيرة، وفيها زيادة على مائتيّ مملوك من المماليك السلطانية، وعليهم الأمير خشقدم

(١) في «أ»: «وأنه».

٢١٠] الناصري المؤيدي حاجب الحجاب، والأمير يشبك من سلمان شاه المؤيدي // الفقيه، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

وفي هذا اليوم عمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني من قلعة الجبل، وأبطل موكب القصر بالكلية، وهذا شيء لم نعهده ولا سمعنا بمثله في سالف الأعصار.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، عمل السلطان الموكب بالقصر على العادة، وأبطل ما كان أمر به من عمل الخدمة بالكلفتاه بالحوش السلطاني، لما بلغه أنه أشيع عنه أنه قد عجز عن الحركة والمشي من الدور السلطانية إلى القصر، ولما انفض الموكب خرج السلطان من باب القصر ماشياً إلى باب الستارة، فلما كان في أثناء الطريق تقدم عن الأمراء بالمشي حتى صار أمامهم، ثم قال: يشاع عني أني عجزت عن المشي، انظروا إليّ كيف أمشي.

وفي يوم الجمعة سابع عشرينه توفي الأمير برسباي المؤيدي أحد أمراء العشرات، وأنعم بإقطاعه من الغد على السيفي جانم الساقي الظاهري جقمق، وأنعم بإقطاع جانم ـ المذكور ـ وهو حصة من جبين القصر[1] على حفيده سيدي محمد ابن المقام الفخري عثمان ابن الملك الظاهر جقمق.

وفي هذا الشهر ورد الخبر بقتل الملك الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد ابن العادل غازي صاحب حصن كيفا في العشر الأخير من شهر ربيع الأول من هذه السنة، قتله ولده الملك الناصر صبراً، دخل عليه في أناس قلائل بالليل وقتلوه وبايع لنفسه، وتم أمره على أنه تخلّف عن طاعته عدة أناس غيرة لما فعله من قتل أبيه، لا جزاه الله خيراً.

جمادى الآخرة

أوله الاثنين.

في يوم الثلاثاء ثانيه، ويوافقه سادس عشرين بؤنه ـ أحد شهور القبط ـ

(١) المقصود بذلك «شبين القناطر»، محافظة القليوبية.

أخذ قاع النيل، فجاءت القاعدة - أعني الماء القديم - خمسة أذرع وأربعة وعشرين إصبعاً، ولله الحمد.

واستمرت الزيادة في كل يوم .

وفي يوم الاثنين ثامنه - ويوافقه ثاني أبيب - تماسك عن الزيادة في اليوم المذكور وثانيه، بل قيل: إنه نقص إصبعاً واحداً، واستمرت الزيادة في كل يوم.

وفي يوم الخميس حادي عشره، سافر الأمير تنبك البردبكي الظاهري برقوق - أحد مقدمي الألوف - إلى ثغر رشيد لحفظ الثغر - المذكور - من مفسدي الفرنج.

وفي هذه الأيام استقر السلطان بالقاضي زين الدين عمر ابن القاضي شهاب الدين أحمد بن السفاح الحلبي في كتابة سر حلب، عوضاً عن ابن الشحنة، ورسم له بحمل // التشريف إلى حلب. [٢١١]

وفي يوم الثلاثاء سلخه، وهو تاسع عشرينه وصل إلى القاهرة من ثغر دمياط الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة، المتوجه قبل تاريخه إلى بلاد التركية لعمل المراكب بسبب الجهاد في سبيل الله - تعالى - وطلع إلى السلطان، وأخلع عليه فوقاني بطرز ذهب.

وفي هذا الشهر كان الفراغ من مدرسة الأمير زين الدين يحيى الأستادار، التي أنشأها بخط الحبانية على بركة الفيل، وأما مصروفها فمال جزيل.

وفيه فرق الشيخ علي المحتسب على الفقراء طعاماً كثيراً بأمر السلطان، فلا أعلم من أي جهة هو، ومن له شيء فله أجره .

شهر رجب

أوله الأربعاء.

في يوم الأحد خامسه رسم السلطان بنفي الأمير قانصوه المحمدي الأشرفي الساقي - كان في أول دولة أستاذه - إلى مدينة حلب من غير أمر يوجب ذلك.

وقانصوه ـ هذا ـ من خيار أبناء جنسه.

وفي يوم الثلاثاء سابعه، رسم السلطان بحبس قاضي القضاة ولي الدين محمد السنباطي المالكي في المقشرة.

وسببه أن شخصاً مسلماً ادّعى عنده على شخص يهودي من تجار الجاركس بأنه لا يطالبه بحقه إلاّ من الشرع الشريف، فحكم عليه قاضي القضاة ـ المذكور ـ بذلك، فلم يرض اليهودي بالحكم، وقال: أنا أشتكي من حيث شئت والخاطر خاطري في طلب حقي. فكرر القاضي عليه الكلام على لسان الترجمان، فلم يسمع، فضربه القاضي وحبسه، ثم أطلقه، فشكا اليهودي ـ المذكور ـ القاضي إلى السلطان، فطلب السلطان قاضي القضاة ـ المذكور ـ فقال: الذي فعلته هو الشرع. فقال السلطان ما معناه: إنّ السياسة هي تجري مجرى الشرع، وأنت حكمت بغرض. ثم غضب، وأمر به إلى الحبس، فعزل القاضي نفسه في الحال، وقام من المجلس وتوجه إلى جامع الناصر بالقلعة، وأقام به قليلاً حتى شفع فيه ونزل إلى داره معزولاً إلى أن أعيد في يوم الخميس تاسعه.

وفي يوم السبت حادي عشره وصل الأمير حاج إينال اليشبكي نائب الكرك إلى القاهرة، وأخلع عليه (السلطان) خلعة الاستمرار وهو يظهر الاستعفاء من النيابة المذكورة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشره ـ ويوافقه سابع مسرى أحد شهور القبط ـ زاد البحر أربعين إصبعاً، وكان زاد قبل تاريخه// أربعين أخرى على دفعتين، [٢١٢] عشرين في عشرين، ثم زاد في يوم الثلاثاء رابع عشره ثلاثين إصبعاً، فتكون زيادته في أربعة أيام مائة إصبع وعشرة أصابع. وبقي للوفاء اثنان وعشرون[١] إصبعاً، فزاد في يوم الأربعاء خامس عشره ـ ويوافقه تاسع مسرى ـ أربعاً وعشرين إصبعاً، أوفى في الستة عشر ذراعاً وزاد إصبعين من الذراع السابع عشر، فنزل المقام الفخري عثمان ابن السلطان الملك الظاهر جقمق في وجوه

(١) في «أ»: «اثنين وعشرين».

الدولة حتى خلق المقياس، ثم عاد وفتح خليج السد على العادة، ثم عاد إلى القلعة، فحصل للناس بهذا الوفاء سرور زائد إلى الغاية، ولله در الأديب ناصر الدين ابن النقيب ـ رحمه الله ـ حيث يقول في هذا المعنى :

كأن النيل ذو فهم ولب   لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم إليه   ويمضي حيث يستغنون عنه

(الوافر)

وفي يوم السبت ثامن عشره، أنعم على الأمير حاج إينال ـ المذكور قبل تاريخه ـ بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق عوضاً عن الأمير مازي الظاهري برقوق بحكم لزوم مازي بيته، واستقر في نيابة الكرك عوضاً عن الحاج إينال ـ الأمير طوغان دوادار السلطان بدمشق، واستقر في دوادارية السلطان بدمشق السيفي خشكلدي الدوادار الثالث بالقاهرة، واستقر في الدوادارية الثالثة عوضاً عن خشكلدي ـ المذكور ـ شخص لا أعرفه من أولاد الناس يدعي ابن جانبك، كان بخدمة السلطان قديماً في أيام إمرته.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه، استقر النصراني سليمان اليعقوبي بطرك النصارى عوضاً عن أبي الفرج النصراني المتوفي قبل تاريخه، وذلك بعد شغورها أشهراً إلى أن قدم سليمان ـ هذا ـ من بلاد الصعيد.

وفي يوم السبت خامس[1] عشرينه نودي على النيل بزيادة إصبع واحد[2] لتتمة ستة عشر إصبعاً من الذراع السابع عشر، وكان للبحر نحو سبعة أيام لم يزد شيئاً. واختلفت الأقوال في عدم زيادته ـ والله أعلم ـ ثم استمرت الزيادة بعد ذلك في كل يوم / / على ما سيأتي ذكره عند انتهاء الزيادة. [٢١٣]

(١) في هامش «أ»: «حاشية: صوابه ثامن عشره، نودي على النيل بثلاثة أصابع لتتمة ستة عشر من الذراع السابع عشر، ثم نقص يوم الأحد أربعة أصابع لانكسار مقطع من لسان سنيت، وأقام إلى يوم الجمعة رابع عشرينه زاد ثلاثة أصابع، واستمرت الزيادة».

(٢) في «أ»: «وفي يوم السبت خامس عشرينه نودي على النيل بإصبع واحد، نودي على النيل بزيادة أصبع واحد لتتمة...».

وفي أواخر العشر الأخير من هذا الشهر أشيع بمجيء أبي الخير النحاس إلى القاهرة، وأنه وصل على النجب، ونزل بتربة الأمير طيبغا الطويل الناصري بالصحراء خارج القاهرة، ثم انتقل منها إلى القاهرة، وتحدثت جماعة برؤيته، وماجت أهل الدولة لذلك.

قلت: وهذا من أغرب ما اتفق في زماننا هذا، فإن السلطان لما نكب أبا الخير - المذكور - وصادره، ووقع له ما حكيناه فيما تقدم في هذا الكتاب من الدعوى عليه بمجلس الشرع وحبسه أياماً[1]، ثم بعد ذلك كله أخرج منفياً إلى طرسوس، وكان خروجه من القاهرة في الثلث الأول من ليلة الجمعة ثامن عشرين جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وثمانمائة، ودام في حبس طرسوس، ثم حبس بقلعتها على أقبح حال، (و) من ثم وهو في ضيق عظيم إلى الغاية، ونال من يعاديه منه ما هو فوق غرضه، وصار السلطان يتفقده في كل قليل بعصيات، وهو أنه كلما أشيع بالقاهرة ممن يحبه أو يبغضه بمجيئه من حبس طرسوس يتكلم فيه بعض من له غرض في إبعاده، فيبرز مرسوم السلطان إلى نائب طرسوس بضرب أبي الخير - المذكور - فيضرب على رجليه وتارة على بدنه، فكان جملة ما ضرب في مدة حبسه نحو الألف عصاة - تخميناً - على نفذات متفرقة، ولم يزل في محبسه في ضيق وإبعاد وحواشيه متفرقة بذل وصغار إلى أن أشيع ما أشيع على حين غفلة، ولم يعلم أحد من عظماء الدولة بمجيئه ولا بكيفية الإفراج عنه، حتى ولا كاتب السر وغيره ممن هو أقرب للملك من كاتب السر - المذكور - وأخذ أعيان الدولة في تكذيب الخبر، وبقي الناس في أمر مجيئه على قسمين، واستمر ذلك مدة إلى ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

شعبان

أوله الخميس.

ففي يوم الخميس ثامنه وصل إلى القاهرة جانبك بن عبد الله الظاهري جقمق من بندر جدة، وصحبته قصاد صاحب الحبشة من المسلمين - ملك جبرت - فعمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني من قلعة الجبل بالكلفتاه

(١) في الأصل: «أيام».

والقماش ، وقد انقطع السلطان عن التوجه إلى القصر [السلطاني][1] من نحو شهر ، وذلك لضعف حركته فيما أظن .

وفي يوم الجمعة تاسعه طلع أبو الخير النحاس في بكرته إلى القلعة ودخل إلى السلطان بالقلعة من الدهيشة، صحبة سيدي عبد العزيز ابن سيدي // [٢١٤] يعقوب ابن أخي الخليفة القائم بأمر الله حمزة، ليشفع - المذكور - فيه على لسان الخليفة، ولم يكن عند السلطان في ذلك الوقت من أعيان الدولة سوى الأمير تمربغا الدوادار الثاني والأمير أسنباي الظاهري، فقام السلطان لابن أخي الخليفة المذكور وأجلسه، ودخل أبو الخير النحاس وقبل رجل السلطان، فلم يلتفت إليه السلطان، بل نهره وأوسعه سباً ولعناً وتوبيخاً، وأخذ يعدد له أفعاله القبيحة في أيام وصلته بالسلطان، ثم أمر بحبسه بالبرج من قلعة الجبل بعد أن اعتذر لابن أخي الخليفة لعدم قبول شفاعته، بل قال: أنا كنت أريد (أن) أوسطه، فلأجل الخليفة عفوت عنه . ثم أنعم على عبد العزيز - المذكور - بمائة دينار، وانفض المجلس إلى أن أصبح السلطان من الغد في يوم السبت، جلس على الدكة بالحوش السلطاني، وأحضر أبا الخير - المذكور - في الملأ من الناس، ثم أمر بضربه، فضرب بين يديه بيد الطواشية ما يقارب ألف عصاة أو ما دونها - تقريباً - على رجليه وسائر بدنه، وشرع السلطان يذكر أفعاله القبيحة، ثم أمر بحبسه ثانياً بالبرج من القلعة، فتحيّر الناس من هذه الأفعال المتناقضة، وهي كونه أفرج عنه سراً وأحضره إلى القاهرة، فظن كل أحد بعود - المذكور - إلى أعظم مما كان عليه، ثم لما وقع له ما ذكرناه من الإخراق والضرب والحبس تحقق كل أحد إبعاده ونزوله إلى البهموت، وقد كثر كلام الناس في ذلك، فمنهم من يقول: أمر السلطان بإطلاقه لا مجيئه إلى القاهرة، فحنق عليه لما قدم إلى القاهرة. فيرد على قائل هذا الكلام قول من يقول: إذا كان كذلك فمن أين لأبي الخير (بـ) النجب التي جاء عليها بعد خروجه من حبس طرسوس مع ما كان عليه من الذل لولا توصية السلطان لمن يعينه على ذلك ؟ وأيضاً كيف تمكّن من المجيء من نواب البلاد الشامية ؟ لو لم يكن معه ما يدفعهم عن تعويقه من

(١) مضاف من « ب ».

المراسيم السلطانية، ومنهم من يقول: كان أمره قد انبرم مع السلطان، وأن الجماعة الذين يخافونه اجتهدوا ووعدوا السلطان بوعود كثيرة أضعاف ما وعده المذكور - وسهروا عليه. وأظن هذا هو الأقوى، والله أعلم، ولله در // [٢١٥] القائل:

بعثت في حاجتي رسولا يكنى أبا درهم فتمت
ولو سواه بعثت فيها لم تحظ نفسي بما تمنت

(مخلع البسيط)

وفي هذا اليوم أخذ أبو عبد الله التركي المغربي من بيته إلى بيت الوالي، ورسم عليه، ثم ادعى عليه بمجلس القاضي المالكي أو غيره بأنه التزم للسلطان عن أبي الخير النحاس بمائة ألف دينار أو أكثر، فقال: أنا قلت إنْ ولاه ما عينه من الوظائف، ولم يقع ذلك، وعرف كيف أجاب، فاستمر في الترسيم إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره، طلب إلى القلعة، فطلع وفي رقبته جنزير، ثم عاد إلى الترسيم من غير جنزير، وقد أشيع أنه وقع في حق قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي بأمور شنيعة، ودام في الترسيم على ما سيأتي ذكره.

وفيه نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة ثماني[1] عشرة إصبعاً من الذراع الثامن عشر، وكان الموافق لهذا اليوم أول توت، يوم النوروز.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره أخرج أبو الخير النحاس من حبسه ببرج القلعة منفياً إلى البلاد الشامية ليحبس بقلعة (الـ) صبيبة، فنزل على حالة نستعيذ بالله منها، وهو أنه راكب على بغلة وفي رقبته باشة وجنزير، وصحبته جماعة من الجبلية موكلون به، وقد شقوا به شارع القاهرة إلى أن خرج من باب النصر والمشاعلي ينادي عليه: هذا جزاء من يكذب على الملوك، ويأكل مال الأوقاف، ونحو ذلك. ورسم السلطان بأن يفعل به ذلك في كل بلد يمر بها إلى أن يصل إلى محبسه، وما ربك بظلام للعبيد.

وفي يوم الخميس خامس عشره، استقر الأمير حاج إينال في نيابة حماه، عوضاً

(١) في «أ»: «ثمان عشرة».

عن الأمير سودون الأبوبكري المؤيدي بحكم عزله وتوجهه على الإمرة المنعم بها قبل تاريخه على الحاج إينال ـ المذكور ـ وهي تقدمة ألف بدمشق.

وفيه رسم بفتح سد قناطر بحر منجا، فتوجه الأمير زين الدين الأستادار بتجمل زائد[1]، وتوجه صحبته غالب أهل الدولة حتى رأوا فتح السد ـ المذكور ـ واتفق أمر مزعج، وهوْ أنه لما وقف والي القاهرة على الجسر وفتح السد من عدة أماكن والناس وقوف للفرجة، فكانت طائفة من العوام واقفة على الجسر ـ المذكور ـ والماء قد عمل من تحته، فهوّر بهم الجرف ونزلوا البحر، فلما أرادوا النهوض منه انهار عليهم جرف آخر فطمهم // الجميع، فماتوا عن [٢١٦] آخرهم، ولم يوقف لهم على خبر[2]، وكانوا زيادة على عشرين نفراً، فما شاء الله كان.

وفي يوم الجمعة سادس عشره، ورد الخبر بموت الجمالي يوسف بن يغمور نائب قلعة صفد بها.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره وصل السيفي دقماق اليشبكي المنفي قبل تاريخه إلى مدينة القدس، فرحّب السلطان به ورد له إقطاعه الذي كان بيده قديماً.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه جلس السلطان بالحوش، وحضر القضاة

---

(١) في هامش «أ» قوله: «حاشية: يوم الخميس خامس عشر شعبان، وبات تلك الليلة في جامعه الذي أنشأه ببولاق، وأوقد وقيداً عظيماً، على كل شرافة قنديل ومئذنة، وكانت ليلة عظيمة».
«حاشية: وكان الأمير زين الدين يحيى الأستادار عمر حالة ليسيرها للبحر الملح بثلاث طبقات وسبع قلوع، فعومها في ذلك اليوم إلى شبرا، وكان صحبته الأمير إينال الأجرود ـ الذي تسلطن في سنة سبع وخمسين ـ وتنم من عبد الرزاق أمير مجلس، وقانباي الجاركسي أمير آخور، ودولات باي الدويدار الكبير، وتمربغا الدويدار الثاني ـ الذي تسلطن في سنة اثنتين وسبعين ـ وكاتب السر ابن الأشقر، وناظر الخاص يوسف، والوزير ابن الهيصم، وغالب أرباب الدولة من الأمراء والمباشرين، ويقال: إنه أمد الكل بالمآكل والمشارب والفاكهة والحلوى، وكان ذلك اليوم آخر سعده، فإنه أخذ في أول صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة كما يأتي في هذا الكتاب».

(٢) في هامش «أ»: «حاشية: وطلع من الذين انهار بهم الجسر جماعة، وغرق جماعة لا يحصى عددهم كثرة، مع أنهم حذروا فلم يقبلوا وممن غرق خولي الجسر يوسف النفيلي بمرأى من كاتبه».

الأربعة[1]، ثم حضر والي القاهرة بأبي عبـد الله التركي المغـربي، وكان التـركي قد أقام قبل تاريخه ببيت قاضي القضاة الشافعي المناوي أياماً، فلما مثل التركي بين يديّ السلطان سأل السلطان قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي الشافعي عن أمر التركي وما وجب عليه، فقال القاضي: يا مولانا السلطان، ثبت عليه عند نائبي نجم الـدين ابن النبيه لمـولانا السلطان عشـرة آلاف دينار، فقـام ابن النبيه في الحال وأخبر السلطان بذلك، فنهر السلطان ـ القاضي الشافعي عند مقـالته عشـرة آلاف دينـار، وقـال: مـا أسـأل إلاَّ عـمّا وجب عليـه من التعـزيـر، أيش العشرة آلاف دينار؟ ولم تحسن مقالة القاضي الشافعي ببال أحد من الحاضرين، ثم أجاب ابن النبيه بأن قال: أما المال فقد ثبت عندي، وأما أمر التعزير فهو إلى القاضي شمس الدين ابن خيرة. فقال ابن خيرة: حكمت عليـه بتغريبه سنتين، وأما التعزير فلمولانا السلطان على ما وقع منه من الأيمان الحانثة. فلما سمع السلطان كلام ابن خيرة أمر بالتركي فطرح على الأرض وضرب ضرباً مبرحاً يزيد على مائتيّ عصاة وأقيم، فتكلم فيه ابن (الـ) نبيه وأحضر محضراً مكتتباً عليه بدمشق بواقعة وقعت له لما كان قاضياً بها، فأمر به السلطان ثانياً فضرب ـ أيضاً ـ نحو ما ضرب أولاً، واختلفت الأقوال في عدد الضرب، فأكثر ما قيل ستمائة عصاة، وأقل ما قيل أربعمائة، ثم أنزل في الترسيم إلى بيت الأمير جانبك والي القاهـرة.

قلت: كل ذلك لمعاداة أرباب الدولة له بسبب تكلمه لأبي الخير النحاس وانتمائه إليه قديماً وحديثاً.

وفي هذا الشهر عزل السلطان الإمام محب الدين محمد الطبري، إمام مقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالمسجد الحرام، ثم أعاده بعد أيام.

شهر رمضان

أوله السبت.

[٢١٧] في يوم الاثنين ثالثه، وصل إلى القاهرة من البحيرة الأمير خشقدم //

---

(١) في «أ»: «الأربع».

الناصري حاجب الحجاب، والأمير يشبك من سليمان شاه المؤيدي الفقيه أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بمن معهما من المماليك السلطانية.

وفي يوم الأربعاء خامسه أخرج أبو عبد الله التركي المغربي المالكي من حبس الرحبة وفي رقبته الجنزير ماشياً إلى بيت الأمير جانبك والي القاهرة ببين القصرين، ثم ركب من هناك وخرج منفياً في الترسيم إلى بلاد المغرب.

وفي يوم السبت (ثامنه)(١) سافر القاضي محب الدين محمد ابن الشحنة قاضي قضاة حلب بعد أن أقام بالقاهرة أشهراً لا لأمر يستحق الإقامة بها، وأخذت منه جمل مستكثرة، وأخرجت عنه وظيفتي نظر جيش حلب وكتابة سرها حسبما تقدم.

وكان لما قدم إلى القاهرة حدثته نفسه بأن يلي كتابة السر بالديار المصرية في حياة القاضي كمال الدين ابن البارزي، فلم يصل إلى ذلك، واتفق مرض ابن البارزي ثم موته، فعند ذلك اجتهد ابن الشحنة ـ المذكور ـ في السعي وبذل الأموال ووعد بأشياء كثيرة، ودامت الوظيفة شاغرة أياماً كثيرة إلى أن طلب السلطان القاضي محب الدين ابن الأشقر ناظر الجيوش المنصورة، وولاه كتابة السر عوضاً عن القاضي كمال الدين ابن البارزي، وتولى الصاحب جمال الدين ناظر الخواص نظر الجيش، عوضاً عن القاضي محب الدين ـ المذكور ـ مضافاً إلى ما بيده من نظر الخاص حسبما تقدم ذكره.

وفيه وصل مبارك شاه نائب الكرك، وعزل وانحط قدره، وتحقق السلطان سوء سيرته، وأخذ أمره من يومئذٍ في إدبار إلى أن سافر من القاهرة في التاريخ المذكور.

وفي يوم الاثنين عاشره ـ ويوافقه ثامن عشرين توت أحد شهور القبط ـ فيه انتهت زيادة النيل إلى اثني(٢) عشر إصبعاً من عشرين ذراعاً، وهذه غاية زيادة النيل في هذه السنة، إلا أنه ثبت إلى أواخر بابة.

---

(١) مضاف من «ب».

(٢) في «أ»: «اثنى عشرة أصبعا».

وفي يوم الخميس العشرين منه برز المرسوم الشريف بحضور المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق بن أنص من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة ليتوجه إلى الحجاز الشريف، وكتب له بالمقر الكريم، والعلّامة والده، وكانت الناس في سفره على قسمين: ما بين مكذّب ومصدق، إلى أن برز (ت) المراسيم الشريفة فتمّن كل أحد بصدق الخبر.

قلت: وهذه الواقعة من الغرائب، فإننا لا نعلم أحداً من أولاد السلاطين حج في الدولة التركية بعد وفاة والده إلاّ هذا، على أنه شوكته قوية جداً، وغالب الأمراء والمماليك مماليك أبيه الناصر فرج وجده الظاهر برقوق.

[٢١٨] وفي أواخر هذا الشهر رسم // السلطان بإخراج نصف إقطاع الأمير جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك للسيفي بردبك التاجي الخاصكي، وكلاهما مقيم بمكة، فأما جانبك النوروزي فباش المماليك السلطانية بمكة، وأما بردبك التاجي فناظر الحرم وشاد العمائر ومحتسب بمكة، ورسم لبردبك أن يكون من جملة أمراء العشرات.

وهذا الإقطاع أصله كان بين الأمير جانبك - هذا - وبين الأمير تغري برمش الفقيه نائب قلعة الجبل نصفين بالسوية، فلما نفى السلطان تغري برمش - المذكور - أنعم بما كان يخصه من الإقطاع - المذكور - على شريكه جانبك النوروزي هذا، وسيره إلى مكة في سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، فاستقل جانبك بالإقطاع مدة إلى أن بدا للسلطان إخراج نصفه، وهو ما كان بيد تغري برمش لبردبك - هذا - في التاريخ المذكور.

شوال

أوله الأحد.

في يوم الخميس رابعه، استقر الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق وزيراً بالديار المصرية، مضافاً إلى ما بيده من كشف الأشمونين والبلاد الجيزية، عوضاً عن الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم بحكم استعفائه عن الوزر، وأنعم السلطان على تغري بردي - المذكور - بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار

المصرية، مما كان بيد المقام الفخري عثمان ولد المقام الشريف ليستعين بذلك على كلف الدولة.

وكانت خلعة تغري بردي ـ المذكور ـ بالوزر أطلسين متمراً وعليه فوقاني بطرز ذهب، وهذه خلعة الأتابكية بالديار المصرية.

وأخلع على زين الدين فرج بن ماجد بن النحال كاتب المماليك السلطانية بوظيفة نظر الدولة، مضافاً إلى ما بيده من كتابة المماليك، وكانت هذه الوظيفة شاغرة منذ ولي الصاحب أمين الدين ـ المذكور.

وفي يوم الاثنين تاسعه عملت الخدمة بالكلفتاه بالدهيشة من الحوش السلطاني، ورسم السلطان بأن تكون الخدمة دائماً في كل يوم اثنين وخميس بالدهيشة. وهذا ـ أيضاً ـ شيء لم نعهده.

وفي يوم الثلاثاء عاشره، استقر السيفي قاني باي طاز البكتمري في نيابة قلعة صفد بعد شغورها أشهراً بعد وفاة يوسف بن يغمور.

وفي هذا اليوم ـ أيضاً ـ وصل المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج إلى القاهرة// ونزل عند صهره ـ زوج أخته خوند شقراء ـ الأمير جرباش [٢١٩]
المحمدي الناصري، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وكان دخوله إلى القاهرة من ساحل شبرا بعد ثلث الليل، واستمر في بيت أخته والناس تتردد إليه ما عدا الأمراء إلى يوم الخميس ثاني عشره، طلع إلى القلعة بعد انقضاء الخدمة، قبل نزول مباشري الدولة، واجتمع بالسلطان الملك الظاهر جقمق بالدهيشة من الحوش السلطاني، ووافي دخول الغرسي خليل إلى الدهيشة خروج السلطان من القاعة إليها، وتلاقيا على إيوان الدهيشة، فلما أن وقع بصر المقام الغرسي خليل على السلطان وقرب منه أراد تقبيل الأرض، فمنعه السلطان من ذلك، تعانقا طويلاً، وقبل كل منهما الآخر، وجلسا من غير مقعد ولا مرتبة، وتحدثا ساعة إلى أن طلب السلطان خلعة المقام الغرسي خليل، وهي كاملية مخمل بفرو سمور بمقلب سمور، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وتم السلطان واقفاً إلى أن تم لبس المقام الغرسي الكاملية، وعاد وقبّل يد السلطان، فقبّل

السلطان يده، فأهوى المقام الغرسي إلى رجل السلطان فقبلها غصباً، فنزل السلطان - أيضاً - على رجل المقام الغرسي وقبّلها وتباكيا، وقال له[1] السلطان: أنا مملوكك ومملوك والدك وجدك، ثم استأذن الصاحب جمال الدين يوسف - ناظر الجيش والخاص - السلطان في توجه المقام الغرسي إلى زيارة القرافة وتربة جده الملك الظاهر برقوق، فقال السلطان: يتوجه حيث شاء. ثم التفت إلى المقام الغرسي وقال له: أنا ما أسمع الكلام الفشار، اركب وانزل، وسر حيث أردت من غير حجر. ثم سأل الصاحب جمال الدين - أيضاً - السلطان في توجه المقام الغرسي خليل إلى المقام الفخري عثمان ولد المقام الشريف، فاستغاث السلطان وقال: لا، بل عثمان يتوجه إليه ويقبّل يده، وما يكفي أننا قللنا أدبنا وما نزلنا إلى سيدي حتى هو طلع إلينا، فيتوجه إلى عثمان - أيضاً - ؟! هذا لا يمكن أبداً. فألح المقام الغرسي في ذلك فلمْ يجبه السلطان إلى ذلك، وانفض المجلس، ونزل من حيث طلع - من باب السر - إلى بيت صهره الأمير جرباش، وفرشت الشقق الحرير تحت رجليّ فرسه ونثر على رأسه الذهب والفضة.

واستحسنت الناس ما فعله السلطان مع المقام الغرسي وزيادة الإكرام له - انتهى.

وسبب إحضار المقام الغرسي من الإسكندرية أن السلطان لما أمر بحج ولده المقام الفخري عثمان في هذه السنة فعلم خواص مماليكه أنه قوي عليه الضعف وخشوا أن يموت في غيبتهم في الحج، فتخرج المملكة من أيديهم، فقووا على السلطان حتى أبطله من الحج، وقالوا له: «إلى العام القابل»، فلما أن رأى السلطان ذلك وعلم من نفسه الضعف، وعلم أن ولده إذا تسلطن لا يخلوه، فأرسل خلف المقام الغرسي ليعهد إليه بالسلطنة، ويجعل ولده من جملة الأمراء، فاستشار أخصاءه في ذلك، فلم يمكنوه من فعل ذلك - أيضاً - ولم يزالوا به حتى خلع نفسه وعهد لولده المقام الفخري عثمان - كما سيأتي - ولعمري كان رأيه هو الصواب.

---

(١) «وقال له»: مكرر في «أ».

وفي يوم الجمعة ثالث عشره نزل المقام// الفخري عثمان ولد السلطان [٣٠ب]
الملك الظاهر جقمق إلى المدرسة الظاهرية برقوق بعد صلاة الجمعة، وحضر بالمدرسة ـ المذكورة ـ عقد ولد شيخه الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي، ثم ركب من المدرسة ـ المذكورة ـ وتوجّه إلى المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج بدار صهره الأمير جرباش المحمدي أحد مقدمي الألوف، وسلّم عليه، ثم ركب وعاد إلى القلعة.

وفي ليلة الأربعاء ثامن عشره توفي الزيني خشقدم بن عبد الله اليشبكي مقدم المماليك ـ كان في الدولة الأشرفية برسباي ـ يأتي ذكره مع من توفي في هذه السنة إن شاء الله تعالى.

وفيه ورد الخبر بمقتل طوغان نائب الكرك على ما سيأتي ذكره أيضاً.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، برز أمير حاج المحمل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير بالمحمل إلى بركة الحاج، وكان الحاج في هذه السنة ركباً واحداً، وهذه حجة دولات باي ـ المذكور ـ بالمحمل ثاني مرة، ثم بعد خروج الأمير دولات باي إلى بركة الحاج برز إليه المرسوم الشريف بأن يرسل مملوكه ـ أعني دواداره السيفي فارس ـ بجماعة من الحاج أمامه كالركب الأول، ففعل ذلك، وسافر المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج صحبة المحمل بعد يومين.

وكان سفر السيفي فارس الدوادار من البركة في ظهر يوم السبت حادي عشرينه، وسافر أستاذه الأمير دولات باي بالمحمل في ليلة الأحد ثاني عشرينه بعد طلوع القمر.

وفي يوم الجمعة عشرينه ـ ويوافقه سابع هاتور ـ لبس السلطان القماش الصوف الملوّن وألبس الأمراء المقدمين على العادة في كل سنة.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه، خلع السلطان على السيفي ظقتمر الناصري البارزي رأس نوبة الجمدارية، ورسم له أن يتوجه إلى القدس الشريف لإحضار الأمير يشبك الصوفي نائب طرابلس ـ كان ـ إلى القاهرة ليتجهّز منها ثم

يعود إلى دمشق أتابكاً بها، ورسم لطقتمر - المذكور - أن يتوجه إلى دمشق - أيضاً - ويقبض على أتابكها الأمير خير بك المؤيدي، ويحمله إلى الصبيبة ليسجن بها.

وفيه رسم بنقل الأمير يشبك طاز المؤيدي حاجب حجاب طرابلس إلى نيابة الكرك عوضاً عن طوغان المقتول قبل تاريخه، واستقر عوضه في حجوبية
[٢٢١] طرابلس الأمير مغل باي البجاسي نائب قلعة الروم بمال // وعد به، واستقر في نيابة قلعة الروم ناصر الدين محمد والي الحجر بقلعة حلب.

ذو القعدة

أوله الثلاثاء.

في يوم الأحد سادسه، رسم السلطان بحبس تقي الدين عبد الرحمن بن حجي ابن عز الدين الشافعي قاضي قضاة طرابلس بحبس المقشرة، فتوجهوا به على حمار إلى المقشرة وهو ينادي عليه بشوارع القاهرة: هذا جزاء من يزور المحاضر.

ثم أمر السلطان من وقته بحبس ماماي الخاصكي الدوادار السيفي بيبغا المظفري بالبرج من قلعة الجبل.

وكان ماماي - هذا - هو المتوجه إلى طرابلس لكشف خبر ابن عز الدير - المذكور - فعاد ماماي من طرابلس وعرف السلطان بحسن سيرة ابن عز الدين - المذكور - فلم يلتفت السلطان إلى كلامه، وحمله على الغرض، وفعل به وبابن عز الدين ما ذكرناه.

واستمر ماماي بالبرج إلى يوم الاثنين سابعه، أطلق ورسم بنفيه إلى حماه، فتجهّز وتوجه إلى حماه بعد أيام، واستقر في وظيفته - أعني الدوادارية - السيفي قانصوه النجمقدار الظاهري جقمق.

وفي يوم الخميس عاشره، وصل إلى القاهرة الأمير يشبك الصوفي ليتجهّز بالقاهرة، ثم يتوجه إلى دمشق على أتابكيتها.

وفيه رسم السلطان بالإفراج عن الأمير جانبك المحمودي من حبس المرقب، وأن يتوجه بطالاً إلى طرابلس.

وفي يوم الاثنين رابع عشره، وصل إلى القاهرة الأمير تنبك البردبكي الظاهري أحد مقدمي الألوف بها وحاجب الحجاب - كان - المتوجه قبل تاريخه إلى حفظ ثغر رشيد.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه، خلع السلطان على الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بالصوفي باستقراره أتابك العساكر بدمشق، عوضاً عن الأمير خيربك بحكم القبض عليه حسبما تقدم ذكره.

وفي هذا الشهر انحطت الأسعار في جميع المأكولات انحطاطاً زائداً بالنسبة إلى ما كانت عليه فيما مضى من تلك السنين، وذلك لعموم الريّ بالنيل في جميع بلاد الديار المصرية وتغليق تخضير أراضيها، فأبيع القمح بثلاثمائة وعشرين درهماً الإردب إلى ما دونها، وأبيع الفول بثلاثمائة درهم الإردب إلى ما دونها، وأبيع الشعير بمائة وأربعين درهماً الإردب إلى ما دونه، والدقيق العلامة بمائة وعشرين درهماً البطة إلى ما دونها، والخبز بدرهم ونصف الرطل، واللحم الضاني باثنيّ عشر درهماً الرطل، واللحم البقري بتسعة دراهم الرطل، والجبن المقلي بثمانية دراهم الرطل، // والجبن الأبيض بستة دراهم الرطل، والشيرج [٢٢٢] باثني عشر[١] درهماً الرطل، وقس على ذلك.

وفي هذه الأيام ثبت سعر الدينار الظاهري الذي زنته درهم وقيراطان بثلاثمائة وعشرين درهماً، وهذا شيء لم يعهد مثله.

ذو الحجة

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس ثانيه توجه الأمير يشبك الصوفي - المقدم ذكره - إلى محل إقامته بدمشق.

وفي يوم السبت حادي عشره قدم القاضي بدر الدين حسن بن المزلق إلى القاهرة، ولبس كاملية بفرو سمور.

---

(١) في «أ»: «باثني عشرة درهماً».

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره شكا شخص من الحلبيين يسمى أحمد بن العطار على القاضي محب الدين ابن الشحنة قاضي قضاة حلب، وذكر عنه أشياء شنيعة، وادّعى أحمد - المذكور - أنه يثبت في جهة ابن الشحنة - المذكور - مائة ألف دينار تناولها من أوقاف حلب وغير ذلك بالطريق الشرعي، وذكر - أيضاً - أن ابن الشحنة هدم مسجداً وأدخله في داره التي بناها بحلب، فلما سمع السلطان كلام المذكور رسم بهدم دار ابن الشحنة والقبض عليه وحبسه بقلعة حلب، وكتب بذلك مرسوماً شريفاً على يد بشير الساعي، ثم ندب السلطان بعد ذلك السيفي ألطنبغا الطربائي إلى التوجه إلى حلب بسبب ابن الشحنة والكشف عن أحواله، وسافر بعد أيام.

وفي يوم الخميس سادس عشره، استقر القاضي حسام الدين محمد ابن تقي الدين عبد الرحمن بن بريطع قاضي قضاة حلب، عوضاً عن ابن الشحنة.

وفي يوم الاثنين عشرينه استقر أسنبغا الكبكي نائب بعلبك في نيابة القدس، وأضيف إليه نظر الحرمين بعد وفاة القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الديري.

وفي الثلاثاء حادي عشرينه، تكلّم الوزير تغري بردي القلاوي مع السلطان في عزل زين الدين فرج ناظر الدولة عن نظر الدولة، فعزل السلطان فرجاً[1] - المذكور - عن نظر الدولة وأبقى معه كتابة المماليك على عادته أولاً.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه، وصل إلى القاهرة مبشر الحاج السيفي فارس دوادار الأمير دولات باي الدوادار، وأخبر بالأمن والسلامة.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه، حضر السلطان الملك الظاهر جقمق صلاة
[٢٢٣] الجمعة بجامع القلعة على عادته وبه توعك، وبعد خروجه من الصلاة // غشي عليه، فأرجف في القاهرة بموته، ولهج الناس بذلك، فأصبح من الغد في يوم السبت خامس عشرينه حضر الخدمة في الدهيشة من القلعة، وحضرت الأمراء من غير كلفتاه، وعلم على عدة قصص، ثم أصبح في يوم الأحد سادس عشرينه ركب من القلعة ونزل إلى بيت ابنته زوجة الأمير أزبك من ططخ الظاهري

(١) في «أ»: «خرج».

الساقي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، فلم يطل الجلوس عندها وعاد إلى القلعة من وقته. وكان سكن أزبك ـ المذكور ـ يومئذ في الدار التي هي خلف حمام بشتك بالقرب من جامع الأمير سودون من زاده.

وفي يوم الاثنين سابع عشرينه، عمل السلطان الخدمة بالحوش لقصاد جهان شاه بن قرا يوسف متملك تبريز وغيرها، وكان قدوم القصاد ـ المذكورين ـ لإعلام السلطان بأن جهان شاه كسر عساكر يابور بن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك، واستولى على عدة بلاد من ممالكه، وأن عسكر جغتاي ضعف أمره لوقوع الوباء في خيولهم ومواشيهم.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه ضرب السلطان القاضي جلال الدين عبد الرحمن بن الأمانة ـ أحد نواب الحكم الشافعية ـ بيده عشرة عصي، لكونه حكم على بعض العوام أنه لا يطالب إلاّ بحكم الشرع الشريف.

وفي هذه السنة وقع ببلاد المشرق فتن عظيمة، فمن ذلك الحروب التي وقعت بين أولاد باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك، وهي مستمرة إلى يومنا هذا، ثم ما وقع بين يابور بن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك وبين جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد متملك تبريز، وأظن الفتنة بينهما كائنة لأن كلاً منهما عنده طمع في الإستيلاء على ممالك الآخر، ومن ذلك ما وقع لملوك حصن كيفا من ديار بكر، وهو أن الملك الكامل صاحبها قتله الملك الناصر ولده صبراً بين يديه وملك الحصن من بعده، واستوثق له الأمر من شهر ربيع الأول من السنة حسبما تقدم ذكره، ويأتي فيمَنْ[1] توفي هذه السنة، إلى شهر رمضان من السنة ـ أيضاً ـ وثب علي الناصر ـ المذكور ـ في ثامنه ابن عمه الملك حسين ابن الملك عثمان ابن الملك الأشرف ، دخل الحصن وقتل جماعة كثيرة من أعوان الناصر، ثم طلع إلى قلعة الحصن وقتل الناصر صبراً، فكانت مدة ملكه نحو ستة أشهر، ولم يتهن[2] بالملك بعد أبيه.

---

(١) في «أ»: «فيما».
(٢) المراد: «يهنأ».

قلت: لا جرم، أن الله عامله من جنس فعله الذي فعله بأبيه الذي هو سبب // إيجاده بإذن الله، ولكن كما تدين تدان، وما ربك بظلام للعبيد. [٢٢٤]

ثم ساق الملك حسن ـ المذكور ـ وأتى بالملك الناصر أحمد ابن الملك الكامل أخي الناصر المقتول ـ وكان الناصر هذا هو ولي عهد أبيه الكامل، لأنه أكبر أولاده ـ وملكه الحصن، واستفحل أمره وتم.

قلت: وأمر الناصر هذا من الغرائب، لأنه كان قد خرج في أيام أبيه الكامل إلى بعض القطر لأمر ما، فوثب أخوه الناصر في غيبته على أبيه الكامل وقتله وتملك الحصن، فاستمر الملك الناصر أحمد هذا مشتتاً عن بلاده حتى كان ما كان من قتل أخيه ودخوله إلى الحصن سلطاناً، وتم أمره ولقب بالملك الكامل كأبيه.

وكان دخول الناصر إلى الحصن بعد قتل أخيه باثني[1] عشر يوماً ـ أعني في عشرين شهر رمضان.

ولما استفحل أمره قتل عدة كبيرة من الذين كانوا ثاروا مع أخيه على أبيه كما ذكرنا بعض هذه الواقعة في حوادث شهر ربيع الأول من هذه السنة.

ووقع ـ أيضاً ـ في هذه السنة بين أولاد علي بك بن قرايلك فتن كثيرة، واستولى حسن بن علي بك بن قرايلك على آمد وأخذها من أخيه جهان كير بن علي بك بن قرايلك، وأرسل بمفاتيحها إلى السلطان الملك الظاهر جقمق سلطان الديار المصرية، فشكر له السلطان ذلك، ورد إليه مفاتيح آمد، واستحسن منه هذه الفعلة.

وفي هذه السنة ـ أيضاً ـ استولى الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المشرفة على مدينة حلى من أطراف اليمن عنوة، وأخرج صاحبها عنها، وجعل إقامة ولده بها.

---

(١) في « أ » : « باثنتي عشرة يوماً ».

وفي هذه السنة شرع الرئيس سعد الدين إبراهيم بن الجيعان في عمارة مدرسته على النيل بساحل بولاق بين الحجازية والبرابخية.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة - أعني الماء القديم - خمسة أذرع وأربعة وعشرين إصبعاً، وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة - أيضاً - تسعة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً.

* * *

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الشيخ علاء الدين، علي ابن قطب الدين أحمد القلقشندي[١]، الشافعي، أحد علماء الشافعية في يوم الاثنين، مستهل المحرم، ودفن من الغد في يوم الثلاثاء.

وكان مولده بالقاهرة في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم وعدة متون في مذهبه، وتفقه بعلماء عصره كشيخ
الإسلام سراج الدين عمر // البلقيني، وولده قاضي القضاة جلال الدين، [٢٢٥]
والعلامة عز الدين ابن جماعة، والعلامة سراج الدين ابن الملقن، وغيرهم. وأخذ علم الحديث عن الشيخ زين الدين العراقي، والشيخ نور الدين الهيثمي، وسمع الحديث على جماعة كالبرهان الشامي، والعلاء ابن أبي المجد، والجمال الحلاوي، وسمع - أيضاً - على العراقي والهيثمي، وبرع في الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان والقراءات، وشارك في عدة علوم، وتصدى للإفتاء والتدريس والإشغال عدة سنين، وانتفع به الطلبة، وتفقّه به جماعة من الأعيان، وولي تدريس الشافعي عوضاً عن الشيخ نور الدين التلواني، وطلب لقضاء دمشق فامتنع، ورشح[٢] لقضاء الديار المصرية غير مرة، وكان سنه حين تصدر للتدريس دون

---

(١) هو «علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي القلقشندي».

له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٢، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٤ - ٤٠٦، الضوء اللامع ج ٥ ص ١٦١ - ١٦٣ تر ٥٥٧، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٣.

(٢) في «أ»: «وربح»، وهو خطأ. والتصويب من النجوم الزاهرة للمؤلف ج ١٦ ص ١٢.

العشرين سنة، وولي تدريس الشافعية بالمدرسة الشيخونية عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين القاياتي، وولي تدريس القراءات بمدرسة السلطان الملك الناصر حسن بالرملة تجاه قلعة الجبل، وتدريس الحديث بجامع ابن طولون عوضاً عن الحافظ شهاب الدين ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ وولي مشيخة المدرسة التي أنشأها تغري بردي المؤذي الدوادار الكبير بخط صليبة ابن طولون وتدريسها ـ أيضاً، ولما توفي تولاها من بعده ولده برهان الدين إبراهيم، ولازم الحضور من بعده، وتصدّر للتدريس.

(٢) وتوفي الشيخ الإمام العالم المقرىء المجيد ناصر الدين محمد بن كزلبغا[١] شيخ القراء بالديار المصرية، الحنفي، إمام المدرسة الأشرفية برسباي[٢] بالعنبرانيين[٣] في يوم الأحد تاسع عشر صَفر.

وأصل والده مملوكاً تركياً[٤] من مماليك الأمير ألطنبغا الجوباني نائب الشام، وكان مولد الشيخ ناصر الدين ـ المذكور ـ في أوائل القرن ـ تقريباً ـ وكان بارعاً في علم القراءات، جيد الصوت، عديم النظر في القراءات في المحراب، أوحد أهل زمانه في علم التجويد فصيحاً، مؤدياً لكتاب الله ـ تعالى ـ أحسن تأدية، لم يكن في زمانه مثله في تجويد الحروف ومعرفة مخارجها. وكان فيه حدة مزاج وسوء خلق وسطوة على الطلبة على قاعدة بعض أبناء الأتراك، وكان إذا احتد تحصل له غتمة[٥] زائدة خارجة عن الحد.

---

(١) ويعرف بابن الجندي، وابن كزلبغا ـ له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٢ ـ ١٣، السخاوي. التبر المَسبوك ص ٤١٥، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ تر ٨٢٠، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) بناها «الأشرف برسباي» سنة سبع وعشرين وثمانمائة للهجرة ـ راجع: علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ١١٠.

(٣) كانت لبائعي العنبر، وكانت تقع فيما بين الحريريين الشرابيين وقيسارية العصفر، تجاه الخراطين.

راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٤) كذا بالأصل، وصوابه: «مملوك تركي».

(٥) أي عجمة في النطق.

وكان له حرمة عظيمة على أرباب الوظائف بالمدرسة الأشرفية كالمؤذنين والفراشين بها، رحمه الله تعالى.

(٣) وتوفي عظيم الدولة ورئيسها وعالمها القاضي كما الدين أبو المعالي محمد[1] ابن القاضي / / ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن القاضي كمال الدين محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله البارزي، الجهني، الشافعي، الحموي الأصل والمولد والمنشأ، المصري الدار والوفاة، كاتب السر بها، وصهر السلطان الملك الظاهر جقمق. [٢٢٦]

سألته عن مولده فقال: مولدي بحماه في ذي الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة.

قلت: ونشأ بحماه في حفظ القرآن الكريم وعدة متون، وصلى التراويح بالناس في الديار المصرية لما قدم مع والده في سنة تسع وثمانمائة، ثم عاد إلى حماه، وحفظ التمييز[2] في الفقه، وقرأه على الحافظ برهان الدين الحلبي المعروف بالقوف[3]، ثم قدم إلى الديار المصرية مع والده - أيضاً - بعد قتل الناصر فرج بن برقوق صحبة الأمير الكبير شيخ المحمودي - أعني المؤيد - في سنة خمس عشرة وثمانمائة، وأخذ عن علماء عصره - قد استوعبنا ذكرهم في تاريخنا المنهل الصافي

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٧٧ - ٦٧٨ تر ٢٣٢٢، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٧٣ أ - ١٧٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٣ - ١٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤١٧ - ٤٢٠، الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٣٦ - ٢٤٠ تر ٥٨٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) التمييز في فروع الفقه الشافعي، ألفه شرف الدين، هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي الحموي (ت ٧٣٨ هـ)، وعليه شرح لبهاء الدين، محمد بن علي الأنصاري (ت ٧٥٣ هـ).
راجع: حاجي خليفة. كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٥.

(٣) هو «إبراهيم بن محمد بن محمد بن خليل، سبط ابن العجمي» (ت ٨٤١ هـ)، له ترجمة في:
ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ١٠٨ - ١١٥، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٦ تر ٦٩، المنهل الصافي ج ١ ص ١٤٧ - ١٥٣ تر ٧٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٥.

والمستوفي بعد الوافي - حتى برع في الفقه والأصول العربية وعلمي المعاني والبيان، ومهر في المنظوم والمنثور، لاسيما في الأدب والإنشاء والترسل، وباشر نيابة كتابة السر عن والده في عنفوان شبيبته في الدولة المؤيدية شيخ، ثم وليها استقلالاً بعد وفاة والده في يوم السبت خامس عشرين شوال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة إلى أن صرف بصهره علم الدين داود بن الكويز، وتولى نظر الجيش عوضاً عن علم الدين - المذكور - واستمر في وظيفة نظر الجيش إلى أن صرف بالزيني عبد الباسط بن خليل الدمشقي في يوم الاثنين سابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وثمانمائة، فلزم - المذكور - داره على أجمل وجه إلى أن طلبه الملك الأشرف برسباي وولاه كتابة سر دمشق بعد موت بدر الدين حسن، في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، ثم أضيف إليه قضاء القضاة بدمشق في يوم الأربعاء مستهل شعبان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، فباشر القضاء وكتابة السر إلى أن طلبه الملك الأشرف إلى الديار المصرية وولاه كتابة سر مصر، بعد عزل الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ في يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، فباشر الوظيفة إلى أن صرف بالشيخ محب الدين محمد بن الأشقر، في يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين، فلزم داره إلى أن أعيد إلى قضاء دمشق عوضاً عن سراج الدين عمر بن موسى // [٢٢٧ب] الحمصي - مسئولاً - في ذلك - في يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة أربعين وثمانمائة، وتوجه إلى دمشق وباشر قضاءها وخطابة الجامع الأموي.

ولما كان بدمشق كتب إليه الشرفي يحيى بن العطار يقول:

يا سيداً جد بالنوى لي ... وطال ما جاد بالنوال
من منذ سافرت زاد نقصي ... يا طول شوقي إلى الكمال

(مخلع البسيط)

فأجابه القاضي كمال الدين وأنشدنيها من لفظه رحمه الله:

خيالك في عيني يؤنس وحدتي ... على أن داء الشوق في مهجتي أعيا
فإن مات من فرط اشتياقي تصبري ... أعلله بالوصل من سيدي يحيى

(الطويل)

واستمر في قضاء دمشق إلى أن طلبه صهره الملك الظاهر جقمق لما كان

مدبر مملكة الملك العزيز يوسف، فقدم القاهرة بعد سلطنة الملك الظاهر جقمق، واستقر في كتابة السر عوضاً عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وهذه آخر ولاياته، فإنه استمر في الوظيفة إلى أن توفي في التاريخ المقدم ذكره، وكثر أسف الناس عليه لكثرة محاسنه وعظيم كرمه.

ولقد كان من محاسن الدنيا علماً وفضلاً وكرماً وسؤدداً وسياسة وتواضعاً وحلماً. وهو أحد من أدركناه من الأفراد في معناه، يضيق هذا المختصر عن إيراد ما ذكرناه في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي، رحمه الله تعالى. ولله در القائل:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر
(الكامل)

(٤) وتوفي الشيخ زين الدين، طاهر بن محمد بن علي النويري[١] ، المالكي ، أحد فقهاء المالكية ، وأحد مشايخ القراء في يوم الاثنين خامس شهر ربيع الأول ، وسنه نيف على ستين سنة تقريباً .

كان إماماً فقيهاً عالماً بارعاً محققاً ديناً خيراً صالحاً متواضعاً، مليح الشكل، حسن الهيئة، رضي الخلق، ساكناً، عديم النظير، قل أن يتصف أحد في عصره بمحاسنه، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه.

(٥) وتوفي الملك الكامل خليل ابن الملك الأشرف أحمد ابن الملك العادل سليمان[٢] ، صاحب حصن كيفا[٣] قتيلاً بيد ولده في شهر ربيع الأول .

---

(١) هو « زين الدين ، أبو الحسن ، طاهر بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن مكين »، له ترجمة في :
ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٠ - ٤٠١، الضوء اللامع ج ٤ ص ٥ - ٦، السيوطي. نظم العقيان ص ١٢٠ تر ٩٢، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ ، السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٩٩ - ٤٠٠، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٩١ - ١٩٢ تر ٧٣٤ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) حصن كيفا : بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة ، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. =

وسبب ذلك أن ولده المدعو بالملك الناصر دخل عليه ليلاً ومعه جماعة وقتله صبراً وملك بعده، وتم أمره إلى شهر رمضان من // السنة، وثب الملك [٢٢٨] حسن ابن عمه وقتله، وسلطن أخاه أحمد، ولقبه بالملك الكامل على لقب أبيه.

وكان الملك الكامل هذا قد تسلطن بعد قتل أبيه الملك الأشرف أحمد في سنة ست وثلاثين وثمانمائة، وكان له شعر ونظم كثير ذكرنا منه نبذة جيدة في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. وكان نظمه بحسب الحال، رحمه الله تعالى.

(٦) وتوفي شهاب الدين أحمد بن يعقوب(١)، نقيب القاضي الشافعي في يوم الأحد حادي عشر شهر ربيع الأول، وكان مشكور السيرة، محبباً للناس، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٧) وتوفي السيفي قانصوه الأشرفي(٢) برسباي المصارع في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول، وهو في أوائل الكهولية.

وهو أحد من أدركناه من الأفراد في القوة وفن الصراع، مع الشجاعة والإقدام، وحسن الشكالة، وتمام الخلقة، رحمه الله - تعالى - وعفا عنه.

(٨) وتوفي بدر الدين، محمد ابن فتح الدين صدقة المحرقي(٣) في يوم الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الأول.

= راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٥، البغدادي. مراصد الإطلاع ج ١ ص ٤٠٧.

(١) هو «شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن يعقوب بن أحمد بن عبد المنعم بن أحمد، المعروف بابن يعقوب».

له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٦ - ٣٩٧، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٤٥ تر ٦٨٢.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ - ١٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٩، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٩٨ تر ٦٧٨.

(٣) هو «محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب المحرقي»، له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٤١٦، الضوء اللامع ج ٩ ص ٥٦ تر ١٥٧.

كان من بياض الناس[1] ، ونسبته إلى المحرقة ـ قرية بالجيزية من أعمال القاهرة ـ رحمه الله .

(٩) وتوفي أبو بكر المصارع المعروف بابن الإمام[2] ـ أحد أولاد الناس الذين أنشأهم الملك الظاهر جقمق ـ في يوم الأحد ثامن عشر شهر ربيع الأول .

وكان والده إمام الأمير جاركس القاسمي المصارع، ونشأ أبو بكر هذا على هيئة الأجناد، وكان يقرأ في المحافل بالجوق بغير أجرة، وكان عالماً بفن الصراع، وله فيه اليد الطولى، وكان من جملة المماليك السلطانية أرباب الجوامك إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق تحرك له بعيض سعد وتولى خدمة الإمام الليث بن سعد والإمام الشافعي ـ رضي الله عنهما ـ وعدة زوايا بالقرافتين الكبرى والصغرى، فباشر أوقافهم بعسف، وأثرى من ذلك ـ وحسابه على الله ـ وتولى ذلك من بعده يوسف شاه العلمي معلم السلطان وكبير المعمارية، وباشر ذلك بعد أبي بكر ـ المذكور ـ رحمه الله تعالى.

(١٠) وتوفي الشيخ المعتقد المعروف بالشيخ ولي الدين الرومي[3] الحنفي ، نزيل الجامع الأزهر في يوم السبت مستهل شهر ربيع الآخر ، وهو في أوائل الكهولية .

وكان على قدم جيد من العبادة والانقطاع بالجامع المذكور، وكان يكتب الخط المنسوب، وفيه محاسن، رحمه الله.

[٢٢٩] (١١) وتوفي الرئيس سعد الدين أبو / / غالب القبطي الحنفي المعروف بابن عويد السراج[4] في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد .

---

(١) المقصود بذلك : أعيان الناس.

(٢) ويعرف ـ كذلك ـ بابن الشاطر . له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨، الضوء اللامع ج ١١ ص ١٠٠ ـ ١٠١ تر ٢٩١ .

(٣) له ترجمة في : السخاوي . التبر المسبوك ص ٤٢١، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢١٠ تر ٩١٣.

(٤) سماه « السخاوي »: « إبراهيم »، له ترجمة في:
السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩، الضوء اللامع ج ١١ ص ١١٠ تر ٣٧٥.

وكان لديه فضيلة، وله مشاركة جيدة ومحاضرة حسنة، وكان يحب طلبة العلم، ويجتنب القبط والنصارى، وكان جماعة للكتب، وبالجملة فإنه كان خير أبناء جنسه، رحمه الله.

(١٢) وتوفي الأمير سيف الدين ألطنبغا بن عبد الله الظاهري برقوق المعلم المعروف باللفاف[١]، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية بطالاً ، في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الآخر ، ودفن من يومه .

أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وطالت أيامه في الجندية والخمول، ثم صار من جملة معلمي الرمح في الدولة الأشرفية برسباي، واستمر على ذلك إلى أن كانت الوقعة بين الملك الظاهر جقمق وبين الأتابك قرقماس الشعباني، أصابت ألطنبغا ـ المذكور ـ جراحات، وتقنطر عن فرسه، فعرف له الملك الظاهر جقمق ذلك وقربه، وأنعم عليه بإقطاع السيفي قلمطاي[٢] الإسحاقي الأشرفي الخاصكي، ثم بعد مدة يسيرة أنعم عليه بإمرة عشرة زيادة على ما بيده، عوضا عن الأمير سودون المغربي الظاهري برقوق بعد نفيه، ثم بعد مدة يسيرة أنعم عليه بإمرة طبلخاناه زيادة على ما بيده، عوضاً عن الأمير أقطوه الموساوي الظاهري برقوق بعد نفيه ـ أيضاً ـ ثم ولاه نيابة الإسكندرية، فأقام بالإسكندرية مدة وعزل وقدم القاهرة على إقطاعه إلى أن أنعم عليه بإقطاع الأمير سودون السودوني الظاهري برقوق بعد نفيه ـ أيضاً ـ زيادة على ما بيده، وجعله من جملة الأمراء الألوف، وأمره بالجلوس، ثم أنعم عليه بعد سنين في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بإمرة مائة وتقدمة ألف، بعد موت الأمير تمرباي رأس نوبة النوب، فاستمر على ذلك إلى أن ضعف وحصل له بوادر الاخلاط، استعفى ولزم داره مدة يسيرة ، وتوفي كما تقدم ذكره .

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ١ ص ١٥٢ تر ٥٤٢ ، المنهل الصافي ج ٣ ص ٨٠ ـ ٨٢ تر ٥٤٤، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ ـ ١٩ ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٧، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٢٠ تر ١٠٣٢ ، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٢) كان رأس نوبة في دولة « الأشرف إينال »، له ترجمة في :
ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٤٩ تر ١٨٨٥ ، المنهل الصافي مج ٣ ص ٣٦ أ ـ ٣٧ أ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٤ تر ٧٥٢ .

وكان رجلاً ديّناً خيراً عاقلاً عفيفاً عن المنكرات والفروج، رأساً في لعب الرمح، تركي الجنس، وعنده سلامة باطن، وقلة معرفة في كل شيء، حتى إنه كان يضعف رأيه عن مباشرة إقطاعه، رحمه الله.

(١٣) وهلك بطرق النصارى أبو الفرج اليعقوبي النصراني[١] في ليلة الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر، ودفن من الغد في سقر وبئس المصير.

[٢٣٠] (١٤) وتوفي / / الأمير برسباي[٢] المؤيدي الساقي، أحد أمراء العشرات في يوم الجمعة سابع عشرين جمادي الأولى، وأنعم بإقطاعه على السيفي جانم الساقي الظاهري جقمق.

وأصل برسباي - هذا - من مماليك الملك المؤيد شيخ، وصار خاصكياً في الدولة الأشرفية برسباي، ثم صار ساقياً في الدولة الظاهرية جقمق، ثم أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة عشرة، بعد موت الأمير إينال الكمالي الناصري، فاستمر من جملة أمراء العشرات إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان عاقلاً ساكناً ديّناً نادرة في أبناء جنسه، رحمه الله تعالى.

(١٥) وتوفي الجمالي يوسف بن يغمور[٣] نائب قلعة صفد في أوائل شعبان.

ومولده بالقاهرة في حدود التسعين وسبعمائة تخميناً، ونشأ بها، وقاسى خطوب الدهر ألواناً في الدولة الناصرية، وتشتت في البلاد الشامية سنين إلى أن جعله الملك الظاهر ططر خاصكياً، ودام في ذلك سنين طويلة، ثم صار في آخر الدولة الأشرفية مقدم البريدية إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة قلعة

---

(١) له ترجمة في: السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٩، الضوء اللامع ج ١١ ص ١٢٧ - ١٢٨ تر ٤٠٩.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٦ تر ٦٥٢، المنهل الصافي ج ٣ ص ٢٧٩ تر ٦٥٣، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٩، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٨، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٠ تر ٤٣.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٩ - ٢٠، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٢١ - ٤٢٢، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣٣٨ تر ١٢٧٨.

صفد، فدام بها سنين، ثم نقل إلى أتابكية صفد، وتولى عوضه الأمير بيسق اليشبكي إلى أن قدم الجمالي يوسف ـ المذكور ـ إلى القاهرة ، وأعيد إلى نيابة قلعة صفد ثانياً، وعزل بيسق اليشبكي، فدام على ذلك إلى أن مات بها، رحمه الله تعالى .

(١٦) وتوفي السيد الشريف شرف الدين محمد الحسني المعروف بصهر نور الدين السفطي[١] في يوم الأحد ثامن عشر شعبان .

وكان أولاً تاجراً في بعض الحوانيت، ثم عانى الخدم الديوانية بعد موت صهره نور الدين ، فولي عوضه عدة وظائف ، رحمه الله تعالى .

(١٧) وتوفي الملك الناصر[٢] صاحب الحصن قتيلاً في ثامن شهر رمضان ، تقدم ذكر قتله في ترجمة والده في هذه السنة ، وتولى عوضه أخوه أحمد .

(١٨) وتوفي الشيخ الإمام العلامة زين الدين عمر ابن الأمير سيف الدين قديد القلمطاوي[٣] بمكة المشرفة في ثامن عشر شهر رمضان وسنه ثمان وستون سنة .

وكان إمام عصره في العربية والتصريف، وله مشاركة في عدة علوم، وكان متقشفاً لا يتجمل في ملبسه ولا مركبه، وكان زيه على هيئة أولاد الأجناد ـ الحلقة ـ مع دين وعقل وسكون ، رحمه الله تعالى.

(١٩) وتوفي الأمير الطواشي زين الدين خشقدم الرومي اليشبكي[٤] مقدم

---

(١) لم أهتد إلى مصدر لترجمته .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ١ ص ٥٠٣ تر ١٧٥٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣٢٦، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٠ ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٨، الضوء اللامع ج ٦ ص ١١٣ ـ ١١٤ تر ٣٥٨، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٥ تر ٩٨٠، المنهل الصافي مج =

[٢٣١] المماليك ـ كان ـ في ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال وسنه نيف على / / سبعين سنة .

وخشقدم ـ هذا ـ أصله من خدام الوالد ـ رحمه الله ـ اشتراه في نيابته لحلب قبل الثمانمائة، وقدمه إلى الملك الظاهر برقوق في جملة مماليك وخدام، فأنعم به الظاهر (برقوق) على الأمير فارس الحاجب، ثم ملكه الأمير يشبك الشعباني الأتابك بعد قتل الأمير فارس الحاجب في سنة اثنتين وثمانمائة وأعتقه، ودام بخدمته إلى أن قتل يشبك عاد إلى خدمة والدي ـ رحمه الله ـ ثانياً، ودام عنده إلى أن توفي والدي ـ رحمه الله ـ صار من جملة الجمدارية عند الملك المؤيد شيخ، واستمر على ذلك إلى أن ولي نيابة تقدمة المماليك السلطانية بعد موت الملك المؤيد، ودام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الأشرف برسباي إلى تقدمة المماليك السلطانية بعد موت افتخار الدين ياقوت الأرغون شاوي في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، واستمر على وظيفته إلى أن قبض عليه الملك الظاهر جقمق وحبسه بثغر الإسكندرية، لممالأته إلى الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباي، فدام في حبس الإسكندرية مدة ثم أطلق، ورسم له بالتوجه إلى المدينة النبوية، فتوجه إلى المدينة الشريفة، ودام بها مدة طويلة، ثم قدم القاهرة بطالاً، واستمر بها إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان حشماً، طوالاً، جسيماً، جميلاً ، إلاّ أنه كان متعاظماً شحيحاً عارياً من كل فضيلة، ضنيناً برأي نفسه، ولله در أبي العلاء المعري حيث يقول:

فوا عجبا كم يظهر الفضل ناقص   ووا أسفا كم يدعى النقص فاضل
وكيف تنام الطير في وكناتها   إذا نصبت للفرقدين الحبائل
(الطويل)

(٢٠) وتوفي الأمير طوغان[1] نائب الكرك قتيلاً بنواحي الكرك في أواخر سنة ست وخمسين .

= ٢ ق ٣٨ أ ـ ٣٩ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢٠ ـ ٢١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٣٩٩، الضوء اللامع ج ٣ ص ١٧٤ تر ٦٧٧، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٩٧.

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ـ تر ١٢٨٢، المنهل =

وطوغان ـ هذا ـ أصله من مماليك الأمير نوروز الحافظي، وقيل من مماليك الأمير آقبردي المنقار المؤيدي، ثم صار من جملة المماليك السلطانية سنين طويلة إلى أن جعله الملك الظاهر جقمق خاصكياً، ثم ولاه نيابة دمياط، ثم نقله إلى البلاد الشامية على إمرة، ثم صار بعد مدة طويلة أمير // طبلخاناه بدمشق [٢٣٢] ودوادار السلطان بها، وحج أمير حاج (المحمل) الشامي غير مرة، ثم نقل إلى نيابة الكرك في سنة ست وخمسين ـ المذكورة ـ عوضاً عن الأمير إينال اليشبكي المعروف بحاج إينال بحكم انتقال إينال إلى نيابة حماه، فتوجّه إلى الكرك، وبعد أيام يسيرة ركب بمماليكه وكبس بعض الأعراب الطائعة وقاتلهم وظفر منهم بجماعة، فأسرف في قتلهم، ثم نزل بمكان هناك فعادوا عليه العرب من وقتهم فقاتلهم ثانياً، فكسروه وقتلوه أشر قتلة.

وكان مهملاً وضيعاً أهوج ظالماً، سيء الخلق، إلاّ أنه كان مشهوراً بالشجاعة مع طيش وخفة، رحمه الله تعالى.

(٢١) وتوفي القاضي أمين الدين عبد الرحمن[١] ابن قاضي القضاة شمس الدين محمد، وأخو شيخ الإسلام سعد الدين الديري الحنفي بالقدس الشريف في يوم السبت رابع ذي الحجة، وهو على ولاية نظر القدس والخليل.

سألته عن مولده فقال: بالقدس الشريف في شعبان سنة سبع عشرة وثمانمائة. وأمه أم ولد، وكانت لديه فضيلة، وله نظر جيد، ويكتب الخط المنسوب، وعنده تكارم مع طيش وخفة وإظهار النعمة على ديون كان يتحملها، رحمه الله تعالى.

= الصافي مج ٢ ق ١٦٩ ب، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠١، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٢ تر ٤٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٧.

(١) هو «عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر»، له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ تر ١٤٠٠، المنهل الصافي مج ٢ ق ٢١١أ، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٠٢، الضوء اللامع ج ٤ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ تر ٣٥٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٨.

(٢٢) وتوفي بدمشق في هذه السنة - أيضاً - القاضي جمال الدين يوسف بن الصفي الكركي الأصل(١).

ومولده بالكرك في حدود السبعين وسبعمائة - تقريباً - وقدم القاهرة فقيراً مملقاً قبل سنة ثمانين وسبعمائة، ثم عاد إلى بلده، ثم قدمها ثانياً في سنة اثنتين وتسعين في خدمة قاضي القضاة عماد الدين الكركي واستوطنها، ثم اتصل بخدمة التاجر برهان الدين إبراهيم المحلي فحسنت حاله عنده، ثم خدم بالطالع والنازل إلى أن ولي الوظائف الجليلة بالبلاد الشامية، ثم قدم القاهرة فولي بها كتابة السر بعد موت القاضي علم الدين داود بن الكويز في سنة ست وعشرين وثمانمائة، فلم تطل مدته وعزل ولزم داره إلى أن ولي نظر جيش دمشق، بعد موت بدر الدين حسين في سنة إحدى وثلاثين، ثم أضيف إليه في بعض الأحيان كتابة سر دمشق، ثم استعفى عن ذلك كله لكبر سنه، ولزم داره بدمشق إلى أن
[٢٣٣] مات في هذه // السنة، وخلف مالاً جزيلاً، وورثه ابنه موسى ناظر جيش طرابلس.

وكان عارياً من الفضيلة، عارفاً بقلم الديونة على عادة الأقباط، ومات وسنه نحو التسعين سنة، عفا الله عنا وعنه.

* * *

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ٢ ص ٨٠٢ تر ٢٦٩٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣١٥، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ٢١، السخاوي. التبر المسبوك ص ٤٢١، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٣١٨ - ٣١٩ تر ١١٩٦.

سنة سبع وخمسين وثمانمائة

أهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري برقوق وهو متوعك، والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، وقضاة القضاة: الشافعي قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي، والحنفي شيخ الإسلام سعد الدين ابن الديري، والمالكي قاضي القضاة ولي الدين السنباطي، والحنبلي قاضي القضاة بدر الدين ابن عبد المنعم البغدادي.

والأمراء: أتابك العساكر إينال العلائي الناصري، والمقام الفخري عثمان ابن السلطان، وأمير سلاح جرباش الكريمي الظاهري، وأمير مجلس تنم من عبد الرزاق المؤيدي، والأمير آخور [الكبير] قاني باي الجاركسي، ورأس نوبة النوب أسنبغا الطياري الناصري، والدوادار الكبير دولات باي المحمودي المؤيدي، وحاجب الحجاب خشقدم المؤيدي، وباقي مقدمي الألوف: تنبك البردبكي حاجب الحجاب ـ كان ـ وطوخ من تمراز الناصري، وجرباش المحمدي الناصري، وشاد الشراب خاناه يونس الآقبائي أمير طبلخاناه، والخازندار قراجا الظاهري بإمرة طبلخاناه، والزردكاش لاجين الظاهري أمير عشرة، ونائب القلعة يونس العلائي الناصري، والأمير آخور الثاني يَرْشْبَاي الإينالي المؤيدي، ورأس نوبة ثاني جانبك القرماني، والدوادار الثاني تمربغا[1] الظاهري على إمرة عشرة، والحاجب الثاني نوكار على إمرة عشرة ضعيفة،

---

(١) في هامش «أ»: «حاشية: صوابه تغري بِرْدي القلاوي».

والزمام والخازندار فيروز النوروزي، ومقدم المماليك مرجان العادلي المحمودي، ووالي القاهرة جانبك اليشبكي أمير عشرة.

ومباشروا الدولة: كاتب السر محب الدين ابن الأشقر، وناظر الجيش والخاص الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم، والوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، والأستادار زين الدين يحيى - قريب ابن أبي الفرج - ونائب كاتب السر معين الدين ابن العجمي، وناظر الدولة فرج بن النحال[1]، وهو - أيضاً - كاتب المماليك السلطانية، ومحتسب القاهرة الشيخ علي العجمي الخراساني، وناظر الإسطبلات السلطانية // برهان الدين إبراهيم بن الديري. [٢٣٤]

نواب البلاد الشامية وغيرها: نائب الشام الأمير جلبان، ونائب حلب الأمير قاني باي الحمزاوي، ونائب طرابلس يشبك النوروزي، ونائب حماه حاج إينال اليشبكي، ونائب صفد بيغوث المؤيدي الأعرج، ونائب غزة جانبك التاجي المؤيدي، ونائب الكرك يشبك المؤيدي المعروف بطاز، ونائب ملطية جانبك الجكمي، ونائب الإسكندرية برسباي البجاسي، ونائب دمياط بيغوث المؤيدي، وباقي نواب القلاع يطول الشرح في ذكرهم، ومن ذكرناه هو المصطلح.

المحرم

أوله الجمعة.

في يوم الخميس سابعه أرجف بموت السلطان الملك الظاهر جقمق.

وفيه ورد الخبر بموت الشهابي أحمد بن أبي الفرج متولي قطيا.

وفي يوم السبت تاسعه خرج السلطان الملك الظاهر جقمق من قاعة الدهيشة إلى الدهيشة ماشياً وجلس من غير أن يستند إلى أحد، وعلم على عدة مناشير وقصص، ثم عاد إلى القاعة. وكان ذلك آخر خروجه إلى الدهيشة، واستمر متمرضاً بقاعة الدهيشة وهو يعلم في بعض الأحيان وينفذ في بعض الأمور، ودام على ذلك إلى ما سيأتي ذكره.

---

(١) في هامش «أ»: «حاشية: فرج بن النحال عزل عن نظر الدولة في ذي الحجة».

وفي هذه الأيام لهج بعض الناس بأن الملك الظاهر رسم بتوجه المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج من عقبة إيلاء إلى القدس الشريف، ولم يكن لذلك حقيقة.

وفي يوم الأربعاء عشرينه وصل إلى القاهرة الأمير جانبك النوروزي مقدم المماليك السلطانية بمكة المشرفة بن معه من المماليك السلطانية، ودخل إلى الملك الظاهر جقمق إلى القاعة المذكورة، ثم خرج من عنده وقبل يد المقام الفخري عثمان ابن الملك الظاهر.

وفي اليوم ـ المذكور ـ تكلّم السلطان الملك الظاهر مع بعض خواصه في خلع نفسه من المملكة وسلطنة ولده المقام الفخري عثمان في حياته، فروجع في ذلك فلم يقبل، ورسم بجمع الخليفة والقضاة من الغد في يوم الخميس حادي عشرينه إلى الدهيشة وقت آذان الفجر، وبعده، وخلع الملك الظاهر جقمق نفسه وتسلطن ولده المقام الفخري عثمان.

* * *

[٢٣٥] سلطنة السلطان الملك المنصور // فخر الدين، أبي السعادات عثمان

أقيم في السلطنة بعد خلع أبيه الملك الظاهر جقمق في الثانية من يوم الخميس الحادي والعشرين من المحرم، فكانت البيعة بعد طلوع الشمس بخمسة وعشرين درجة، وركوبه من القصر إلى الدهيشة بأبهة السلطنة على نحو الثلاثين درجة، وكان الطالع عند بيعته برج الحوت على سبعة وعشرين درجة منه، والغارب برج السنبلة، والمتوسط برج القوس، والساعة ساعة المريخ، والقمر بالوجه الثالث من العقرب. وتوجه الأمراء، والخليفة القائم بأمر الله حمزة، والقضاة الأربعة[١] بين يديه مشاة ما عدا الخليفة، وجلس على تخت[٢] الملك، وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وحمل الأمير الكبير إينال العلائي الناصري القبة والطير على رأسه إلى أن جلس بالقصر - المذكور - وخلع على الخليفة، وعلى الأمير الكبير كل منهما أطلسين مثمراً[٣]، وقيد لكل واحد منهما فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وأنعم على الخليفة بألف دينار وإقطاع زائد على ما بيده، واستمر الملك

(١) في « أ » : « الأربع ».

(٢) التخت : هو المقعد أو السرير الذي يجلس عليه السلطان في الإيوان والمواكب ، ويقال له : سرير الملك ، ويُتخذ من أبنية كالرخام ونحوه ، أو خشب ، أو فرش محشوة متراكبة ، ويكون مرفوعاً على هيئة منابر الجوامع إلا أنه مستند إلى الحائط ، حتى لا يتساوى الجالس عليه مع جلسائه ، وقد يبالغ في صنعه على نحو ما فعل « الظاهر بيبرس » من الجلوس في صدر الخيمة على تخت مصنوع من أبنوس وعاج مصفح بالذهب مسمر بالفضة ، غرم عليه ألف دينار .

راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٣ ، ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٦٦٧ .

(٣) في « أ » : «مثمر».

المنصور بالقصر إلى أن نزل الخليفة والأمراء إلى منازلهم، خرج هو - أيضاً - من بعدهم وتوجه من داخل القصر إلى منزله بالحوش السلطاني من القلعة، وهذا بخلاف العادة، فإن عادة الملوك يجلسون بالقصر ثلاثة أيام، فلم يفعل الملك المنصور ذلك ، بل توجه إلى منزله - حسبما ذكرناه.

ولم يدخل الدهيشة(1) - أيضاً - وإنما فعل ذلك مراعاة لوالده ، فإنه متمرض بقاعة الدهيشة . انتهى .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه وصل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار أمير حاج المحمل بالمحمل إلى بركة الحجاج ، ووصل - أيضاً - صحبته المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق . وكان الركب الأول قد سبقه إلى بركة الحاج بيوم ، وكان أمير الركب الأول السيفي تمرباي الدوادار الثاني بخدمة دولات باي المذكور .

وفي يوم السبت ثالث عشرينه جلس السلطان الملك المنصور عثمان على الدكة الملاصقة لباب البحرة من الحوش السلطاني، وأخذ وأعطى، وحكم بين الرعية، وخلع على الأمير دولات باي، وعلى ولديه كل منهما كاملية بفرو سمور، ثم خلع على الأمير عيسى بن عمر الهواري أمير // العربان بالوجه [236]
القبلي، وعلى جماعة أخر من مشايخ العربان باستمرارهم على عادتهم.

وفي يوم الأحد رابع عشرينه طلع المقام الغرسي خليل ابن الملك الناصر فرج من تربة جده الملك الظاهر برقوق إلى القلعة، وسلم على السلطان الملك المنصور عثمان، فأخلع عليه كاملية صوف بنفسجي بمقلب سمور، ثم خرج المقام الغرسي من عند الملك المنصور وتوجه إلى الملك الظاهر جقمق، فدخل

---

(1) الدهيشة : قاعة كبيرة مرتفعة البناء ، كانت مفروشة بأنواع البسط والمقاعد الزركش ، بناها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وبلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم ، سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرها من مستلزمات البناء .
راجع : المقريزي الخطط ج ٢ ص ٢١٢ ، السلوك ج ٢ ص ٢١٢ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

إليه وسلّم عليه كما فعل الأمير دولات باي بالأمس، ثم نزل وقد رسم له أن يسافر إلى ثغر دمياط من يومه .

وكان أولاً مقام الغرسي خليل بالإسكندرية، فاختار هو دمياط، فأنعم له بذلك، وسافر من يومه .

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه أنعم السلطان الملك المنصور بإقطاعه الذي كان بيده في أيام والده الملك الظاهر جقمق على الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس، وأنعم بإقطاع الأمير تنم ـ المذكور ـ على الأمير يونس الآقبائي شاد الشراب خاناه، وصار الأمير يونس ـ المذكور ـ أمير مائة ومقدم ألف، وأنعم بإقطاع يونس ـ المذكور ـ وهي إمرة طبلخاناه على الأمير جانبك القرماني الظاهري برقوق أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة ثان[1]، وأنعم بإقطاع جانبك ـ المذكور ـ على الأمير يشبك الناصري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وأنعم بإقطاع الأمير يشبك ـ المذكور ـ على الأمير كزل السودوني المعلم، وكان لكزل ـ المذكور ـ مدة سنين بطالاً .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه حضر السلطان الملك المنصور عثمان خدمة القصر على العادة قديماً؛ فإن والده الملك الظاهر جقمق كان قد أبطل خدمة السبت والثلاثاء من القصر ـ حسبما ذكرناه في السنين الماضية في هذا الكتاب ـ ثم خرج الملك المنصور من القصر ودخل إلى البحرة من الحوش السلطاني بعدما خلع على الأمير لاجين الزردكاش باستقراره شاد الشراب خاناه عوضاً عن الأمير يونس بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف، وخلع على الأمير جانبك الظاهري جقمق رأس نوبة باستقراره زردكاشاً عوضاً عن لاجين ـ المذكور.

[٢٣٧] ولما جلس الملك المنصور بالبحرة أرسل طلب إلى عنده مباشري الدولة// وحضر الأمير قاني باي الجاركسي أمير آخور، والأمير فيروز النوروزي الزمام والخازندار، وكلمهم في أمر النفقة، وطال جلوسهم عند السلطان إلى قريب

---

(١) في « أ » : «ثاني».

الزوال، ثم انفض المجلس على أن الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص يقوم من ماله بمائة ألف دينار للخزانة الشريفة برسم نفقة المماليك السلطانية، والتزم الزيني يحيى الأستادار بحمل ثلاثين ألف دينار بعد أمور، ووقع الاتفاق على صرف النفقة في أول شهر ربيع الأول، وذلك لعجز بيت المال عن القيام بنفقة المماليك السلطانية، فإن الملك الظاهر جقمق لم يدع في الخزانة شيئاً، ولا الدرهم الفرد، كل ذلك والملك الظاهر جقمق في قيد الحياة غير أنه على خطة.[1]

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه، أخلع السلطان الملك المنصور عثمان على الأمير جانبك الظاهري جقمق بشد بندر جدة، على عادته في السنين الماضية.

وفيه - أيضاً - خلع السلطان على عدة من الخاصكية وندبهم للتوجه إلى البلاد الشامية، وعلى يدهم تقاليد النواب باستمرارهم، وهم: السيفي جانم البهلوان الأشرفي إلى نائب الشام الأمير جلبان، والسيفي طوخ الخاصكي النوروزي إلى نائب حلب الأمير قاني باي الحمزاوي، والسيفي برسباي الأشرفي الأمير آخور - كان - إلى نائب طرابلس الأمير يشبك النوروزي، والسيفي قايتباي الأشرفي إلى نائب حماه الأمير حاج إينال اليشبكي، والسيفي دولات باي إلى نائب صفد الأمير بيغوث الأعرج المؤيدي، والسيفي سودون يكرك - أعني مجرى باللغة التركية - إلى نائب غزة الأمير جانبك التاجي المؤيدي، وخشقدم السيفي قراجا إلى نائب الكرك والقدس، والسيفي إينال الظاهري جقمق إلى نائب الإسكندرية الأمير برسباي البجاسي، والسيفي تمر الأشرفي الخاصكي إلى نائب قلعة دمشق وقضاتها وأرباب وظائفها.

وفي يوم السبت سلخه[2] قبض السلطان الملك المنصور عثمان على الأمير زين الدين يحيى - قريب ابن أبي الفرج - الأستادار ورسم بالحوطة على جميع

---

(١) في هامش «أ»: «وفيه - أي يوم السبت ثامن عشرين صفر سنة سبع - عزل السلطان قاضي القضاة الشافعية يحيى المناوي، وولي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، بمبلغ يقال: إنه ثلاثة آلاف دينار». وقد أشير إلى أنها «حاشية».

(٢) أي في مرض الموت.

موجوده وحواشيه، واستقر الأمير جانبك الظاهري شاد [بندر] جدة في الأستادارية عوضه، وخلع عليه لوقته.

[٢٣٨] وسبب نكبة زين الدين // الأستادار - المذكور - عدم القيام بما التزمه لأجل نفقة المماليك، ولأمر غير ذلك ذكرناه في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، وسر الناس بالقبض على زين الدين - المذكور - سروراً زائداً؛ لأنه كان في أيام ولايته ظلم وعسف، وطال واستطال، واستولى على عدة إقطاعات للجند والأمراء، وعلى عدة جهات كالرزق الموقوفة على المساجد والربط، واخترع مظالم، وأحدث أموراً لم يفعلها أحد من قبله من الأستادارية، فلذلك كثر ماله وعمر العمائر الهائلة المشهورة به، وبنى الجوامع والربط والسبل من ذلك المال الخبيث، فإنه كان قبل ولايته الأستادارية فقيراً مملقاً لا يملك إلّا ما يتجمل به بين الناس لا غير، فعلم من ذلك أن جميع هذه العمائر من هذا المال الذي هو من دماء المسلمين، فللّه در القائل حيث يقول:

بنى جامعاً لله من غير ماله فكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقي(١)
(الطويل)

وفيه أنعم الملك المنصور على الأمير بردبك البجمقدار - أحد أمراء العشرات ورأس نوبة - بإقطاع من الذخيرة، وأنعم بإقطاع بردبك - المذكور - على السيفي سودون من سلطان الخاصكي الظاهري جقمق رأسَ نوبة الجمدارية، وصار من جملة الأمراء، وأنعم السلطان - أيضاً - على السيفي جانبك القجماسي الأشرفي المعروف بدوادار سيدي بإمرة عشرة - أيضاً - مما كان في الذخيرة.

وفيه استقر الأمير قاني باي المؤيدي - أحد أمراء العشرات - من جملة رءوس النوب، وكذلك الأمير جاني بك من أمير الأشرفي استقر من جملة رءوس النوب.

وفي آخر هذا اليوم تسلّم الأمير جانبك الظاهري - زين الدين الأستادار

---

(١) في «أ»: «ولا تتصدق».

من القلعة، ونزل به إلى داره على أنه يعاقبه ويقوم بنفقة المماليك بما يـأخذه منـه في مصادرته.

وتسلّم ـ أيضاً ـ صهره تاج الدين ابن المقسي وطـواشيه، وأخـذهم الجميع إلى داره.

وأصبح الأمير جانبك من الغد أخبر السلطان أن زين الدين الأستادار أقر أن في حاصله مائة ألف دينار، وأنه وجد منها أربعة وأربعين ألف دينار، وأنه في طلب الباقي.

صفر

أوله الأحد.

في يوم // الاثنين ثانيه أخلع الملك المنصور على الأمير الطواشي فيروز [٢٣٩]
النوروزي الزمام والخازندار بعود الذخيرة إليه.

وفيه وجد لزين الدين الأستادار في قاعته بدرب شمس الدولة من القاهرة سبعة وأربعون ألف دينار، فصار الجملة نيفاً وتسعين ألف دينار.

وفيه أخلع السلطان على الأمير قشتم المحمودي الناصري بنيابة البحيرة على عادته أولاً.

وفيه أنعم السلطان على السيفي قانصوه المحمدي الأشرفي بإمرة عشرة مما كان ـ أيضاً ـ متوفراً.

وفي يوم الاثنين ـ هذا ـ توفي الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري برقوق بين المغرب والعشاء، فبات تلك الليلة والعزاء[1] حوله إلى أن جهز من الغد وصلى عليه بمصلاة باب القلة بالقلعة، وحضر ولده السلطان الملك المنصور عثمان الصلاة عليه، وصلى عليه الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، فكان يوماً مشهوداً لم نر لملك جنازة كجنازته لعدم الغوغاء وكثرة الناس

(١) في «أ»: العزي».

والخفر الذي حصل على جنازته، بخلاف جنائز الملوك. كل ذلك لكون ولده تسلطن في حياته.

ودفن بتربة الأمير قاني باي الجاركسي الأمير[1] آخور التي جددها وأنشأها عند دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل، ومات وسنه نيف على التسعين سنة، رحمه الله.

وفيه استقر القاضي أبو الفضل ابن كاتب السعدي ناظر ديوان[2] المفرد.

وفي يوم الأربعاء رابعه نودي بالأمان والنفقة للمماليك السلطانية في آخر الشهر ـ أعني صفر هذا.

وفيه نقل زين الدين الأستادار من بيت الأمير جانبك الآستادار إلى القلعة بطبقة الأمير قراجا الخازندار على أنه يقوم بخمسمائة ألف دينار، ثم استقر الحال في الغد ـ أي يوم الخميس ـ على ثلاثمائة ألف دينار، خارجاً عن المبلغ المتقدم الذي أخذ منه قبل تاريخه، وهو النيف على التسعين ألف دينار، فتكون الجملة أربعمائة ألف دينار.

وفي يوم الخميس ـ هذا ـ وقف بعض العوام تجاه باب المدرج ـ أحد أبواب قلعة الجبل ـ إلى أن ينزل الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش فرجموه وأفحشوا في أمره، كما فعلوا معه ذلك ـ أيضاً ـ في أمسه، فنزل ابن أبي
[٢٤٠] الفرج ـ المذكور ـ إلى بيت الأمير تمربغا الدوادار الثاني، // ثم شكا إلى السلطان ما وقع به، فنودي بأن لا يقف أحد عند باب المدرج من العوام، ومن وقف وقع به ما هو كيت وكيت من أنواع العذاب.

وفي يوم السبت سابعه خلع السلطان على الشيخ على المحتسب، وعلى الأمير جانبك اليشبكي والي القاهرة، وعلى الناصري محمد نقيب الجيش باستمرارهم على وظائفهم.

وفي يوم الاثنين تاسعه خلع السلطان الملك المنصور عثمان على الأمير قراجا

(١) «الأمير»: مكرر في «أ».
(٢) «ديوان»: مكرر في «أ».

العمري - المتولي قبل تاريخه نيابة بعلبك - باستقراره كاشف الشرقية بالوجه البحري من أعمال القاهرة عوضاً عن عبد الله الكاشف، وأراح الله المسلمين من عبد الله - المذكور - فإنه كان بئس الرجل سيرة وفعلاً، ظلم وعسف في ولايته، وطالت أيامه، وقاست أهل تلك النواحي منه شدائد، ألا لعنة الله على الظالمين.

وفيه أخلع علي يوسف شاه العلمي معلم المعمارية باستمراره على وظيفته.

وفيه عوقب زين الدين يحيى الأستادار وعصر بالمعاصير ، وضرب على سائر أعضائه ، وحضر الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيوش المنصورة عصره ؛ فإن السلطان كان ألزم نقيب الجيش - المذكور - أن يتولى عقوبة زين الدين ، وقال له : ما أعرف الخمسمائة ألف دينار إلاّ منك ، فلهذا صار نقيب الجيش يتولى عقوبته .

ثم عوقب زين الدين من الغد ثانياً، واستمر في المصادرة والعقوبة إلى ما سيأتي ذكره.

وفي يوم الثلاثاء عاشره استقر زين الدين فرج بن النحال كاتب المماليك السلطانية ناظر ديوان المفرد، عوضاً عن أبي الفضل ابن الحكيم المستقر في الوظيفة قبل تاريخه بمدة يسيرة.

وفيه استقر تنم رصاص الخاصكي شاد بندر جدة عوضاً عن الأمير جانبك الأستادار.

وفي يوم الخميس ثاني عشره قبض السلطان الملك المنصور عثمان على جماعة من الأمراء المؤيدية، وهم: الأمير دولات باي المؤيدي المحمودي الدوادار الكبير، والأمير يرشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني وأحد أمراء الطبلخاناه، والأمير يلباي الإينالي المؤيدي رأس نوبة وأحد أمراء العشرينات. وكان مسك دولات باي من قاعة الدهيشة، ويرشباي من الإسطبل السلطاني، ويلباي من سوق الخيل، // وقيدوا الجميع وداموا بالقلعة، إلى بعد أذان الظهر [٢٤١

أنزلوا بالقيود على البغال والأوجاقية[1] خلفهم على العادة، والمماليك الأشرفية من الخاصكية وغيرهم بالسيوف والرماح والدرق تمشي حولهم إلى أن أوصلوهم إلى بحر النيل، ولم يكن معهم من الأمراء المقدمين سوى الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، والأمير خشقدم المؤيدي حاجب الحجاب، وسافروا من ساعتهم إلى ثغر الإسكندرية، وحصل للمماليك الأشرفية بالقبض على هؤلاء المؤيدية سرور[2] زائداً إلى الغاية .

قلت: وهكذا شأن الدنيا، فإني رأيت جماعة المؤيدية تمشي مع الأمراء الأشرفية الذين قبض عليهم الملك الظاهر جقمق في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة على هذه الهيئة بعينها ، فكما تدين تدان ، فلا شك أنهم جوزوا من جنس عملهم .

وكان مسفر الأمير دولات باي الأمير جانبك الظاهري جقمق الزردكاش ، وقد استقر نائب الإسكندرية في الباطن عوضاً عن برسباي البجاسي بحكم عزله ، ثم حمل إليه التقليد بعد يومين .

وكان مسفر يرشباي الأمير سودون من سـ 'طان الظاهري الذي تأمر عشرة من أمسه في هذه الدولة .

وتوجه ـ أيضاً ـ معهم من المماليك السلطانية نحو المائة مملوك.

قلت : وبمسك هؤلاء الأمراء اتضع أمر المؤيدية وارتفع حال الأشرفية.

وفي يوم الاثنين سادس عشره أنعم السلطان على الأمير قرقماس قريب الملك الأشرف بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية عوضاً عن الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار، وأنعم بإمرة قرقماس ـ المذكور ـ وهي إمرة طبلخاناه على جانبك النوروزي رأس نوبة وأحد أمراء العشرات، والقادم من مكة المشرفة في موسم هذه السنة.

وفيه استقر الأمير تمربغا الدوادار الثاني في الدوادارية الكبرى عوضاً عن

---

(١) الأوْجَاقيّ : هو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة ـ راجع : القلقشندي . صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤ .

(٢) في الأصل : « سروراً» .

دولات باي - المذكور - وأنعم عليه زيادة على ما بيده بإقطاع الأمير يرشباي الأمير آخور الثاني المقبوض عليه، والإقطاع إمرة أربعين، وكان بيده إمرة عشرة وزيادة، ثم أنعم عليه بالإقطاع - المذكور - وهو طبلخاناه، فصار جميع ما بيده نحو التقدمة //، لكن استرجع منه إمرة عشرة بعد ذلك يشبك الظاهري، [٢٤٢] ودقت الطبلخاناه على بابه؛ واستقر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري أحد أمراء العشرات دواداراً ثانياً عوضاً عن تمربغا الدوادار - المذكور - على إقطاعه، إمرة عشرة من غير زيادة كما كان تمربغا أولاً.

وفيه استقر الأمير سنقر الأمير آخور الثالث أمير آخورا ثانياً عوضاً عن يرشباي على إقطاعه إمرة عشرة من غير زيادة، واستقر الأمير بردبك الظاهري أحد أمراء العشرات أميراً آخورا ثالثاً عوضاً عن سنقر المذكور.

وفيه استقر الأمير جانبك اليشبكي أحد أمراء العشرات ووالي القاهرة زردكاشاً كبيراً، عوضاً عن الأمير قرا جانبك المتولي نيابة الإسكندرية في أمسه، مضافاً إلى ما بيده من ولاية القاهرة والحجوبية وشد الدواوين، وما مع ذلك.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره أنعم السلطان على الأمير سونجبغا اليونسي الناصري ورأس نوبة بإقطاع الأمير يلباي الإينالي بحكم القبض عليه، وأنعم بإقطاع سونجبغا - المذكور - وإقطاع الأمير جانبك النوروزي نائب بعلبك على جماعة من الخاصكية، كل منهم أمير عشرة، وهم: السيفي قانبك (و) السيفي يشبك من أزدمر الدوادار والسيفي قوزي الساقي الظاهري جقمق والسيفي يشبك البجمقدار الظاهري جقمق.

واستقر سنبطاي الظاهري ساقياً عوضاً عن قوزي، واستقر خير بك الأشرفي دوادارا عوضاً عن قانبك.

وفيه عوقب زين الدين الأستادار أشد عقوبة حتى أشرف على الهلاك وهو لا يتكلم غير كلامه الأول، وهو يقول: لا أملك إلا ما هو مكتوب في أيديكم.

هذا والبيع مستمر في أمتعته وأملاكه في كـل يوم في الاسـواق ، وإلى الآن لم يغلق ما أورده مائتي ألف دينار .

وفي هذه الأيام كثر إلحاح المماليك على السلطان في طلب إقطاعات الفقهاء والمتعممين.

وكان سبب تجرئهم على ذلك إخراج السلطان لإقطاعات زين الدين الأستادار الموقوفة عليه وعلى جوامعه ومساجده، وكان ذلك شيئاً كثيراً، حتى إنه فرق على خلق كثير من المماليك السلطانية.

[٢٤٣] وفيه استعفى الوزير الأمير تغري بردى القلاوي الظاهري // جقمق عن الـوزر، فأعفى على أنه يقوم بالكلف السلطانية في يومه ومن الغد.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره وقف مماليك زين الدين الأستادار إلى السلطان، وكانوا زيادة على ثمانين مملوكـاً، وهؤلاء غير الكتـابية الصغـار؛ وهذا شـيء لم نعهده لمتعمم، فأبقى السلطان منهم نحو الثلاثين مملوكاً في بيت السلطان على جوامكهم ، وقطع من بقي ، وأمر بصرف الجميع .

وفيه عقد مجلس بالقضاة الأربعة بين يدي السلطان بسبب أملاك زين الدين الموقوفة عليه وعلى جوامعه ومساجده وربطه وعلى وجوه البر والصدقة.

وسبب ذلك أمر، وهو أن زين الدين كان قد وعد السلطان الملك الظاهر جقمق بأن يفضل له بعض جوامك المماليك في كل شهر أكثر من عشرة آلاف دينار أو شـيء من هذا المعنى، ثم سكت الملك الظاهر عنه وجرى ما جرى، فبلغ الملك المنصور ذلك، فنـدب القاضي شـرف الدين مـوسى التتائي وكيـل بيت المال بأن يـدعي عـلى زين الـدين ـ المـذكـور ـ بـألف ألف دينـار وتسعمـائـة ألف دينار وثلاثين ألف دينار على ما قيل، فأرسل القاضي الشـافعي من المجلس جماعـة من موقعي الحكم حتى يسمع جوابه، فقال زين الدين: ما عندي إلا ألفا ألف دينار، فشهد الموقعون عليه بذلك، وعادوا بالخبر إلى السلطان والقضاة، فقال القاضي شرف الدين يحيى المناوي لشيخ الإسلام قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي: ما تقول يا مولانا شيخ الإسلام في أملاكه وأوقافه؟ فقال: قد

ثبت عندي أوقافه، وحكمت بها من مدة طويلة، لكني أبقيت الخلاف ولم أحكم إلا على مقتضى مذهبي. فقال بعض من حضر: هذا لما وقف كانت ذمته مشغولة بأزيد من مائة ألف دينار، فالوقف غير صحيح. ثم انفض المجلس وقد ألزم قاضي القضاة ولي الدين السنباطي المالكي بالحكم في حل أوقافه بهذا المقتضى، وحكم بعد ذلك وأبيعت أوقافه، واستمر في المصادرة إلى ما سيأتي ذكره.

وفي يوم الخميس تاسع عشره خلع السلطان الملك المنصور عثمان على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم بإعادته إلى الوزر عوضاً عن الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق، واستقر القلاوي في كشف الوجه // [٢٤٤] القبلي[١].

وفي يوم السبت حادي عشرينه عمل السلطان الخدمة بالحوش السلطاني بسبب قصاد الحبشة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه رسم السلطان الملك المنصور للأمير جرباش الكريمي الظاهري برقوق أمير سلاح المعروف بقاشق بأن يلزم داره بحكم كبر سنه وعجزه عن الحركة، وأنعم بإقطاعه على الأمير قراجا الظاهري جقمق الخازندار، وأنعم بإقطاع قراجا ووظيفته على الأمير أزبك من ططخ الظاهري الساقي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وأنعم بإقطاع أزبك على الأمير بتخاص العثماني الظاهري برقوق.

وفيه ـ أيضاً ـ استقر الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس ـ أمير سلاح عوضاً عن الأمير جرباش الكريمي المقدم ذكره.

وفيه خلع على الأمير تمربغا الدوادار الكبير خلعة الإنظار على عادة الدوادارية من قبله.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه استقر الأمير تنبك البردبكي الظاهري برقوق أمير مجلس، عوضاً عن الأمير تنم المنتقل إلى إمرة سلاح في أمسه.

---

(١) في هامش «ا»: «حاشية: يعني البهنساوية».

وفيه عزل السلطان جماعة من البوابين(١) الخاصكية المؤيدية ، وولى عوضهم جماعة من الخاصكية من حاشيته . وكلما وقع شيء من ذلك انحط قدر المؤيدية في الدولة .

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه وصل إلى القاهرة مملوك الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب وصحبته - أيضاً - مملوك حاجبها ونائب قلعتها، وقبلوا الأرض بين يدي السلطان الملك المنصور عثمان، وأخبر مملوك نائب حلب - المذكور - أن مخدومه الأمير قاني باي نائب حلب قبل الأرض للسلطان وابتهج بسلطنته وسر بذلك سروراً زائداً، وأنه مملوكه ومملوك والده الملك الظاهر - رحمه الله - فرحب السلطان به وبرفيقيه، ونزلوا إلى محل إقامتهم.

وفيه ورد الخبر من حلب المحروسة - أيضاً - أنه ثبت على القاضي محب الدين ابن الشحنة مبلغ بمحضر - ستين ألف دينار - مما تناوله في أيام ولايته من ريع الأوقاف التي تحت نظره وغيرها بغير طريق شرعي.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه قرىء تقليد السلطان الملك المنصور عثمان بالقصر الكبير السلطاني من قلعة الجبل، فجلس السلطان على كرسي الملك، وجلس الخليفة القائم بأمر الله أبي البقاء حمزة، والقضاة الأربعة(٢)
[٢٤٥] تحت، وقرأه // القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف إلى أن نجز من قراءته خلع السلطان عليه كاملية خضراء بمقلب سمور، ثم خلع على الخليفة فوقاني بطرز زركش، وخلع على القضاة الأربعة(٣).

وفيه خلع على القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن نصر الله بنظر بندر جدة على عادته .

وفي يوم السبت ثامن عشرينه خلع السلطان على شيخ الإسلام علم الدين صالح البلقيني بقضاء الشافعي بالديار المصرية، بعد عزل القاضي شرف

(١) البوابون : واحدهم بابا ، وهو لقب عام لجميع رجال الطست خاناه ، ممن يتعاطى الغسل والصقل وغير ذلك - راجع: القلقشندي . صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٠ .

(٢) في « أ »: «الأربع».

(٣) نفسه.

الدين يحيى المناوي، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة، وقد ازدحم الناس لرؤيته، وكان يوماً مشهوداً.

وفيه أعيد عبد الله الكاشف لولاية الكشف بالشرقية، وعزل الأمير قراجا العمري.

وفيه استقر السيفي يشبك القرمي والي القاهرة، عوضاً عن الأمير جانبك اليشبكي بحكم رغبته عنها.

شهر ربيع الأول

أوله الاثنين.

فيه كان ابتداء الوقعة التي خلع فيها الملك المنصور عثمان من السلطنة. وسبب ذلك، أنه لما كان يوم الاثنين - المذكور - أمر السلطان الملك المنصور فيه بالنفقة على المماليك، وبات السلطان ليلة الاثنين بالحريم، وأبطل خدمة القصر، وباتوا الأمراء في دورهم، فلما كان وقت السحر ركب الجميع وأرادوا الطلوع إلى القلعة فأحاط بهم المماليك السلطانية ومنعوهم من الطلوع ما خلا الأمير تنم من عبد الرزاق أمير سلاح فإنه بدر بالطلوع وفاتهم، فرجع الأمير الكبير إينال العلائي إلى بيته ومعه أمراء الألوف بأجمعهم والقوم حولهم، والمقدمون هم: الأمير تنبك أمير مجلس، والأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، والأمير خشقدم حاجب الحجاب، والأمير جرباش المحمدي كرد، والأمير يونس المشد، والأمير طوخ من تمراز، والأمير قرقماس الأشرفي، والأمير الكبير إينال المذكور.

ثم بعد ساعة هينة قبض فرقة من المماليك السلطانية - أيضاً - على الأمير قراجا الخازندار أحد مقدمي الألوف - أيضاً - وأتوا به إلى بيت الأمير الكبير، فصار جملة مقدمي الألوف تسعة، إلا أن قراجا أمسك وحبس بمكان هو والأمير تغري بردي المعزول عن الوزر والأمير بردبك الأمير آخور الثالث.

ثم تكاثر الجمع عند الأمير الكبير من الأمراء الطبلخانات والعشرات

والخاصكية والمماليك ولازالوا به حتى وافقهم على الركوب، ولبس آلة
٢٤٦] الحرب، ولبس الجميع آلة القتال وتحالفوا // على خلاف الملك المنصور عثمان وحواشيه وموافقة الأمير الكبير إينال العلائي.

وانتقل الأمير الكبير بمن معه من بيته تجاه الكبش إلى البيت المعد قديماً لسكني من يلي الإمرة الكبرى في العادة تجاه قلعة الجبل، أعني بيت قوصون.

وكان سبب تغير المماليك السلطانية أنه بلغهم أن السلطان يريد (أن) يفرق النفقة على أقوام بالكامل، وعلى أقوام بحكم النصف، وعلى آخرين بحكم الربع، وقيل: إن النفقة كانت مبلغ سبعة وعشرين ألف درهم التي كان أمر بتفريقها، فعلم كمية النصف والربع، فلما بلغ ذلك المماليك السلطانية عظم عليهم ما سمعوا وتوغرت خواطرهم، ثم بلغهم خبر آخر، وهو أنه قيل لهم: إن السلطان كان اتفق مع حواشيه ومماليك أبيه الظاهرية أنه يقبض على جماعة كثيرة من الأمراء والخاصكية، فثاروا عليه بهذا المقتضى.

وقبل أن يخرج الأمير الكبير من بيته حلف جميع الأمراء على طاعته، وكانوا جمعاً كبيراً، وأرسل عدة من المماليك السلطانية ليحضروا الخليفة إلى عنده فحضر الخليفة، ثم ساروا إلى البيت - المذكور - تجاه القلعة وشرعوا في القتال، واستعد الملك المنصور - أيضاً - لقتالهم، ونزل إلى المقعد بباب السلسلة، وترامى الفريقان بالنبل والمكاحل، وقتل بينهم خلق كثير من الزعر والمتفرجين وغيرهم، وهذا بعد أن أرسل الأمير الكبير إلى السلطان مع الأمير سونجبغا اليونسي والأمير نوكار الحاجب الثاني وبردبك دواداره يطلب منه أن يرسل إليه جماعة من الأمراء، وهم: الأمير تمربغا الدوادار الكبير، والأمير أسنباي الجمالي الدوادار الثاني، والأمير لاجين شاد الشراب خاناه، فأبى السلطان تسليمهم، فأعادهم مرة ثانية، فأبى السلطان - أيضاً - وعوق عنده سونجبغا - المذكور - ونوكار، ، وأرسل بردبك دوادار الأمير الكبير وصهره، فعند ذلك وقع القتال واشتد (ت) الحرب.

ولما كان وقت الظهر من اليوم المذكور رسم الأمير الكبير بأن تنقب مدرسة

السلطان حسن ، فنقبوا نقباً من جهة حدرة البقر[1] ودخلوا منه إلى المدرسة ـ المذكورة ـ وعمروا سلم السطح ، وتوصلوا منه إلى المآذن[2] ورموا على القلعة .

واستفحل أمر الأمير الكبير بأخذ المدرسة ـ المذكورة ـ واستمر أمره في كل يوم في نمو، وأمر الملك المنصور ومن معه من مماليك أبيه وغيرهم في إدبار، ودام القتال إلى ليلة الأربعاء، نزل إليهم من القلعة الأمير جانبك الظاهري جقمق الأستادار // والأمير بردبك الظاهري جقمق البجمقدار أحد أمراء العشرات [٢٤٧] ورأس نوبة، واستمر نزول الخاصكية والمماليك في كل يوم من عند الملك المنصور إلى عند الأمير الكبير، يدخلون تحت طاعته، فقوى بذلك جيش الأمير الكبير وكثر حزبه حتى تزايد عن الحد، ولعله صار بقدر من عند الملك المنصور ثلاث مرار.

هذا والخليفة القائم بأمر الله حمزة مقيم عند الأمير الكبير، وقد أرسل أحضر جميع أقاربه خوفاً من أن يطلع منهم أحد إلى القلعة، وقد أشيع بين الناس أن الخليفة خلع الملك المنصور من السلطنة .

ولما كان يوم الخميس رابعه نزل من عند السلطان إلى الأمير الكبير الأمير سونجبغا اليونسي رأس نوبة، والأمير نوكار الحاجب الثاني، والزيني عبد الرحمن ابن الكويز، وشهاب الدين الإخميمي الإمام ؛ ومشوا في الصلح ونزلوا معهم بمنديل الأمان إلى الأمير الكبير.

وكان متكلم القوم الإخميمي، وترددوا مرتين، وكثر الكلام بين الفريقين، وطلب الأمير الكبير جماعة من السلطان وطلب السلطان جماعة منه، وآخر الأمر انفصل المجلس على غير صلح، وعوق الأمير الكبير عنده سونجبغا ونوكار، وأرسل الإخميمي وحده، فعاد القتال في الحال على العادة.

---

(١) حدرة البقر : مكانها الآن شارع المظفر ، ابتداء بالسيوفية وانتهاء بحديقة مسجد السلطان حسن ـ راجع : علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) في « أ » : « الموازن » .

فلما وقع ذلك التفت الخليفة إلى الأمير الكبير وسأله بالسلطنة، فامتنع امتناعاً هيناً، ثم أجاب بعد ذلك، بعد أن سأل الخليفة الأمراء والمماليك عن سلطنته فقال الجميع بلسان واحد: نحن راضون بالأمير الكبير.

وصرحوا بذلك غير مرة، وقبل بعض الخاصكية الأرض بين يديه، وقال الخليفة: قد خلعت الملك المنصور، وكرر ذلك غير مرة بحضرة الملأ من الناس.

وأصبح يوم الجمعة خامسه حضر الصاحب جمال الدين ناظر الخاص والجيش، ثم حضرت القضاة عند الأمير الكبير بالمقعد، وشاهدوا الرمي بالمدافع والنفوط والنشاب من القلعة على الخليفة والأمير الكبير، حتى إن بعض الرمى بالمكاحل وصل إلى باب السر الذي بالشارع عند حدرة البقر، بل وعدى الباب ووصل إلى الدور المجاورة للباب.

ولما حضرت القضاة عند الخليفة والأمير الكبير تكلموا في خلع الملك المنصور عثمان، وأطالوا الكلام إلى أن طلبوا بدر الدين ابن المصري أحد موقعي الدست، وأملاه قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني ألفاظاً كتبها تتضمن خلع الملك المنصور من السلطنة، ذكر فيها نحوا مما حكيناه في هذه الأيام، ثم
[٢٤٨] أمره بأن يثب قائماً على رجليه ويقرأها بأعلى // صوته، فنهض قائماً وقرأها على العسكر، وخلع الملك المنصور عثمان من السلطنة. وكان ذلك الوقت في أوائل الساعة الثالثة ـ تقريباً ـ من يوم الجمعة ـ المذكور ـ فكانت مدة سلطنته ثلاثة وأربعين يوماً، وترشح الأمير الكبير للسلطنة، بل صرح له الخليفة والقضاة بذلك لما قرئت الورقة على العسكر، فإن قاضي القضاة علم الدين صالح سأل العسكر عن سلطنته ثلاث مرات، فصاحوا كما صاحوا أولاً، ولقب بالملك الأشرف، لكنه لم يلبس شعار الملك ولا أبهة السلطنة، وصار الناس في مخاطبته على أقسام، فمن الناس من يقول: أغاه، ومنهم من يقول: خوند، ومنهم من يقول: الأمير الكبير، ومنهم من يقول: يا مولانا السلطان.

واستمرت القضاة عنده، وطلب النجارين فصنعوا منبراً في الحال وأحضروا كرسياً، وخطب بهم في المقعد من البيت ـ المذكور ـ قاضي القضاة علم الدين صالح وصلى بهم الجمعة، ثم انصرفوا بعد الصلاة إلى منازلهم.

هذا والقتال عمال في كل يوم، وقتل من الفريقين خلائق.

وفي هذا اليوم وقت الضحوة منه، مرض الأمير أسنبغا الطياري رأس نوبة النوب، وقام من مجلس الأمير الكبير وعليه آلة السلاح بعد أن رمل على علامة (الأمير) الكبير التي كتبها على المراسيم، ودخل إلى البيت وقلع آلة الحرب ولزم الفراش إلى أن مات بعد نصف ليلة السبت، فكان مرضه يوماً واحداً، وغسل في مكانه، وصلى عليه الخليفة والقضاة بمقعد الأمير الكبير، ودفن من يومه بالصحراء.

وكان من محاسن الدنيا، تأتي ترجمته إن شاء الله في آخر هذه السنة مع من توفي بها.

ولما أصبح يوم السبت سادسه، حضرت القضاة وناظر الخواص والجيش وكاتب السر القاضي محب الدين ابن الأشقر، وكتبوا محضراً يتضمن ما وقع في أمسه من خلع الملك المنصور، وحكوا فيه الواقعة من أولها من ركوب المماليك السلطانية وأخذهم الأمير الكبير إلى آخرها، وشهد في المحضر الأمير جانبك الأستادار والأمير بردبك البجمقدار، وشهادتهما: أن السلطان الملك المنصور حصل منه قلة أدب في حق الخليفة، ومسك قصاده - أعني سونجبغا ونوكار - وأشياء من // هذا النمط، وحكموا فيه القضاة. [٢٤٩]

وطلب[١] الأمراء من الأمير الكبير أن يلبس السواد الخليفتي ويجلس على سرير الملك، فأبى وقال: في غير هذا الوقت.

وأخذ الأمير الكبير في التحريض على القبض على من يطلع إلى القلعة من العوام بالمآكل، وضرب جماعة كبيرة بالمقارع والعصي بسبب ذلك، ورتب الأمراء المقدمين على المواضع والمخارص التي يطلع منها إلى القلعة، فقعد الأمير خشقدم حاجب الحجاب بجماعة بباب القرافة، والأمير طوخ من تمراز بالمسجد الذي عمره قاني باي الجاركسي والحمامين، وقعد الأمير قرقماس الأشرفي ببيت الأمير نوروز الحافظي تجاه القلعة، وجماعة كثيرة من أمراء الطبلخانات والعشرات

---

(١) في «أ»: وطلبت».

بالمواضع ، مثل صهريج منجك[1] وباب الوزير وقبو السلطان حسن وسويقة منعم وغير ذلك

ووقع في اليوم ـ المذكور ـ قتال شديد بين الفريقين مواجهة وبالنبال، وقتل عدة أناس.

هذا وخيربك القصروي الذي ولاه الأمير الكبير قبل تاريخه والي القاهرة يشتد في طلب الزعر ومن طلع إلى القلعة من العوام بالمأكل، ونقيب الجيش الناصري محمد بن أبي الفرج واقف بين يدي الأمير الكبير وعليه آلة الحرب وبيده عصا ينفذ الأحكام. وصارت الأمراء الألوف تخاطب الأمير الكبير وقوفاً وهو لا يقوم لأحد منهم إلا في النادر.

هذا وعسكر الملك المنصور لا يمل ولا يكل من القتال والرمي بالنبال والأسهم الخطائية[2] والمكاحل والمدافع والنفوط ، حتى أبادوا عسكر الأمير الكبير وأحرموا أحداً من عسكره أن يظهر من بيت الأمير الكبير .

على أنه لم يكن عنده من المقاتلين إلاَّ جانب يسير من الأمراء والجند ، وغالب من عنده من مماليك أبيه .

وعنده من الأجانب الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير سلاح، فهذا من مقدمي الألوف لا غير، والأمير كزل السودوني المعلم، أحد أمراء العشرات، والأمير مغلباي الشهابي، أحد أمراء العشرات ـ أيضاً ـ والأمير يونس العلائي نائب قلعة الجبل، والجميع في الترسيم بالحشمة.

وأما من بقي من حواشيه من الأمراء فهم: الأمير قاني باي الجاركسي
الأمير آخور الكبير ـ وهو مملوك عم الملك المنصور «الأمير جاركس المصارع // ٢٥٠]

---

(١) صهريج منجك : جامع تحت القلعة ، خارج باب الوزير ، أنشأه الأمير « سيف الدين منجك اليوسفي » سنة إحدى وخمسين وسبعمائة للهجرة ، وصنع فيه صهريجاً ، فصار يعرف به.
راجع : علي باشا مبارك . الخطط ج ٥ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٢) السهام الخطائية : أشار القلقشندي (صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٤) إلى أنها « سهام عظام ، يرمى بها عن قسي عظام توتر بلوالب بجربها ويرمى عنها ، فتكاد تخرق الحجر » .

القاسمي» - والأمير تمربغا الظاهري الدوادار الكبير، أحد أمراء الطبلخانات، والأمير لاجين الظاهري، شاد الشراب خاناه ولالاة السلطان، والأمير أسنباي الجمالي الدوادار الثاني، أحد أمراء العشرات، والأمير أزبك من ططخ الظاهري الخازندار، أحد أمراء الطبلخانات وصهر السلطان - زوج أخته - والأمير سنقر الظاهري آستادار الصحبة - وهو في ترسيم الحشمة أيضاً - والأمير جانم الظاهري الساقي، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، والأمير قوزي الساقي، أحد أمراء العشرات، والأمير سودون الظاهري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، والأمير جانبك البواب الظاهري. وهؤلاء الثلاثة تأمّروا في الدولة المنصورية، فهم كالأجناد.

وباقي من عنده خاصكية ومماليك، ولعلهم أقل من ألف نفر، والله أعلم.

وفي يوم الأحد سابعه، رتّب الأمير الكبير عدة من الأمراء على المواضع التي يتوصل منها إلى القلعة.

واستمر الحال إلى قريب الظهر، ظهر جماعة من عسكر الأمير الكبير إلى جهة سبيل المؤمني، فخرج جماعة من السلطانية ورمى عليهم - أيضاً - جماعة من القلعة، وتقاتلوا قتالاً شديداً بالرماح والسيوف والأطبار، وافترقوا غير مرة والتقوا غير مرة، حتى أردف عسكر الأمير الكبير الأمير طوخ من تمراز من مكانه الذي أكمن فيه عند زاوية الأمير قاني باي الجاركسي وحماميه. والتحم القتال معهم، وقبض السلطانية على السيفي طقتمر البارزي الخاصكي رأس نوبة وقتلوه صبراً تهبيراً بالسيوف، وقتل جماعة أخر من الطائفتين إلى أن ملك عسكر الأمير الكبير سبيل المؤمني من عسكر المنصور الذي بالقلعة، وأطلقوا في البيوت التي بجواره النار، فإن عسكر السلطان كان غالبه على أسطحة البيوت التي هناك، فعملت النار فيهم حتى وصلت إلى سقف السبيل - أيضاً - فأحرقته عن آخره. هذا والقتال مستمر من فوق ومن أسفل، ثم هدموا سور الميدان ودخلوا منه إلى الميدان، فعظم القتال في هذا اليوم حتى إنه قتل فيه أكثر مما قتل من ابتداء الوقعة إلى يوم تاريخه، فكان يوماً مهولاً قاسى الناس فيه شدائد عظيمة وخطوباً وحروباً.

[٢٥١] ولما رأى عسكر السلطان دخول عسكر الأمير الكبير // إلى الميدان انهزموا وولـوا الأدبـار، لا يلوي أحـد منهم عـلى أحـد، وطلع السلطان الملك المنصـور عثمان من المقعد بالإسطبل إلى القصر السلطاني.

كل ذلك والأمير الكبير لا يتحرك من مكانه، فلما بلغه انهزام القوم ندب الأمير جرباش المحمدي المعروف بكرد ـ أحد مقدمي الألوف ـ لأخذ باب السلسلة، فركب جرباش على الفور وخرج إلى باب السلسلة وتسلمه بعد ساعة هينة من غير قتال، فعلى قدر شدة عزم أهل القلعة في هذه السبعة أيام كانت هزيمتهم وتسليمهم القلعة في أسرع ما يكون.

وسبب ذلـك أن غـالبهم شبـان لم تمرّ[١] بهم التجـارب ولا لهم خبـرة بـالحروب ومكـابدتهـا[٢]، فقاتلوا أشـد قتـال، وأظـهـروا من الشجـاعـة مـا لا يـوصف، ولم يحسنوا الهـروب ولا تسليم القلعة، وكـان يمكنهم بعد أخـذ الميدان حفظ القلعة حتى تؤخذ منهم بـالأمان، وتعمـل مصالحهم في نوع اختاروه ـ عـلى عـادة من سلم القلاع قبلهم ـ لكنهم لمـا رأوا أخذ الميـدان منهم خارت طبـاعهم وانقطعت قلوبهم.

وكـان وقت أخذهم القلعـة وقت العصر ـ تقريبـاً ـ فإننـا لم نسمع الآذان في ذلك الوقت لعظم الغوغاء، لاشتغال كل أحد بما هو فيه من شدة القتال، وعظم الخطب في ذلك اليوم. وتفانت الناس، وأصيب خيول كثيرة، وجرح خلائق لا تحصى كثرة، وتهدم دور كثيرة.

ولا نعلم في سالف الأعصار في الدولة التركية بأن قلعة الجبل حوصرت سبعة أيام إلّا في هذه الوقعة، مع علمي أن الملك الناصر فرج بن برقوق ركب عليه الأمير يشبك الشعباني بجماعة من الأمراء وأقاموا نحو السبعة أيام ملبسين ـ أيضاً ـ آلة الحرب، لكن لم يكن القتال كالقتال ولا الحصار كالحصار، فإن جماعة كثيرة من عسكرنا هذا باشروا تلك الوقعة وكلهم قائلون بأنهم لم يروا مثل هذه الوقعة.

---

(١) في «أ»: «يمرّ».
(٢) في «أ»: «ومكابدته».

وفي مدة هذه الأيام السبعة لم يبطل القتال بالرمي والنفوط والمدافع ساعة واحدة. هذا والزعر تقتل من الطائفتين وتصيبهم السهام، وبالجملة كانت القتلي من الزعر ومن المتفرجين أكثر من الجند .

ولما ملك الأمير جرباش باب السلسلة قبضت المماليك على الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي // أمير سلاح وأخذوه على فرس وعلى رأسه طاقية خضراء [٢٥٢] من غير تخفيفه[١]، ومظوا به إلى الأمير الكبير والضرب مستمر على رأسه وسائر جسده من الأمراء، وهو يصيح : المروءة المروءة، حتى أدخلوه إلى الأمير الكبير فحبس هناك، ثم قبضوا على الأمير كزل السودوني المعلم وحبسوه عند تنم، ثم قبضوا على عبد الله الكاشف وأنزلوه على فرس مكشوف الرأس بلا تخفيفة، وألبسوه شيئاً كالطرطور ، والدم يسيل على شيبته بعد أن أرادوا الفتك به غير مرة، فصار بعضهم يحميه من ذلك ويقول: يذهب ماله، دعوه حتى يأخذ الأمير الكبير ماله، وأدخلوه على تلك الهيئة القبيحة إلى عند الأمير الكبير.

قلت: وما ربك بظلام للعبيد، فإن عبد الله ـ هذا ـ فعل في ولايته لكشف الشرقية ما لا يفعله إلاّ من ليس له حظ في الإسلام، من أخذ الأموال وسفك الدماء، فلم أدر ماذا يكون جواب الملك الظاهر عند الله ـ تعالى ـ بسبب ولايته لهذا الظالم الغاشم المراق الدم؟!

فلم يكن بعد ذلك إلاّ نحو الخمس درجات وركب الأمير الكبير من محل إقامته والخليفة عن يمينه والأمير تنبك عن يساره، وطلع إلى باب السلسلة، والناس من البيت ـ المذكور ـ إلى باب السلسلة مصطفون وقوفاً دهليزاً واحداً وهو يمر عليهم حتى نزل إلى الحراقة من باب السلسلة وجلس هناك، وشرعت العساكر في النهب والأخذ، فنهبوا شيئاً كثيراً من الأموال والخيول والمتاع، وأخذوا في القبض على الأمراء واحداً بعد واحد، فقبض في الليلة ـ المذكورة ـ على جماعة كثيرة من الأمراء، وهم: الأمير تنم ـ المذكور ـ والأمير كزل المعلم

(١) أي من غير عمامة ـ راجع : ماير . الملابس المملوكية ص ٣١ ـ ٣٢.

ـ المذكور أيضاً ـ وعبد الله الكاشف، فهؤلاء الذين ذكرناهم أولاً. وأما الذين قبض عليهم بعد طلوع الأمير الكبير من أمراء الألوف فهم: الأمير قاني باي الجركسي الأمير آخور الكبير، ومن الطبلخانات: الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الكبير، والأمير أزبك من ططخ الظاهري الخازندار الكبير، ومن العشرات: الأمير لاجين الظاهري شاد الشراب خاناه ولالاة الملك المنصور عثمان، والأمير سنقر الظاهري العائق الأمير آخور الثاني، والأمير سنقر الظاهري أستادار الصحبة، [٢٥٣] والأمير جانم الظاهري الساقي، // والأمير سودون من سلطان الظاهري، والأمير جانبك ـ وكلاهما تأمر في الدولة المنصورية عثمان.

وتسحب من الأمراء العشرات الذين كانوا عند الملك المنصور عثمان بالقلعة جماعة، وهم: الأمير أسنباي الجمالي الظاهري الدوادار الثاني، والأمير قوزي الظاهري الساقي، والأمير يشبك الظاهري البجمقدار، والأمير مغلباي الشهابي.

وفي الحال نودي في القاهرة بالأمان والاطمئنان[1] والطلوع من الغد إلى القلعة بالكلفتاه[2] والتريات[3] البيض لسلطنة الأمير الكبير، وقلع السلاح في الحال، وبات الناس في أمن وسلامة، وسر الناس بإخماد الفتنة.

* * *

---

(١) في «أ»: «والأطمان».

(٢) الكلفتاه: طاقية تؤلف هيكل العمامة، لا يلبسها إلا رجال الطبقة الرفيعة ـ راجع: دوزي. المعجم المفصل ص ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٣) التريات: أقبية من الحرير الأحادي اللون، المزركش الحواشي، والمطعم بالذهب ـ نفسه ص ٨١.

ذكر سلطنة السلطان الملك الأشرف، سيف الدين أبي النصر، إينال العلائي الظاهري، ثم الناصري

لما كان صباح يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول، اجتمع أعيان الدولة من القضاة والأمراء وأرباب الوظائف في الحراقة من الإسطبل السلطاني بحضرة الخليفة والأمير الكبير، وبويع الأمير الكبير بالسلطنة، ولبس أبهة السلطنة من مبيت الحراقة من باب السلسلة في أول ساعة من اليوم - المذكور - بعد طلوع الشمس بنحو ست درجات في ساعة القمر، والطالع الحمل. وكان قد بويع بالسلطنة غير مرة في أيام الوقعة، يوم الأربعاء ثالثه، وفي يوم الجمعة خامسه، وفي يوم السبت سادسه، وفي عصر يوم الأحد بعد طلوعه إلى باب السلسلة، ولكن لم تحدد سلطنته إلاَّ بعد لبسه أبهة السلطنة.

ولما لبس خلعة السلطنة خرج من مبيت الحراقة ومشى حتى ركب فرس النوبة، وحمل ولده المقام الشهابي أحمد القبة والطير على رأسه حتى طلع إلى القصر وجلس على تخت الملك، وقبلت الأمراء الأرض بين يديه، وخلع على الخليفة فوقاني أخضر وأبيض بطرز زركش، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، واستمر جلوسه بالقصر إلى يوم الخميس، والأمراء وأعيان الدولة بين يديه، وأخلع في يومه على الأمير يونس العلائي الناصري نائب قلعة الجبل باستقراره في نيابة الإسكندرية، عوضاً عن الأمير قرا جانبك الظاهري، وجلس في باب القلعة عوضه الأمير قانباي الناصري الأعمش.

[٢٥٤] وفيه قبض على // الأمير مغلباي الشهابي، وعلى جماعة أخر، وحبسوا بالركبخاناه بباب السلسلة.

وفي يوم الثلاثاء (تاسعه)[١]، أخلع السلطان الملك الأشرف إينال على جماعة من الأمراء بعدة وظائف:

فخلع على ولده المقام الشهابي أحمد أتابك العساكر عوضاً عن نفسه.

واستقر الأمير تنبك البردبكي الظاهري برقوق أمير سلاح[٢]، عوضاً عن الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدي.

واستقر الأمير طوخ من تمراز الناصري أمير مجلس، عوضاً عن الأمير تنبك المذكور.

ولبس الأمير خشقدم المؤيدي خلعة الاستمرار على حجوبية الحجاب.

واستقر الأمير جرباش المحمدي المعروف بكرد أمير آخور كبيراً، عوضاً عن الأمير قاني باي الجاركسي.

واستقر الأمير يونس الآقبائي دواداراً كبيراً، عوضاً عن الأمير تمربغا الظاهري جقمق.

واستقر الأمير قرقماس الأشرفي رأس نوبة النوب، عوضاً عن الأمير أسنبغا الطياري بعد وفاته.

وخلع على الأمير جانبك الظاهري جقمق باستمراره على وظيفة الأستادارية .

ومن غريب ما اتفق في هذه الواقعة أن رجلاً من المماليك السلطانية أصله من عتقاء الأمير جمال الدين يوسف البيري الأستادار، يسمى يلبغا المجنون، وهو من أصحابنا، صار يخرج من بيت الأمير الكبير عند شدة اشتعال الحرب بلا خوذة على رأسه، بل عليه قرقل[٣] مخمل عتيق منقوش، فيمشي إلى أن يصير

---

(١) ساقط من «ا»؛ مثبت من «ب».

(٢) في «ا» : «أمير سلاحاً».

(٣) القرقل : درع يعمل من الصفائح المتخذة من الحديد المتواصل بعضها ببعض ، مع تغشيته =

في وسط الرملة في وقت لا يطيق أحد أن يخرج من بيت الأمير الكبير لعظم الرمي بالنشاب والنفوط، فلما يصير في وسط الرملة يقف وحده هناك فيرمي عليه أهل القلعة رمياً عظيماً ويرمي هو - أيضاً - عليهم فلا يصيبه منهم سهم واحد[1]، ثم يأخذ يلبغا هذا في السب والتوبيخ لهم والرمي عليهم، فيجتمع عليه من أعيان رماة أهل القلعة عدة، ويرمون عليه بالتحرير حتى يصير حوله من النشاب ما لا يحصي كثرة، وهو لا يصيبه منهم شيء، وهو مستمر على رميهم - أيضاً - وسبهم. فكان لما يتعب يأخذ في ضم النشاب الذي حوله، فكان يلتقط في اليوم من حوله المئتين بل الألوف من النشاب، ولا يستجرىء أحد أن يضم معه شيئاً إلاّ بعض الصغار، على أنه انصاب من الصغار جماعة كثيرة. وكان إذا تعب من الرمي وضم النشاب نام على ظهره وينش على وجهه، واستمر على ذلك في غالب أيام الوقعة، فكان كلما فعل ذلك اشتد غضب السلطان الملك المنصور عليه وأمر بالرمي عليه، فيرمي عليه ما شاء الله أن يرمي فلا يصيبه شيء

فلما أعيا // الملك المنصور أمره، أمر بالنداء للزعر والجند: من أتى بهذا [٢٥٥]
الجندي - يعني يلبغا المذكور - له مائتا دينار. وبالغ بعض الناس حتى قال: إنه سمع المنادي يقول: ألف دينار. فلما نودي بذلك غر بعض الزعر الطمع فجاءه على حين غفلة وحمله من خلفه، فضربه يلبغا - المذكور - بخنجر كان معه على ما قيل. وقد كان مرة أخرى جاءه عدة من الزعر وحملوه، فنجده بعض عسكر الأمير الكبير وخلصوه منهم، ثم عادوا سرعة إلى بيت الأمير الكبير خيفة من النشاب.

واستمر يلبغا - هذا - على ذلك إلى أن كان هو السبب للقتال الذي أخذ فيه باب السلسلة، فكان أمر يلبغا - المذكور - في هذه الوقعة غريباً، ولا يعلم أحد ما كان أمره، فإنه لم يشتهر قبل تاريخه بصلاح ولا فساد، وإنما كان متوسط السيرة.

وقد اختلف الناس في أمره، فمن الناس من يقول: كان معه هيكل منيع، ومن الناس من يقول: كان يتحوط بأدعية عظيمة، ومن الناس من

= بالديباج الأحمر أو الأصفر - راجع: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٣، ماير. الملابس المملوكية ص ٧٣ - ٧٤.

(١) في «أ»: «سهماً واحداً».

يقول: كـان ساحراً. وفي الجملة، كان أمره من الغرائب.

وقد سألته عن ذلك فقال لي: والله لم يكن معي شيء، غير أني معتقد أنني لن يصيبني إلاّ ما كتب عليّ. وهو صادق في مقالته، فإنه كان قبل ذلك كثير التردد إليّ، ولا أعلم عليه إلاّ خيراً.

وفي يوم الأربعاء عاشره، أشيع في القاهرة بإثارة فتنة بسبب النفقة، وبلغ السلطان أن المماليك السلطانية تقول: ما نأخذ إلاّ مائتي دينـار، فنودي بـالقاهـرة: إن العرض يوم السبت والنفقة يوم الاثنين، وإن أحداً من المماليك السلطانية وغيرهم لا يعدى من الربيع بفرس إلى القاهرة.

وفيه ـ أيضاً ـ حمل جماعة من المقبوض عليهم إلى ثغر الإسكندرية في وقت الظهر على البغال في القيود على العادة، وهم:

الأمير تنم أمير سلاح، والأمير قاني باي الجاركسي أمير آخور، والأمير تمربغا الظاهري جقمق الدوادار، والأمير لاجين الظاهري جقمق شاد الشراب خاناه، والأمير أزبك من ططخ الظاهري جقمق الخازندار، والأمير سنقر الظاهري جقمق الأمير آخور الثاني، والأمير جانم الساقي الظاهري جقمق رأس نوبة، والأمير سودون من سلطان الظاهري جقمق رأس نوبة، والأمير جانبك الظاهري البواب ـ وكلاهما تأمر في الدولة المنصورية.

وسافروا من يومهم.

وفي يوم الخميس حادي عشره، تغيّر ما كان قرره السلطان الملك الأشرف
[٢٥٦] إينال من وظائف // الأمراء، وهو أنه بلغه تغير خاطر المماليك السلطانية بسبب توليته لولده المقام الشهابي أحمد لأتابكية العساكر، فأخلع على الأمير تنبك المستقر قبل ذلك في إمرة سلاح بأتابكية العساكر عوضاً عن ولده، واستمر ولده على إقطاع إمرة مائة وتقدمة ألف على عادة أولاد الملوك الذين كانوا قبله، وسكن بالحوش السلطاني تجاه الدهيشة في بيت الملك المنصور عثمان.

وخلع على الأمير خشقدم المؤيدي حاجب الحجاب باستقراره أمير سلاح عوضاً عن الأمير تنبك.

وأخلع على الأمير قراجا الظاهري جقمق باستقراره في حجوبية الحجاب عوضاً عن خشقدم.

وفيه ـ أيضاً ـ استقر الأمير تمراز الأشرفي المعروف بالزردكاش دواداراً ثانياً، عوضاً عن أسنباي.

واستقر الأمير جانبك من قجماس الأشرفي برسباي المعروف بدوادار سيدي شاد الشراب خاناه، عوضاً عن الأمير لاجين الظاهري.

واستقر الأمير خيربك المؤيدي الأشقر أمير آخور ثانياً، عوضاً عن سنقر الظاهري العائق.

واستقر الأمير قاني باي الناصري الأعمش نائب قلعة الجبل عوضاً عن الأمير يونس العلائي المتولي نيابة الإسكندرية قبل تاريخه.

وفيه خلع السلطان على القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر بوظيفته قديماً ـ نظر خانقاه سرياقوس ـ وعلى ولده الشهابي أحمد بمشيخة الشيوخ ـ أيضاً ـ وكلاهما عوضاً عن يار علي العجمي الطويل المحتسب.

وفيه أنعم السلطان على الأمير جانبك القرماني الظاهري برقوق بإمرة مائة وتقدمة ألف، واستقر عوضه رأس نوبة ثانياً الأمير يشبك الناصري.

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرنبغا اليونسي الناصري بإمرة مائة وتقدمة ألف أيضاً.

وفيه أنعم على الأمير برسباي البجاسي المعزول عن نيابة الإسكندرية بإمرة مائة وتقدمة ألف، عوضاً عن الأمير طوخ أمير مجلس، بحكم انتقال طوخ إلى إقطاع الأمير تنبك أمير سلاح، بعد انتقال تنبك إلى إقطاع الأمير تنم.

والتقدمتان المنعم بهما على جانبك القرماني وأرنبغا، إحداهما عن قاني باي الجاركسي والأخرى عن أسنبغا الطياري.

وفيه ـ أيضاً ـ أنعم على جماعة كثيرة بعدة إقطاعات وإمريات طبلخانات وعشرات يطول الشرح في تسميتهم، عوضاً عن الأمراء المقبوص // عليهم. [٢٥٧]

وفي يوم السبت ثالث عشره استقر البدري حسن بن حسين بن الطولوني معلم المعمارية عوضا عن يوسف شاه.

وفيه أعيد عبد الله الكاشف إلى ولاية الشرقية على عادته بعد أن التزم بعمل الجراريف بالأعمال الشرقية في هذه السنة.

وفيه أعيد أمير زاده بن حسين بك بن سالم الدوكاري إلى كشف الوجه القبلي على عادته أولاً.

وفيه استقر الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي المعروف بالظريف خازنداراً كبيراً، عوضاً عن الأمير أزبك.

وفيه استقر السيفي بردبك دوادار السلطان قديماً وزوج ابنته دواداراً ثالثاً، وأنعم عليه بالإقطاع الذي كان بيد المقام الشهابي أحمد ابن السلطان أيام إمرة أبيه، وهي إمرة عشرة.

واستقر السيفي يشبك الأشقر آستادار الصحبة، عوضاً عن سنقر الظاهري جقمق.

وفي يوم الاثنين خامس عشره ابتدأ السلطان في نفقة المماليك السلطانية، لكل مملوك مائة دينار، وسعر الدينار مائتان وثمانون درهماً فلوساً، فيكون لكل نفر ثمانية وعشرون ألف درهم فلوساً، هذه الكاملة. وأما النصف والربع فمعروف.

على أنه منع العطية من جماعة كثيرة من أولاد الناس [و] المماليك السلطانية والقرانيص، ولم يعطهم إلاّ بحكم النصف والربع وأقل من ذلك.

وفيه خلع على الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيوش المنصورة والخاص باستمراره على وظيفته.

وفيه خلع على إمامه الشيخ علاء الدين الغزي الحنفي باستقراره في نظر الأوقاف، عوضاً عن علاء الدين على ابن آقبرس، ورسم له ـ أيضاً ـ بالتكلم في إقطاع المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال، والتحدث في الجزائر التي هي برسم الخوندات، كل ذلك بعد استقراره إماماً على عادته.

وفيه ـ أيضاً ـ استقر القاضي ناصر الدين ابن أصيل موقع السلطان قديماً في نظر الزردخاناه، عوضاً عن القاضي بدر الدين ابن ظهير.

وبعد عصر هذا اليوم نودي بالقاهرة بأن جميع المماليك السلطانية تكون سواء في // أخذ النفقة، لأنه كان في أول هذا اليوم نفّق السلطان على المماليك [٢٥٨] السلطانية وعوق جماعة كثيرة منهم، مثل أولاد الناس والقرانيص وما أشبه ذلك، وصرف عليهم بعد ذلك، لكن منهم من أخذ بالكامل، ومنهم (من) أخذ بحكم النصف، ومنهم من أخذ بأقل من النصف. كل ذلك لعجز الخزانة الشريفة، فإن الملك الظاهر جقمق لم يدع في الخزانة مالاً، وكان يفرّق جميع ما كان يحصل في يده أولاً فأول قبل موته، ولم يدع في الحواصل إلاّ المفاتيح والخزنة في كل جهات المملكة، فأما خزانة الذهب فلم يدع فيها لا قليلاً ولا كثيراً، وأما الزردخاناه والشون والإسطبلات السلطانية فترك فيها ربع ما خلف[1] الملوك السالفة أو أقل.

على أنه لم يتجرد في منذ سلطنته إلى البلاد الشامية ولا أرسل تجريدة قط غير مرة واحدة، وهي نوبة [إينال] الجكمي في أول سلطنته، وجميع ما أتلفه إنما هو على النسوة والتراكمين وما أشبه ذلك.

فكل ما وقع بعد موته من الفتن والشرور واضطراب الدولة والمملكة على ولده وغيره إنما هو لقلة الأموال وفراغ الحواصل.

قلت: ولله الحمد والمنة الذي أمات[2] هذا الرجل قبل أن يطرق البلاد الشامية أحد من الخوارج، فإنه كان لا يطيق الخروج لقتاله لما ذكرناه، فكانت البلاد تعود إلى أعظم ما فعل فيها تيمورلنك ـ لعنه الله ـ من النهب والسبي والقتل، هذا إذا لم يتحرّك من مكانه، فإذا أراد الخروج لمقاتلته كان هو يفعل في الديار المصرية من المصادرات وأخذ أموال الناس ما هو أعظم من فعل الخارجي الذي يرد البلاد.

وتصديق ما قلته أنه من يوم وفاته إلى يومنا هذا عجزت الملوك عن القيام بنفقة المماليك السلطانية في هذه المدة الطويلة، بعد المصادرات والضرب والعصر

---

(١) في «أ»: «خلفت».
(٢) في «ب»: «مات».

والسلف والتوزعة على أعيان المباشرين؛ كل ذلك لنفقة واحدة، وهي أقل من أربعمائة ألف دينار، فكيف لو أرادوا النفقة على المماليك وقيام برك السلطنة من الزردخاناه والخيول والخيم وما أشبه ذلك مما يحمله معه في الخزائن السلطانية على عادة الملوك. فما ذكرناه قدر النفقة مرات عديدة، فما كان يحصل ذلك إلاّ بعد [٢٥٩] أمور // لا حاجة في ذكرها.

ولم أرد بذلك التعصب ولا الحط على الملك الظاهر، ولا يخفي ذلك على أدنى من له معقول - انتهى.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره أخلع السلطان على جماعة من الأمراء أصحاب الوظائف خلع الأنظار على العادة.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره وصل الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار - كان - إلى القاهرة من سجن الإسكندرية، وقبل الأرض بين يدي السلطان الملك الأشرف إينال (ورحّب به السلطان ووعده بكل خير، ونزل إلى داره ووجوه الناس بين يديه، وسر الناس بإطلاقه سروراً زائداً ، وكانت مدة القبض عليه وذهابه وسجنه بالثغر ورجوعه سنة وثلاثين يوماً، فانظر إلى قدرة الله فيما وقع لهذا الرجل لما قبض عليه المنصور وبعثه إلى الإسكندرية - كما تقدم - كان عزم غرماؤه تأييد حبسه، فما كان بأسرع من قبض الأشرف إينال عليهم)[1]، وبعث بهم إلى الإسكندرية.

وأغرب من هذا أنه لما خرج الأمير دولات باي - هذا - من مدينة الإسكندرية عائداً إلى الديار المصرية واجه أخصامه هؤلاء الأمراء الظاهرية خارج الإسكندرية وهم بالقيود على تلك الحالة القبيحة، فمشى دولات باي عن بعد وولى وجهه عنهم ولم يظهر الشماتة بهم، بل صار يحمد الله - تعالى - على ما وقع له.

وبلغني أن بعض خدم دولات باي أراد أن يتكلم ويسمع القوم نوعاً من

---

(١) ساقط من «أ»، مضاف من «ب».

التوبيخ، ويدأ بكلمة واحدة، فمنعه دولات باي من ذلك، وقال: قد كفانا الله فيهم.

وفي ليلة الخميس ثامن عشره توفي الأمير جانبك بن عبد الله اليشبكي الزردكاش، وكان ابتداء مرضه من يوم تسلطن الملك الأشرف إينال، ودفن من الغد بتربة طيبغا الطويل بالصحراء، ومات وهو في أوائل الكهولة، وأنعم بإقطاعه على الأمير يونس العلائي الناصري نائب الإسكندرية، وأنعم بإقطاع يونس - المذكور - على الأمير قاني باي الناصري الأعمش نائب قلعة الجبل.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره أطلق السلطان الملك الأشرف إينال - زين الدين يحيى الأستادار من محبسه بالقلعة، وخلع عليه كاملية بمقلب سمور، وقيد له فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، فلبس الكاملية ونزل إلى داره وهو لا يستطيع المشي إلاّ بكلفة مما به من آثار الضرب والعصر، ونزوله على أنه يلبس الأستادارية ويقوم بمائة ألف دينار، نصفها عاجلاً ونصفها آجلاً، فيكون ما وزنه للملك المنصور في أيام مصادرته وما وزنه // الآن جملته مائتا ألف دينار [٢٦٠، وخمسون ألف دينار.

وعزل الأمير جانبك الظاهري جقمق عن الأستادارية، ورسم له بالتوجه إلى بندر جدة على عادته .

وفي يوم السبت العشرين منه استقر نوكار الحاجب الثاني زردكاشاً بعد وفاة جانبك اليشبكي، واستقر عوضه الأمير سمام الحسيني حاجباً ثانياً، وكان سمام قد استقر بالأمس من جملة رءوس النوب.

وفيه استقّر جماعة ممن تأمر في هذه الدولة رءوس نوب، وجماعة أخر من الخاصكية أرباب وظائف، حتى وصلت عدة الدوادارية إلى عشرة نفر، وكانوا قبل ذلك خمسة، والسقاة الخاص إلى عشرة وكانوا قبل ذلك ستة، والبجمقدارية - كذلك - واقتحمت الأنذال والأوباش على الرياسة، وأخذ الإقطاعات الهائلة، وصار الواحد منهم لا يقنع إلاّ بعدة إقطاعات، وكان قبل ذلك يود عشر ما ناله الآن، على عادة تقلبات الدول.

كل ذلك والملك الأشرف يعطي كـلاً منهم ما سـأل، ويترضـاهم بكل مـا أمكن، حتى ترسخ قدمه في الملك ويستفحل أمره.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه قبض السلطان الملك الأشرف على نيف وثلاثين مملوكاً من المماليك الظاهرية جقمق الخاصكية، وحبس الجميع بالبرج من القلعة.

وكان السلطان قبل تاريخه قد نفى جماعة أخر من الأمراء الظاهـرية والخاصكية، منهم: الأمير سنقر آستادار الصحبة، والأمير شاهين الفقيه، تـوجها إلى القدس الشريف في يوم الاثنين خامس عشره، ثم بعدهما في يوم الثلاثاء سادس عشره توجه سَنْطَبَاي رأس نوبة الجمدارية، ويشبك الظاهري الذي كان تأمر في أمسه، ويشبك الساقي، توجهوا إلى طرابلس، وبعدهم جماعـة أخر، ثم قبض على هؤلاء المذكورين.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه لبس زين الدين الأستادار خلعة الآستادارية، وأعيد إلى وظيفته بغير سعي منه، وفي الظن أنه يعود إلى ما كان عليه، فجاء بخلاف ما كان في الظن، وباشر على عادته.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه لبس الأمير بردبك صهر السلطان والدوادار الثالث نظر القرافة، عوضاً عن يوسف شاه العلمي.

[٢٦١] وفيه وصل إلى القاهرة من ثغر دمياط // الأمير برسباي المؤيدي الإينالي الأمير آخور الثاني ـ كان ـ والأمير يلباي الإينالي المؤيدي أحد أمراء العشرينات ورأس نوبة ـ كـان ـ وكان إقـامتهما بـالثغر يـوماً واحـداً، وجاءهمـا الطلب من السلطان وطلعـا إلى القلعة، وقبـلا الأرض بين يدي السلطان فـوعدهمـا بكل خير، ونزلا إلى دورهما.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه وصل إلى القاهرة من القدس الشريف الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش أحد أمراء العشرات ـ كان ـ ورأس نوبة، وكان له نحو الثلاث سنين مقيماً بالقدس من يوم نفاه الملك الظاهر جقمق، فرحـب السلطان به ـ أيضاً ـ ووعده بالنظر في حاله.

وفيه استقر خير بك القصروي والي القاهرة شاد الدواوين.

وخير بك هذا كان قبل توليته ولاية القاهرة من أصاغر المماليك السلطانية الأوباش.

وفي يوم الأحد ثامن عشرينه أخرج الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق من محبسه بالقاعة الموسومة بالبحرة بالحوش من قلعة الجبل على فرس بوز مقيداً من غير أن يركب أحد من الأوجاقية خلفه على عادة الأمراء، وأنزلوه من باب القرافة، ومضوا به على المجراة من القرافة الكبرى إلى مصر القديمة إلى أن أوصلوه إلى بحر النيل، وأنزلوه إلى المركب، وسافر من وقته، ومسفره الأمير خير بك المؤيدي الأشقر الأمير آخور الثاني. وهذا شيء لم يعهد مثله من أن سلطان الديار المصرية ينزل على هذه الصورة في وسط النهار والعسكر من الأمراء والخاصكية حوله بالرماح والسيوف وآلات الحرب، والعامة تزدحم على الفرجة عليه، فكان في هذه الكائنة عبرة لمن يعتبر؛ لأنه بالأمس كان سلطان الديار المصرية والمتصرف في الممالك والرعية كيف شاء، وإليه الأمر والنهي، والأمراء والجند والناس بأجمعهم له طائعون ولأمره سامعون، وهو الآن صار في أيديهم كالأسير، وليس له من الحكم لا ما قل ولا ما كثر، حتى ولا على نفسه.

قلت: لا جرم، أن الله - تعالى - عامله من جنس فعل والده الملك الظاهر جقمق بالملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباي.

وقد ورد في الإسرائيليات أن الله - تعالى - قال لنبيه داود عليه السلام: «يا داود، أنا الرب الودود، أعامل الأباء بما صنع الجدود». انتهى.

وفي الثلاثاء سلخه ظهر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري الدوادار الثاني - كان - بأمان، فتكلم فيه بعض الأمراء ليتوجه إلى القدس // الشريف بطالاً، [٢٦٢] فرسم له بذلك على أنه يقيم بالقاهرة أياماً ليتجهز بها ثم يسافر.

شهر ربيع الآخر

أوله الأربعاء.

في عصره وصل الأمير جانم - قريب الملك الأشرف برسباي - من محبسه

بقلعة صفد إلى القاهرة، ونزل بتربة الملك الأشرف برسباي بالصحراء خارج القاهرة، وأصبح يوم الخميس من الغد طلع إلى السلطان وقبل الأرض بين يديه، فرحب به السلطان وخلع عليه كاملية بمقلب سمور، ووعده بكل خير، وأنزله عند مملوكه وصهره الأمير بردبك الدوادار الثالث ببيت الأمير منجك اليوسفي الذي جدده الأمير تمربغا الدوادار الظاهري جقمق.

وفي ليلة الأحد خامسه سافر الأمير أسنباي الجمالي الظاهري الدوادار الثاني - كان - إلى القدس الشريف.

وفي ليلة الاثنين سادسه توفي الأمير سمام الحسني الظاهري برقوق الحاجب الثاني وأحد أمراء العشرات، ودفن من الغد، وأنعم بإمرته على الأمير جانبك الإينالي الأشرفي برسباي القادم من طرابلس في أمسه - المعروف بقلقز[1]، أعني: بلا أذن - وأنعم بوظيفة الحجوبية الثانية على الأمير بتخاص العثماني الظاهري برقوق.

وفي يوم الاثنين - المذكور - تمت نفقة السلطان على المماليك السلطانية بعد أن ظهر في تفرقتها من العجز ما يستحيا من ذكره من وجوه عديدة.

منها أنها فرقت في أيام كثيرة، فكانت تفرّق في كل (يوم) موكب ثلاث طبقات، لا غير، ثم صارت تفرَّق في كل يوم موكب طبقة واحدة.

ومنها أنها فرقت على ضروب، فأعلى من أخذ من المماليك السلطانية أخذ ثمانية وعشرين ألف درهم، وأدنى من أخذ أخذ ألف درهم، فكان يقع في كل يوم تفرقة أمور شنيعة ممن تعطى له النفقة الناقصة عن أعلى ما ذكر، فكان منهم من يستغيث ويرمي بها ويفحش في اللفظ حتى يأخذ بالكامل، ومنهم من يتركها ويمضي حتى يترضوه، ومنهم من يفعل أعظم من ذلك ويأخذ بالناقص.

وبالجملة كانت هذه التفرقة نوعاً من أنواع العجز الذي ظهر بالديار المصرية.

---

(١) في «أ»: «بلقسز».

وفيه رسم السلطان الملك الأشرف إينال بدوران المحمل[١] في شهر رجب، ولعب الرماحة على عادة من تقدمه من الملوك في السنين الماضية. وكان ذلك بطل من نحو العشر سنين، وعينّ معلم // المحمل الأمير جانبك من أمير [٢٦٣] الأشرفي الخازندار، وذلك بعد أن عينّ السلطان جماعة من أمراء الألوف، فاعترف الجميع بعدم معرفة هذا الفن، فترشح مؤلفه للمعلمية، ورضي كل من الباشات بذلك، فدخل جانبك ـ المذكور ـ وسأل في أن يكون معلماً للمحمل فأجابه السلطان لذلك ـ وقد تقدم أن السلطان يداري الجماعة بكل ما يمكنه ـ فرسم له بذلك، وفي النفس من ذلك ما فيها.

وعين باشات أربعة، وهو الأمير جانبك الأشرفي المعروف بقلقسز ـ المقدم ذكره في أخذ الإمرة عن سمام الحسني ـ والأمير قانصوه المحمدي الساقي الأشرفي أحد أمراء العشرات، والأمير جانم الساقي ـ أيضاً ـ والأمير كسباي الششماني المؤيدي أحد أمراء العشرات ـ أيضاً.

وكان لدوران المحمل سنين عديدة لم يعمل من منذ أبطله الملك الظاهر جقمق، وسر الناس بعمله.

وفي يوم الثلاثاء سابعه استقر الأمير خيربك المؤيدي الأجرود أتابك دمشق ـ كان ـ والقادم إلى القاهرة قبل تاريخه في نيابة طرسوس بعد تمنع زائد.

وفيه أمسك السلطان جماعة من المماليك الظاهرية جقمق، وقد تداول قبضه عليهم قبل تاريخه.

وفيه استقر الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق كاشف الوجه القبلي من البهنساوية بعد أن كان السلطان الملك الأشرف قد لهج بخروج إقطاعه وإمرته.

وفيه خلع على السيفي أزبك التمرازي بشد خانقاه سرياقوس، وهذا شيء بخلاف العادة، ولم يعهد إلاّ أن السلطان يولي مشيختها ونظرها لا غير، فتجدد ذلك ولم يتم.

---

(١) راجع بشأن عادتهم في ذلك تفصيلاً: القلقشندي. صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٧ ـ ٥٨.

وفي يوم الأربعاء ثامنه وصل مسفر الملك المنصور عثمان من الإسكندرية وهو الأمير خيربك الأشقر المؤيدي الأمير آخور الثاني.

وفيه استعفى الأمير خيربك المؤيدي الأجرود من نيابة طرسوس فأعفى.

وفيه رسم للأمير جانم الأشرفي الأمير آخور الكبير - كان - بنيابة طرابلس فلم يقبل، فرسم بإقامته بالقاهرة إلى أن ينحل له إقطاع يليق به بالديار المصرية.

وفي يوم الخميس تاسعه أعيد إلى الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص التكلم في الذخيرة على عادته.

وفي يوم الجمعة عاشره ويوافقه - خامس عشرين برمودة - لبس السلطان الملك الأشرف إينال القماش الأبيض المعتد للصيف على عادة // الملوك. [٢٦٤]

وفيه أطلق السلطان جميع المماليك الظاهرية المقبوض عليهم قبل تاريخه إلى حال سبيلهم، بعد أن حبس جماعة منهم بالبرج بقلعة الجبل نحو العشرين يوماً.

وفي يوم السبت حادي عشره استقر الأمير تمراز الأشرفي برسباي الدوادار الثاني ناظر خانقاه سرياقوس، عوضاً عن القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف، بعد أمور وقعت بين محب الدين - المذكور - وبين يرعلى الخراساني محتسب القاهرة.

وفي يوم الأحد ثاني عشره عيّن السلطان جماعة كبيرة من المماليك الظاهرية جقمق لحفظ الثغور، فعيّن منهم مائة نفر إلى حفظ ثغر رشيد، وعيّن خمسين إلى ثغر دمياط، وجعل على كل طائفة أميراً من أمراء العشرات.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره استقر قراجا القصروي نائب كختا.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره نودي بالقاهرة بخروج المماليك البطالة إلى الأقطار، وتكرر النداء بذلك، وهدد من تخلّف عن الخروج.

وسبب ذلك أن السلطان لما وثب على الملك المنصور طلب المماليك

البطالة وندبهم للقتال معه، وصار يكتب من ينضم إليه منهم، ووعد أكثرهم بأنه يجعله من جملة المماليك السلطانية إذا صار الأمر له، ووعد جماعة منهم - أيضاً - بنفقة ينفقها عليهمْ ، فلما تسلطن أبعدهم ولم يوف لهم بما وعدهم، فصاروا يقفون له ويطلبون منه إنجاز ما وعدهم به، وألحوا في ذلك، فلم يجد بداً من أنه ينفيهم خوفاً من وثوبهم ووقوع فتنة، فاشتغلوا عند المناداة بأنفسهم وسكتوا عن الطلب.

على أنه أرجف في اليوم - المذكور - بوقوع فتنة، وطلب السلطان الخليفة وأقاربه إلى عنده، فطلع من ساعته، وأقام بقلعة الجبل بالبحرة من الحوش السلطاني، وكثر الكلام بسبب ذلك، وترقب الناس وقوع فتنة من الغد، ولا يعلم أحد من القائم بذلك، فأصبح الناس في أمن وانفض الموكب على خير وسلامة.

وفيه - أعني يوم الخميس سادس عشره - استقر القاضي ناصر الدين محمد ابن المخلطة - أحد نواب الحكم المالكية، وأحد أخصاء الملك الأشرف إينال - قديماً - في نظر البيمارستان المنصوري، عوضاً عن شرف الدين موسى التتائي الأنصاري.

وفيه فرّق السلطان النفقة على الأمراء مقدمي الألوف، فأرسل إلى الأمير الكبير تنبك البردبكي الظاهري برقوق بأربعة آلاف دينار، ولمن دونه من أمراء الألوف بثلاثة آلاف دينار، ولمن تجدد // منهم بألفي دينار. [٢٦٥]

وفي يوم الجمعة سابع عشره نزل الخليفة القائم بأمر الله حمزة من القلعة إلى داره بعد أن خلع السلطان عليه كاملية بمقلب سمور، وبعث إليه بأربعين رأساً من السكر المكرر.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه عقد السلطان عقد ابنه المقام الشهابي أحمد على ابنة الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير - كان - بجامع القلعة.

وفي يوم السبت خامس عشرينه خلع على شرف الدين موسى التتائي الأنصاري خلعة الاستمرار بوظائفه: الجوالي ووكالة بيت المال وغيرهما.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه وسط السلطان ثلاثة أنفار بعد أن رسم بتسميرهم على الجمال، منهم بلبان الزيني عبد الباسط ورفيقاه.

وسبب توسيطهم أن بلبان ـ المذكور ـ كان يطلب المرأة الجميلة من الخواطىء إلى عنده ويفعل فيها ثم يقتلها ويأخذ ما عليها، ويساعده على ذلك رفيقاه ـ المذكوران ـ حتى هتكهم الله ـ تعالى ـ وكشف سريرتهم، وظفر بهم.

وفي يوم الخميس سلخه خلع السلطان على السيد تاج الدين عبد الوهاب باستقراره قاضي قضاة الشافعية بحلب، عوضاً عن القاضي شهاب الدين أحمد ابن الزهري.

وفيه ـ أيضاً ـ استقر القاضي نور الدين علي بن مفلح قاضي قضاة الحنابلة بدمشق، عوضاً عن ابن عمه برهان الدين إبراهيم بن مفلح.

وفيه أنعم السلطان على الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش بإقطاع عبد الله الكاشف، والإقطاع ـ المذكور ـ إمرة عشرة.

وفيه قبض السلطان على شخص من المماليك الأشرفية برسباي يسمى قجماس وحبسه بالبرج على أنه يعاقبه من الغد، وسببه أنه أراد إثارة فتنة.

جمادى الأولى

أوله الجمعة.

في عصره قبض السلطان الملك الأشرف على الأمير قراجا الظاهري جقمق حاجب الحجاب، وحبسه بالبحرة من الحوش السلطاني بقلعة الجبل من غير ذنب ولا سبب، وما هو إلّا أن جماعة الأشرفية صارت توغر خاطر السلطان على المماليك الظاهرية وتخوفه منهم طمعاً في أرزاقهم وإقطاعاتهم، ولا زالوا به في حق قراجا ـ هذا ـ حتى وافقهم وقبض عليه وحبسه بالبحرة كما ذكرنا إلى ما سيأتي ذكره من توجهه إلى القدس ـ الشريف ـ بطالاً.

// وقراجا - المذكور - من خيار الأمراء ديناً وعقلاً وكرماً وحشمة وصيانة [٢٦٦] وعفة عن القاذورات والمنكرات والفروج، لم يكن في أبناء جنسه مثله.

وفي يوم السبت ثانيه أنعم السلطان بإقطاع الأمير قراجا - المذكور - على الأمير جانم قريب الملك الأشرف برسباي، واستقر الأمير جانبك القرماني في حجوبية الحجاب، عوضاً عن الأمير قراجا المذكور.

وفيه عاقب السلطان قجماس المقبوض عليه قبل تاريخه ليقر على من هو القائم بهذا الأمر فلم يقر على أحد.

وفيه قيد الأمير قراجا ورسم بتوجهه إلى ثغر الإسكندرية ليسجن بها، ثم تكلم فيه، وفك قيده من يومه، واعتذر السلطان بنحو ما ذكرناه من أن ذلك فعل بغير إرادته، ورسم بتوجهه إلى القدس - الشريف - بطالاً، فسافر في يوم الاثنين رابعه.

وفي يوم الثلاثاء خامسه قريء تقليد السلطان الملك الأشرف إينال بالقصر السلطاني من القلعة، وحضره الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة، والقضاة والأعيان، وجلس السلطان على الأرض من غير كرسي، وإلى جنبه الأيمن الخليفة - المذكور - ثم القضاة على منازلهم، وقرأه القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر الشريف، فشكر الناس جلوس السلطان من غير كرسي؛ لأن الخليفة القائم بأمر الله - المذكور - يوم خلع الملك المنصور عثمان عد من ذنوبه أنه جلس على كرسي يوم قريء تقليده، وبقي الخليفة تحت رجليه بجانب الكرسي.

قلت: وكذا كان فعل والده الملك الظاهر جقمق مع الخليفة المعتضد بالله أبي الفتح داود يوم قريء تقليده أيضاً.

ولعل ذلك عادة الملوك السالفة، والله أعلم، فإن (الملك) الظاهر جقمق كان عنده تواضع مع العلماء والفقهاء، فكيف الخلفاء!؟

ثم أن الملك الأشرف بعد القراءة خلع على الخليفة وغيره، وانفض المجلس.

وفي ليلة الجمعة سابعه توفي قاضي القضاة بدر الدين، محمد ابن الشيخ ناصر الدين محمد ابن العلامة شرف الدين عبد المنعم البغدادي الحنبلي، ودفن من الغد، وكانت جنازته مشهودة، رحمه الله. وسيأتي ذكره في آخر السنة إن شاء الله - تعالى - مع من يذكر ممن توفي فيها.

وفي يوم الخميس - المذكور - رسم السلطان بعود الأمير قيزطوغان العلائي [٢٦٧] الأستادار - كان - إلى دمشق، ورسم - أيضاً - بعود الأمير غرس // الدين خليل من شاهين الشيخي أحد مقدمي الألوف بدمشق، وكان جاوز قطيا.

وفي يوم الجمعة ثامنه عقد عقد الأمير يونس الأقبائي الدوادار الكبير على بنت السلطان الملك الأشرف إينال بجامع القلعة، بحضرة السلطان.

وفي يوم السبت تاسعه استقر الشيخ العلامة القاضي عز الدين أحمد، قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية بعد موت قاضي القضاة بدر الدين ابن عبد المنعم - رحمه الله.

وفيه رسم السلطان بأن يحط عن البلاد بالوجه القبلي والبحري ربع ما كان يطرح عليهم في الأيام الظاهرية جقمق من النطرون، فسرّ الناس بذلك وتباشروا بإزالة المظالم.

وفي يوم الأحد سابع عشره ورد الخبر على السلطان من الوجه القبلي بقتل الأميرين: الأمير تغري بردي القلاوي الظاهري جقمق كاشف البهنساوية، والأمير سونجبغا اليونسي الناصري فرج أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة، وأمرهما من الغرائب، وهو أن السلطان لما ندب الأمير سونجبغا لمسك الأمير تغري بردي - المذكور - وخرج من القاهرة حتى وصل إلى قرية قمن لاقاه الأمير تغري بردي - المذكور - بالقرب منها وقد علم بما جاء سونجبغا بسببه، فأذعن بالطاعة وتقدّم وسلم عليه، فلما حاذاه قبض عليه سونجبغا وقال له: معي مرسوم شريف بالقبض عليك، ووضع الجنزير في عنقك. فقال تغري بردي: السمع والطاعة، ولا يحتاج لذلك. فقال سونجبغا - لحظ نفس كان بينهما قديماً: لا بد من ذلك. فنادى تغري بردي رفقته: الجيرة. فحطموا على سونجبغا

ورفقته، وكانوا في كثرة ورفقة سونجبغا في قلة، ووقع القتال، فأصاب سونجبغا سهم في رقبته فيسقط منه عن فرسه إلى الأرض مغشياً عليه، ثم أفاق فتكلّم كلمة واحدة، ثم قضى نحبه. فلما رأى رفقة سونجبغا ذلك انتدب بعضهم وضرب تغري بردي بالسيف ضربات إلى أن طارت يده ثم مات.

ووقع القتال بين الطائفتين إلى أن انهزم أعوان سونجبغا، وأخذهم ولده وعاد نحو القاهرة، وترك والده سونجبغا ميتاً على الأرض، وكذلك القلاوي.

وقيل غير ذلك. وقد اضطربت الروايات في هذا الخبر لاختلاف أغراض الطائفتين، وأيضاً لضعف الرواة، فإن غالب من كان هناك غير ثقة.
والصحيح أنهما قتلا في ساعة / / واحدة. [٢٦٨]

وفي يوم الاثنين استقر الطواشي لؤلؤ الأشرفي الرومي مقدم المماليك السلطانية بعد عزل الأمير مرجان العادلي المحمودي الحبشي.

وفيه استقر الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي الخازندار أمير حاج المحمل بعد موت سونجبغا.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره رد السلطان إقطاع الأمير يلباي الإينالي المؤيدي بعد موت سونجبغا؛ لأن سونجبغا كان أخذه في الدولة المنصورية عثمان لما قبض على يلباي ـ المذكور ـ وحبس بثغر الإسكندرية حسب ما تقدم.

وفي يوم الأربعاء العشرين منه وصلت رمة الأمير سونجبغا إلى القاهرة، ودفنت بالقرافة بالقرب من قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه نودي بالقاهرة على الدينار الذهب الأشرفي بأن يكون سعره مائتين وخمسة وثمانين درهماً، وكان الدينار ـ المذكور ـ قد مشى بين الناس من مدة أشهر وتعاطوه بثلاثمائة درهم وثلاثين درهماً، فشق ذلك على الناس إلى الغاية.

ونودي ـ أيضاً ـ بعدم المعاملة بالدينار المنصوري الذي زنته درهم واحد،

وكان هذا الدينار قد ضربه الملك المنصور عثمان في أيام سلطنته، وجعله بمائتين وتسعين درهماً.

وفيه أنعم السلطان علي الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي. الأمير آخور الثاني - كان - بإقطاع تغري بردي القلاوي.

وأنعم على الأمير سودون الإينالي المؤيدي - المعروف بقراقاش - بإقطاع عبد الله الكاشف، وكان قد وعد به قبل تاريخه كما تقدم ذكره.

وأنعم على الأمير تنم الحسني الأشرفي بإقطاع برسباي الساقي، وعلى الأمير قلمطاي الإسحاقي الأشرفي برسباي بإقطاع يلبغا الجاركسي بحكم عجزه. لكل واحد إمرة عشرة.

وكان إقطاع يلبغا - هذا - قد وعد به الأمير يلباي - قبل تاريخه - فلما رد إلى يلباي إقطاعه أنعم السلطان بإقطاع يلبغا على تنم وقلمطاي المذكورين.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه وصلت رمة الأمير تغري بردي القلاوي إلى القاهرة ودفنت - أيضاً - بالقرافة.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه أنعم السلطان علي السيفي ازبك المؤيدي الخاصكي، وعلى السيفي أزبك البواب الأشرفي برسباي بإمرة عشرة لكل واحد منهما إمرة خمسة.

[٢٦٩] وكان هذا الإقطاع // - أيضاً - من جملة ما بيد سونجبغا من الإقطاعات.

وفيه استقر قراجا العمري أحد أمراء العشرات ورأس نوبة كاشف إقليم البهنساوية عوضاً عن تغري بردي القلاوي.

وفيه استقر الأمير يلباي والأمير سودون قراقاش كل منهما رأس نوبة.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه نودي على الدينار الذهب بأن يكون سعره على عادته (بـ) ثلاثمائة وعشرين درهماً.

وفيه استقر الأمير تنم والأمير قلمطاي كل منهما رأس نوبة من جملة رءوس النوب.

وفيه كتب مرسوم شريف بعود محب الدين ابن الشحنة إلى حلب بعد أن قارب قطيا أو تجاوزها على أقبح وجه.

وفي يوم الجمعة تاسع عشرينه كان الفراغ من مدرسة الرئيس سعد الدين إبراهيم بن الجيعان التي أنشأها بخط بولاق على شاطىء النيل بين قاعة الحجازية والبرابخية، وأقيم بها الخطبة، وصلى فيها الجمعة، وحضر فيها جماعة من أعيان الدولة.

جمادى الآخرة

أوله السبت.

فيه توفي الأمير دولات باي المحمودي المؤيدي الدوادار الكبير ـ كان ـ وأحد مقدمي الألوف الآن، ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة.

قلت: لا مفر من الموت، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، وهو أنه لما قبض عليه الملك المنصور عثمان وحبسه بثغر الإسكندرية وقد قصد حاشية المنصور أخذ روحه، فلم يلبث في السجن غير أحد وثلاثين يوماً وخلصه الله على يد الملك الأشرف إينال، وأنعم عليه الأشرف ـ المذكور ـ بإمرة مائة وتقدمة ألف بعد موت الأمير أرنبغا اليونسي، فلم تطل مدته ومرض ولزم الفراش حتى توفي، فكانت مدة أيامه بعد الإفراج عنه تقارب مدة أيام حبسه، فإنه قبض عليه يوم الخميس سابع عشر صفر، وقدم القاهرة في يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول، يأتي ذلك كله في هذا الكتاب مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وفي يوم الاثنين ثالثه أنعم السلطان بإقطاع دولات باي الدوادار على الأمير خيربك المؤيدي أتابك دمشق ـ كان ـ وهو إمرة مائة وتقدمة ألف، بعد أن أخرج السلطان ما كان في الإقطاع من الزيادات، فأنعم بقرية منبابة تجاه بولاق // على الخليفة، وقرية أخرى بالوجه القبلي على الأمير جانبك الظاهري [٢٧٠] جقمق شاد بندر جدة.

وفي يوم الأربعاء خامسه ورد الخبر بموت الأمير قانصوه النوروزي أحد

مقدمي الألوف بدمشق، وأنعم بإمرته على الأمير قانبك المحمودي المؤيدي أحد الأمراء البطالة بدمشق.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره عيّن السلطان تجريدة إلى البحيرة نحو ثلاثمائة مملوك من المماليك السلطانية، وعليهم الأمير طوخ من تمراز الناصري أمير مجلس.

وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة - أعني الماء القديم والذي أضيف إليه من زيادة هذه السنة - ثمانية أذرع وخمسة أصابع.

وفي يوم الجمعة رابع عشره وصل إلى القاهرة القاضي محب الـدين محمد بن الشحنة بعدما كان رسم السلطان بعوده إلى حلب ثانياً، فلما بلغه ذلك أرسل وعد السلطان بمال كثير، فرسم له بـالقدوم فقـدم في اليوم - المـذكور - وحمل إلى الخزانة الشريفة نحو العشرة آلاف دينار - على ما قيل - وطولب بأكثر من ذلك، وهو الآن في شغل بنفسه بسبب ما طولب به.

قلت: وهذا دأب هذا الشقي؛ فإنه لم يزل يحمل ذمته ويحمل إلى أرباب الدولة الأموال الكثيرة والتحف حتى يبلغ مقاصده السيئة في أذى المسلمين، على أنه لم يزل في ذل وصغار وبهدلة وتراسيم، بل ربما أهين بالضرب والحبس في بعض الأحيان، وهو مع ذلك لا يزداد إلّا حرصاً في السعي والتردد إلى الأكابر.

وقد ذكرنا من حاله شيئاً كثيراً مفصلاً في وقته، على أننا سكتنا عن الأكثر؛ وذلك لما فيه من الشناعة، من كونه متخلق بأخلاق الفقهاء، بل قاضي الشريعة ومن أعيان فقهاء الحنفية، ومن بيت علم وفضل.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه سافر الأمير طوخ بمن معه من المماليك السلطانية إلى البحيرة.

شهر رجب

أوله الأحد.

فيه رخصت الأسعار حتى أبيع الإردب القمح بمائة وأربعين درهماً إلى ما دونها، والفول بتسعين درهماً الإردب إلى ما دونها، والشعير كذلك، وانحط سعر

سائر الحبوب، وكذلك سائر المأكولات من اللحوم وغيرها، ولله الحمد.

وفي هذا الشهر لهجت الناس بوقوع فتنة، ولم يدر // أحد من القائم [٢٧١] بهذا الأمر، بل الظاهر أن جماعة من أعيان الدولة نفروا خاطر السلطان من جماعة الأشرفية حسداً لهم، ووغروا خاطره عليهم، وحذروه منهم، فانقاد لهم السلطان قليلاً في الباطن لما عنده من إلحاح الأشرفية عليه في طلب الإقطاعات والوظائف، وإدخالهم فيما لا يعنيهم، على أنه إلى الآن يعطيهم ما سألوا، ويظهر لهم المحبة والميل.

وفي يوم[1] الخميس ثاني عشره نودي بزينة القاهرة لأجل دوران المحمل، فزينت القاهرة أحسن زينة.

وفي يوم الجمعة ثالث عشره عقد عقد الأمير جانبك الأشرفي الخازندار على بنت الملك الظاهر جقمق بحضرة السلطان الملك الأشرف إينال.

وفي يوم الاثنين سادس عشره دار المحمل بالقاهرة، ولعبت الرماحة بالرملة بين يدي السلطان على عادة السنين الماضية، وكان محملاً بهيجاً إلى الغاية، وسر الناس بعمله سروراً زائداً، وتغالوا في اكتراء البيوت والحوانيت والأسطحة مغالاة كبيرة.

ومما وقع فيه من اللطائف أنهم لما زينوا القاهرة وشرعت عفاريت المحمل تضحك الناس على العادة ـ وهم جماعة من الأجناد وغيرهم يغيرون صفاتهم بهيئة مزعجة مهولة إلى الغاية، ويركبون خيولاً بالقلاقل والأجراس والشراشح، ويعتبون على العوام ـ فلما كان يوم المحمل خرج شخص من التجار المشارقة يسمى سليمان على فرس له، وقصد جهة من الجهات، فلما صار في وسط الحلقة قصده عفريت وطعنه برمحه حتى رماه عن فرسه بعد أمور وقعت بينهما، فضحك الناس من ذلك، فقال في هذا المعنى شخص من الفضلاء يسمى الشيخ حسن ابن الشيخ إبراهيم التلوي الحصني بيتين، وأنشدنيهما من لفظه:

أرى كل شيء يستحيل بضده ... ولم أر شيئاً في الزمان كما كانا
سليمان كم أرمى العفاريت في بلا ... وعفريت هذا الدهر أرمى سليمانا
(الطويل)

---

(1) «يوم» مكررة في الأصل.

وفي يوم الخميس تاسع عشره لبس محب الدين ابن الشحنة خلعة الاستمرار بقضاء حلب.

وفيه ندب السلطان الأمير قانم الأشرفي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بنقل الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية منها إلى حبوس البلاد الشامية، ما خلا الأمير تنم أمير سلاح والأمير قاني باي الجاركسي أمير / / آخور، وهم: [٢٧٢]

الأمير تمربغا الدوادار، والأمير لاجين شاد الشراب خاناه، والأمير أزبك الخازندار، والأمير سنقر الأمير آخور الثاني، والأمير جانم الساقي رأس نوبة، والأمير قراجانبك نائب الإسكندرية، والأمير سودون رأس نوبة، والأمير جانبك البواب، والجميع ظاهرية جقمقية.

وفي هذا اليوم استقر السيفي طوغان شيخ الأشرفي ناظر الحرم بمكة - المشرفة - وما معها، عوضاً عن بردبك التاجي لكثرة الشكاة عليه.

وفي يوم السبت حادي عشرينه استقر القاضي[1] الزيني أبو بكر ابن القاضي بدر الدين محمد بن مزهر في نظر الإصطبلات، عوضاً عن القاضي برهان الدين ابن الديري الحنفي.

وفي يوم الجمعة سادس عشرينه ورد الخبر بقتل الأمير قشتم المحمودي الناصري فرج كاشف البحيرة.

وأمره: أنه لما نزل عرب لبيد بالقرب من تروجة حسن إليه جماعة من عرب الطاعة أنه يتوجه إليهم ويردعهم، وكانوا لبيد في آلاف من العربان، فتوجه قشتم - المذكور - إليهم وقاتلهم بمن معه من البلاصية لا غير وعربان الطاعة، ثم انكسر وقتل هو وجماعته وجماعة من العربان، ولم ينج منهم إلا القليل.

وأما أمر الأمير طوخ أمير مجلس بمن معه من المماليك السلطانية، فإنه لم يوافق قشتم على قتال لبيد، واعتذر أنه لم يكن معه مرسوم بقتالهم، فسلم هو وجماعته، وقتل قشتم - رحمه الله.

---

(١) في «أ»: «القاضوي».

وكان قشتم ـ المذكور ـ من محاسن الدهر، يأتي ذكره في آخر هذه السنة، عند تراجم من مات فيها ـ إن شاء الله تعالى.

وفي هذه الأيام أنعم السلطان على السيفي جكم الأشرفي ـ خال الملك العزيز، الذي قدم قبل تاريخه من مكة المشرفة ـ بإقطاع بردبك التاجي المقيم بمكة؛ لسوء سيرة بردبك ـ المذكور ـ ولشكوى الناس منه، ورسم بنفي بردبك ـ المذكور ـ من مكة إلى البلاد الشامية. والإقطاع إمرة عشرة.

وفي يوم الاثنين سلخه ـ ويوافقه ثالث عشر مسرى أحد شهور القبط ـ أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، وزاد أربعة أصابع من الذراع السابع عشر، فندب السلطان الملك الأشرف إينال ولده المقام الشهابي أحمد للنزول لفتح الخليج، فركب في وقته من قلعة الجبل في وجوه // الدولة، ونزل وعدى النيل حتى خلق [٢٧٣] المقياس، ثم عاد في الحراقة وفتح خليج السد على العادة، ثم عاد إلى القلعة. وخلع عليه والده فوقاني بطرز زركش، وكان يوماً مشهوداً، وسر الناس بوفاء النيل سروراً زائداً، ولله الحمد. وما أحسن قول سبط الملك الحافظ في هذا المعنى:

لله در الخليج إنَّ له ... تفضلا لا نزال نشكره
حسبك منه بأن عادته ... يجبر من لا يزال يكسره
(المنسرح)

وفيه استقر ابن حسن بك الدوكاري في كشف الوجه البحري، عوضاً عن قشتم المذكور.

شعبان

أوله الثلاثاء.

فيه عين السلطان تجريدة إلى البحيرة نجدة للأمير طوخ لقتال لبيد، وهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية، وجماعة من الأمراء الألوف والطبلخانات والعشرات.

فأما الألوف فرأسهم الأمير خشقدم المؤيدي أمير سلاح، والأمير قرقماس الأشرفي رأس نوبة النوب، والأمير برسباي البجاسي.

وأما الطبلخانات والعشرات فجماعة يطول الشرح في تسميتهم.
وسافروا الجميع من الغد في يوم الأربعاء.

وفي يوم الخميس ثالثه لبس الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيوش المنصورة والخاص كاملية بسمور، لكونه قام بتمام جهاز بنت السلطان.

وفي يوم السبت خامسه حمل جهاز بنت السلطان الملك الأشرف إينال إلى بيت زوجها الأمير يونس الآقبائي الدوادار الكبير تجاه الكبش، وكان الجهاز - المذكور - يقارب جهاز أولاد السلاطين، ولكن أين هذا من جهاز بنت الملك الظاهر جقمق التي زوجها بمملوكه الأمير أزبك من ططخ الساقي؟! فإنه كان أكثر تحفاً وأحسن قماشاً.

وفي يوم الثلاثاء ثامنه عمل السلطان مدة بالحوش السلطاني للأمراء وغيرهم. وكان الأمير يونس عمل في أمسه يوم الاثنين مدة - أيضاً - للأمراء بحسب الوقت والحال، واستمر المهم من يوم الاثنين إلى يوم الخميس عاشره، ثم حملت بنت السلطان في محفة في آخر النهار - المذكور - إلى بيت زوجها يونس، وبنى بها في تلك الليلة.

ووقع في نزولها أمر قبيح إلى الغاية، وهو أن النسوة اللائي كن في المهم بالدور السلطاني لما خرجن في العتمة اختطف بعضهن جماعة // من المماليك [٢٧٤]
السلطانية الأجلاب الذين بالأطباق، وكثر كلام الناس في هذا السبب، وتشوش خاطر كل من كان حريمه بقلعة الجبل من أن المأخوذ يكون حريمه، فإنه لا يدري أحد من المأخوذ.

فأصبح السلطان يوم السبت أعرض مماليك الأطباق، ورسم بنزول جماعة منهم إلى القاهرة.

وفي يوم الاثنين رابع عشره رسم السلطان بكتابة مرسوم شريف إلى دمشق المحروسة بالإفراج عن أبي الخير النحاس من سجن قلعة دمشق، ورسم له بالركوب والنزول والتوجه إلى حيث شاء.

وفي يوم الخميس سابع عشره رسم السلطان بمجيء الأمراء الذين بالبحيرة بمن معهم من العساكر السلطانية، فعندما بلغهم ذلك عادوا إلى جهة القاهرة حتى وصلوها في يوم الأحد سابع عشرينه، فخلع السلطان على الأمراء الألوف كل واحد فوقاني بطرز زركش.

شهر رمضان

أوله الأربعاء، ويوافقه ثامن توت أحد شهور القبط.

فيه ركبت المماليك السلطانية بالرميلة بغير سلاح، وطلبوا من السلطان نفقة ثانية، وقالوا: تلك النفقة التي أخذناها كانت النفقة التي صرها الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق، وصمموا على ذلك، وترددت الرسل بين السلطان وبينهم، وهم: الأمير جانبك المرتد، والأمير سودون قراقاش المؤيدي رأس نوبة، وتكرر ترددهم ثلاث مرات حتى انتهى الكلام أن السلطان يرضيهم بعد ثلاثة أشهر، واعتذر لهم أنه لم يكن بالخزانة الدينار الواحد.

وفي هذا اليوم تسحب الصاحب الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهيصم لعجزه عن القيام بالكلف السلطانية، وأشيع تولية الجمالي ناظر الجيش والخاص الوزر، فصمم على عدم القبول واستعفى غير مرة.

وفي يوم السبت رابعه استقر زين الدين فرج بن ماجد بن النحال كاتب المماليك السلطانية وزيراً بعد تسحب الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم.

وفي يوم الاثنين سادسه لبس فرج ـ المذكور ـ خلعة الوزر ـ الطرحة[1] والقبع[2] الزركش والقلادة[3] والأخفاف ـ على عادة الوزراء؛ فإنه كان يوم

---

(١) الطرحة هي الطيلسان المقور ـ راجع: المقريزي: الخطط ج ١ ص ٤٤٠، دوزي. المعجم المفصل ص ٢١٢ ـ ٢١٦.

(٢) القبع، والجمع: أقباع، هو الكلوتة أو الطاقية أو العرقية ـ دوزي. المعجم المفصل ص ٢٧٩ ـ ٢٨١.

(٣) أشار المقريزي (الخطط ج ١ ص ٤٤٠) إلى أنه (لقصور أحوال الدولة ـ على وقته ـ جعل عوض العقد الجوهر الذي كان للوزير ـ ويفك بخمسة آلاف مثقال ذهباً ـ قلادة من عنبر مغشوش، يقال لها: العنبرية: ويتميز بها الوزير خاصة).

السبت لبس كاملية بمقلب سمور لا غير ، وهو أن السلطان كان عين الكاملية للصاحب أمين الدين المتسحب لتكون خلعة الاستمرار ، فلما تمَّ اختفاء الصاحب أمين الدين طلب السلطان ـ فرج المذكور / / وألبسه إياها ، ثم أخلع عليه في يوم الاثنين هذا خلعه الوزر . [٢٧٥]

وفيه استقر شخص من القبطية يسمى زين الدين عبد الرحمن من جملة كتاب المماليك في كتابة المماليك ، عوضاً عن فرج المذكور .

وفي يوم الأربعاء ثامنه ورد الخبر على السلطان بموت الأمير بيغوث من صفر خجا المؤيدي الأعرج نائب صفد، فرسم السلطان بنقل الأمير إياس الناصري فرج الطويل أتابك طرابلس إلى نيابة صفد، عوضاً عن بيغوث ـ المذكور ـ وحمل إليه التشريف والتقليد على يد الأمير خشكلدي القوامي الناصري أحد أمراء العشرات.

واستقر حطط الناصري المعزول عن نيابة غزة قديماً، وهو إذ ذاك أحد أمراء طرابلس في أتابكية طرابلس ، عوضاً عن إياس المذكور .

وأنعم بإقطاع حطط ـ المذكور ـ على جانبك المحمودي المؤيدي أحد البطالين بطرابلس، وهي إمرة عشرين .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره لبس الأمير خشكلدي القوامي خلعة السفر.

وفي عصر يوم الجمعة سابع عشره ركب الأمير جانبك من أمير الأشرفي الخازندار أمير حاج المحمل المسايرة على النجب، ودار الرملة، ثم توجه إلى جهة الصحراء خارج القاهرة، وعاد بعد عشاء الآخرة من يومه، وكانت هذه المسايرة من المحاسن التى أبطلها الملك الظاهر جقمق.

وفي يوم الاثنين عشرينه ـ ويوافقه سابع عشرين توت أحد شهور القبط ـ بلغت زيادة النيل المبارك إلى اثنين وعشرين إصبعاً من الذراع التاسع عشر ، وهو آخر زيادة النيل في هذه السنة .

وفي ليلة الأربعاء تاسع عشرينه دخل رجل من العامة إلى الجامع الأزهر من القاهرة، فمسكه المجاورون، وهم الذين برواق الريافة، وذكروا أنه أخذ لهم قبقاباً، فتكاثروا عليه وضربوه حتى مات، وألقوه على باب الجامع - المذكور - فحضر والي القاهرة خير بك القصروي لدفنه، وهرب من بالجامع من الريافة أجمعين، وطلبهم العامة للفتك بهم فلم يجدوا بالجامع أحداً منهم، وتغير خاطر الخاص والعام عليهم، وانطلقت الألسن بسبهم، وذكروا مساوئهم وما يفعلونه من القبائح. ثم عادوا بعد أيام بأمان من السلطان.

هذا، والناس في قلق زائد من الإشاعة بركوب المماليك السلطانية على السلطان في يوم عيد الفطر.

شوال

أوله الجمعة.

فيه حضر السلطان الملك الأشرف صلاة العيد // بجامع القلعة، ثم [٢٧٦] خلع على الأمراء وأرباب الوظائف على العادة في كل سنة، وانفض الموكب ولم يحصل إلا الخير والسلامة.

ثم حضر السلطان من يومه صلاة الجمعة بالجامع - المذكور - وعاد إلى الدور، ونزل كل أمير إلى بيته، وقد كثر كلام الناس في هذين الخطبتين في يوم واحد، ولهجت الألسن بالتشاؤم بهن على الملك، فسبحان علام الغيوب.

وفي يوم الاثنين حادي عشره لبس الأمير جانبك الظاهري جقمق شاد بندر جدة على عادته في السنين الماضية، عوضاً عن بردبك التاجي، ونفى بردبك التاجي إلى القدس، وهو يوم وصوله من الحجاز إلى الصحراء، فتوجه إلى القدس قبل دخوله إلى القاهرة.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره ورد الخبر بانهزام مماليك الزيني يحيى الأستادار الذين توجهوا إلى جهة قبلي لقتال عرب قتيل الخارجة عن الطاعة، بعد أن قتل من مماليك الزيني يحيى الأستادار نحو ستة أنفار.

وفي يوم الجمعة خامس عشره وصل الخبر من الشريف بركات بن حسن ابن عجلان أمير مكة يتضمن خروج القواد ذوي عمر عليه وانضمامهم على الأشراف، ورأس الأشراف أحمد بن إبراهيم بن حسن بن عجلان، وأراد الجميع نهب التجار الذين بمكة والفتك ببركات - المذكور -. وأن بركات لبس وعسكره آلة الحرب، ونزل بين جدة وحدة ليقاتل هؤلاء المذكورين ويمنعهم من مقصودهم، وطلب - أيضاً - خمسين مملوكاً من المماليك السلطانية زيادة على الخمسين التي تتوجه صحبة الحاج على العادة في كل سنة لتتمة مائة مملوك.

فلما بلغ السلطان الخبر أصبح من الغد في يوم السبت قبض على الشريفين زاهر بن أبي القاسم بن حسن بن عجلان، وابن علي بن حسن بن عجلان، وحبسهما بالبرج من القلعة، وكانا بالقاهرة.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره برز أمير حاج المحمل الأمير جانبك الخازندار إلى بركة الحجاج، وأمير حاج الركب الأول عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الأجناد الحجاب.

وفيه تسحب الزيني يحيى الأستادار ولم يعرف أين ذهب، وبلغ السلطان الخبر فأرسل طلب علي بن الحاج محمد الأهناسي آستادار ولد السلطان المقام الشهابي أحمد، وخلع عليه باستقراره استادارا عوضاً عن زين الدين المذكور.

وعلى - هذا - كان برددارا عند زين الدين الأستادار في أيام مباشرته،
[٢٧٧] ولكنه أعرف بديوان // المفرد من غيره، ونزل بالخلعة وبين يديه أعيان الدولة.

قلت: ولله در القائل:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

[الطويل]

ثم إن السلطان بعد ولاية الأهناسي الأستادارية رسم من يومه بأن يكتب إلى الأقطار والأعمال مراسيم شريفة تتضمن القبض على زين الدين - المذكور - حيث أمكنهم، والفحص عليه وتطلبه في كل مكان وجهة.

وأصبح على الأهناسي الأستادار قبض على جماعة من مماليك زين الدين الأستادار وحواشيه، وضرب دواداره جانبك وأمير آخوره فرج، وألزمهما بحمل مال له صوره، وفعل ذلك بغيرهم من مباشري الديوان في إلزام المال لا غير.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه فرق الأستادار الجامكية على العادة.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه وصل قاصد خوندكار محمد بن مراد بن عثمان متملك برصا وغيرها من بلاد الروم لتهنئة السلطان الملك الأشرف إينال بالسلطنة، وأيضاً يبشره بهذا الفتح العظيم الذي فتحه الله على مرسله محمد المذكور.

وهو انه فتح مدينة إسطنبول عنوة، وأخذها من الفرنج بعد قتال عظيم في يوم الثلاثاء، العشرين من جمادي الأولى بعد أن أقاموا في محاصرتها من يوم الجمعة سادس عشرين ربيع الأول من السنة، وقدم القاصد - المذكور - معه بأسيرين من عظماء أهل قسطنطينية - وقسطنطينية هي كنيسة اسطنبول، وهي قدر مدينة عظيمة - وشق بهم القاهرة وقد زينت القاهرة بسببهم - ولله الحمد - واستمرت الزينة بالقاهرة أياماً والطبلخاناه السلطانية تدق في صباح كل يوم، وحصل للناس قاطبة السرور الذي لا مزيد عليه.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه طلع قاصد خوندكار محمد بن مراد بن عثمان إلى القلعة بعد أن شق القاهرة ثانياً وقد زينت - وكان قد أنزله السلطان بدار زين الدين يحيى الأستادار بعد هروبه، تجاه مدرسته التي عند باب سعاده - وقد احتفل السلطان لطلوع القاصد - المذكور - وعمل الخدمة بالحوش السلطاني من القلعة من غير أن تحضر القضاة، وتمثلوا بين يدي السلطان. وقدموا ما معهم من الهدية التي أرسلها محمد بك المذكور.

وكانت على عدة أقفاص حمالين، تسعة[1] // أقفاص سمور، وتسعة وشق، وتسعة قاقم، وتسعة سنجاب، وتسعة مخمل مذهب، وتسعة مخمل ملون بلا ذهب، وتسعة شقق أطلس، ومماليك نحو من ثلاثين مملوكاً [٢٧٨]

---

(١) «تسعة»: مكررة في «أ».

فقبل السلطان الهدية ورحب به، ثم أنزل إلى محل إقامته ومعه رفقته، وهم يتفرجون في زينة القاهرة - وكانت زينة عظيمة - واستمرت الزينة أياماً كثيرة، وتغالت العوام فيها، واستمرت البشائر تدق في صباح كل يوم أياماً.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه خلع السلطان على الأستادار على الأهناسي باستقراره ملك الأمراء بالوجه القبلي والبحري، وكشف الجسور بالوجه البحري.

وفيه نودي بالقاهرة على زين الدين الأستادار وهدده من أخفاه بالشنق ووعد من أحضره بألف دينار إن كان متعمماً، وإن كان جندياً يعطي إقطاعاً

ثم أصبح في يوم الأربعاء - أيضاً - نودي بمثل ذلك في شوارع القاهرة، وأضيف إلى الأستادار الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم الذي كان تسحب قبله، ثم نودي في يوم الخميس - أيضاً - بذلك.

وفيه نودي بتقوية الزينة. وما كان يحتاج إلى هذه المناداة، فإن العامة تغالوا في ذلك، ولم يبق أحد منهم ممكناً، ولم تكن الزينة في الشارع الأعظم وحده، بل كانت في كل شارع من شوارع القاهرة، ووقع في مدة أيام هذه الزينة مفاسد عظيمة إلى الغاية ؛ من فسق وتعاطي منكرات لطول مكث الزينة في هذه الأيام.

وفي يوم الجمعة سلخه - الموافق لسادس هاتور أحد شهور القبط - لبس السلطان الملك الأشرف إينال القماش الصوف الملون، وألبس الأمراء على العادة - في كل سنة.

ذو القعدة

أوله السبت

ثبت سعر الذهب الأشرفي في الصرف ثلاثمائة وخمسة وثلاثين درهماً، وفي المعاملة ثلاثمائة وأربعون، والمنصوري بمائتين وخمسة وتسعين درهماً، وبثلاثمائة في المعاملة، وهو الدينار الذي ضربه الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر

جقمق، وزنته درهم واحد، وكانت هذه الزيادة من أواخر الشهر الماضي.

وفيه أضاف السلطان القاصد - المذكور - بالحوش من القلعة ومد له مدة هائلة، وخلع عليه كاملية مخمل أحمر بفرو سمور بمقلب سمور.

وفيه نودي بهدم زينة القاهرة.

/ / وفي يوم الاثنين ثالثه استقر القاضي محب الدين ابن الشحنة الحنفي [٢٧٩] كاتب السر الشريف بالديار المصرية، بعد عزل القاضي محب الدين ابن الأشقر على مال بذله في ذلك، وهو مبلغ عشرة آلاف دينار.

وفي يوم الثلاثاء رابعه خلع السلطان على العلائي علي بن إسكندر باستقراره والي القاهرة بعد عزل خير بك القصروي على مال بذله - أيضاً - وهو مبلغ أربعة آلاف دينار.

وعلي - هذا - هو الذي كان ولي الحسبة الكبرى بالقاهرة في الدولة الظاهرية جقمق بسفارة أبي الخير النحاس.

وفي يوم الخميس سادسه خلع علي الشيخ علي المحتسب العجمي كاملية بمقلب سمور، خلعة الاستمرار على وظيفة الحسبة.

وسبب ذلك أن شخصاً من أوباش الناس سعى في الحسبة بمبلغ ثلاثة آلاف دينار، وكان السلطان قد مال إلى توليته، فتكلم بعض أرباب الدولة في استمرار الشيخ علي - المذكور - على أن يحمل إلى الخزانة الشريفة ألفي دينار، ويكون على حاله.

وفي يوم الاثنين عاشره خلع (علي) يوسف ابن الأمير يشبك الحمزاوي بنيابة قلعة الروم.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره خلع على الأستادار خلعة كشف التراب، وخلع على الوزير - أيضاً - مثل ذلك، وخلع على ابن الشحنة خلعة الأنظار المتعلقة بكتابة السر.

وفيه استقر شخص من الكتبة يعرف بابن السكر والليمون ناظر ديوان المفرد.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره نزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة، وتوجه إلى الرماية.ومعه الأمير خشقدم أمير سلاح، والأمير برسباي البجاسي أحد مقدمي الألوف بالقاهرة،وجماعة آخر من أمراء العشرات وغيرهم ـ وهذا أول نزوله إلى الرماية ـ وعاد من الغد في يوم الخميس.

وفي يوم السبت خامس عشره استقر ناصر الدين محمد بن أصيل ـ موقع السلطان قديماً في أيام إمرته ـ في نظر الجوالي بعد عزل شرف الدين موسى التتائي الأنصاري عنها.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره خلع السلطان على القاضي محب الدين ابن الأشقر باستقراره في نظر خانقاه سرياقوس، عوضاً عن تمراز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني بحكم عزله.

[٢٨٠] وفي هذا // اليوم أمر السلطان بهدم مكان مبنى على يمين محراب زيادة جامع الحاكم، فهدم بحضرة قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، والصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص، وجماعة ـ أيضاً ـ من أعيان الدولة حتى أتوا على قطعة جيدة منها فلم يقعوا على قصدهم، فكفوا عن الهدم وعادوا أخبروا السلطان بما وقع.

وسبب ذلك أن شخصاً من العبيد البابية برحبة الأيدمري طلع إلى السلطان، وقال له: عندي ما يدل على أن بالموضع الفلاني صندوق بلور فيه أوراق تدل على خبيئة بالجامع المذكور. فسمع له السلطان وفعل ما ذكرناه بحضرة العبد ـ المذكور ـ فلم يجد إلا التعب والقالة.

وانصرف كل أحد إلى حال سبيله، وكثر ترداد الناس إلى موضع الهدم للفرجة أياماً.

وفي يوم الخميس عشرينه سافر الأمير برشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني ـ كان ـ رسولاً إلى بلاد الروم، وسافر قاصد متملك الروم بعده في يوم السبت ثاني عشرينه.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه بلغ السلطان خروج الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهصم من اختفائه، وأنه متمرض عند بعض أقاربه بالمقس، فأمنه السلطان وأمره بلزوم داره.

وفيه ورد الخبر من الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب بأخذ مدينة دوركي وقلعتها من نائبها ابن شهري، وأن نائبها - المذكور - هرب منها بعد أن حوصر عدة أيام كثيرة.

وسبب ذلك أن ابن شهري - المذكور - لما كان نائباً بدوركي داخله الطمع، فاستولى على مال للسلطان وغيره في ذلك الاضطراب في أوائل الدولة، وعصى بعد أخذ المال، فقاتله أهل دوركي أياماً كثيرة إلى أن هرب منها، وتسلمها جماعة من جهة نائب حلب، وأرسل نائب حلب يعلم السلطان بذلك.

وفي هذا اليوم أعيد منصور بن شهري إلى نيابة كركر، فإنه كان قدم قبل تاريخه بأيام بعد أن عصى أخوه نائب دوركي خوفاً من الكلام.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه مسك السلطان ير علي الخراساني محتسب القاهرة وحبسه عند الأمير فيروز النوروزي الخازندار على مال طلبه منه.

[٢٨١] وفي يوم السبت // تاسع عشرينه استقر علي ابن شهاب الدين أحمد الكاشف المعروف أبوه بابن أم حرج في حسبة القاهرة، بعد عزل الشيخ (ير) علي الخراساني - المذكور - وذلك بمال بذله نحو الثلاثة آلاف دينار.

ذو الحجة

أوله الأحد.

كان هذا الشهر والذي قبله نواقص، لأن أول شوال كان الجمعة، وأول ذي القعدة السبت، بل أرخه بعض الناس الأحد، فيكون ذو القعدة على حكم من أرخه الأحد ثمانية وعشرين يوماً - انتهى.

ففي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة خلع السلطان على الأمير جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك - أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة - بنيابة

الإسكندرية، بعد عزل الأمير يونس العلائي الناصري، ولبس خلعة السفر في يوم الخميس خامسه، وسار إلى محل نيابته.

وفي يوم الاثنين سادس عشره وصل الأمير يونس العلائي من الإسكندرية إلى القاهرة وهو مريض ،(و) لازم الفراش:

وفي هذه الأيام عزل السلطان عبد الله كاشف الشرقية، وألزمه بحمل عشرين ألف دينار، وتولى عوضه كشف الشرقية تغري بردي السيفي بخشي باي الأمير آخور الأشرفي.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه استقر الأمير خشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز، أتابك طرابلس، بعد موت الأمير حطط الناصري بمال وعد به ، وهو مبلغ أربعة آلاف دينار، ثم تغير ذلك في الوقت ، وأنعم السلطان بأتابكية طرابلس على الأمير سودون من سيد (ي) بك القرماني الناصري أحد أمراء الألوف بحلب .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه ظهر الأمير زين الدين يحيى الآستادار بأمان من السلطان في أمسه، وأصبح طلع إلى القلعة من الغد في يوم الثلاثاء ـ المذكور ـ صحبة الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص، وتمثل بين يدي السلطان وعلى رأسه فوق عمامته منديل الأمان، وعليه ملوطة طرح أو **ملوطة بيضاء[1] ، وقبل الأرض ، فخاشنه السلطان وأغلظ له في اللفظ ووبخه ، وأمره أن يسكن في بعض الدور ، ولا يجتمع بأحد البتة ، ولا يكاتب أحداً من أعيان الدولة ، ومتى وقع منه خلاف ذلك آذاه ، وأظهر السلطان عدم الالتفات إليه إلى الغاية ، ثم تأخر ونزل من القلعة كالمختفي / / من بعض أبوابها** [٢٨٢]
وحده .

وفي يوم الثلاثاء ـ هذا ـ والذي قبله والذي بعده نودي بالقاهرة على الذهب الأشرفي بأن يكون صرف كل أشرفي ثلاثمائة درهم وعشرين درهماً، وهدد من زاد على ذلك.

---

(١) الملوطة : الجبة أو اللباس الفوقاني الواسع الملبوس فوق الفرجية ـ راجع : دوزي . المعجم المفصل ص ٣٣٢ ـ ٣٣٤ .

وكان قد وصل إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً، بل إلى يوم المناداة على ذلك السعر، وأظنه يزيد عن ذلك أيضاً.

وفي يوم الجمعة سابع عشرينه صلى السلطان صلاة الجمعة، ودخل إلى الحريم، فحصل له توعك انقطع فيه إلى باكر يوم الأحد خرج إلى الدهيشة، ودقت البشائر السلطانية لذلك.

وفي هذا الشهر ورد الخبر من نائب الشام بأن الحاج العراقي نهب، وقتل غالب من فيه شخص من الخوارج يدعى شعشاع ـ المدعي أنه المهدي بنواحي العراق ـ ولم يبلغ السلطان ذلك من مبشر الحاج المصري، فإنه مرض قبل وصوله إلى الينبوع، وقدم بالبشارة بعض الهجانة الأعراب، فلم يذكر شيئاً من ذلك.

أمر النيل في هذه السنة

كانت القاعدة ـ أعني الماء القديم ـ ثمانية أذرع وخمسة أصابع، وكان مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً واثنان وعشرون إصبعاً.

* * *

ذكر (من توفي)(1) من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الشهابي أحمد ابن الأمير فخر الدين عبد الغني ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبي الفرج(2) والي قطيا في أوائل المحرم ، وهو في أوائل الكهولة ، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه .

(٢) وتوفي السلطان الملك الظاهر جقمق العلائي ، أبو سعيد الظاهري(3) ، سلطان الديار المصرية ، الرابع والثلاثون من ملوك الترك ، والعاشر من ملوك الجراكسة في ليلة الثلاثاء ثالث صفر ، وصلّى عليه من الغد بمصلاة باب القلة من قلعة الجبل ، وحضر ولده السلطان الملك المنصور عثمان الصلاة عليه ، وصلّى عليه الخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ، ودفن بتربة الأمير قاني باي الجاركسي الأمير آخور التي جددها بالقرب من دار الضيافة تجاه قلعة الجبل ، ومات وسنه زيادة على ثمانين سنة .

وكانت مدة ملكه إلى أن خلع بولده الملك المنصور عثمان أربع عشرة سنة
[٢٨٣] وعشرة أشهر ويومين؛ لأنه ولى السلطنة بعد خلع الملك العزيز// يوسف ابن

(١) ساقط من « أ »، مثبت من « ب ».

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٢، السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٠.

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ تر ٨٤٧، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٧٥ ـ ٣١٢ تر ٨٤٩ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٥٧ ـ ١٦١ ، ١٦٢، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٧١ ـ ٧٤ تر ٢٨٧، السيوطي . نظم العقيان ص ١٠٣ تر ٦٣، عبد الباسط الحنفي . نزهة الأساطين ص ١٣٤ ـ ١٣٥ تر ١١، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩٩ ـ ٣٠١، جواهر السلوك ج ١ ق ١١٨ .

الملك الأشرف برسباي في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وخلع من السلطنة بولده الملك المنصور عثمان برغبة منه إليه لشدة مرضه في يوم الخميس حادي عشرين المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة، ومات بعد أن خلع باثني عشر يوماً في التاريخ المقدم ذكره.

وكان أصله جاركسي الجنس، جلبه من بلاده خواجا كزلك إلى الديار المصرية، فاشتراه أمير علي ابن الأتابك إينال اليوسفي ورباه، وأرسله إلى الحجاز صحبة والده وأعتقه، وبقي عنده مدة حتى عرفه أخوه الأمير جاركس القاسمي المصارع وهو إذ ذاك من أعيان خاصكية الملك الظاهر برقوق، وكلم الملك الظاهر برقوق في طلب جقمق - هذا - من أستاذه أمير علي بن إينال - المذكور - فطلبه الملك الظاهر من أمير علي وأخذه منه، ولم يعلم أنه أجرى عليه العتق، وأعطاه لأخيه جاركس أنيًّا[1] في طبقة الزمام، ثم أعتقه الملك الظاهر برقوق بعد مدة يسيرة، وأنعم عليه بخيل وقماش، ثم جعله بعد أيام خاصكياً؛ كل ذلك بسفارة أخيه جاركس المصارع، واستمر على ذلك سنين إلى أن صار ساقياً في الدولة الناصرية فرج، ثم تأمر عشرة، ثم قبض عليه الملك الناصر فرج وحبسه بالقاهرة لما خرج أخوه عن الطاعة، ثم أطلقه الملك الناصر من الحبس؛ وضرب الدهر ضرباته وتسلطن الملك المؤيد شيخ (ف) أنعم عليه بإمرة عشرة ثم طبلخاناه، وجعله خازندارا بعد الأمير يونس الركني الأعور بحكم انتقال يونس إلى نيابة غزة، فاستمر على ذلك إلى أن صار بعد موت الملك المؤيد شيخ أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية[2]، ثم ولي حجوبية الحجاب في أوائل الدولة الأشرفية برسباي، ثم نقله الملك الأشرف (إلى) الأمير آخورية الكبرى في سنة ست وعشرين وثمانمائة بعد الأمير قصروة من تمراز، بحكم انتقال قصروة - المذكور - إلى نيابة طرابلس بعد (عزل)[3] الأمير إينال النوروزي وقدومه إلى القاهرة على إقطاع قصروة المذكور - كل ذلك حررناه في ترجمته في

(١) الإنى، والجمع: إنيات، لعل المراد به الزمبل الصغير في خدمة السلاطين والأمراء لأقرانه الكبار.

(٢) في هامش «أ»: «حاشية: في أيام الظاهر ططر».

(٣) مضاف من «ب»

تاريخنا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي مفصلاً باليوم والسنة ـ فاستمر جقمق ـ المذكور ـ أمير آخوراً سنين عديدة إلى أن نقل إلى إمرة سلاح ، ثم صار أتابك العساكر بعد الأمير إينال الجكمي ، بحكم انتقال الجكمي إلى نيابة حلب عوضاً
[٢٨٤] عن الأمير قرقماس الشعباني ، وقدم // قرقماس ـ المذكور ـ إلى القاهرة أمير سلاح[١] عوضاً عن جقمق ـ هذا ـ واستمر الملك الظاهر جقمق أتابك العساكر إلى أن مات الملك الأشرف برسباي في سنة إحدى وأربعين ، وأوصاه على ولده الملك العزيز يوسف ، فلم يمض غير أشهر حتى وثب جقمق ـ هذا ـ على العزيز وخلعه من ملكه ـ بعد أمور حكيناها في عدة أماكن ـ وتسلطن في التاريخ المقدم ذكره .

ووقع له في أوائل دولته خطوب وحروب وقاسى أهوالاً، منها: تسحب الملك العزيز يوسف، ومنها وقعة الأتابك قرقماس الشعباني، ومنها خروج الأتابك إينال الجكمي نائب الشام، وخروج الأمير تغري برمش نائب حلب، ووقع له أمور وحوادث، ثم صفا له الوقت بعد ذلك، وأخذ وأعطى، وأمر ونهى، وقرب من احب وأبعد من أبغض، وصار يخلط الصالح بالطالح، والعدل بالظلم ، فكان تارة يحكم أحكان سريجية[٢] ، وتارة أحكام قراقوشية[٣] .

وأبطل أشياء كثيرة من شعار المملكة، وأحدث أشياء كثيرة من المساوىء، وأتلف في سلطنته من الأموال والسلاح والخيول والقماش ما[٤] لا يدخل تحت حصر كثرة ، وحمل ديوان السلطنة من الكلف ما أتعب من جاء بعده .

كل ذلك والأقدار تساعده، والسعد يعاضده، إلى أن بلغ غاية الأمنية

---

(١) في «أ» : «أمير سلاحا» .

(٢) نسبة إلى الفقيه الشافعي «أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ، المعروف بابن الباز» ، (ت ٣٠٦ هـ)، وكان صاحب مؤلفات ومناظرات موفورة دفاعاً عن السنة ؛ والمراد أن أحكامه شرعية صائبة .

(٣) نسبة إلى «بهاء الدين قراقوش» ، وزير «صلاح الدين يوسف الأيوبي» ، و«العادل أبي بكر» ، وكان مع جلالة قدره ، وما نسب إليه من اهتمام بالعمارة والبناء ، صاحب أحكام خرقاء وصارمة ، ألف «ابن مماتي» انتقاداً لها كتاباً أسماه : «الفاشوش في أحكام قراقوش» والمراد أحكامه خرقاء، لا موجب لها من عرف أو شرع .

(٤) في «أ» : «من» .

هجمت عليه المنية ومرض أشهراً، وصار يظهر التجلد، ويحمل نفسه ويخرج إلى الدهيشة، ويصلي المكتوبة قائماً على قدميه، ويجلس ويعلم على المناشير والقصص، حتى غلب عليه الضعف، وعجز عن نفسه، وانحط ولزم الفراش إلى أن مات رحمه الله.

وكان سلطاناً ديناً، كثير الصلاة والعبادة، عفيفاً عن المنكرات والفروج، طاهر الذيل، لا تعرف له صبوة قديماً ولا حديثاً، كثير التقشف، متواضعاً، يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخلوا عليه، يحب من يسلم عليه بخلاف قاعدة الملوك، فإنه لا يسلم أحد عليهم عند الدخول إليهم، وكان له معرفة بالفقه، وعنده استحضار لمذهبه وتعصب هين على عادة الملوك الحنفية، وكان ملازماً للقراءة على مشايخ القراء، وكان كريماً جداً (مـ) ـتلافاً مبذراً.

وكان يتصدى للأحكام بنفسه، وعنده الدعوى لمن سبق على قاعدة الأتراك، مع حدة مزاج، وبطش، وسوء خلق. ولهذا حبس بسجن المقشرة جماعة من العلماء والقضاة والأعيان، وضرب جماعة كثيرة من الرؤساء.

// وفي الجملة، كانت محاسنه أكثر من مساوئه، رحمه الله وعفا عنه. [٢٨٥]

وقد ذكرناه في تاريخنا المنهل الصافي بأطول من هذا، وأما من أراد أن ينظر ترجمته مفصلة مع استيعاب جميع أحواله بتمامها وكمالها مياومة، وما وقع في أيامه، وما أبطل، وما أحدث، فلينظر في تاريخنا المسمى بالنجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة [١]. وليس هذا الكتاب محل الإطناب، فإنما المقصود منه ذكر الحوادث والتراجم من غير إسهاب.

---

(١) يحيل المؤلف في كتابه «النجوم الزاهرة» ـ ج ١٥ ص ٤٥٦ ـ بعبارة قريبة من هذا المعنى على «حوادث الدهور»، قائلاً:

«... وقد استوعبنا أحوال الملك الظاهر ـ هذا ـ من مبدأ أمره إلى آخره، محرراً بالشهر واليوم في جميع ما وقع له من ولاية وعزل وغريبة وعجيبة، في تاريخنا حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، فلينظر هناك وما ذكرناه هنا جميعه نوع من تكثير الفائدة، لا القصة على جليتها، بل نشير بذكرها إعلاماً لوقت واقعتها لا غيره. ولا تناقض في هذا، إذ يبدو أن الإحالة إلى «النجوم الزاهرة» قد أريد بها ترجمته الشاغلة للصفحات (٤٤٨: ٤٦٤) من ج ١٥، وقد خص فيها العناصر المثبتة في الإحالة، بينما أريد بالإحالة في «النجوم» على «الحوادث» الاستيعاب التفاصيل من الحوادث المنثورة في الثاني.

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين أسنبغا[١] بن عبد الله الناصري الطياري[٢] ـ رأس نوبة النوب ـ في ليلة السبت سادس شهر ربيع الأول ببيت الأمير قوصون في أيام الوقعة وعليه آلة الحرب ، وكان مرضه أقل من يوم واحد ، فإنه مرض يوم الجمعة قبل الصلاة ومات من ليلته.، وصلّى عليه الأتابك إينال العلائي ـ أعني الملك الأشرف ـ والخليفة القائم بأمر الله ـ في مقعد البيت المذكور ـ وغالب العسكر المصري وعليهم السلاح ، ثم حمل ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة ، ومات وهو في عشر الثمانين .

وكان من محاسن الدهر عقلاً وكرماً وشجاعة ومعرفة، وكان أصله من مماليك الوزير ناصر الدين محمد بن كلبك، ثم خدم عند الأمير سودون الطياري[٢] وحظي عنده، وبه عرف، ثم تنقل في الدول إلى أن تأمر في الدولة الأشرفية برسباي إمرة عشرة، ثم نكب وصودر وأخرج إلى البلاد الشامية، ثم طلبه الأشرف ثانياً وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه وحجوبية ثانية، فدام على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى الدوادارية الثانية مدة يسيرة، ثم صار أمير مائة ومقدم ألف، وتولى نيابة الإسكندرية، ثم عزل، وقدم القاهرة على إقطاعه ـ إمرة مائة وتقدمة ألف ـ إلى أن استقر رأس نوبة النوب بعد موت الأمير تمرباي التمربغاوي في أوائل سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، فاستمر على ذلك إلى أن وثب الملك الأشرف إينال على الملك المنصور عثمان ووافقه أسنبغا ـ المذكور ـ مع من وافقه من الأمراء وغيرهم، ولبس معه آلة الحرب، ودام من حزبه إلى أن مرض ومات ـ رحمه الله تعالى ـ وخلف ولداً كبيراً ناجباً وآخر صغيراً.

[٢٨٦] ومات أسنبغا ـ هذا ـ ولم يخلف// بعده مثله في أبناء جنسه فيما اشتمل عليه من المحاسن، من العقل التام والشجاعة والكرم والمعرفة بأنواع الفروسية، وحسن المحاضرة والأدب الزائد والتواضع، مع البشاشة وحسن الخلق.

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١٣٢ تر ٤٦٢، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٣٧ ـ ٤٤٠ تر ٤٦٣، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٢، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١١ تر ٩٨٤.

(٢) في « أ »: « الطيار ».

(٤) وتوفي الأمير جانبك بن عبد الله اليشبكي الزردكاش[1] في ليلة الخميس ثامن عشر شهر ربيع الأول ، ودفن من الغد وهو في أوائل الكهولية .

وكان أصله من مماليك الأمير يشبك الجكمي، الأمير آخور الكبير في الدولة الظاهرية ططر، وترقي من بعده إلى أن صار خاصكياً في الدولة الأشرفية برسباي، ثم صار ساقياً في الدولة الظاهرية جقمق، ثم تأمر عشرة بعد سنة ثمان وأربعين، وصار رأس نوبة، ثم ولي ولاية القاهرة على كره منه والحجوبية، ثم أضيف إليه حسبة القاهرة في سنة أربع وخمسين، ثم عزل بعد مدة من الحسبة، ودام والي القاهرة إلى أن نقله الملك الأشرف إينال[2] إلى الزردكاشية بعد القبض على الأمير لاجين الظاهري ، فلم يباشر الوظيفة ومرض ولزم الفراش أياماً قليلة ومات .

وكان أميراً مشكور السيرة في أحكامه، وعنده ظرف ورشاقة، عارفاً بأنواع الفروسية بحسب الحال، وله مشاركة في العلوم، وحسن محاضرة، وعنده ذكاء ومعرفة، وبالجملة، فكان نادرة في أبناء جنسه، رحمه الله وعفا عنه.

(٥) وتوفي الأمير سيف الدين أرنبغا[3] بن عبد الله اليونسي الناصري ، أحد مقدمي الألوف في الديار المصرية في ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول ، بعد أخذه إمرة مائة وتقدمة ألف بثمانية أيام ، وأنعم بتقدمته على الأمير

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ تر ٨٢٠، المنهل الصافي ج ٤ ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٣ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٦١ - ٦٢ تر ٢٤٩ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١١ .

(٢) في هامش «أ»: وصوابه الملك المنصور عثمان (وهو موافق لما جاء في النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٣ للمؤلف) بعد نقل الأمير لاجين عنها إلى شادية الشربخاناه، وكان غرضه مع الظاهرية فأمسك يوم. الركوب قبل الصعود إلى القلعة، وكان عليه ترسيم حشمه من جماعة الأشرفية برسباي، ثم أنه صلى مع الأشرف إينال أول جمعة ولي السلطنة وشرب المشروب مع المقدمين بباب الستارة، فقيل: إنه سم في المشروب، فنزل بعد الصلاة في محفة ولزم الفراش إلى أن مات. وكان قد أخذ الولاية عنه بعد انتقاله إلى الزردكاشية يشبك القرمي الظاهري جقمق » .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١١١ تر ٣٨٤، المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ تر ٣٨٦، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٣ - ١٦٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ تر ٨٤٢، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١١ .

دولات باي المحمودي المؤيدي القادم من سجن الإسكندرية .

وكان أصل أرنبغا ـ هذا ـ تركيا من مماليك الملك الناصر فرج، وقاسي من بعد أستاذه خطوب الدهر ألواناً إلى أن أنعم عليه الملك المؤيد شيخ بإقطاع هائل ، ثم تأمر بعد موته إمرة عشرة ، وصار رأس نوبة ، ودام على ذلك نحو الثلاثين سنة ، وتوجه إلى الحجاز غير مرة ، إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بزيادة على إقطاعه ، وجعله من أمراء الطبلخانات ، واستمر على ذلك
[٢٨٧] إلى أن كانت الوقعة / / بين الملك المنصور عثمان وبين الأتابك إينال العلائي انضاف ـ المذكور ـ إلى إينال ، فلما تسلطن إينال أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف ، عوضاً عن الأمير قاني باي الجاركسي بحكم القبض عليه ، فلم يقم(١) غير ثمانية أيام وهو متمرض ، ومات(٢) وهو في السبعين تقريباً .

وكان أميراً شجاعاً مقداماً، غير أنه كان قليل التجمل في ملبسه ومركبه، وكان قليل الحشم والمماليك، يقتني العبيد الحبوش كثيراً، وكان مسرفاً على نفسه ، سامحه الله ـ تعالى ـ وعفا عنه .

(٦) وتوفي الأمير سمام الحسني(٣) الظاهري ـ أحد أمراء العشرات وحاجب ثاني ـ في ليلة الاثنين سادس شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد ، وسنه نيف على السبعين تخميناً .

كان أصله من المماليك الظاهرية برقوق، وممن صار خاصكياً في الدولة الناصرية فرج، ثم انحط قدره دهراً إلى أن صار خاصكياً ـ أيضاً ـ في الدولة الظاهرية ططر، ودام على ذلك سنين إلى أن أمره الملك الظاهر جقمق أمير عشرة في أوائل دولته ، وأظنه كان ندم على ذلك ، مما(٤) كنت ألحظه منه في حق سمام

(١) في «أ»: «لم يقيم».

(٢) «ومات»: «مكررة في «أ» .

(٣) في «أ» : «ما» .

(٤) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٢ تر ١٠٣٠ .

المذكور ، ولم يزل على إمرته ، وحج أمير الركب الأول غير مرة إلى أن جعله الملك الأشرف إينال من جملة رءوس النوب ، ثم بعد أيام صار حاجباً ثانياً ، عوضاً عن نوكار ، بحكم انتقال نوكار إلى الزردكاشية بعد موت جانبك اليشبكي الوالي ، فلم تطل أيامه ومرض ومات ، كل ذلك في دون الشهر .

وكان ـ رحمه الله ـ مهملاً جداً، لا للسيف ولاللضيف، عفا الله عنه.

(٧) وتوفي الشيخ الفاضل الواعظ المعتقد أبو السيادات يحيى ابن الشيخ المعتقد العارف الواعظ شهاب الدين أحمد ابن الإمام العارف بالله ـ تعالى ـ المعتقد سيدي محمد وفاء[١] في يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر ، ودفن بمشهدهم بالقرافة .

وكان قد صار يعمل الميعاد ويجلس مكان أخيه سيدي أبي الفتح ، ويعظ الناس، وصار على ميعاده القبول، وكثر ترداد الناس إليه، فلم تطل مدته غير سنيات قلائل ومات.

وكان حسن الصوت، مجيد القراءة في المحراب وغيره، وله نظم حسن على طريقة القوم، وهو من بيت صلاح ودين وعفة [٢] وخير، رحمه الله ـ تعالى ـ ونفعنا ببركته وبركة سلفه .

(٨) وتوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن / / القاضي ناصر الدين [٢٨٨] محمد ابن العلامة شرف الدين عبد المنعم[٣] البغدادي الأصل ، المصري المولد والمنشأ والوفاة ، الحنبلي ، قاضي قضاة الديار المصرية ورئيسها ، في ليلة الخميس سابع جمادي الأولى ، ودفن من الغد ؛ وصلّى عليه الخليفة القائم بأمر الله حمزة بمصلاة باب النصر في وجوه الناس ، وكانت جنازته مشهودة ،

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ ، السخاوي . الضو اللامع ج ١٠ ص ٢٢١ تر ٩٤٨.

(٢) في «أ»: «وهو من بيت صلاح ودين وعفة ودين وخير».

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٩ ص ١٣١ ـ ١٣٤ تر ٣٣٦، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٢.

وكثر تأسف الناس عليه ؛ لحسن سيرته وعفته عن ما يرمي به قضاة السوء .

وكـان مولـده في أوائل القـرن ـ تخميناً ـ بـالقاهـرة، وبها نشـأ، وحفظ القرآن ـ العزيز ـ وتفقه بعلماء عصره، وناب في الحكم سنين عديدة، وعرف بالفقه والـدين والتثبت في أحكامـه ، إلى أن توفي شيـخ الإسلام قـاضي القضاة محب الـدين أحمد بن نصر الله البغـدادي الحنبلي ، طلبـه السلطان الملك الظاهـر جقمق وولاه قضاء القضاة ـ من غير سعي منه في ذلك ـ في يوم الاثنين العشرين من جمادي الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة، فباشر القضاء بعـزة وعفة زائـدة ، وحمدت سيرته إلى الغاية ، حتى إنه نال في المنصب من الوجاهة والحـرمة الـوافرة والعـظمة الـزائدة والكلمـة النافـذة ما لم ينله قـاض في عصـرنـا هـذا من جميـع المذاهب ، هذا مع علمي بتراجم من رافقه من القضاة ، ومع هذا لم يكن أحـد منهم يدانيه في معناه من التحري في أحكامه ، وإقامة حـرمة الشـرع الشريـف ، وعدم الالتفات إلى رسائل أربـاب الشوكـة ، وهو مـع ذلك لا يـزداد إلا حرمـة ومهـابة ، عـلى أنه لم يكن من أعيـان علماء الحنـابلة ، غـير أنـه عـارف بمـذهبـه وبالشروط ، ويحسن صناعة القضاء ، وكان عنده تأنٍّ[1] وتثبت في كلامه ، ولـه معرفة تامة بمعاشرة الناس .

وكان كريماً جواداً، يحب الفقهاء والفقراء، ويعتقـد أهل الصـلاح والخير، وكان ديناً خيراً كثير العبادة والصلاة، وله أوراد هائلة، وحج غير مرة، وكان مقصداً لأرباب الحوائج، وفيه تعصب لمن يقصده بماله وجاهه.

وكانت له خصوصية زائدة بالملك الظاهر جقمق، بحيث إن رفقته كانوا يهادون السلطان، وكان هو يأخذ من السلطان الجمل من الأموال.

وطـالـت أيامـه في القضاء إلى أن مـرض ، وطال مـرضه أشهـراً ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المقدم ذكره ، عفا الله عنه .

(٩) وقتل الأمير الوزير تغري بردي الظاهري القلاوي[2] في واقعة كانت

---

(١) في « أ » : « تأنى » .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨ ـ ٢٩ تر ١٣٧ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٢.

بينه وبين سونجبغا الآتي ذكره ، لأنه قتل ـ أيضاً ـ في هذا اليوم ، أعني / / في [٢٨٩] يوم السبت ، سادس عشر جمادي الأولى ، حسبما ذكناه مفصلاً في هذا الكتاب في حوادث جمادي الأولى من السنة .

وكان تغري بردي ـ هذا ـ من جملة مماليك الملك الظاهر جقمق في أيام إمرته، وكان كثيراً ما يرسله إلى إقطاعه قلاً بالوجه القبلي، فسمي القلاوي، فلما تسلطن الملك الظاهر ولاه كشف الجيزية، ثم نقله في عدة ولايات إلى أن ولاه الوزر في آخر دولته، عوضاً عن الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، فلم يقم في الوزارة إلا شهراً وعزل ـ أيضا ـ بالصاحب أمين الدين ـ المذكور ـ في الدولة المنصورية عثمان، وأعيد إلى كشف البهنساوية بالوجه القبلي، ووقع له أمور مع الملك الأشرف إينال، وأخذ منه جملة مستكثرة ، ثم ولاه البهنسة ثانياً، فلما خرج إليها ندم السلطان على ذلك وأرسل إليه الأمير سونجبغا رأس نوبة، فخرج إليه سونجبغا وقبض عليه بيده وتجاذبا حتى قتل تغري بردي ـ المذكور ـ ثم قتل سونجبغا ـ أيضاً ـ في الحال على ما سيأتي ذكره، رحمه الله تعالى.

(١٠) وقتل الأمير سونجبغا بن عبد الله اليونسي الناصري[١] ، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ، وأخو الأمير أرنبغا ـ المقدم ذكره ـ شقيقه .

كان ـ أيضاً ـ من مماليك الملك الناصر فرج، وممن تأمر في أوائل دولة الملك الظاهر جقمق، لأن كلاهما ـ أعني الملك الظاهر وسونجبغا ـ كان متزوجاً ببنت القاضي ناصر الدين البارزي، وعظم في الدولة بحسب الحال، وحج أمير حاج المحمل غير مرة، ودام على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك المنصور بإقطاع الأمير يلباي الإينالي المؤيدي أحد أمراء الطبلخاناه بعد القبض عليه، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال زاده على هذه الطبلخاناه إمرة عشرة التي كانت بيده قديماً في الدولة الظاهرية جقمق ، ثم توفي أخوه الأمير أرنبغا ـ المتقدم ذكره ـ وكان أرنبغا هو الأسن ، فورث مالاً جزيلاً ، فلم يتهن بالإقطاع

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٥ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ تر ١٠٩٤، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٢.

ولا بالمال ، وتوجه إلى تغري بردي القلاوي ووقع بينهما ما حكيناه ، وقتل في يوم السبت سادس عشر جمادي الأولى ، ومات وسنه أزيد من ستين تخميناً .

وكان متوسط السيرة، بخيلاً، عفيفاً عن المنكرات والفروج في آخر عمره، عفا الله ـ تعالى ـ عنه .

(١١) وتوفي عز الدين محمد بن محمد الكتبي المعروف بـالتكروري[١] ـ أحد الطلبة ـ في يوم الأربعاء سابع عشرين جمادي الأولى .

[٢٩٠] وكان يتجر في الكتب// وله حانوت بسوق الكتبيين. وكان له وجاهة عند الأكابر، وله فضل ومشاركة، وله نظم بحسب الحال، رحمه الله تعالى.

(١٢) وتوفي الأمير دولات باي المحمودي[٢] المؤيدي ـ أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ، والدوادار الكبير كان ـ في يوم السبت أول جمادي الآخرة ، ودفن من يومه بالصحراء خارج القاهرة .

كان جاركسي الجنس ، جلبه خواجا محمود إلى الإسكندرية ، فاشتراه منه نائبه الأمير آقبردي المنقار المؤيدي ، فأقام عنده أياماً ، وبلغ الملك المؤيد ذلك فطلبه منه ، فأرسله إليه ، فأخذه الملك المؤيد منه وأعتقه ، وأخرج له خيلاً ثم جعله خاصكياً ثم خازندارا، ثم صار ساقياً إلى أن أخرجه الملك الأشرف (برسباي) من السقاية ، واستمر خاصكياً دهراً طويلاً إلى أن صاهر الأمير جانم ـ قريب الملك الأشرف ـ صار أمير عشرة ورأس نوبة بسفارته ، واستمر على ذلك إلى أن جعله الملك الظاهر جقمق أمير طبلخاناه وأمير آخوراً ثانياً ، ثم نقله بعد أشهر إلى الدوادارية الثانية ، بعد الأمير أسنبغا الطياري ، بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف بالديار المصرية ، كل ذلك في سنة اثنتين وأربعين

---

(١) هو « محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان بن عمر ، المعروف بالعز التكروري».
له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٥ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢ ـ ٣ تر ٣ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٩ تر ١٠٢٦ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٦٥، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٥ ـ ١٦٧ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ تر ٨٢٧ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٣ .

وثمانمائة ، فباشر الدوادارية الثانية بحرمة وافرة ، وكلمة نافذة ، وترددت الناس إلى بابه لقضاء حوائجهم، ونـالته السعـادة، وأثرى وعمـر الأملاك الكثيـرة، واقتنى الخيول المسومة الخاص، والتحف . وكان متجملاً في ملبسه ومركبه ومماليكه ، إلا أنه كان بخيلاً مسيكاً ؛ فلذلك كثر ماله ، وعظم في الدولة .

واستمر على ذلك إلى أن نقله السلطان إلى تقدمة ألف بعد موت الأمير تمراز القرمشي في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، وتولى الدوادارية الثانية عوضه الأمير تمربغا الظاهري ، فأقام دولات باي - هذا - في التقدمة أقل من عشرين يوماً - بل ولا عشرة ، بل من موكب اثنين أو خميس إلى مثله -ونقل إلى الدوادارية الكبرى بمال وعد به ، عوضاً عن الأمير قاني باي الجاركسي بحكم انتقال قاني باي - المذكور - إلى الأمير آخورية الكبرى بعد موت الأمير قراقجا الحسني الظاهري .

ولما ولي دولات باي الدوادارية الكبرى انحط قدره في أعين الناس ، لكونه سعى في ذلك بالرشوة ، وانحل برمه ، وهان في أعين الناس ، لا سيما لما راج أمر تمربغا في الدوادارية الثانية لقربه من السلطان ؛ لكونه مملوكه ومن خواصه شاع ما قلناه ، وصار السلطان في كل قليل يرشحه لنيابة حلب ، ودولات باي - هذا - يستعفي من ذلك ، واستمر - كذلك - إلى أن ولاه أمير حاج المحمل // في سنة ست وخمسين ، فوليها - المذكور - وحج بالناس من غير [٢٩١]
أن يتناول من السلطان معلوم أمراء الحج ، وكان دولات باي قد ولي إمرة حاج[1] المحمل - أيضاً - في سنة تسع وأربعين ، وأخذ من السلطان مبلغ عشرة آلاف دينار في تلك السنة ، وبينما حج دولات باي وعاد إلى القاهرة ؛ فكان يوم نزوله إلى بركة الحاج يوم خلع الملك الظاهر نفسه من السلطنة ، وتولى السلطنة ولده الملك المنصور عثمان ، فقدم هو من الغد إلى القاهرة ، واستمر على وظيفته إلى يوم الخميس ثاني عشر صفر قبض عليه الملك المنصور ، وعلى الأمير برسباي الأمير آخور الثاني ، وعلى الأمير يلباي ، وأرسل الثلاثة إلى ثغر الإسكندرية ، فاستمر دولات باي - هذا - محبوساً إلى أن أطلقه الملك الأشرف إينال في عاشر

(١) في « أ »: « الحاج ».

شهر ربيع الأول ، وقدم القاهرة في يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول بإمرة مائة وتقدمة ألف ، بعد موت الأمير أرنبغا الناصري ، فلم تطل مدته غير أيام قليلة ، ومرض أياماً ومات في التاريخ المذكور ، رحمه الله .

وكان أميراً جليلاً معظماً في الدول، مهاباً، وقوراً، حسن الشكل، طويل القامة، رشيقاً، عارفاً بأنواع الفروسية، ومقابلة [1] الملوك، جماعاً للأموال والخيول والتحف، كثير الأدب والحشمة، عظيم الحرمة على مماليكه وحواشيه، وكان عاقلاً جيد الرأي والتدبير، وعنده بر وصدقات للفقراء، وكان يعتقد الصلحاء والفقهاء ويبرهم كثيراً ويعظمهم ، وعظم في آخره وضخم ، وتحدث الناس بلسلطنته كثيراً ، حتى إنه كان ثقل على الملك الظاهر جقمق ، ثم على ولده الملك المنصور عثمان .

قلت: وندم - أيضاً - الملك الأشرف إينال على إطلاقه من سجن الإسكندرية في الباطن، وخافه كثيراً فعاجلته المنية، فأراح واستراح؛ لأنه كان غير شجاع - أعرف منه ذلك - ولو كان عنده شجاعة أو قوة قلب لكان هو أحق بأن يثب من أول قدومه من الحج إلى القاهرة، لأنه كان هو عظيم المماليك المؤيدية وغيرها، وكلمه بعضهم في ذلك فلاح له بعض ما قلته، رحمه الله.

وبالجملة، فكان به تجمل في الزمان، عفا الله عنه.

(١٣) وتوفي الأمير سيف الدين قانصوه بن عبد الله النوروزي[2] ، أحد مقدمي الألوف بدمشق بها في أواخر / / جمادي الأولى ، وسنه نحو الستين [٢٩٢]
سنة تخميناً .

وكان أصله من مماليك الأمير نوروز الحافظي نائب دمشق، ثم صار خاصكياً في الدولة المؤيدية شيخ إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة ثم طبلخاناه، فدام على ذلك سنين إلى أن قبض عليه الملك الأشرف برسباي

(١) في «أ»: «ومقالة الملوك».

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٧ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٦٨٦، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٣.

وحبسه مدة يسيرة، ثم أطلقه على إمرة طبلخاناه، فدام على ذلك سنين إلى أن أخرجه الملك الأشرف برسباي إلى نيابة طرسوس، فتوجه إليها، وأقام بها مدة إلى أن نقله إلى حجوبية الحجاب بحلب، ثم إلى تقدمة ألف بدمشق، فدام في دمشق إلى أن خرج الأمير إينال الجكمي نائب الشام على الملك الظاهر جقمق، وافقه قانصوه ـ المذكور ـ وامتحن بسبب ذلك واختفى مدة، ثم خرج بأمان وقدم القاهرة، وتولى نيابة ملطية أياماً إلى أن عزل عنها، وعاد إلى دمشق أمير ثمانين، فاستمر على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف إينال بتقدمة ألف بدمشق، فمات بعد ذلك بدون الشهر.

وكان أميراً شجاعاً، مليح الشكل، معتدل القد، رأساً في رمي النشاب، إلا أنه كان قليل السعادة خاملاً، لم يزل فقيراً منذ عرفته قديماً وحديثاً، قليل الحظ من الملوك؛ مبعوداً عنهم، رحمه الله تعالى.

(١٤) وتوفي الأمير سيف الدين قشتم بن عبد الله المحمودي الناصري[١] نائب البحيرة ، في وقعة كانت بينه وبين عرب لبيد في أواخر شهر رجب ـ حسب ما ذكرناه في حوادث شهر رجب من هذه السنة ـ ومات وسنه مناهز الستين سنة .

وكان أميراً عاقلاً ، شجاعاً ، كريماً ، متواضعاً ، جواداً ، مليح الشكل ، بشوشاً ، محبباً للناس ، مشكور السيرة في ولايته ، عارفاً ، مقداماً . وأصله من مماليك الملك الناصر فرج رحمه الله .

(١٥) وتوفي الأمير بيغوت بن عبد الله من صفر خجا[٢] المؤيدي الأعرج نائب صفد بها في أواخر شعبان .

وكان أصله من مماليك الملك المؤيد شيخ، وممن صار خاصكياً بعد موته إلى أن نفاه الملك الأشرف برسباي إلى البلاد الشامية، ثم أمره بها إمرة طبلخاناه،

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٧ ـ ١٦٨، السخاوي . الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٢ تر ٧٣٨، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٤.

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي : الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٠ تر ٧٤٣، المنهل الصافي ج ٣ ص ٥٠٦ ـ ٥١٠ تر ٧٤٥ ؛ النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٨ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٣ ـ ٢٤ تر ١١٦ ، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٤.

فاستمر على ذلك إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق نيابة حمص بعد الأمير سنقر العزي في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، ثم نقله إلى نيابة صفد بعد الأمير قاني باي البهلوان، بحكم انتقال البهلوان إلى نيابة حماه، فدام في صفد سنين، ثم نقل// إلى نيابة حماه بعد الأمير تنم المؤيدي، فأقام بحماه سنين إلى أن شكاه [٢٩٣]
هو وولده بعض أهل حماه، فأرسل الملك الظاهر يطلب ولده إبراهيم - المذكور - وابن العجيل على أقبح وجه، فأرسل بيغوت - هذا - ولده في الحديد، فحبسه السلطان بالبرج من قلعة الجبل، ثم أرسل يطلب بيغوت - المذكور - إلى دمشق ليحبس بقلعتها، ففطن بيغوت بذلك، فخرج من حماه عاصياً حتى لحق بالأمير جهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد، وانضم إليه، واتفقا على العصيان على الملك الظاهر جقمق، فبينما هم في ذلك طرقهم بعض أمراء جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز وقبض على بيغوت - المذكور - وأخذ جميع ما معه، وأرسل أخبر السلطان الملك الظاهر بذلك، ثم حبسه بقلعة الرها، فدام بها إلى أن استولى عليها الشيخ حسن بن علي بك ابن قرايلك ، وأطلق بيغوت - هذا - وخيره أين يذهب ، فاختار الرجوع إلى طاعة الملك الظاهر ، وركب حتى وصل إلى البيرة ثم إلى حلب، فأرسل نواب البلاد الشامية إلى الملك الظاهر بالشفاعة في بيغوت - المذكور - فقبل الملك الظاهر شفاعتهم ، ورسم له بالقدوم إلى القاهرة ، فقدمها في سنة خمس وخمسين ، وأقام بها أياماً ، ثم رسم له بالتوجه إلى دمشق ، ورتب له ما يكفيه إلى أن ينحل له إقطاع ، فلم يقم بدمشق إلا مدة يسيرة ومات الأمير بردبك العجمي أحد أمراء الألوف بدمشق ، فأنعم السلطان عليه بإقطاع بردبك - المذكور - فلم تطل مدته غير أشهر قليلة ومات الأمير يشبك الحمزاوي نائب صفد في رمضان من السنة ، فنقله السلطان إلى نيابة صفد عوضاً عن يشبك - المذكور - وحمل تقليده وتشريفه على يد الأمير يشبك الفقيه المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، فدام في نيابة صفد إلى أن توفي بها حسب ما ذكرناه .

وكان - عفا الله عنه - شجاعاً مقداماً ، عاقلاً ، عفيفاً عن المنكرات والفروج ، ديناً خيراً ، معظماً في الدول ، ومات وسنه أزيد من ستين سنة ، رحمه الله تعالى .

وتـولى نيابـة صفد من بعـده الأمير إيـاس الطويـل النـاصـري ، أتـابـك طرابلس .

(١٦) وتوفي الأمير جغنوس[١] الناصري المعزول قبل تاريخه عن نيابـة بيروت في أوائل العشر الأخير من شهر رمضان .

ولم يكن// جغنوس - المذكور - من ذوي الرياسات لتشكر أفعاله أو تذم. [٢٩٤]

(١٧) وتـوفي الشيخ الصـالح المعتقـد درويش[٢] ، ويقـال : محمـد ، ويقال : غيبي بظاهر خانقاه سرياقوس في يوم الاثنين ثالث ذي القعدة ، ودفن شرقي الخانقاه - المذكورة - وقبره هناك يقصد للزيارة .

وكان أصله من آقصراي، وكان رجلاً صالحاً ديناً خيراً معتقداً، أفنى عمره في السياحة والحج في كل سنة ماشياً.

وكان مجرداً لا يلتفت إلى ما في أيدي الناس، ولا يدخر شيئاً من المال، بل ولا من المأكل ولا من المشرب، حتى إنه كان إذا سافر إلى الحج أو إلى غيره لم يصحب معه قصعة ولا زنبيل، ولم يكن عليه غير ما يستر عورته، وكان لا يـطلب من أحـد شيئـاً ، وإن أتـاه من أحـد شيء أكـل منـه شبـع بـطنـه ، ثم (يـ) ـترك ما بقي ، فكان هذا شأنه .

وكان عارفاً عاقلاً، فصيحاً باللغة التركية، يفهم القليل من اللغة العربية، وكـان منور الشيبـة، حسن الشكل، للطول أقـرب، له شعـر برأسـه أبيض، لا يغطي رأسه إلا نادراً، اجتمعت عليه مراراً، وكان لي فيه اعتقاد ومحبة، رحمه الله تعالى.

(١٨) وتوفي الأمير حطط[٣] الناصري أتابـك طرابلس بهـا في أوائل ذي الحجة .

---

(١) له ترجمة في : السخاوي . الضـوء اللامـع ج ٣ ص ٧٠ تر ٢٨٤ ، ابن ايـاس . بدائـع الزهـور ج ٢ ص ٣١٥ .

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٩ ، السخـاوي . الضوء اللامع=

وكان أصله من مماليك الناصر فرج، وتنقل من بعده حتى ولي نيابة قلعة حلب في الدولة الأشرفية برسباي، وطالت أيامه إلى أن عزله الملك الظاهر جقمق وصادره في سنة سبع وأربعين، ثم ولاه بعد مدة طويلة نيابة غزة، فلم تطل مدته بها وعزل - أيضاً - عنها، وأنعم عليه بعد حين بإمرة عشرين بطرابلس، فدام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى أتابكية طرابلس بعد انتقال الأمير إياس الطويل إلى نيابة صفد، بعد موت الأمير بيغوت المؤيدي، فأقام حطط بعد هذا دون الشهر ومات، رحمه الله.

(١٩) وتوفي الأمير علي باي من طراباي العجمي(١) المؤيدي أتابك العساكر بحلب في أواخر ذي الحجة بها.

كان أصله من مماليك الملك المؤيد شيخ، قدم من بلاد الجاركس صغيراً، ثم حضر بعده أبواه وإخوته، وكانوا نحو ستة نفر ذكوراً وإناثاً، ثم أعتقه الملك المؤيد وجعله خاصكياً، واستمر من بعده على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة عشرة، وجعله رأس نوبة، وحظي عنده، وأمر ونهى، وطغى وتجبر، واستمر على ذلك إلى بعد سنة ثمان وأربعين
[٢٩٥] نفي إلى البلاد الشامية، / / ثم أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بحلب، ثم جعله أتابكها بعد الأمير سودون الأبو بكري المؤيدي بحكم انتقاله إلى نيابة حماه، فدام علي باي على ذلك إلى أن توفي - كما ذكرنا - وسنه أزيد من خمسين سنة.

ونسبته بالعجمي إلى خاله بردبك العجمي الجكمي نائب حماه - كان.

وكان علي باي - هذا - أميراً جليلاً متجملاً في مركبه وملبسه، عارفاً بأنواع الفروسية، إلا أنه كان كثير الكذب والدهاء على نفسه وماله، عفا الله - تعالى - عنا وعنه.

* * *

= ج ٣ ص ١٦١ تر ٦٢٠، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٧.

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. الدليل الشافي ج ١ ص ٤٩١ تر ١٧٠٥، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣١٤ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦٩، السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ١٥١ تر ٥٢٦.

ومضت هذه السنة والأسعار رخية إلى الغاية، ما عدا اللحوم والأجبان فإنها قليل وسعرها زائد، وأما الحبوب ففي غاية الرخص، فالقمح بمائة وأربعين درهماً الإردب إلى ما دونها، والفول بثمانين درهما[1] الأردب إلى ما دونها، والشعير من ستين إلى سبعين، والذهب قد[2] نودي على الدينار الأشرفي بثلاثمائة وعشرين درهماً، وكان قد وصل سعره قبل تاريخه؛ بل وإلى الآن بعد المناداة في الباطن إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً في المعاملة، وهو في نمو وزيادة.

والناس في أمن، غير أن السلطان الملك الأشرف إينال كان قد توعك في يومي الجمعة والسبت، ثم عوفي ودقت الكوسات السلطانية وغيرها لذلك ثلاثة أيام، وفرح بعافيته الناس، وشق ذلك على آخرين من الذين في قلوبهم مرض.

انتهت حوادث هذه السنة[3].

* * *

(١) في «أ»: «درهم».

(٢) «قد»: مكررة في «أ».

(٣) على غير عادة يتبع «ابن تغري بردي» الوفيات ببعض الحوادث في ذات سنة وقوعها، ويبدو أن هذا كان استدراكاً منه على فائت في الحوادث، على أن قوله «انتهت حوادث هذه السنة» لا يعني أن المثبت هنا موضعه قبل ترجمات الوفيات، إذ أن الوفيات المترجمة لديه هي في حد ذاتها حوادث ذات نوعية معينة، اقتضته ايرادها متراصة في هذا الموضع من الحولية.

سنة ثمان وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية الملك الأشرف أبو النصر إينال العلائي الظاهري ثم الناصري.

والخليفة القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة.

والقضاة: الشافعي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، والحنفي قاضي القضاة سعد الدين سعد بن الديري، والمالكي قاضي القضاة ولي الدين محمد السنباطي، والحنبلي قاضي القضاة عز الدين أحمد.

والأمراء: أتابك العساكر الأمير تنبك الظاهري، وأمير سلاح الأمير خشقدم المؤيدي، وأمير مجلس الأمير طوخ من تمراز الناصري، والأمير آخور الكبير جرباش المحمدي الناصري المعروف بكرد، ورأس نوبة النوب الأمير
[٢٩٦] قرقماس الأشرفي [(١)] ، وحاجب الحجاب جانبك القرماني، والدوادار الكبير// يونس السيفي آقباي، وأعظم مقدمي الألوف المقام الشهابي أحمد ابن السلطان رأس ميسرة، وباقي مقدمي الألوف: الأمير جانم قريب الملك الأشرف برسباي الأمير آخور - كان - والأمير خيربك المؤيدي، وقد ولاه السلطان كشف إقليم البهنسا، والأمير برسباي البجاسي.

وباقي أرباب الوظائف من أمراء الطبلخانات وغيرهم: الخازندار الكبير جانبك من أمير الأشرفي برسباي، وقد سار إلى الحجاز أمير حاج المحمل، وشاد الشراب خاناه جانبك القجماسي الأشرفي برسباي، والزردكاش نوكار

(١) في هامش «أ»: «حاشية: المعروف بالجلب قريب الأشرف برسباي».

الناصري أمير عشرة ، ونـائب القلعة قـاني باي النـاصري المعـروف بالأعمش ، والأمير آخور الثاني خيربك المؤيدي الأشقر ، ورأس نوبة ثاني يشبك الناصري ، والحاجب الثاني بتخاص العثماني الظاهري برقوق أمـير عشرة ، والـدوادار الثاني تمراز الإينالي الأشرفي برسباي أمير عشرين ، والخازندار والزمام فيروز النوروزي الـطواشي الرومي ، ومقـدم المـاليـك لؤلؤ البـاسـطي ، ثم الأشـرفي الـطواشي الرومي أمير عشرة ، ونائبه عنبر الهندي .

المباشرون: كاتب السر القاضي محب الدين محمد بن الشحنة، وناظر الجيش والخاص عظيم الدولة الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم، والوزير فرج بن النحال، والأستادار علاء الدين علي الأهناسي، ومحتسب القـاهرة عـلي ابن الشهاب ابن أم حـرج ـ شخص من أصاغـر النـاس ـ ونـائب كاتب السر معين الدين عبد اللطيف بن العجمي ، وناظر الدولة التاج الخطير ، وناظر (ديوان) المفرد فخر الدين الأصفـر ، وناظـر الإسطبـلات السلطانية زين الـدين أبو بكـر بن مزهـر ، وكاتب المـاليك شخص وضيـع من الأقباط يسـمى عبد الرحمن ، من أقارب فرج الوزير ، ووالي القاهرة علي بن إسكندر .

نواب البلاد الشامية وغيرها: نائب الشام الأمير جلبان الأمير آخور، ونائب حلب قاني باي الحمزاوي، ونائب طرابلس يشبك النوروزي، ونائب حماه حاج إينال اليشبكي، ونائب صفد إياسن الطويل الناصري، ونائب غزة جانبك التاجي المؤيدي، ونائب الكرك يشبك طاز المؤيدي//، ونائب ملطية [٢٩٧]
جانبك الحكمي، ونائب الإسكندرية جانبك النوروزي.

المحرم

أوله الثلاثاء.

ففي يوم الأربعاء ثانيه استقر القاضي قطب الدين أبو الخير محمـد الخيضري كاتب سر دمشق ، بعد عزل القاضي صلاح الدين محمد بن السابق الحموي.

وفي يوم الأحد سادسه ورد الخبر من حلب بموت الأمير علي باي من

طراباي المؤيدي العجمي أتابك حلب بها، وأنعم السلطان بإقطاعه ووظيفته على الأمير آقبردي السلقي الظاهري جقمق نائب قلعة حلب، واستقر في نيابة قلعة حلب الزيني قاسم بن جمعة القشاشي[1] المنعم عليه قبل تاريخه بمدة يسيرة بتقدمة ألف بحلب، عوضاً عن الأمير سودون القرماني المنتقل إلى أتابكية طرابلس. فلما استقر ابن جمعة - المذكور - في نيابة قلعة حلب أنعم السلطان بالتقدمة المذكورة على مملوكه يشبك البجاسي دوادار السلطان بدمشق وأحد أمراء الطبلخانات بها، وأنهم بإقطاعه ووظيفته علي السيفي خشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز. وخشكلدي - المذكور - وقاسم بن جمعة كانا كلاهما بالقاهرة، ووليا بمال وعدا به، ولبسا خلعهما في يوم الاثنين سابعه.

وفي يوم الخميس عاشره استقر الزيني أبو بكر بن مالك الحلبي في نيابة طرسوس على عادته أولاً، وعزل آقباي السيفي جارقطلو.

وفي يوم الاثنين رابع عشره نزل من القلعة طواشي ومعه امرأتان، وذكر أن السلطان رسم لهما أن يأخذا من كل دكان بالشارع درهم فلوس جدد لدين أصابهما، ودار بهما الطواشي شوارع القاهرة، كل واحدة على حمار مكاري، وجبى من الدكاكين وهو يقول: حسب المرسوم الشريف.. فكانت هذه الواقعة من أعزّ الأشياء وأقبحها.

وكثر في هذا اليوم ترحم الناس على السلطان الملك الظاهر جقمق وتأسفهم عليه، حتى كلم السلطان في ذلك بعض خواصه، فقال السلطان: لم أشعر بشيء من ذلك ولا رسمت به، ثم أمر بإحضار النسوة والطواشي من الغد وضربهم ضرباً مبرحاً، ورسم بإشهارهم في شوارع القاهرة، فأنزلوا// [٢٩٨]
ونودي عليهم: هذا جزاء من يكذب على الملوك.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه قدمت تقدمة الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب، وكانت تشتمل على مماليك ثلاثة، وخيول مائة فرس لا غير، ولم تكن هذه عادة تقدمة نائب حلب، وإنما الظاهر أنه استعجل بإرسال ذلك ليعلم

(١) في «أ»، «ب»: «القساسي».

كل أحد أنه في طاعة السلطان ، وينقطع عنه كلام كل أحد ممن يشن الغارات ويثير[1] الفتن .

وفيه وصل إلى القاهرة أمير حاج الركب الأول عبد العزيز ابن المعلم محمد الصغير ، وأصبح من الغد حضر أمير حاج المحمل الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي الخازندار .

وفي يوم السبت سادس عشرينه استقر الشيخ الإمام العالم العلامة محيي الدين محمد الكافيجي[2] الحنفي في مشيخة شيوخ خانقاه شيخون ، عوضاً عن الشيخ الإمام العالم العلامة كمال الدين محمد بن الهمام ، بحكم مجاورته بالمدينة الشريفة ورغبته عن المشيخة المذكورة .

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه رسم السلطان بإخراج زين الدين يحيى الأستادار ـ كان ـ إلى القدس الشريف، ومسفره على جك البريدي، وعلى جك تصغير علي باللغة التركية .

فلما أصبح من الغد في يوم الثلاثاء رجمت المماليك الجلبان الأستادار على الأهناسي؛ بسبب أنه جعل الجامكية تفرق في خمسة أيام من أيام المواكب، وكانت العادة أنها تفرق في ثلاثة أيام، كل ذلك لعجز الأستادار عن القيام بالجامكية، فلما وقع ذلك لهجت الناس بتولية زين الدين ـ المذكور ـ للأستادارية ، فلم يصح ذلك، ورسم السلطان بسفر زين الدين في يوم الخميس على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) في « أ » : « ثيور » .

(٢) هو « محيي الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود ، الرومي ، الحنفي » (ت ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤ م).

له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ٢ ص ٦٢٤ تر ٢١٤٦، المنهل الصافي مج ٣ ق ١٠٦ ب ـ ١٠٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٥٩ ـ ٢٦١ تر ٦٥٥، السيوطي . حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٤٩ ـ ٥٥٠ تر ٥٥، المنجم في المعجم ق ٧١ ب ـ ٧٢ ب، طاش كبرى زادة . مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٢٦ ـ ١٢٨، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس ثانيه خرج زين الدين يحيى الأستادار متوجهاً إلى القدس الشريف، فلما وصل إلى سبيل ابن قايماز - خارج القاهرة - أحيط به وطلب إلى القلعة، وقبض عليه السلطان وحبسه عند الطواشي فيروز النوروزي.

وسبب ذلك أن زين الدين - المذكور - لما خرج إلى القدس أوسع في بركه
[٢٩٩] وخدمه على غير عادة المنفيين، بل على هيئة من هو خارج إلى نيابة من// النيابات، فوشى عليه بعض الناس عند السلطان، أنه صحبُ معه في حموله مالاً عظيماً، ففتشت حموله فلم يوجد فيها غير ثلاثمائة دينار وديناراً واحداً، وقليل من الفضة، وثياب بدنه، وبعض كتب مجلدات.

فلما كان يوم السبت رابعه طلبه السلطان إلى الدهيشة بحضرة أرباب الدولة من المباشرين وغيرهم، وطلب منه مالاً، وكثر الكلام حتى وقع من زين الدين - المذكور - كلام في حق علي بن الأهناسي الأستادار ومحصول كلام زين الدين أنه قال: في جهة ابن الأهناسي نحو السبعين ألف دينار، وعليّ محاققة ذلك. وانفض المجلس على الحساب من الغد.

وفي اليوم المذكور سلم السلطان القاضي معين الدين بن الطرابلسي - أحد نواب الحكم الحنفية - وشهاب الدين ابن الأوجاقي إلى نقيب الجيش ليستخرج منهما مالاً، وكانا قد خرجا لوداع زين الدين المذكور، فقبض عليهما معه.

ثم أصبح من الغد في يوم الأحد حضر جماعة من مباشري ديوان المفرد وغيرهم لعمل الحساب، ثم انفض المجلس بعد أمور وقعت، وآل الأمر إلى حبس زين الدين بالبحرة من الحوش السلطاني، وإلى استمرار ابن الأهناسي في الأستادارية، وخلع عليه من الغد في يوم الاثنين سادسه، ورسم بالإفراج عن ابن الطرابلسي وابن الأوجاقي.

واستمر زين الدين بالبحرة في الترسيم إلى يوم الخميس تاسعه، عوقب

بالمعاصير وأنواع العقوبة فلم يقر بمال، بل قال: أنا أبيع أوقاف مدارسي وغيرها وأرضي السلطان. كل ذلك والصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص قائم في أمره ومساعدته أشد قيام، ويوافقه على ذلك الأمير يونس الآقبائي الدوادار الكبير والأمير تمراز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني .

واستمر الصاحب جمال الدين يسعى في أمره حتى انبرم أمره مع السلطان وحواشيه، وطلب السلطان زين الدين - المذكور - في بكرة يوم الأحد ثاني عشره إلى الدهيشة، فحضر محمولاً في مقعد إلى بين يدي السلطان بين أربعة أنفس، فقعده وهو لا يطيق الجلوس إلا بشدة من عظم ما حصل عليه من العقوبة التي أجريت عليه، فلما رآه السلطان على// هذه الحالة كلمه بكلام لين وطيب [٣٠٠] خاطره ، وأعاده إلى وظيفة الأستادارية ، وألبسه كاملية بمقلب سمور ، وعزل ابن الأهناسي ، وألزم بعمل الحساب ، فصار الطالب مطلوباً[1] .

وقلت: وهكذا شأن الدهر ، الخفض والرفع .

ونودي في اليوم المذكور بزينة القاهرة لأجل ولاية زين الدين - المذكور - الأستادارية .

وأما ابن الأهناسي، فإنه لما ولى زين الدين وطلب منه الحساب نزل من وقته إلى بيت الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص، فلما وصل إلى البيت المذكور طلب ثانياً إلى القلعة، ورسم عليه بها إلى أن أطلق في يوم الاثنين ونزل إلى داره.

واستمر زين الدين بقلعة الجبل إلى يوم الثلاثاء رابع عشره خلع عليه خلعة الأستادارية ، ونزل إلى داره، وابتهج الناس بولايته، وكان يوماً مشهوداً.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرة استقر عبد العزيز بن محمد الصغير محتسب القاهرة بعد عزل علي بن شهاب الدين الكاشف.

---

(١) في « أ » : « مطلوب » .

وفي يوم الاثنين عشرينه أعيد خيربك القصروي إلى ولاية القاهرة بعد عزل علي بن إسكندر على مال بذله في ذلك.

وفي يوم السبت خامس عشرينه أخلع السلطان علي زين الدين يحيى الأستاذار باستقراره كاشف الكشاف، وباستقراره في أستادارية ولده المقام الشهابي أحمد عوضاً عن علي بن الأهناسي بحكم عزله.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه ورد على السلطان مطالعة الأمير قاني باي الحمزاوي - نائب حلب - تتضمن أن قاضي قضاة الحنابلة بحلب وهو مجد الدين سالم قتل رجلاً من الفقهاء بيده بعد أن حكم عليه بالكفر.

وأمره أنه ادعى عليه بالكفر، وأقيمت البينة عليه، وكتب بذلك محضر، فحكم القاضي - المذكور - بكفره وإراقة دمه، فأخذ المقتول يقول: أنا بيني وبين القاضي سالم خصومة، وطعن في الشهود، وطلب عقد مجلس بالقضاة الأربعة في مجلس النائب فلما رأى القاضي ذلك خشي أنه متى أصبح دافع عن نفسه، فطلبه في الحال ووضع في رقبته حبلاً وخنقه، ثم جعله من الغد في تابوت ونادى عليه بالكفر.

فعظم ذلك على الناس وعلى نائب حلب، وأرسل كاتب السلطان بذلك،
[٣٠١] وأرسل القاضي // مجد الدين سالم المحضر المكتتب على المقتول، وفيه ألفاظ قبيحة لا تذكر، وفيه مصورة الدعوى.

فغضب السلطان لذلك غضباً شديداً، ورسم من الغد بعقد مجلس بالقضاة الأربعة، فعقد المجلس وقرىء المحضر، فلم يلتفت القضاة إلى المحضر، وانطلقت الألسن في حق القاضي سالم - المذكور - حتى قال قاضي القضاة شيخ الإسلام سعد الدين بن الديري الحنفي: لم يسمع بمثل هذه الحادثة في الإسلام، ورسم السلطان لنائب حلب بالقبض على القاضي مجد الدين سالم وحبسه بقلعة حلب هو والمدعي والشهود إلى أن يرد عليه ما يعتمده.

وفي هذا الشهر رسم السلطان بإطلاق أبي الخير النحاس من سجن المرقب إلى حال سبيله.

شهر ربيع الأول

أوله الجمعة.

في يوم السبت ثانيه استقر السيفي ألماس الأشرفي برسباي - أحد أمراء دمشق - دوادار السلطان بحلب.

وفيه استقر الشرفي حمزة بن البشيري ناظر الدولة، بحكم عزل التاج الخطير، ثم عزل بعد ثلاثة أيام.

وفيه خلع السلطان على الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج خلعة الاستمرار على وظيفته، نقابة الجيش.

وفي يوم الأحد عاشره عمل السلطان المولد النبوي بالحوش من القلعة على العادة.

وفي يوم الأحد سابع عشره وصل إلى القاهرة ابن الأمير يشبك النوروزي - نائب طرابلس - وقبل الأرض بين يدي السلطان، وأصبح من الغد يوم الاثنين قدم تقدمة والده يشبك إلى السلطان. وكانت تقدمة هائلة تشتمل على نحو ثمانين رأساً من الخيل، وعدة أثواب مخمل مذهب، ومخمل منقوش، وشقق حرير، وعدة حمالين من الوبر كالسمور والوشق والسنجاب، وقرضيات كثيرة، وبعلبكي نحو المائة وخمسين ثوباً، وأشياء غير ذلك، ومبلغ كبير له جرم على ما قيل.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه ركب السلطان من قلعة الجبل بغير قماش الخدمة، ونزل سيراً إلى جهة قبة النصر[1] - خارج القاهرة - وعاد من باب النصر، وشق القاهرة، وخرج من باب زويلة حتى طلع إلى القلعة. وهذا أول ركوبه منذ تسلطن.

وفي هذا الشهر كثر الطاعون ببلاد// الصعيد، وفنى به خلائق كثيرة. [٣٠٢]

(١) قبة النصر: كانت زاوية في الصحراء، تحت الجبل الأحمر، يسكنها فقراء العجم، جددها لهم «الناصر محمد بن قلاوون».

راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٤٣٣.

شهر ربيع الآخر

أوله الأحد.

ففي يوم الخميس خامسه سافر الأمير جانبك الظاهري جقمق لشد بندر جدة .

وفي يوم الاثنين تاسعه ثار المماليك السلطانية الجلبان وغيرهم على الفقهاء والمتعممين وضربوا منهم خلائق وأخذوا خيولهم من تحتهم، وفعلوا ذلك بجماعة كثيرة من القضاة والأعيان بسوق الخيل[1] وغيره، ونهبوا بعض حوانيت القاهرة، وادعوا أن السلطان أمرهم بأخذ الخيول من للفقهاء والمتعممين، وأظن ذلك حقيقة، لأنهم لما أخذوا خيول الناس طلعوا بها إلى الأمير آخور الكبير جرباش المحمدي المعروف بكرد، وقالوا له: اضرب داغ السلطان[2] عليها، فامتنع من ذلك، وأمرهم بردها إلى أربابها، وأصبحوا على ما هم عليه، وأفحشوا في ذلك، حتى إنه لم يبق في القاهرة أحد من المتعممين إلا وقد ركب بغلاً أو حماراً، كل أحد بحسب مقامه، وانقطع غالب الناس في بيوتهم، ورسم السلطان بالمناداة، فنودي بالأمان والاطمئنان[3]، ولم يذكر المنادي في مقالته بأن « يركب المتعممون على عادتهم » بل صار ينادي : الأمان والاطمئنان[4]، لا غير، فدام الناس على ركوب البغال والحمير أياماً كثيرة، ثم عادوا إلى ركوب الخيل على عادتهم، لما[5] وقع بين المماليك الأشرفية برسباي والمماليك الظاهرية جقمق على ما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وفي يوم الاثنين سادس عشره ثارت المماليك الظاهرية جقمق على المماليك الأشرفية برسباي، وضربوا منهم السيفي برسباي أمير آخور، وسنقرقرق شبق ضرباً مبرحاً، وكثر الكلام في اليوم المذكور، وبلغ السلطان ذلك، وتيقن

---

(١) سوق الخيل : لم يعرف المقريزي بها ضمن ما ذكره من أسواق، لكن يستفاد مما أورده في الخطط (ج ٢ ص ٢١٢) تعريفاً بالدار الجديدة أن باب سر قلعة الجبل كان مطلاً عليها.

(٢) أي وسمها برنك أو شارة السلطان.

(٣) في « أ » : « والاطمان » .

(٤) نفسه .

(٥) في « أ »: « ولما ».

كل أحد بوقوع فتنة بين الطائفتين، وأصبح من الغد في يوم الثلاثاء كل من الطائفتين بسوق الخيل في جمع كثير، وكثر الكلام بسبب ذلك، لكن لم يتفاوضوا بالكلام مواجهة ، ثم افترق الجمع بعد وقوف طويل ، وقد انحط قدر الأشرفية في الدولة لكون السلطان لم ينتصر لهم ، ولم ينهر أحداً من الظاهرية . بل قال : الكل مماليكي ، وهم عندي سواء . فعلم كل أحد بانحطاط قدر الأشرفية .

ثم بعد أيام رسم السلطان بنزول المماليك الأشرفية من // الأطباق ، فتحقق الناس انحطاط قدرهم بهذه الواقعة ، ثم بعزل لؤلؤ مقدم المماليك ، ثم بقضية تمراز الدوادار الثاني على ما سيأتي ذلك كله في وقته . [٣٠٣]

وفي يوم الجمعة عشرينه ـ الموافق لرابع عشرين برموده ـ أحد شهور القبط ـ لبس السلطان القماش الأبيض البعلبكي، قماش الصيف.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه، عزل السلطان الطواشي لؤلؤ الأشرفي الرومي عن تقدمة المماليك السلطانية ، وأعاد الأمير مرجان العادلي المحمودي الحبشي إلى تقدمة المماليك على عادته أولاً .

جمادى الأولى

أوله الثلاثاء.

في هذا الشهر ظهر بعيض طاعون بالقاهرة ، ومات به ناس قليلة جداً ممن لا يؤبه إليه .

وفي يوم الثلاثاء المذكور استقر القاضي جلال الدين عبد الرحمن ابن القاضي نور الدين علي ابن العلامة شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن الملقن الشافعي في نظر البيمارستان ، عوضاً عن القاضي ناصر الدين محمد بن المخلطة المالكي بحكم وفاته ، واستمر القاضي بدر الدين ابن المخلطة في نيابة النظر عن القاضي جلال الدين كما كان نائباً عن أبيه أولاً .

وفي يوم الأحد سادسه عزل الأمير تمراز الإينالي الأشرفي عن الدوادارية الثانية، وذلك لسوء خلقه ومجاوبته للسلطان بقلة أدب، وقد تقدم من تمراز

ـ المذكور ـ عزل نفسه غير مرة والسلطان يسأله في العود إلى أن وقع بين بعض مماليكه وبعض مماليك السلطان قتال بالدبابيس، ووقع بسبب ذلك كلام كثير.

وكان قبل ذلك بمدة يسيرة أو في أمس تاريخه وقع بين تمراز ـ المذكور ـ وبين الأمير يونس الدوادار الكبير كلام بسبب محاكمة حكم فيها يونس ـ المذكور ـ فأغلظ تمراز على يونس في اللفظ ، ثم بعد ذلك كله دخل تمراز إلى السلطان وتكلم معه بقلة أدب كالمشتكي على يونس وعلى المماليك السلطانية الذين تقاتلوا مع مماليكه ، ولم يزل يتكلم مع السلطان إلى أن قال له السلطان : أنزل استرح في بيتك . فنزل من وقته ولزم داره إلى ما سيأتي ذكره إن شاء الله .

وفي يوم السبت ثاني عشره خرج المقام الشهابي أحمد ولد السلطان إلى خانقاه سرياقوس وصحبته الأمير خشقدم أمير سلاح ، ويونس الدوادار الكبير ، والقاضي ناظر الجيش ، وجميع مقدمي الألوف // ما عدا الأمير الكبير تنبك ، [٣٠٤]
والأمير طوخ أمير مجلس لمرض به ، والأمير آخور الكبير إلى ملاقاة الأمير جلبان نائب الشام ، بعد أن أرسل السلطان إلى جلبان ـ المذكور ـ بعدة خيول بسروج ذهب وكنابيش زركش وأشياء غير واحدة .

وفي يوم الأربعاء سادس عشره أخلع السلطان على زين الدين يحيى الأستادار فوقاني بطرز ذهب لعافيته من مرضه .

وفي يوم الخميس سابع عشره وصل الأمير جلبان ـ نائب الشام ـ إلى القاهرة بعد أن احتفل الأمراء وأرباب الدولة إلى ملاقاته، وطلع إلى القلعة، ودخل إلى السلطان بالقصر الأبلق المطل على الرملة، المعروف بالخرجة، فلما رآه السلطان قام إليه واعتنقه بعد أن قبل جلبان ـ المذكور ـ الأرض بين يديه، ثم أجلسه السلطان على ميسرته فوق ولده المقام الشهابي أحمد، ولم يطل جلوسه حتى طلب السلطان خلعته، وخلع عليه خلعة الاستمرار بنيابة دمشق على عادته في مكان جلوسه بالخرجة المذكورة، ولم يقع ذلك لأحد من النواب؛ لأن العادة: لا يخلع السلطان على من يخلع عليه إلا بالقصر الأبلق من داخل الخرجة. ثم قام السلطان وخرج إلى القصر ولم يدع جلبان ـ المذكور ـ يقف، بل أمره أن يتوجه إلى حيث أنزله السلطان، فنزل محمولاً لضعف به وكبر سنه ـ أيضاً ـ ونزل

غالب أكابر الأمراء وأرباب الدولة بين يديه إلى أن أوصلوه إلى الميدان الكبير بطريق بولاق تجاه بركة الناصري، ومد له مدة هائلة، وترددت الناس إليه نهاره كله، واستمر إلى يوم الأحد عشرينه قدم إلى السلطان تقدمة ، وكانت تقدمة هائلة تشتمل على عشرة مماليك، ومائتي فرس منها اثنان بقماش ذهب والباقي على العادة، وعدة حمالين منها ستون حمالاً عليها قسي، كل حمال خمسة أقواس، ومنها مائة وعشرون حمالاً بعلبكي على كل حمال خمسة أثواب، النصف منها عال موصلي، وستون حمالاً عليها أبدان سنجاب، وعشرة حمالين عليها فرو سمور، وعشرة عليها وشق، وعدة حمالين فرو قاقم، وستون حمالاً عليها قرضيات كثيرة، وعدة حمالين عليها أثواب صوف ملون، وعدة حمالين عليها شقق حرير وأثواب مخمل تزيد على مائة حمال، وطبق مغطى فيه ذهب مبلغ عشرة آلاف دينار على ما قيل . فقبل السلطان ذلك ، وأخلع على أرباب وظائف جلبان المذكور خلعاً[1] سنية ، وفرق // السلطان من الخيول على أمراء [٣٠٥] الألوف جميعهم على قدر مراتبهم .

وفي هذا اليوم ـ أيضاً ـ رسم السلطان لنقيب الجيش أن يخرج الأمير تمراز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني إلى القدس بطالاً، فنزل وتوجه به من يومه إلى خانقاه سرياقوس

قلت:

ما يفعل[2] الأعداء في جاهل ما يفعل الجاهل في نفسه

(السريع)

فإن تمراز هذا كان في الدولة الظاهرية جقمق من جملة أمراء العشرات، وكان ممن لا يؤبه إليه حتى مات الظاهر وثار مع الملك الأشرف إينال لما وثب على الملك المنصور عثمان مع من انضم إليه من المماليك الأشرفية والمؤيدية والناصرية وغيرهم، فلما تسلطن الأشرف قرب تمراز ـ هذا ـ وجعله دواداراً ثانياً

---

(١) في « أ » : « خلع » .

(٢) في « أ » : « تفعل » .

وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وصار له كلمة في الدولة وحرمة وافرة، وهابته الناس لشراسة خلقه وحدة مزاجه، وباشر الدوادارية أقبح مباشرة من الظلم والعسف والإخراق بالناس والبطش بحواشيه وأرباب وظائفه ومماليكه، حتى تجاوز الحد، وما كفاه ذلك حتى صار يخاطب السلطان بما يكره، وبقي في كل قليل يغضب ويعزل نفسه، ووقع له ذلك غير مرة، فلما زاد وخرج عن الحد عزله السلطان، ولزم داره أياماً، ثم أخرج إلى القدس حسبما تقدم ذكره، وأراح الله المسلمين منه، وما ربك بظلام للعبيد. وأنعم السلطان بإقطاع تمراز ـ المذكور ـ على الأمير كزل السودوني المعلم، وعلى الأمير قلمطاي الإسحاقي الأشرفي نصفين بالسوية.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه أعيد الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم إلى الوزر بعد عزل فرج بن النحال كاتب المماليك عنها، وسر الناس بولاية أمين الدين هذا سروراً عظيماً؛ لحسن سيرة أمين الدين ـ المذكور ـ ولقبح سيرة فرج؛ فإنه باشر الوزر على طريقة أشرار القبطة، وأخذ ما لا يستحقه، وقطع في وزارته للناس (أشياء) ، هذا مع الوضاعة والحرفشة والبهدلة الزائدة والعجز عن القيام بالكلف السلطانية، فكان في أيام التفرقة يركب فرسه ويدور على الناس يقترض منهم النزر اليسير الذي لا قيمة له. وبالجملة فلم نعهد في زمانـنا وزيراً أقبح سيرة ولا أسوأ حالاً منه.

[٣٠٦] ومما وقع له من البهدلة أنه لبس يوم عيد الفطر خلعته// مع جملة أرباب الدولة، ونزلوا الجميع من الشارع، فبينما هم في الطريق وقفوا الجميع من عظم ازدحام الناس، فنظر إليه شخص من أصحابنا الأشراف وقال له: أنت غلس، ولو لبست حلة من الجنة. فقال له فرج المذكور: أضربك يا شريف؟ فقال له الشريف: تكذب؟ ولا الملك ما يقدر على ذلك. فضحك الناس من ذلك. واستمروا يضحكون من ذلك أياماً كثيرة.

وفي هذا اليوم ـ أيضاً ـ استقر الأمير بردبك صهر السلطان دوادارا ثانياً، عوضاً عن تمراز الإينالي الأشرفي المذكور آنفاً.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه أضاف السلطان الأمير جلبان نائب الشام.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه استقر الأمير جانبك من أمير الأشرفي الخازندار أمير حاج المحمل على عادته في السنة الماضية.

وفيه قدم الأمير خير بك المؤيدي ـ أحد مقدمي الألوف ـ من كشف البهنسا، وألبسه السلطان كاملية بمقلب سمور.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه أخلع السلطان على الأمير حديثة بن عذار ابن عجل بن نعير بإمرة عرب الشام، بعد عزل ابن عمه عساف، بسفارة الأمير جلبان نائب الشام من غير رضى نائب حلب.

جمادى الآخرة

أوله الأربعاء.

ففي يوم الخميس ثانيه لبس قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني الشافعي خلعة الاستمرار؛ فإنه كان أشيع بعزله بالسراج الحمصي أو بيحيى المناوي.

وفيه سافر الأمير جلبان نائب دمشق إلى محل كفالته.

وفيه نودي على الذهب بالقاهرة وأعمالها بأن يكون صرف كل دينار بثلاثمائة وعشرين درهماً، بعد أن كانت المعاملة به قبل تاريخه قد وصلت إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً.

وفيه رسم السلطان بنقل الأمير قاني باي الموساوي السيفي تمربغا المشطوب نائب ألبيرة إلى نيابة ملطية بعد عزل الأمير جانبك الجكمي عنها، واستقر في نيابة ألبيرة ناصر الدين محمد والي الحجر ـ كان ـ بقلعة حلب، عوضاً عن قاني باي المذكور.

وفي يوم الجمعة ثالثه وصلت رمة سيدي خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق من ثغر دمياط، وصلى عليه بتربة جده الملك الظاهر برقوق، ودفن بها

ـ أيضاً ـ بعد أن أقاموا العزاء عليه نحو العشرة أيام، وأمعنوا في ذلك وأفحشوا فيه إلى الغاية، بحيث أن امرأة ماتت من عظم اللطم على وجهها وصدرها في العزاء المذكور، وهذا شيء لم// نعهد مثله. [٣٠٧]

وفي يوم الخميس تاسعه نودي على الذهب ـ أيضاً ـ بالسعر الذي نودي به في ثاني الشهر المذكور.

قلت : وهـذا شيء لا يتم ، وأظنه ينمـو إلى أزيد من ثـلاثمائـة وخمسـين درهماً ، والله أعلم .

وفي يوم الأربعاء خـامس عشره استقـر القاضي تـاج الدين ابن المقسي في كتـابة المـماليك السلطانيـة ، عوضـاً عن فرج بن النحـال القبـطي المعـزول عن الوزر ، وكان المباشر للوظيفة في مدة ولاية فرج الوزير شخصـاً[١] من أصاغـر الأقباط يسمى زين الدين عبد الرحمن .

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه ـ الموافق لسادس عشرين بئونة ـ أخذ قاع النيل المبارك فجـاءت القاعـدة ـ أعني الماء القـديم وما أضيف إليـه من الماء الجديد ـ سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً .

وفيه خرجت تجريدة إلى البحيرة بسبب نزول عرب لبيد، نحو ستمائة نفر من المماليك السلطانية ومقدمهم الأمير جانم الأشرفي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وصحبته الأمير برسباي البجاسي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ـ أيضاً ـ وعدة أمراء من أمراء الطبلخانات والعشرات.

وفي هذا الشهر كان الفراغ من مدرسة الأمير بردبك الدوادار التي أنشأها بخط قناطر السباع [٢] ، وأقيم بها الخطبة .

---

(١) في « أ » : « شخص » .

(٢) خط قناطر السباع ، نسبة إلى قناطر السباع التي أنشأها « الظاهر بيبرس »، ناصباً عليها سباعاً هي رنكه ، ثم جلدها « الناصر محمد بن قلاوون » توسعةً وخفضاً سنة خمس وثلاثين وسبعمائة للهجرة.

شهر رجب

أوله الجمعة.

فيه أعيدت المعاملة بالدينار الذهب الأشرفي إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً من غير مناداة السلطان.

وفي يوم الثلاثاء خامسه أعيد القاضي محب الدين محمد بن الأشقر إلى وظيفة كتابة السر الشريف بالديار المصرية بعد عزل محب الدين محمد بن الشحنة عنها، وسر الناس بولاية محب الدين ابن الأشقر سروراً زائداً.

وفي يوم الاثنين حادي عشره دار المحمل بالقاهرة، ولعبت الرماحة بالقاهرة بالرميلة كما فعلوا في العام الماضي.

وفي يوم الأحد سابع عشره عرض القاضي جمال الدين ناظر الجيش والخاص الكسوة التي عملها لمقام سيدنا إبراهيم الخليل - عليه السلام - وخلع عليه من الغد في يوم الاثنين كاملية مخمل أحمر بفرو سمور بمقلب سمور، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، فلما وصل إلى داره ألبس الخلعة المذكورة للأمير بردبك الدوادار الثاني، وأركبه - أيضاً - الفرس المذكور بسرجه وقماشه، ثم أصبح السلطان أخلع على القاضي ناظر الخاص المذكور - أيضاً - // مثل خلعته بالأمس، وأركبه فرساً مثل فرسه بالأمس. [٣٠٨]

قلت: لا يستكثر عليه، إذا لبس في كل يوم خلعة مثل ذلك، فإن القاضي ناظر الخاص - المذكور - هو عظيم المملكة - الآن - والمشار إليه في حلها وعقدها، وهو أهل لما هو أكثر من ذلك.

وفي يوم الثلاثاء المذكور خلع السلطان على الشريف مخدم بن عقيل بإمرة مدينة الينبع بعد موت عمه معزاً.

= راجع: المقريزي. الخطط ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧.
ولعل ميدان السيدة زينب - الحالي - يأتي في موضعها.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه وصل شاهين التاجي دوادار الأمير جانم الأشرفي من البحيرة ومعه قائد من قواد عرب لبيد ، يذكر أن عرب لبيد طائعة للسلطنة ، وأنهم يريدون رضى السلطان عليهم ، فرحب به السلطان .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه سافر الأمير بردبك الدوادار الثاني وصهر السلطان إلى القدس الشريف وعلى يده كسوة برسم مقام الخليل عليه الصلاة والسلام، وسافر مع بردبك ـ المذكور ـ القاضي شرف الدين التتائي الأنصاري، والطواشي شاهين الساقي الظاهري، وخرج بردبك ـ المذكور ـ من القاهرة بتجمل زائد ، وبين يديه أكابر الدولة وأعيانها .

وفي يوم الأحد رابع عشرينه استقر يار علي العجمي الخراساني الطويل في حسبة القاهرة بعد عزل عبد العزيز بن محمد الصغير عنها، وقد تقدم ولاية الشيخ (يار) علي هذا لحسبة القاهرة غير مرة كما تقدم ذكره.

شعبان

أوله السبت.

ففي يوم الخميس سادسه وصل الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني ـ كان ـ من بلاد الروم إلى القاهرة المحروسة وعليه خلعة خوند كار محمد بن مراد بك بن عثمان متملك برصا وغيرها من بلاد الروم [1] ـ ولبسهم غير لبس المصريين ـ فقدم يرشباي ـ المذكور ـ بتلك الهيئة على عادة من يتوجه إليهم ، وطلع إلى القلعة وقبل الأرض ، وعرف السلطان أن محمد بك ـ المذكور ـ أحسن إليه غاية الإحسان ، ثم نزل إلى داره .

وفي يوم الأحد تاسعه أحضر إلى بين يدي السلطان البدوي المعروف بالفضل، الذي كان قبل تاريخه يقطع الطريق ويخيف السبيل ومعه ابن عمه. فأمر السلطان بضربهما بالمقارع ، فضربا بين يديه ، ثم سمرا[2] على جملين ،

---

(١) بعدها في «أ»: «إلى القاهرة المحروسة»، وهو تكرار لا فائدة منه

(٢) التسمير : عقوبة قاسية تدق فيها بعض أعضاء المعاقب في لوح من الخشب أو نحوه بمسامير =

ثم سلخا وجعل جلدهما بواً[1] ، وأرسلا إلى الشرقية .

وسبب ذلك أن الفضل ـ المذكور ـ كان خارجاً عن الطاعة قاطعاً للطريق مخيفاً للسبيل ، دام على ذلك // مدة سنين ، وشهر بالشجاعة ، وتطلبته الولاة [٣٠٩] والكشاف فلم يقدروا على تحصيله ، فكان يأتي البلد الكبيرة نهاراً ويقيم على بعد منها ، ثم يرسل قاصده إلى أهل تلك البلد يقول : قد قرر عليكم الفضل كيت وكيت . فيقوم أهل البلد ـ المذكور ـ يجبون له ما طلبه بسرعة ويأتونه به من غير تهاون ، وإن لم يفعلوا ذلك غضب عليهم وغاب عنهم أياماً قلائل ثم يطرقهم ليلاً ويأخذ ما شاء ؛ وأقام على ذلك مدة وأعيا الحكام أمره ، إلى أن قدم إلى السلطان طائعاً ، فأمنه السلطان وتاب عن ذلك ، ونزل إلى القاهرة وشق بها ، وأقام بها أياماً ، وصار إذا مشى بالقاهرة تعدو العوام خلفه للفرجة عليه ، وهو يضحك من ذلك ، ثم توجه بعد ذلك إلى بلاده وأقام أشهراً ، فبلغ السلطان من الأستادار زين الدين أن الفضل صار يفعل كما كان يفعل أولاً ويقطع الطريق في الباطن ، فلا زال به زين الدين الأستادار حتى استقدمه بالأمان ، وطلع به إلى السلطان ، وكان ذلك آخر العهد به .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره ـ الموافق لرابع عشر مسرى ـ أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً، وزاد سبعة أصابع من الذراع السابع عشر، ونزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة وعدى النيل حتى خلق المقياس ، وعاد وفتح خليج السد على العادة ، وكان يوماً مشهوداً .

= غلاظ ، ثم يوضع على جمل يطوف به تشهيراً وتنكيلاً، تمهيداً لتوسيطه (قتله) إن لم يكن هناك من يشفع فيه وتقبل شفاعته .

راجع : ابن دقماق. الجوهر الثمين ج ٢ ص ١١٥ ـ ١١٦ ح ٩، ابن صصري . الدرة المضية في الدولة الظاهرية ص ١٠٤ .

(١) البو : ولد الناقة ، وجلد الحُوَار يُحْشى ثُماماً أو تبناً فيقرب من أم الفصيل ، فيعطف عليه فتدر .

راجع الفيروزابادي . القاموس المحيط ص ١٦٣٣ .

وعلى ذلك فالمراد أن جلدهما سلخ وحشي تبناً على صورة جلد الحوار .

ولله در القائل في ذلك :

خـزن الخزان لمـا أن رأى ... نيلنـا قد عم سهـلاً وجبـل
ورأى الزرع عروقاً أخرجت ... سبـلات ذات حب فاختبـل
وبـكى إذ رمـدت مـقـلتـه ... زاده الله عـروقـاً وسـبـل

[الرمل]

وفي يوم الخميس العشرين منه ورد الخبر على السلطان من البحيرة بأن الأمير جانم ـ أحد مقدمي الألوف ـ ركب بمن معه من المماليك السلطانية من منزله وطرق عرب لبيد وحصل بين الفريقين قتال عظيم، وانتصر جانم ـ المذكور ـ على عرب لبيد، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر جماعة أخر، وغنم عسكره شيئاً كثيراً، ولم يقتل من عسكره غير أناس قليلة، من المماليك السلطانية اثنان ومن مماليك الأمراء واحد، فسر السلطان بذلك وخلع على شاهين دوادار [٣١٠] الأمير جانم // وشكر له ذلك، ورسم باستمرار العسكر هناك إلى أن يرسم السلطان بعودهم.

وفي هذه الأيام كلم زين الدين الأستادار السلطان في قطع جوامك أولاد الناس المستخبزة، فمال السلطان إلى كلامه وعرضهم في يوم الأحد ثالث عشرينه بالحوش السلطاني، وقطع جوامك جماعة كثيرة منهم، فعظم ذلك على الناس، وانطلقت الألسن في حق زين الدين الأستادار وغيره، ودام هذا الأمر إلى أن حضر الأمير بردبك صهر السلطان ـ الدوادار الثاني ـ من القدس الشريف وصحبته القاضي شرف الدين موسى التتائي الأنصاري، والطواشي شاهين الساقي الظاهري، وخلع السلطان عليهم ونزلوا إلى دورهم، ثم طلع بردبك ـ المذكور ـ بعد ذلك إلى السلطان وعرفه أن فيما فعله من قطع جوامك أولاد الناس دماراً عليه وعلى مملكته، فرجع السلطان إلى كلامه على ما سيأتي ذكره.

ولما عرض السلطان أولاد الناس في اليوم المذكور وقطع من قطع منهم وعظم ذلك على الناس استأنف السلطان من العرض ثانياً؛ فإنه لم يعرض في ذلك اليوم غير ستة أطباق، ورسم لزين الدين الأستادار أن يتحدث (في) ذلك،

وينظر من يكون إقطاعه كبيراً يقطع جامكيته، ومن يكون إقطاعه دون ذلك يبقيه؛ فحينئذٍ وصل زين الدين إلى مراده وفتك في الخلق، فلما رأى الوزير الصاحب امين الدين إبراهيم ذلك تحرك - أيضاً - وشكا إلى السلطان كثرة الرواتب، فرسم السلطان بقطع من يكون له زيادة على زبدية من اللحم الراتب، فقطع شيء كثير - والزبدية عبارة عن رطلين ونصف وربع رطل، وإن كان صاحب وظيفة يكون له خمسة أرطال لا غير، وكان قبل ذلك يأخذ صاحب الوظيفة ثمانية أرطال، وبعضهم يأخذ عشرة، وهذا الأمر ليس هو بالتخصيص في حق أولاد الناس بل المماليك السلطانية جميعهم قاطبة - فعند ذلك كثر هرج الناس وماج العسكر ، فتكلم بردبك مع السلطان في ترك ذلك جميعه ، وأن يكون كل أحد على حاله ، فرسم له بذلك .

شهر رمضان

أوله الاثنين.

فلما كان يوم الأربعاء ثالثه نودي بالقاهرة من قبل السلطان بأن كل أحد مستمر على حاله ، ومن قطع له شيء يعود إليه كما كان أولاً ، من أولاد الناس و (من) غيرهم ، وكذلك في رواتب // اللحم وغيره ، فسر الناس بذلك . [٣١١]

وفي يوم الخميس رابعه وصل الأمير جانبك الظاهري جقمق - أحد أمراء الطبلخانات وشاد بندر جدة - من الحجاز الشريف إلى القاهرة، وطلع إلى السلطان، وقبل الأرض، وخلع عليه وعلى رفيقه القاضي تقي الدين ابن نصر الله.

وفي يوم الخميس ثامن عشره قدم من البحيرة إلى القاهرة قوزي القردمي الخاصكي (وأخبر) بأن عرب لبيد رحلت من البحيرة إلى نحو بلادهم.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه قبض زين الدين يحيى الأستادار على علي ابن الأهناسي المعزول عن الأستادارية قبل تاريخه من بيت بعض الأقباط الكتبة، وأخذه هو ووالده على أقبح وجه إلى داره، فأقام عنده ثلاثة أيام ثم تسلمه منه المقر الجمالي ناظر الجيش والخاص.

وسبب قبض زين الدين عليه بحساب كان بينهما متعلق بديوان ابن السلطان، وأيضاً لما في النفوس.

وكان علي بن الأهناسي قبل تاريخه بمدة يسيرة وقع بينه وبين زوجته أمور وشكاوٍ[1] عند القضاة ، ورافعت فيه زوجته - المذكورة - عند السلطان وغيره ، وأفحشت في ذلك إلى الغاية .

قلت: وهذا تصديق قول من قال: كن من الخيرات منهن على حذر ولو طالت المدة.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه وصل الأمير جانم بمن معه من الأمراء والعساكر من البحيرة ، وخلع السلطان عليه وعلى رفقته .

شوال

أوله الثلاثاء، ويوافقه سابع عشرين توت.

فيه نودي على النيل المبارك بزيادة أحد عشر إصبعاً من عشرين ذراعاً ، وهذا انتهاء زيادته في هذه السنة .

وفي يوم الخميس ثالثه خلع السلطان على جماعة من مشايخ البحيرة بعد أن ضمنوا أمر عرب لبيد، وأن لبيد يقيموا بالبحيرة للبيع والشراء حتى ينتهي أمرهم ثم يعودون إلى بلادهم، فرسم لهم السلطان بذلك.

وفي ليلة الجمعة رابعه - ويوافقه الثلاثين من توت - أمطرت القاهرة مطراً عظيماً مع رعد وبرق حتى غرقت الطرقات، هذا والبحر في عشرين ذراعاً حسبما تقدم ذكره، لكنه من يومه أخذ في النقص، فسبحان من يتصرف في ملكه كيف يشاء.

[٣١٢] وفي يوم الخميس عاشره// قدم من طرابلس الأمير فياض بن ناصر الدين بك بن دلغادر ليسعى في نيابة أبلستين بعد وفاة أخيه سليمان بن ناصر الدين

(١) في « أ » : « وشكاوي » .

بك بن دلغادر، وقد راج أمر ولاية ابن أخيه رسلان بن سليمان في نيابة أبلستين، ولم يبق إلا سفر من يتوجه إليه بالتقليد والتشريف، فلم ينتج أمر فياض المذكور، وسافر يشبك الخاصكي الأشرفي وعلى يديه تقليد رسلان المذكور بنيابة أبلستين، واستمر فياض هذا على إمرته بطرابلس، وهي إمرة طبلخاناه.

وفي يوم السبت ثاني عشره قدم إلى القاهرة ركب المغاربة وصحبتهم تقدمة هائلة من صاحب الغرب للسلطان، فأنزلهم السلطان بالميدان من تحت قلعة الجبل، وكانوا جمعاً كبيراً إلى الغاية، ومعهم أشياء كثيرة من أنواع المتجر كالرقيق والخيول والأقمشة وغير ذلك، ونفق سوقهم على المصريين وباعوا أحسن بيع.

وفي يوم السبت تاسع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير جانبك من أمير الأشرفي برسباي الخازندار بالمحمل إلى بركة الحجاج، وأمير الركب الأول في هذه السنة الأمير خير بك الأشرفي برسباي - أيضاً - أحد الدوادارية الأجناد، واستقل الركب الأول بالمسير من بركة الحجاج في صبيحة يوم الاثنين، وسافر المحمل من الغد في يوم الثلاثاء ومعهما خلائق لا تحصى من الحجاج من أجناس مختلفة كالمغاربة والتكرور والتركمان وغيرهم، فالله تعالى يعاملهم بلطفه بمنه وكرمه.

وفيه وصل قاصد الأمير قاني باي الحمزاوي - نائب حلب - إلى القاهرة وعلى يده مطالعة مرسله تتضمن طلب حضور نائب حلب - المذكور - إلى القاهرة، فشكر له السلطان ذلك ولم يأذن له في المجيء، وأرسل إليه فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش، وكثر الكلام في طلب نائب حلب المجيء؛ فإنه كان قد أشيع بعصيانه من أول دولة السلطان، بل من أواخر الدولة الظاهرية جقمق، وإنه لا يعلن بالعصيان ولا إذا طلب للحضور إلى الديار المصرية يحضر، واستمر على ذلك، فلما طلب - الآن - الحضور. فمن الناس من قال: إن هذا الطلب مكيدة، وأنه أرسل ليستفهم لينظر ما يفعله السلطان، ومن الناس من قال غير ذلك، والله أعلم.

قلت: والذي فعله السلطان هو الصواب؛ لأنه إن كان عاصياً كانت // الفتنة تثور ويصير الأمر إلى أمور، وإن كان طائعاً فلا يضره عدم مجيئه. [٣١٣]

وفي يوم الخميس رابع عشرينه وصلت إلى القاهرة من نابلس رأس محمد بن عبد القادر المعزول عن مشيخة نابلس بابن عمه قبل تاريخه، وطيف بها على رمح في شوارع القاهرة ، ثم علقت أياماً .

وسبب قطع رأسه أنه كان لما عزله الملك الظاهر جقمق ـ رحمه الله ـ حبسه بسجن الإسكندرية، فاستمر في السجن إلى هذه السنة تحيلَ بأن لبس زي النسوة، وخرج من السجن، ولازال حتى توصل إلى نابلس، وانضم إليه جماعة من أعوانه وأصحابه، وطرق ابن عمه المتولي وتقاتلا، فانكسر محمد ـ هذا ـ وقتل، وقتل معه جماعة من أصحابه، وأرسل ابن عمه رأسه إلى السلطان، فسر السلطان بذلك وأرسل إلى ابن عمه باستمراره.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر حْضر إلى القاهرة الأمير سودون الأبو بكري المؤيدي المعزول عن نيابة حماه قبل تاريخه في الدولة الظاهـرية ، والمستقـر على تقدمة ألف بدمشق .

وسبب قدومه أنه كان قد مرض في العام الماضي مرضاً شديداً، فأخرج الملك الأشرف إينال تقدمته للناصري محمد بن مبارك، فلما عوفي حضر لطلب رزق، فأنعم السلطان عليه بتقدمة ألف بطرابلس إلى أن ينحل له إقطاع.

وفي هذه الأيام ـ أيضاً ـ هرب محمد بن علي بن إينال ولم يعلم أحد أين توجه.

وسبب تسحبه شكوى خوند بنت الملك المؤيد عليه بسبب هدمه لمنظرة الخمس وجوه المعروفة بالتاج وسبع وجوه وأخذه أنقاضه.

ومحمـد هذا كـان من مساوىء الملك الـظاهر جقمق، ربـاه صغيـراً؛ لأن الظاهر كان قبل أن يتصل إلى الملك الظاهر برقوق كان مملوكاً لأمير على والد محمد المذكور ، فلأجـل ذلك أخـذه ورباه ، ثم جعله من جملة ممـاليكه لمـا كبر، واستمر على ذلك سنين ، ثم بدا له أن يترك زي الجند ويلبس بالفقيري ، ففعل ذلـك . وتفقر وسـأل الناس ، وتخـومل ، ودام عـلى ذلـك دهـراً إلى أن تسلطن الملك الـظاهر جقمق طلبـه وأمره أن يلبس كعـادتـه أولاً ، فـامتنـع ولم يفعـل ، واستمر على حـاله . وكـان أخوه أحمـد ـ أيضاً ـ بخـدمة الملك الـظاهر جقمق ،

وأحمد هو الأسن // ، وهم غير أشقاء ، فأنعم الملك الظاهر جقمق على أخيه [٣١٤]
أحمد بإمرة عشرة، فلما رأى محمد هذا ما وقع لأخيه أحمد داخله الحسد، وبقي لا يمكنه العود إلى الجندية، ففتح باباً آخر من السؤال والطلب والبلص، وصار لا يقنعه ما في بيت المال من الملك الظاهر جقمق ، وبقي يركب حماراً ويطلع إلى القلعة ويتردد إلى الأكابر ويسألهم طيبة وغصباً ، وأظهر من قبيح الخصال وعظم الطمع ما سيذكر عنه إلى يوم القيامة ، ثم بعد مدة ركب فرساً ثم صار أمير شكارا ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ، وذلك بعد أن أخذ عدة إقطاعات حلقة ، ولم يكفه هذا كله حتى أنهى إلى الملك الظاهر أن التاج ـ المذكور ـ يقع فيه من المتفرجين فواحش وأمور عظيمة ، وأن هدمه من أكبر المصالح ، ولم يكن لكلامه صحة ، وإنما كان هذا المكان من أحسن أبنية مصر وأنزهها ، وأما الشيخ حيدر الذي كان ساكناً به فكان من خيار الناس ديناً وصلاحاً وعفة ، وكان ممن يلتمس منه الدعاء ، وكان قد عمل فيه محراباً وأعلاماً من أعلام الرفاعية ، وصار لا يسمى التاج ـ هذا ـ إلا الزاوية .

وبالجملة، لقد كان التاج من محاسن الدنيا، وهو من البناء القديم بالقرب من كوم الريش خارج القاهرة ، وتشعث بنيانه وتهدم ، فجدده الملك المؤيد شيخ ـ رحمه الله ـ وغرم عليه نحو العشرين ألف دينار ، ونزل إليه من القلعة غير مرة ، وأقام به وعمل فيه الخدمة ، وأراد أن يعمر ما حوله فأدركته المنية ، فلما تسلطن الملك الأشرف برسباي أسكن به الشيخ محمد حيدر الرفاعي هذا وإخوته وأنعم عليه برزقة بالقرب منه ، فدام به حيدر ـ المذكور ـ نحو الثلاثين سنة . وكان بيني وبينه صحبة أكيدة ، وكان من الأفراد في معناه ، ديناً خيراً عفيفاً عن ما يرمي به أوباش العجم ـ رحمه الله تعالى .

فلما سمع الملك الظاهر كلام محمد ـ هذا ـ صدقه وأمر بهدمه ، فتولى محمد ـ هذا ـ هدمه ، واستولى على جميع أنقاضه ، وباع منه بجمل مستكثرة من أحجار وأخشاب وشبابيك حديد وأشياء غير ذلك لا تدخل تحت حصر ، وصار التاج ـ المذكور ـ خراباً قفراً ، وما كفاه هدم التاج حتى عمر ببعض أنقاضه موضعاً على كوم القنطرة الجديدة سموه العوام : المخلوعة ، فصار // يأويه [٣١٥]
الحشاشين والفسقة ، فعظم على الناس قاطبة هدم التاج ـ المذكور ـ إلى الغاية .

وهيئة محمد ـ هذا ـ أنه رجل طوال كبير اللحية والشوارب، أهوج[1] في كلامه، وأما لبسه، فيلبس على رأسه قطعة شاش زي العامة السوقة، ويلبس ثياباً بأكمام كبار كهيئة عرب البحيرة، ويركب بسرج بداوي، يركب قدور كهيئة الأعراب ـ أيضاً ـ ثم يحمل في بعض الأحيان على يده طيراً من الطيور الجوارح، ويمشي على هذه الهيئة بالشوارع، فإذا نظر إليه من لا يعرفه يتحير في أمره واختلاف ملبسه، فكانت هيئته مهولة مضحكة، وكل ذلك من الجنون وخفة العقل، والجنون فنون، واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال أخرج إمرته عنه ومنعه من الأمير شكارية، وأخذ أمره في انحطاط إلى أن شكت عليه بنت المؤيد وطلبت منه ثمن ما باعه من أنقاض التاج ، فأقام في الترسيم أياماً ووزن بعض ذهب ـ أقل من ألف دينار ـ ثم هرب فلم يعرف أين ذهب ـ إلى حين ألقت[2] ـ ثم ظهر بعد أيام ولزم داره .

ذو القعدة

أوله الأربعاء.

ففي يوم الثلاثاء سادسه عين السلطان تجريدة إلى البحيرة بسبب عود عرب لبيد، ومقدم العسكر الأمير الكبير تنبك الظاهري، فاستعفى تنبك ـ المذكور ـ فعين عوضه الأمير خير بك المؤيدي ـ أحد مقدمي الألوف ـ وعين معه عدة أمراء طبلخانات وعشرات.

وفي يوم الجمعة عاشره ـ ويوافقه خامس هاتور ـ لبس السلطان القماش الصوف الملون ، وألبس الأمراء على العادة .

وفي يوم السبت حادي عشره عرض السلطان المماليك السلطانية وكتب منهم جماعة كبيرة إلى البحيرة، ثم عرض في يوم الأحد من الغد ـ أيضاً ـ وكتب جماعة أخر، ثم في يوم الأربعاء خامس عشره ، ثم سكن الحال ، وورد بعد ذلك الخبر بردود (عرب) لبيد .

---

(١) في « أ » : « أهوجاً » .
(٢) كذا في الأصل.

وفي يوم السبت حادي عشره ـ أيضاً ـ هرب الوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم واختفى، فتغير السلطان على جماعة المباشرين.

ثم في يوم الاثنين قبض السلطان على زين الدين يحيى الأشقر وعوقه بقلعة الجبل، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج نقيب الجيوش المنصورة في يوم الثلاثاء رابع عشره بالأستادارية، عوضاً عن زين الدين المذكور، وخلع ـ أيضاً ـ علي فرج كاتب المماليك بعوده إلى الوزر، عوضاً عن الصاحب أمين الدين إبراهيم// بن الهيصم، وكان في أمسه قد خلع علي فرج المذكور [٣١٦] بعوده إلى كتابة المماليك، عوضاً عن القاضي تاج الدين عبد الله بن المقسي، وكان القاضي تاج الدين ـ المذكور ـ قد باشر كتابة المماليك أحسن مباشرة، وسلك فيها أجمل طريقة، وحسنت سيرته في ذلك وأحبته الناس.

وفي يوم الأربعاء ضرب السلطان زين الدين الأستادار وألزمه بحمل جملة كبيرة من المال، وأخذ زين الدين في بيع قماش بدنه وأوانيه وغير ذلك.

وفي يوم الاثنين العشرين منه أخلع علي القاضي حسام الدين ابن بريطع باستقراره قاضي قضاة الحنفية بدمشق، عوضاً عن القاضي حميد الدين، بحكم عزله وإخراجه إلى حلب.

وفي يوم الخميس أخرج القاضي محب الدين ابن الشحنة إلى القدس بطالاً.

وفي يوم السبت خامس عشرينه أطلق زين الدين يحيى الأستادار من محبسه بالقلعة ونزل إلى بيت القاضي ناظر الجيش والخاص على أنه يفي ما بقي عليه ثم يتوجه إلى القدس ويقيم به بطالاً.

وفيه استقر عبد العزيز بن محمد الصغير في نقابة الجيش، عوضاً عن الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج، بحكم استقراره في الأستادارية عوضاً عن الأمير زين الدين يحيى الأشقر.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه رسم السلطان أن يطلع المهندسون إلى

مدرسة السلطان حسن لكشف مئذنتها القبلية، فإنه قيل: للسلطان إنها أشرفت على السقوط، فطلع إليها جميع مهندسي القاهرة فلم يجدوا بها شيئاً مما قيل، بل من كثرة الرمي عليها بالمكاحل في أيام الحروب تخرق بعض رصاص القبة وانعوج هلال القبة، فأخرج الهلال وبقيت القبة بلا هلال.

قلت: وهذا أمر سهل (لا) بالهلال ولا بالمئذنة؛ فإن هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا، وهي أحسن بنيان بنى في الإسلام، وقد استكملت هذه المدرسة من يوم الابتداء في عملها إلى سنتنا هذه مائة سنة؛ فإن الملك الناصر حسن شرع في بنائها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وقتل في سنة اثنتين وستين وسبعمائة - رحمه الله تعالى - وكان بناؤه لهذه المدرسة وعمارته لها على هذه الهيئة مما يدل على علو همته، رحمه الله تعالى.

ذو الحجة

أوله الخميس.

[٣١٧] ففي يوم الجمعة ثانيه سافر زين الدين// الأستادار إلى القدس بطالاً.

وفي يوم الاثنين خامسه خلع السلطان على شخص من الأسالمة يسمى شمس الدين نصر الله بن النجار باستقراره في نظر الدولة، وكان لهذه الوظيفة مدة أشهر شاغرة.

قلت: ما أحلى هذا القران، ما لهذا الوزير إلا هذا الناظر الدولة، ولو ولي التاج الخطير استيفاء الدولة لكان تكمل الدست به.

وفي يوم السبت عاشره صلى السلطان صلاة عيد الأضحى ثم خرج إلى الإيوان ليضحي، وجلس حتى يقوم للذبيحة وإذا بالمماليك الجلبان قد هجسوا على الإيوان، فردهم من حضر من رءوس النوب، فتقهقروا قليلاً، ثم حطموا حطمة كبيرة، وأكثروا من الرجم حتى أصيب بعض الأمراء، ثم اقتتلوا فيما بينهم وعظمت الغوغاء، فقام السلطان من وقته ولم يذبح شيئاً بالجملة، وتوجه إلى الحوش وذبح به. فكانت هذه القضية من أقبح الأمور.

وفي يوم الثلاثاء العشرين منه وصل إلى القاهرة الأمير آقبردي الساقي الظاهري أتابك حلب ، وقبل الأرض بين يدي السلطان ، وأخلع عليه كاملية بمقلب سمور .

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه نزلت المماليك الجلبان الذين بالأطباق وقصدوا بيت الأستادار ابن أبي الفرج ، ونهبوا جميع ما كان فيه من قماش وذهب ومتاع وأوان[1] وسلاح ، وقيل : كان شيئاً كثيراً إلى الغاية ، قيل : إن قيمة ما أخذ من بيته في هذه النهبة خمسة وعشرون ألف دينار ، هذا بعد هتك حرمه والرعب الذي حصل لهم ، وكان سبب ذلك تعويق الجامكية .

ولما وقع ذلك شاعت الأخبار وانتشرت بالبلاد والقرى، وكثر قطع الطريق وإخافة السبيل، كل هذا والسلطان لا يكترث بما وقع ولا يلتفت إلى إصلاح شأنه، فسبحان المدبر.

وفي يوم الأربعاء مسك السلطان عبد الرحمن كاتب المماليك ، وضربه علقة هائلة ، وحبسه بالقلعة إلى أن تكلم فيه فأطلقه من الغد على أنه يقوم بخمسة آلاف دينار ، ثم آل أمره إلى حمل ألف دينار .

وفي يوم الخميس ـ المذكور ـ أخلع على الأستادار ابن أبي الفرج ـ المذكور ـ خلعة الاستمرار بعد أن استعفى من الوظيفة وذكر أنه لا يملك صفراء ولا بيضاء.

وفرغت هذه السنة والأسعار رخية، غير أن البلاد، غير مطمئنة، والفتن واقعة في البحيرة بين العرب الطائعة والعاصية، والسبل مخافة، وذلك لعدم اكتراث الملك لذلك وللينه.

//وفيها كان الفراغ من مدرسة الأمير بردبك الدوادار الثاني بخط قناطر السباع خارج القاهرة. [٣١٨]

---

(١) في « أ » : « وأواني » .

ومبشر الحاج في هذه السنة شخص من النجابة ، وقد عوق عن الحضور أياماً ، ثم قدم في أواخر العشر الأخير من ذي الحجة .

أمر النيل في هذه السنة

كان الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعاً ، وكان ذلك في مستهل شوال الموافق لسابع عشرين توت أحد شهور القبط . والله الموفق .

ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة

(١) توفي الأمير يلبغا الجاركسي(١)، أحد أمراء الطبلخانات في يوم السبت رابع شهر ربيع الآخر بعد مرض طويل .

كان تركي الجنس، أصله من مماليك الأمير جاركس القاسمي المصارع، ثم صار خاصكياً بعد موت الملك المؤيد شيخ، وأقام على ذلك سنين عديدة إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق، قرب يلبغا المذكور لكونه من جملة مماليك أخيه جاركس المصارع، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وجعله من جملة رءوس النوب، ثم ولاه رأس نوبة ولده المقام الناصري محمد مدة، ثم عزل واستقر على إمرته ووظيفة رأس نوبة السلطان إلى أن ولاه الملك الظاهر بعد سنين نيابة دمياط، وجعله من جملة أمراء الطبلخانات، وطالت مدته بدمياط إلى أن عزله الملك الظاهر قبل موته بمدة يسيرة، وقدم إلى القاهرة ودام بها، ثم مرض وطال مرضه إلى أن أخرج الملك الأشرف إينال إقطاعه وأنعم به على الأميرين: تنم الحسني الساقي الأشرفي، وقلمطاي الإسحاقي الأشرفي، واستمر يلبغا مريضاً بطالاً إلى أن مات في التاريخ المذكور، وسنه نيف على السبعين.

وكان مسرفاً على نفسه، لم يشتهر بدين ولا شجاعة ولا كرم، عفا الله عنه .

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٩٥ تر ٢٦٧٨، المنهل الصافي مج ٣ ق ٣٠٦ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ تر ١١٣٣ .

(٢) وتوفي القاضي ناصر الدين محمد بن . . .(١) ابن قاضي القضاة فخر الدين أحمد بن عبد الله ، الشهير بابن المخلطة(٢) - أحد نواب الحكم المالكية ، وناظر البيمارستان المنصوري - في يوم الأحد تاسع عشرين شهر ربيع الآخر .

ومولده (قريباً من سنة تسعين وسبعمائة) (٣) . وكان فقيهاً عارفاً بمذهبه،
[٣١٩] وعنده دربة بالشروط والأحكام، وولي الحكم سنة سبع عشرة وثمانمائة، //
وحمدت سيرته، وصحب الملك الأشرف إينال قديماً قبل سلطنته، فلما تسلطن ولاه نظر البيمارستان من غير سعي، بعد عزل شرف الدين موسى التتائي الأنصاري عنها، فلم تطل مدته ومات - رحمه الله - في التاريخ المذكور.

وكان - رحمه الله - من بيت علم وفضل ورياسة وأصل عريق، وكان جده قاضي القضاة فخر الدين أحمد من أعيان فقهاء المالكية في زمانه، ذكره العلامة الحافظ برهان الدين ابن فرحون في كتابه المسمى بالديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، فيمن اسمه أحمد ، من الطبقة الأخيرة من أصحاب مالك ، فقال :

«كان فاضلاً في مذهب مالك، إماماً في الأصول والعربية، رحل إلى الشام، وسمع من الحافظ أبي الحجاج المزي وشمس الدين الذهبي وغيرهما، وقرأ الأصول على شيخ الفن شمس الدين الأصبهاني(٤)، والعربية على القاضي عماد الدين أبي الحسن (٥) الكندي، وعلى أثير الدين أبي حيان، وتفقه بالإمام

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٠ - ١٧١ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧ تر ٨٠ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٩.

(٢) بياض في «أ»، وهو في السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٧ تر ٨٠: «محمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن ناصر الدين بن العز المحيوي أبي زكريا السكندري ثم القاهري»، كما أشار في ترجمته لابنه « محمد » - المصدر السابق ج ١٠ ص ٨ تر ١٣ إلى أن « يحيى » جده - فيما يظن - أخو قاضي إسكندرية « الفخر أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله » ، وهو مما لا يستقيم معه النص المثبت في المتن هنا .

(٣) مبيض له في «أ»، مثبت من المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٧ تر ٨٠.

(٤) في «أ»: الأصفهاني.

(٥) في «أ»: الحسين.

أبي حفص عمر ابن قداح[1]، وتفقه بقاضي القضاة فخر الدين المذكور جماعة منهم العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر بن علي بن هلال الربعي وغيره.

وتوفي القاضي ناصر الدين المذكور في التاريخ المذكور، ولم يخلف بعده مثله ضخامة وعلماً ومعرفة وديناً وعفة، رحمه الله تعالى.

والمخلطة بالخاء المعجمة واللام المشددة المكسورة والطاء المهملة، كذا ضبطه الحافظ برهان الدين ابن فرحون في ترجمة جده قاضي القضاة فخر الدين[2]، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنا وعنه.

(٣) وتوفي المقام الغرسي خليل[3] ابن السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك الظاهر برقوق بن آنص الجاركسي الأصل، المصري المولد، الإسكندراني المنشأ، الدمياطي الوفاة، في يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادي الأولى بثغر دمياط ودفن به.

ومولده في سنة أربع عشرة وثمانمائة بقلعة الجبل في حياة والده، وأمه أم ولد تسمى لا أفلح من ظلم، فدام بقلعة الجبل إلى أن أخرجه الملك المؤيد شيخ مع أخيه محمد إلى ثغر الإسكندرية فحبسا بها مدة سنين إلى أن سألت عمتهما خوند زينب زوجها الملك المؤيد شيخ في حضورهما. فأحضرهما إلى قلعة الجبل فختنا بها، واستمرا بقلعة الجبل إلى أن أخرجهما الملك الظاهر ططر ثانياً إلى الإسكندرية في أواخر سنة ثلاث[4]// وعشرين وثمانمائة فداما بها إلى أن توفي [٣٢٠] أخوه محمد بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين، وبعد مدة أطلق خليل هذا من الحبس، ورسم له الملك الأشرف برسباي بالسكني بالإسكندرية من غير أن يركب إلا إلى صلاة الجمعة، فيركب فرس نائبها ويصلي الجمعة ثم يعود إلى داره.

---

(١) في «أ»: فراح.

(٢) راجع: ابن فرحون. الديباج المذهب ت. محمد الأحمدي أبي النور. القاهرة، دار التراث جـ ١ ص ٢٥٦ تر ١٤١.

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٢ تر ١٠٠٤، المنهل الصافي مج ٢ ق ٥٢ ب، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧١ ـ ١٧٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٠١ تر ٧٦١، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٩.

(٤) في هامش «أ»: «حاشية: صوابه: سنة أربع وعشرين».

واستمر على ذلك إلى أن رسم له الملك الظاهر جقمق بـالركـوب، وبعث إليه بفرس عليه قماش ذهب، ثم منع من ذلك مدة طويلة، ثم رسم له ثانياً بذلك، وأذن له في الحج، فتهيأ للحج في سنة ست وخمسين، وقـدم إلى القاهـرة بعد نصف شوال، ونزل بيت صهره زوج أخته خوند شقراء بحدرة البقر، وطلع إلى السلطان بعد مجيئه بيومين، فلما رآه السلطان بالغ في تعظيمه ـ حسبما ذكرناه في وقته في هذا الكتاب ـ حتى إنه جلس بين يديه وخلع عليه كاملية مخمل بمقلب سمور، ونزل إلى بيت أخته إلى أن توجه إلى الحج صحبـة الحجاج، وعـاد، ففي يوم عوده إلى بركة الحاج خلع الملك الظاهر نفسه وسلطن ولده عثمان، فقدم خليل هذا من بركة الحاج ونزل بتربة جده الظاهر برقوق حتى أصبح من الغد وطلع إلى القلعة وسلم على الملك المنصور عثمان، ثم خرج من عنده، وخرج ليعود الملك الظاهر في مرضه، ثم نزل بعد أن ألبسه الملك المنصور كاملية بمقلب سمور، وفي حال نزوله رسم الملك المنصور بتوجهه إلى ثغر دمياط في يومه، فنزل بتربة جده، وسافر من ليلته في بحر النيل إلى دمياط، وكان ذلك في ليلة خامس عشرين المحرم ، فدام بدمياط إلى أن مرض بالبطن ، ومات بدمياط ودفن بها أياماً ، ثم أخرج في سحلية ، وحضرت رمته إلى القاهرة في يوم الجمعة ثـالث جمادي الآخـرة من السنة ، ودفن بتـربة جـده بالصحـراء ، وصـلى عليـه القضاة ثانياً قبل نزوله إلى القبر .

وكان صفته : أخضر اللون، للطول أقرب، نحيف البدن، أسود اللحية، وعنده تمعقل ودهاء مع كبر وجبروت كان فيه، مع إسراف على نفسه وانهماك في اللذات.

وهو زوج كريمتي، ومات عنها وخلف منها بنتاً في السادسة من العمر، وخلف جارية حاملاً ، فولدت من بعده ولداً ذكراً يسمى خليلاً[1] بـاسم أبيه ، رحمه الله ـ تعالى ـ وعفا عنا وعنه .

[٣٢١] (٤) وتوفي القاضي شمس الدين محمد بن عامر[2] ، قـاضي / / قضاة

---

(١) في «أ» : «خليل» .

(٢) هو «محمد بن محمـد بن عامـر»، له تـرجمة في : ابن تغـري بردي. النجـوم الزاهـرة ج ١٦ =

المالكية بصفد ، وبها مات في أوائل جمادي الأخرة .

وكان معدوداً من فقهاء المالكية، وناب في الحكم بالقاهرة سنين عديدة، وولي في بعض الأحيان قضاء المالكية بالإسكندرية غير مرة، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٥) وتوفي الشريف معزا أمير مدينة ألينبع[١] في أواخر جمادي الآخرة بها ، وتولى عوضه إمرة ألينبع ابن أخيه مقبل ، رحمه الله تعالى .

(٦) وتوفي الأمير جانبك الزيني عبد الباسط[٢] بالقاهرة في يوم الأربعاء لعشر[٣] بقين في شهر رجب .

وكان قد ولي الأستادارية في الدولة الأشرفية برسباي في أيام أستاذه عبد الباسط ؛ وسببه أن الأشرف كان قصد تولية عبد الباسط - المذكور - الأستادارية فلما ألح عليه ورأى منه الجد قال: يلبسها مملوكي وأنا أتكفل بأمرها، فقال الملك الأشرف: القصد سد ر[اتب] بيت السلطان، فوليها جانبك - المذكور - حساً والمعنى عبد الباسط ، فدام فيها إلى أن قبض الملك الظاهر جقمق على أستاذه عبد الباسط ، وصادره - قبض على جانبك هذا - أيضاً - مع من قبض عليه من حواشيه ، وتولى الأستادارية من بعده دواداره محمد بن أبي الفرج ، فلما أفرج عن عبد الباسط ، ورسم له بالحج حج صحبته جانبك المذكور ، وتوجها إلى الشام ، فدام جانبك بدمشق إلى أن قدم أيام الملك الأشرف إينال ، وأقام بالقاهرة مدة ، ومات ودفن بتربة أستاذه بالصحراء خارج باب النصر .

= ص ١٧٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ٨٧ - ٨٨ تر ٢٤٦، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٠.

(١) هو « معزى بن هجار بن وبير بن نخبار الحسيني »، له ترجمة في : السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٢ تر ٦٦١.

(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤١ تر ٨٢٩، المنهل الصافي ج ٤ ص ٥٦ تر ٢٢٦، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٦ تر ٢٢٦، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) في «أ» لعشران، والتصويب عن النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢.

ولم يكن جانبك من أعيان الدولة لتشكر أفعاله أو تذم، رحمه الله تعالى.

(٧) وتوفي قاضي قضاة الحنابلة بحلب ، مجد الدين سالم بن سلامة[١] الحموي الحنبلي خنقاً بقلعة حلب بحكم الشرع ، بسبب قتله لابن قاضي عينتاب ، وقد سقنا حكايته مع ابن قاضي عينتاب في حوادث هذه السنة في صفر فلتراجع هناك .

وكان مجد الدين هذا له مشاركة، ويذاكر بالشعر، وعنده معرفة بالأحكام بحسب الحال، إلا أنه كان مهوراً وعنده حدة مزاج ومحبة للمنصب، عفا الله عنه.

(٨) وتوفي الأمير سليمان[٢] ابن ناصر الدين بك محمد بن دلغادر نائب أبلستين وأمير التركمان بها في يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان ، وحضر سيفه إلى القاهرة ، وأخبر القاصد أنه عهد لابنه ملك أصلان بنيابة أبلسين ، فأقره السلطان عليها ، وأرسل إليه خلعة النيابة على يد يشبك الخاصكي الأشرفي .

[٣٢٢] وكان // سليمان ـ المذكور ـ أميراً جليلاً ، إلا أنه كان قد صار لا يطيق الركوب من فرط السمن ، رحمه الله تعالى .

(٩) وتوفي الأمير سودون بن عبد الله الجكمي[٣] بطالاً بالقاهرة .

وهو أخو الأمير إينال الجكمي نائب الشام لأمه وأبيه، وكانوا جماعة أخوة أصغرهم سودون هذا، وهو ممن تأمر في الدولة الظاهرية جقمق، ووجهه الملك الظاهر جقمق لأخيه إينال الجكمي بخلعة الاستمرار، وعاد إلى القاهرة، وأقام بها مدة يسيرة وعصى أخوه إينال، فاتهمه الملك الظاهر جقمق بأنه يتألف الجند والأمراء على أخيه إينال ـ وليس ذلك ببعيد ـ فقبض عليه وحبسه أكثر من عشر

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٤٢ تر ٩٠٨.
(٢) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٢ .
(٣) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٣ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٧٨ تر ١٠٥٦ .

سنين، ثم أطلقه وأنعم عليه بإقطاع هين بدمشق، فاستمر بها إلى أن تسلطن الملك الأشرف إينال، قدم سودون هذا مع من قدم من المنفيين، فلم تتحرك ريحه ولا أقبل عليه السلطان، فدام بطالاً إلى أن مات يوم السبت رابع ذي القعدة فقيراً، فأرسل إليه السلطان بعشرة دنانير حتى جهز بها وأخرج.

وكان لنا به صحبة قديمة، رحمه الله.

(١٠) وتوفي قاضي قضاة الحنفية بدمشق قوام الدين محمد بن قوام[١] الدمشقي المولد والمنشأ والوفاة، الحنفي، مولده بها قبل سنة ثمانمائة تخميناً، لثمان خلون من ذي القعدة، ومات وهو غير قاض.

وكان فقيهاً فاضلاً، ديناً، خيراً، مشكور السيرة في أحكامه، نشأ بدمشق وتفقه[٢] بها على القاضي ركن الدين دخان، وأخذ النحو عن الشيخ علاء الدين العائدي الحنفي، وقرأ الأصول على العلامة أوحد زمانه الشيخ علاء الدين محمد البخاري الحنفي، وفضل وأفتى ودرس، وولي قضاء دمشق استقلالاً مرتين من غير سعي ولا بذل مال، ثم صرف ولزم داره إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان عنده قوة وهمة عالية ورجلة، رحمه الله.

(١١) وتوفي ناصر الدين محمد المعروف بمحمد الصغير[٣] في ليلة الجمعة ثالث عشرين ذي الحجة، ودفن من الغد، وقد زاد سنه على ثمانين سنة.

وكان يحسن رمي النشاب إلى الغاية، ولذلك سمي بالمعلم لتعليمه الرمي، وكان يجيد هذه الصناعة علماً وعملاً. ومات ولم يخلف بعده مثله في ذلك، وكانت له مشاركة، وعنده[٤] // محاضرة حسنة، ويجيد قراءة المحراب، وكان [٣٢٣]

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٣.

(٢) وتفقه: مكررة في «أ».

(٣) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٣.

(٤) «وعنده»: مكررة في «أ».

في صوته طرب ولقراءته رونق، وصحب الملك الظاهر جقمق في أيام إمرته، فلما تسلطن قربه وجعله نديمه، وولاه في أوائل دولته نيابة دمياط، ثم عزله وأهانه قليلاً، ثم أعاده إلى رتبته وجعله من جملة الحجاب، فدام على ذلك إلى أن مات الملك الظاهر جقمق، فلزم داره حتى مات، وورثه ابنه عبد العزيز بن محمد الصغير، فرد فيه الرمق بموت أبيه وعود إقطاعه إليه؛ فإنه كان في بحبوحة من الفقر والديون التي يستحي من ذكرها كثرة، وكان له سنين ينتظر ذلك، ولا أعرف والد محمد الصغير هذا، غير أن أصله من القازانية، لم يمسهم رق، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه.

* * *

سنة تسع وخمسين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الأشرف إينال، والخليفة القائم بأمر الله حمزة أبو البقاء، والقضاة والأمراء ونواب البلاد الشامية وغيرهم من أرباب الوظائف على حالهم كما هو مذكور في السنة الماضية.

المحرم

أوله السبت.

في يوم الأحد ثانيه عزل السلطان الملك الأشرف إينال ـ ناصر الدين محمد ابن أبي الفرج عن الأستادارية بالزيني قاسم الكاشف، وكان قاسم ـ هذا ـ صبياً[1] من الحوشة، ثم عمل غلاماً مدة سنين إلى أن اتصل بخدمة الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ، فرأى فيه النجابة فرقاه إلى أن ولي كشف الوجه الغربي، وباشر ذلك سنين، وأثرى، وتمول، وترشح إلى الأستادارية ووليها.

وفي يوم الاثنين عاشره لبس الأمير آقبردي الساقي الظاهري جقمق أتابك حلب خلعة السفر، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، ورسم له بالسفر في يوم الجمعة إلى محل إقامته بحلب، فسافر هو يوم الخميس لكلام بلغه، وأشيع بالقاهرة أن المماليك الظاهرية خجداشيته يريدون الوثوب على السلطان، فسافر هوواستراح وأراح، ثم بعد خروج آقبردي ـ أيضاً ـ أشيع بالقاهرة بوقوع فتنة، وشاع ذلك عند الناس حتى علم السلطان، وتحدث به

(١) في «أ»: «صبي».

مع الأمراء، وأوصاهم بأمور، ونقلت الأعيان أموالهم وأقمشتهم إلى الحواصل.

[٣٢٤] وفي يوم الثلاثاء // حادي عشره نودي بالقاهرة بأن لا يتكلم أحد فيما لا يعنيه، ولا يحمل أحد سلاحاً بعد العشاء ويمشي به في الطرقات، وأشياء من هذا النمط.

وفي يوم الاثنين سابع عشره ورد إلى القاهرة قاصد السلطان إبراهيم بن قرمان وعلى يده كتاب مرسله يتضمن الشكوى من محمد بن مراد بك بن عثمان متملك الروم، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه وأجابه بجواب هين.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره نودي بالقاهرة بخروج المماليك البطالة من القاهرة، وهدد من تخلّف منهم بعد ثلاثة أيام، فلم يخرج منهم أحد.

وبعد نصف هذا الشهر تغيّر لون نيل مصر، وغلبت عليه الحمرة حتى صار يُرَي ذلك من بعد، وصار الشخص إذا أخذ منه في إناء ينظره كفضلات ماء المطر الماكثة في البرك من شدة تغيره، واختلف في ذلك، فقيل: إن هذا من سيل دفق فيه في أوائل مجراه، فكيف يكون قدر هذا السيل الذي غيّر لون النيل(١) مع بعد المسافة ؟! واستمر على ذلك أياماً.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه وصل الركب الأول من الحاج وأميره خيربك الدوادار الأشرفي أحد الخاصكية، ووصل من الغد أمير حاج المحمل بالمحمل بعدما قاسى الحج في هذه السنة شدائد من كثرة السيل، وموت الجمال، وقطع الطريق. وأخذ في هذه السنة من الحاج خلائق لا تحصى، حتى إنه أخذ ركب التكروري(٢) بكامله، ولم يرجع من التكاررة ولا الرجل الواحد، وكانوا في كثرة إلى الغاية، وأما المغاربة فتقاتلوا مع العرب قتالاً عظيماً، وأخذوا من العرب وأخذت العرب منهم، بخلاف ركب التكروري، فإنه أخذ جميعه، فإنهم كانوا افترقوا وأخذوا على حين غفلة، فأسر الجميع وقتل منهم من قتل، فلا قوة إلا بالله. وهذا شيء لم نسمع بمثله في هذه الأيام.

---

(١) في « أ »: « السيل ».

(٢) التكرور: قبيل من السودان يسكنون أقصى جنوب المغرب.
راجع: ياقوت. معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨.

وكل ذلك لعدم اكتراث السلطان بأمر الحاج، وأيضاً لضعف من يلي إمرة الحاج ، فإن أمير[الركب] الأول في هذه السنة خيربك المقدم ذكره ، وهو من جملة الأجناد ، وأمير الحاج كان جانبك الخازندار الأشرفي من جملة أمراء الطبلخانات ، غير أنه حدث السن ، وفيه طيش وخفة مع عدم معرفة بالحروب والأمور ، على تيه فيه وشمم .

وفي أواخر هذا الشهر مات جماعة من مماليك الأمير بردبك صهر السلطان، الدوادار الثاني بالطاعون، ولم نسمع بذلك إلّا عنده فقط.

وفي هذه الأيام زاد سعر الذهب إلى أن بلغ الأشرفي في المعاملة // [٣٢٥] ثلاثمائة درهم وسبعون درهماً، وهو الأشرفي الذي زنته درهم وقيراطان.

صفر

أوله الاثنين .

ففي يوم الأحد رابع عشره ثارت المماليك الجلبان الذين بالأطباق من قلعة الجبل، وأرادوا النزول إلى الرميلة، فمنعهم نائب القلعة الأمير قاني باي الناصري الأعمش من النزول، ورد باب القلعة، فأوسعوه سباً، وقيل: بل ضربه بعضهم، وطلبوا من السلطان زيادة الجامكية، وقالوا: ما نأخذ إلّا كل واحد سبعة أشرفية حساباً عن ألفي درهم بسعر ما كان الذهب أولاً بمائتين وثمانين درهماً الدينار، فأجابهم السلطان بأن السعر كان في تلك الأيام بشيء واليوم بخلافه، فلم يلتفتوا إلى كلامه، وأغلظوا في الجواب، وامتنعوا يوم الاثنين من أخذ الجامكية.

وترددت الرسل - أيضاً - بينهم وبين السلطان ، والسلطان لا يسمح بالزيادة ، وهم مصرّون على الزيادة .

وأرادوا الفتك بجماعة من مباشري الدولة، فامتنعوا من النزول، وأقاموا بالدهيشة بعد أن كانوا خرجوا إلى قرب الباب، فتقدم بعضهم إلى عظيم الدولة الجمالي ناظر الجيوش والخاص وضربه ورمى بعمامته عن رأسه، فعاد هو ومن رافقه من وقتهم وأقاموا بالدهيشة، ثم نزلوا على دفعات من باب الميدان وغيره، ونزل الجمالي ناظر الخاص إلى بيته بين الظهر والعصر، وانقطع في داره أياماً،

ولما نزل من القلعة نزل معه جماعة من الأمراء والخاصكية إلى أن أوصلوه إلى داره بسويقة الصاحب.

ومضى يوم الاثنين والحال على ما هو عليه، وماج الناس بسبب ذلك، وخشى الناس أن يكون وثوب الجلبان ووقوفهم في هذا الأمر باتفاق من المماليك الظاهرية.

قلت: ولا يبعد ذلك، فإن في النفس من ذلك شيء، وكثر الكلام في ذلك، هذا مع أن البلاد في غير طائل من الحكام، والسبل مخيفة، وقطع الطريق فاش بظواهر القاهرة، بل وفيها، والآراء مفلوكة.

ولما أصبح يوم الثلاثاء جلس السلطان بالحوش واجتمع عليه الأشرفية. وأظهروا له النصح، فقوّي قلبه بهم، فأرسل أغلظ في الجواب للمماليك الجلبان واستعز بمن حوله من الأمراء والخاصكية، فلما سمعوا كلامه تكلّم بعضهم مع بعض، ثم أذعنوا وقبضوا جوامكهم، ومشى // الحال. [٣٢٦]

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه وصل مملوك الأمير جانبك التاجي نائب غزة إلى القاهرة، وأخبر بموت الأمير جلبان - نائب الشام - قبل أن يصل سيف جلبان المذكور، ثم وصل بعد ذلك على يد يشبك المؤيدي الحاجب الثاني بدمشق.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه رسم السلطان أن يكتب بانتقال الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب إلى نيابة الشام، عوضاً عن الأمير جلبان بحكم وفاته، ورسم للأمير يونس العلائي الناصري المعزول عن نيابة الإسكندرية قبل تاريخه أن يحمل إليه التقليد والتشريف بنيابة الشام، ثم أخلع على الأمير جانم أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وقريب الملك الأشرف برسباي بنيابة حلب، عوضاً عن الأمير قاني باي الحمزاوي - المذكور - على كره منه وامتناع كثير، ثم لبس ونزل إلى داره وهو يكثر من الإقالة ويستعفي ويتعلل بالضعف والفقر، إلى أن أرسل إليه السلطان بألفي دينار تقوية، ووعده بكل جميل.

وفي يوم السبت سابع عشرينه أنعم السلطان على الأمير يونس العلائي

ـ المذكور ـ بتقدمة ألف ، عوضاً عن الأمير جانم المتولي نيابة حلب ، وأنعم بإقطاع يونس ، المذكور ـ على مملوكه وصهره الأمير بردبك الدوادار الثاني ، ورسم له بأن يتوجه مسفراً للأمير جانم ، وأن يضبط موجود الأمير جلبان نائب الشام ، وأنعم بإمرة بردبك ـ وهي إمرة عشرة ـ على السيفي تنبك الأشرفي وعلى السيفي أرغون شاه الأشرفي، نصفين بالسوية، وهما من مماليك الملك الأشرف برسباي.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه استقر شمس الدين نصر الله الأسلمي القبطي ناظر الدولة ـ المعروف بابن النجار ـ وزيراً بالديار المصرية، عوضاً عن فرج بن النحال بحكم عجزه، فلم تر عيني فيها رأت من لبس خلعة الوزر أغلس ولا أقذر ولا أقل حرمة من فرج بن النحال المعزول.

وفيه أنعم السلطان على الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش بإمرة طبلخاناه، وأخلع عليه باستقراره رأس نوبة ثانياً، وكلاهما عوضاً عن الأمير يشبك الناصري بحكم وفاته.

وأنعم بإمرة سودون المذكور ـ وهي إمرة عشرة ـ على الأمير مغلباي المؤيدي // المعروف بطاز. [٣٢٧]

وأنعم بإمرة مغلباي ـ المذكور ـ علي السيفي طوخ النوروزي رأس نوبة الجمدارية ، وما انتقل عنها مغلباي ، والذي أخذه كلاهما إمرة عشرة ، لكن شيء أحسن من شيء .

وفيه ـ أيضاً ـ لبس الأمير يونس خلعة السفر لتقليد قاني باي الحمزاوي .

وفيه ـ أيضاً ـ لبس الأمير بردبك خلعة السفر للتوجه إلى الشام بسبب موجود جلبان.

وكان بلغنا أن شاد بك دوادار جلبان وابن جلبان الأكبر وصلا إلى قطيا قاصدين إلي الديار المصرية بسبب المصالحة عن موجود الأمير جلبان ، فرسم بعودهما فعادا .

وسبب ذلك أن السلطان بلغه أن جلبان ـ المذكور ـ لم يخلف موجوداً عيناً، بل اعترف أن عليه نحواً من ثلاثين ألف دينار ديناً، وثبتت الوصية على قاضي

قضاة الشام جمال الدين الباعوني، وهذا بخلاف ما في خواطر الناس، والقياس على موجود جلبان مئين ألوف من الذهب، فلما بلغ السلطان هذا الخبر حنق على الباعوني وعزله بالقاضي سراج الدين عمر الحمصي الشافعي، وندب بردبك للتوجه إلى الشام والفحص عن أموال الأمير جلبان.

شهر ربيع الأول

أوله الثلاثاء.

فيه ظهر بعض طاعون بالقاهرة غير فاش.

وفي يوم الخميس ثالثه استقر الأمير بردبك البجمقدار الظاهري جقمق أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة أمير حاج المحمل.

وفيه رسم لسيدي محمد بن الأمير جرباش المحمدي الأمير آخور الكبير بأن يكون أمير الركب الأول وسنه دون العشرين بكثير. وسبب ذلك أن والدته خوند شقراء بنت الملك الناصر فرج كانت عزمت في هذه السنة على الحج في ركب[1] هائل، ولا بد من سفر ابنها معها، فولاه السلطان إمرة الركب الأول بهذا المقتضي.

وفي يوم الجمعة رابعه سافر الأمير بردبك إلى الشام.

وفي يوم الاثنين سابعه سافر الأمير يونس إلى حلب بتقليد قاني باي الحمزاوي وتشريفه.

وفي هذه الأيام رسم السلطان بتوجه أبي الخير النحاس من دمشق إلى طرابلس على حاله بطالاً من غير إكرام ولا احترام، فوصل إلى طرابلس في أواخر الشهر المذكور.

وفي يوم الأربعاء تاسعه أحضر السلطان القضاة الأربعة[2] بالحوش السلطاني وتكلم معهم في سعر الذهب وزيادته، فقال القضاة: الأمر للسلطان. فأمر السلطان من وقته أن ينادى بالقاهرة وشوارعها بأن كل دينار بثلاثمائة، وهو

---

(١) في «أ»: «في برك هائل».

(٢) في «أ»: «الأربع»

الذي // وزنه درهم وقيراطان، وكان قد بلغ سعره إلى ثلاثمائة وسبعين درهماً [٣٢٨]
الدينار، فشق ذلك على الناس، وهُدِّد من خالف المرسوم بأنواع العذاب، وكتب بذلك إلى الأقطار من البلاد الشامية وغيرها، وأضر ذلك بحال الناس كثيراً ، لا سيما الفقير الذي ما كان قد قبض في بعض مبايعاته الذهب بذلك السعر ، وأصبح اليوم بهذا السعر .

وفي يوم الأحد ثالث عشره عمل المولد السلطاني على العادة .

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره قدمت إلى السلطان هدية الأمير ملك أصلان بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دلغادر نائب أبلستين، وهي مائة إكديش وخمسون بغلاً وخمسون جملاً بختياً، وغير ذلك.

وفي يوم الأربعاء ، سادس عشره نودي - أيضاً - بالقاهرة على الذهب بالسعر المذكور ، وهدد من خالف ذلك .

وفيه كانت بالقاهرة وضواحيها زلزلة خفيفة، تحركت الأرض منها غير مرة، ثم بعد أيام عادت في الليل أخف من الأول.

وفي يوم السبت سادس عشرينه أحضر السلطان الوزير شمس الدين نصر الله[١] ووبخه وأغلط عليه في الخطاب، وأخشن عليه في اللفظ؛ لكونه لم يقم باللحم الراتب للمماليك السلطانية مدة ثلاثة أيام، وكان قد تخلف عن الطلوع إلى القلعة في هذه المدة، وقال له السلطان ما معناه: وكم باشرت حتى عجزت، ثم هدده بالضرب بالمقارع، فقال ابن النجار: أنا يا مولانا السلطان أعجز عن مباشرة أصاغر الأمراء، فكيف الوزر؟! وأشياء من هذه المقولة، فلم يلتفت السلطان ورسم عليه، فاستمر ابن النجار في الترسيم إلى يوم الاثنين ثامن عشرينه ، لبس خلعة الاستمرار على كره منه لمعرفته من نفسه بعدم الأهلية لذلك ، وقد صرّح هو بهذا اللفظ غير مرة .

وفي عشر هذه الأيام استقر أبو الفضل ابن كاتب السعدي في نظر الدولة ، وسعد الدين محمد بن عبد القادر بن أبي بكر البليبيسي[٢] الحنبلي

---

(١) في «أ»: «الوزير شمس الدين نصر الله الوزير».
(٢) في هامش «أ»: «حاشية: تصغير بلبيس».

كاتب العليق في كتابة المماليك السلطانية مضافا لكتابة العليق ، عوضاً عن عبد الرحمن ابن عم فرج المعزول عن الوزر ، وسعد الدين هذا لا بأس به ، فإنه من أولاد الفقهاء المسلمين .

شهر ربيع الآخر

أوله الخميس.

فيه وقع حادثة طريفة، وهو أن السلطان كان في ليلة الخميس المذكورة بلغه - أيضاً - عجز ابن النجار عن القيام بالكلف السلطانية، فأمر بإحضار ابن النجار - المذكور - من الغد، وبإحضار الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، وبإحضار فرج بن // النحال ليستقر من يختاره منهم في الوزر، فأصبح من الغد في يوم [٣٢٩]
الخميس المذكور طلب شمس الدين ابن النجار، فقيل له: هرب، فطلب ابن الهيصم، فقيل له: مات في هذه الليلة، فطلب فرج بن النحال، فحضر، وهو الذي فضل من الثلاثة على قاعدة المثل السائر، فكلمه في استقراره في الوزر، فامتنع واعتذر بقلة محصول الدولة، وأن بلاد الوزر غالبها خرب، وأن راتب اللحم خاصة للمماليك السلطانية وغيرهم في كل يوم ثمانية عشر ألف رطل، خلا تفرقة الصرر وما يلحق الدولة من الكلف، وكان هذا الكلام من فرج المذكور لبعض أعيان الدولة في مجلس السلطان ليكلموا السلطان في ذلك، فسمع السلطان بعض الكلام من فرج، فلم يستتم كلامه حتى أمر به السلطان وأنزل إلى الأرض وتناولته رءوس النوب، فضرب نحو ثلاثمائة عصاة حتى أشرف على الهلاك، ثم أقيم ورسم عليه عند فيروز النوروزي الزمام الخازندار إلى أن عملت مصلحته وأعيد إلى الوزر على ما سيأتي ذكره إن شاء الله .

وفي يوم الخميس ثامنه برز الأمير جانم الأشرفي نائب حلب من القاهرة إلى ظاهرها قاصداً محل ولايته.

وفي ليلة السبت عاشره نزلت زوجة السلطان الملك الأشرف خوند زينب بنت علاء الدين علي بن خصبك من قلعة الجبل في محفة إلى البيت المعروف بابن قطينة بساحل بولاق - وهو ملك لهم - لمرض تمادى بها .

وفي يوم السبت صبيحته سافر الأمير جانم نحو حلب من الريدانية.

وفيه أعيد الوزير فرج بن النحال إلى الوزر وخلع عليه، ونزل إلى داره، وكان بالقلعة من يوم ضرب إلى يوم تاريخه، على أن السلطان يساعده في كل شهر بأربعة آلاف دينار وستمائة رأس من الغنم الضأن ؛ لعجز بلاد الدولة ومتحصلها عن القيام بالكلف.

وفيه - أيضاً - استقر شرف الدين حمزة بن البشيري ناظر الدولة، وعزل أبو الفضل.

وفي يوم الثلاثاء العشرين منه ورد الخبر على السلطان بدخول الأمير قاني باي الحمزاوي إلى دمشق على نيابتها، وكان قد كثر الكلام في شأنه من مدة سنين، من أيام الدولة الظاهرية جقمق، ولهج الناس بعصيانه وأنه لا يدخل دمشق ولا يفارق حلب، فوقع بخلاف ما خطر ببال الناس.

قلت: // والأقوى عندي أنه لا يظاهر بعصيان ولا يدوس بساط [٣٣٠] السلطان، وهو في الطاعة ما لم يطلب إلى القاهرة، وهذا على ما أظن، والله أعلم.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه قبض السلطان على علاء الدين علي بن الأهناسي المعزول عن الأستادارية قديماً، ورسم عليه عند فيروز الخازندار، لكونه سعى في الأستادارية والوزر معاً على ماقيل، وكان لما ولي الأستادارية حصل منه تَشَكٍّ[1]، ثم أصلح أمره على أنه يقوم للخزانة الشريفة بثلاثة آلاف دينار، وأطلق إلى حال سبيله.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر عوفيت خوند زينب زوجة السلطان، ودخلت الحمام - حمام دارها - ببولاق، وتردد إليها أعيان الدولة من الأمراء والقضاة والأكابر في هذه الأيام، وأما ولدها المقام الشهابي أحمد وأخواته، زوجة الأمير يونس الدوادار الكبير، وزوجة الأمير بردبك الدوادار الثاني فإنهم عندها من يوم نزلت من القلعة، وبقي المقام الشهابي يتوجه يحضر الخدمة السلطانية

(١) في الأصل: «تشكي».

بقلعة الجبل ثم يعود إلى عندها، ولما صح مزاجها وردت عليها التهاني من الدنيون والزمور وغير ذلك، وعظم سرور حواشيها بعافيتها، وازداد ترداد الناس إلى بابها، لا سيما لما عمل لها مرامي النفط من المزهرات والصوارخ وغير ذلك في ليلة الأربعاء ثامن عشرينه، وتسامع الناس بذلك وقصدوا التفرج على النفط المذكور من الأماكن البعيدة، واندفعوا إلى ساحل بولاق من كل فج، حتى ضاقت عليهم شوارع بولاق وسواحلها مع سعتها، وازدحم الناس في الطرقات، وصار كأيام دوران المحمل أو بعض ليالي وفاء النيل، بل أعظم، حتى جاءته جماعة من أعيان الأمراء وأرباب الدولة، وأما النسوة فكن كأضعاف الرجال، ودام ذلك من أول النهار إلى بعد عشاء الآخرة، ووقع في تلك الليلة من القبائح والمفاسد والأمور الشنعة ما لا مزيد عليه، وأعيب عليهم ذلك فلم يلتفت أحد إلى ما قيل، وأنشد لسان الحال:

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور
[مخلع البسيط]

ولم يكن النفط المذكور بذاك، وندم غالب الناس على مجيئه إليه.

[٣٣١] وفي يوم // الخميس تاسع عشرينه أنعم السلطان على الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي المعروف بالتاجر بإمرة مائة وتقدمة ألف، بعد موت الأمير خيربك المؤيدي الأجرود، وأنعم بإقطاع قانم - المذكور - على الدولة مساعدة لما عليها من الكلف.

وفيه - أيضاً - استقر الأمير تمرباي الحسني الناصري أحد أمراء العشرات معلم تجار المماليك وغيرها عوضاً عن قانم المذكور.

وفيه - أيضاً - استقر آقباي السيفي جار قطلو نائب سيس وخشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز دوادار (أ) للسلطان بدمشق، كلاهما على مال بذلاه.

وفرغ هذا الشهر والطاعون موجود بالقاهرة، غير أنه قليل جداً، على حالة ابتدائه من غير تزايد، ومن يموت به الصغار والرقيق.

جمادى الأولى

أوله السبت.

في ليلة الأحد ثانيه بين المغرب والعشاء طلعت خوند زينب بنت علاء الدين علي بن خصبك زوجة السلطان الملك الأشرف.إينال من دارها بساحل بولاق إلى القلعة بعد أن نصلت من مرضها، وسار ولدها المقام الشهابي أحمد، وزوج بنتها الأمير يونس الدوادار الكبير، والزمام الخازندار فيروز النوروزي أمام محفتها بحواشيهم، وجماعة أخر من الطواشية والخدم والمماليك، وبين يدي المحفة المشاعل والشموع والفوانيس، وخلف المحفة من الحريم عدد كثير من الخوندات ونساء الأمراء، وسارت في أبهة عظيمة إلى أن شقت صليبة ابن طولون وطلعت إلى قلعة الجبل بعد عشاء الآخرة، فكان لطلوعها وقت مشهود، ولعل الذي وقع لها لم يقع لغيرها من نساء الملوك من نفوذ الكلمة ووفور الحرمة في الدولة، وعدم مخالفة السلطان لها فيما تأمره به، وكونه - أيضاً - منذ تزوج بها من حدود سنة خمس وعشرين إلى يومنا هذا لم يتزوج بغيرها، حتى ولا تسرى أبداً أميراً ولا سلطاناً، وهذا شيء لم نعهد مثله في سالف الأعصار، فإن عادة الملوك الزواج بأربع نسوة، وأما الحظيات فكثير، فمنهم من وصل إلى أربعمائةوأكثر وأقل، وقد حكى عن المعتصم ابن الرشيد هارون أنه اقتنى ثمانية آلاف جارية موطوءة وغير موطوءة - انتهى.

[٣٣٢] وفي يوم الثلاثاء رابعه سافر الأمير جانبك الظاهري إلى الحجاز لشد // بندر جدة على عادته في كل سنة، ورفيقه في النظر بالبندر القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن نصر الله.

وفي أوائل هذا الشهر شكا بعض المماليك السلطانية إلى السلطان من غلو سعر البعلبكي والزموط[1]، فكلم السلطان الشيخ علي العجمي المحتسب في ذلك وأغلظ عليه، فنزل الشيخ علي - المذكور - وأباد التجار، وكلمهم في بيع أثواب البعلبكي بالرطل، وهذا - أيضاً - شيء لم نسمع بمثله. ففقلت التجار

---

(١) الزموط: جمع «الزمط»، وهو قلنسوة حمراء.
راجع: ماير. الملابس المملوكية ص ٥٨ - ٦٠.

حوانيتهم أياماً، ثم استقر الحال على أن المحتسب كتب على التجار قسائم أنهم لا يشترون البعلبكي من تجار الشام بالجريدة - يعني لأجل - فأضرّ ذلك بحال التجار قاطبة.

وفي يوم الجمعة سابعه - الموافق لآخر برمودة آخر شهور القبط - لبس السلطان القماش الأبيض الصيفي على العادة في كل سنة.

وفي يوم الخميس العشرين منه وصل الأمير يونس العلائي الناصري أحد مقدمي الألوف إلى الديار المصرية من دمشق المحروسة بعد أن قلّد نائبها الأمير قاني باي الحمزاوي، وعاد يونس - المذكور - وهو راض عن قاني باي - المذكور - فإنه أعطاه اثني عشر ألف دينار غير القماش والخيل والجمال على ما قيل.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه خلع السلطان علي الشيخ شرف الدين يحيى المناوي باستقراره في تدريس المدرسة الصلاحية[1] المجاورة لقبه الإمام الشافعي - رضي الله عنه - عوضاً عن السراج الحمصي بحكم توجهه إلى قضاء دمشق قبل تاريخه.

وفي هذا الشهر خف الطاعون من القاهرة، وكان قليلاً جداً، بحيث أني لم أر أحداً ممن طعن، غير أني سمعت أنه مات به جماعة من الخدم.

وفي هذا الشهر - أيضاً - انحطت الأسعار بعد أن سعر السلطان والمحتسب غالب المأكولات، ما عدا الشعير فإنه غلى وعز وجوده، وسببه قلة حاصل الشعير في شونة السلطان، وأخذ زين الدين قاسم استادار السلطان في شراء الشعير من الأعيان وغيرهم، إلى أن اشترى من مباشري الأمير بردبك صهر السلطان والدوادار الثاني ألف وخمسمائة أردب شعيراً، وأقبض ثمنها، وأراد أخذها

(١) المدرسة الصلاحية : وتعرف بالناصرية - كذلك - أنشأها الناصر صلاح الدين الأيوبي بجوار قبة الإمام الشافعي ، ورتب فيها عدة معيدين وطلبة ومدرساً لتدريس الفقه الشافعي ، وأوقف عليها أوقافاً مغلة، وأشار السيوطي إلى أنه « ينبغي أن يقال لها تاج المدارس، وهي أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعي ، ولأن بانيها أعظم الملوك ».
راجع المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٤٠٠ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٧ .

في الليل من حاصل بردبك المذكور حتى يصبح // يفرقها في يوم السبت ثاني [٣٣٣] عشرينه على المماليك السلطانية، فتسامعت المماليك الجلبان بذلك، فنزل منهم جماعة كبيرة ليلاً، ونهبوا شونة بردبك المذكور وهو مسافر في الشام، وعادوا من الغد بعد أن لم يدعوا فيها شيئاً من الشعير وغيره على ما قيل، ولم تنتطح في ذلك عنزان، فعز وجود الشعير حتى أبيع بمائة وأربعين درهماً الإردب بعد أن كان بما بين الستين إلى الثمانين لا غير، ثم نادى قاسم الأستادار بأن لا يشتري الشعير أحد من العلافين، وهدد من اشتراه، فعدم بالكلية.

وأما الأمراء فإنهم لما سمعوا بما وقع في شونة بردبك من النهب فتحوا شونهم وفرّق كل واحد على مماليكه عليق عدة شهور احتياطاً من أن يطرقهم ما طرق بردبك من النهب.

وفي يوم الأحد سلخه نزل من القلعة جماعة من المماليك الجلبان من الأطباق وساقوا بشوارع القاهرة، وحصل منهم غاية التشويش في حق الناس من أخذ العمائم والقماش، وفعلوا ذلك مع جماعة من أعيان الناس وأنزلوهم عن خيولهم، وأخذوا منهم حتى لجم خيولهم، وفعلوا ذلك بأزقة القاهرة وبولاق، وكان ذلك في ضحى النهار، فتأثر الناس لذلك غاية التأثير، وتهيأ بعض العامة للإيقاع بهم، وبلغ السلطان ذلك، فأصبح من الغد كلم الأمير مرجان العادلي المحمودي مقدم المماليك السلطانية في أمرهم، وأمر المنادي أن ينادي فيهم: من عاد إلى مثل ذلك كان جزاؤه العقوبة. ثم شرع السلطان في تهديدهم مع لين جانب وميل ظاهر إليهم.

جمادى الآخرة

أوله الأحد.

ففي يوم الخميس تاسع عشره خلع السلطان على الزيني قاسم كاملية بمقلب سمور، خلعة استمراره على وظيفة الأستادارية، وأنعم عليه بعشرة آلاف إردب شعير، وكان الناس قد تحدثوا بعزله لعجزه عن القيام بالكلف السلطانية، إلى أن عمل السلطان مصلحته في مبلغ يساعده به.

وفي يوم الاثنين خامس عشره[1] استقر عبد العزيز بن محمد الصغير نقيب الجيوش المنصورة في حسبة القاهرة بعد عزل يار علي الخراساني ، مضافاً إلى نقابة الجيش ، وذلك على مال بذله في ذلك .

[٣٣٤] وفي يوم السبت ثامن عشرينه // ضرب السلطان الملك الأشرف فخر الدين المعروف بابن السكر والليمون ناظر ديوان المفرد علقة كبيرة بسبب تعويق بعض جامكية المماليك السلطانية.

وفي يوم الاثنين سلخه كانت الوقعة بين السلطان الملك الأشرف إينال وبين مماليكه الجلبان ومن انضاف إليهم من المماليك الظاهرية، ولذلك أسباب منها:

أن السلطان كان قبل تاريخه عين تجريدة إلى البحيرة نحو خمسمائة مملوك وعليهم الأمير خشقدم المؤيدي أمير سلاح، والأمير قرقماس الأشرفي رأس نوبة النوب، وعدة من أمراء الطبلخانات والعشرات، ورسم لهم السلطان بالسفر في يوم الاثنين هذا، ولم يفرّق على المماليك السلطانية المعينين للسفر جمالا على العادة، فعظم ذلك على المماليك، وامتنعوا من السفر إلاّ أن يأخذوا الجمال، فسافر الأمير خشقدم في فجر يوم الاثنين المذكور، وتبعه الأمير قرقماس في عصر يومه إلى مخيمه ببير منبابة، ولم يتبعهما أحد من المماليك السلطانية، بل وقف غالبهم بسوق الخيل بالرميلة ينتظر تفرقة الجمال، وجلس السلطان باكر يوم الاثنين المذكور بالقصر على العادة للخدمة إلى أن انفض الموكب ونزل الأمراء إلى دورهم، فلما صار الأمير يونس الأقبائي الدوادار تجاه باب السلسلة أحاطت به المماليك السلطانية وهو بقماش الموكب، وكذلك مماليكه، وداروا حوله حلقة كبيرة، وهم في كثرة إلى الغاية تزيد عدتهم عن خمسمائة نفر أو أكثر، وأرادوا الكلام معه بسبب جوامكهم، وأنه يكلم السلطان في أمرهم، فتبين لمماليكه الغدر منهم له، فتحلّقوا عليه ومنعوهم من الوصول إليه، فصار يونس في حلقة من مماليكه ومماليكه في حلقة من المماليك السلطانية الجلبان لا غير، وطال الأمر بينهم

(١) في هامش «أ»: «صوابه: سادس عشره».

ويونس لا يطيق الخروج، فلما تحقق يونس أنهم يريدون الفتك به أمر مماليكه بإشهار السيوف والرد عنه، فشهرت مماليكه سيوفهم ودافعوا عنه أشد مدافعة، فتكاثرت المماليك السلطانية // فوضعوا فيهم السيف، فجرح من المماليك [٣٣٥] السلطانية جماعة، وقطعت أصابع واحد، وشق بطن واحد فمات - على ما قيل - وانفرج ليونس فرجة خرج منها غارة في مماليكه إلى داره، وقلع ما عليه من الكلفتاة والقماش ولبس تخفيفته، وطلع من على الكبش إلى السلطان وأعلمه الخبر، وقامت قيامة المماليك السلطانية عند إشهار السيوف، وقالوا: نحن ضربناهم بالدبابيس فيضربونا هم بالسيوف؟! وعظم عليهم الأمر جماعة من المماليك القرانيص، لما في نفوسهم أموراً، أحدها عدم تفرقة الجمال.

ولما أن فات المماليك يونس الدوادار، وبلغهم طلوعه إلى القلعة عظم عليهم ذلك، واجتمعوا ووقفوا تحت القلعة وأفحشوا في حق السلطان وهددوه إن لم يسلم إليهم يونس الدوادار، فأرسل إليهم السلطان الأمير جانبك الناصري المعروف بالمرتد، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة، والأمير مرجان مقدم المماليك السلطانية، فسألاهم عن وقوفهم وما رضاهم؛ فقالوا كلهم على لسان واحد: نريد غريمنا الأمير يونس الدوادار، بعد أن خشنوا على جانبك المذكور في القول. فعاد جانبك والمقدم إلى السلطان بالجواب، فبعث إليهم الأمير نوكار الزردكاش، فأعادوا عليه القول من طلب يونس الدوادار، وأغلظوا عليه في الكلام، ثم ساقوا غارة إلى بيت الأمير يونس المذكور - تجاه الكبش على بركة الفيل - وأرادوا نهبه، فحماه مماليك يونس المذكور ومنعوهم من الدخول، فتوجه أحدهم وأتى بنار ليحرق الباب، فلم يصل إلى ذلك، وعادوا إلى سوق الخيل، فوافوا المنادي من قبل السلطان ينادي بالأمان للمماليك السلطانية، فمالوا على المنادي بالدبابيس، فسكت لوقته، وطلعت أمراء الألوف من كل ناحية إلى القلعة عند السلطان من ضحوة النهار، وتكلّم السلطان مع بعض المماليك بأنه يعطي لكل واحد ممن جرح مائة دينار، ويعطي للذي قطعت أصابعه إقطاع حلقة ومائة دينار أخرى، فرضوا المجروحين، فنهاهم خشداشيتهم عن الصلح، فلم يقع الصلح، وانفض الأمر على غير طائل، وحمى الحر لأن الوقت كان في حادي عشرين بئونة أحد شهور القبط، وتوجه كل واحد إلى إصطبله، ونزلت

الأمراء من القلعة إلى دورهم بين الظهر والعصر ما خلا الأمير يونس الدوادار.

[٣٣٦] // فلما كان من الغد، وهو يوم الثلاثاء أول شهر رجب ضرب السلطان الكرة بالحوش مع الأمراء إلى أن انتهى اللعب وانفض الموكب، وأراد الأمراء النزول إلى دورهم بلغهم أن المماليك وقوف في انتظارهم بسوق الخيل من كل جهة، فانثنى عزمهم عن النزول وعادوا إلى القلعة.

وكانت المماليك لما أصبحوا في يوم الثلاثاء ركبوا بغير سلاح كما كانوا بالأمس، على أن في أمسه لبس بعضهم السلاح ثم قلعه بسرعة، ووقفوا على خيولهم من غير سلاح ولا سيوف في انتظار الأمراء، وكنت أنا حاضراً فلم يتكلم أحد منهم كلمة في حق السلطان ولا غيره، غير أنهم في أمر مهم في الباطن، واستمروا على ذلك إلى أن تضحى النهار، أرسل إليهم السلطان أربعة من الأمراء، وهم: الأمير يونس العلائي الناصري أحد مقدمي الألوف، والأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش الرأس نوبة الثاني وأحد أمراء الطبلخانات، والأمير يلباي الإينالي المؤيدي أحد أمراء الطبلخانات ـ أيضاً ـ ورأس نوبة، والأمير بردبك البجمقدار الظاهري جقمق أحد أمراء الطبلخانات ـ أيضاً ـ ورأس نوبة، وأمرهم بالكلام مع المماليك الجلبان على قدر خاطر السلطان.

فلما رأى المماليك ـ الأمراء المذكورين توجهوا نحوهم وداروا عليهم حلقة، ووقفوا تجاه باب السلسلة، وطال الكلام بينهم وكثر الغوغاء، ثم بعد ساعة هجموا على الأمراء المذكورين وأخذوهم وتوجهوا بهم إلى حيث قصدهم، فتمنع منهم الأمير يونس وسار وهم حوله، وهم يريدون ضربه إن لم يرجع معهم إلى قرب صليبة ابن طولون، (و) عادوا به غصباً، وأوقفوا الأمراء الأربعة معهم في الترسيم حتى فتحوا بيت الأمير خشقدم أمير سلاح، الذي هو بيت قوصون تجاه قلعة الجبل بجوار مدرسة السلطان حسن، وأدخلوهم إلى البيت المذكور ورسموا عليهم جماعة، كل ذلك والمماليك الظاهرية وغيرهم وقوف على بعد. فلما رأوا ذلك تحققوا مخالفتهم على السلطان، فانتهزوا الفرصة لكمين كان في قلوبهم وانضافوا إلى المماليك الجلبان، وعرفوهم بأن الأمر لا يتم إلاّ بحضور

الخليفة ويلبس السلاح، فساق جماعة منهم إلى الخليفة القائم بأمر الله حمزة وأحضروه في الوقت حتى كأنه كان // في انتظارهم، ولم يتمنع عن الحضور، [٣٣٧] بل حضر سرعة، وحرض على القتال - على ما قيل - وتوجه في الحال كل واحد منهم ولبس سلاحه في أسرع ما يكون،. وحضروا بالسلاح وقد صاروا جمعاً عظيماً إلى الغاية والجميع بالسلاح، وخرجوا من القول إلى الفعل، فلم يشك كل أحد في زوال ملك السلطان من كثرة ما انضاف إلى هؤلاء المماليك من الناس ممن يريد شن الغارات.

وبلغ السلطان ذلك، فركب من وقته في أمرائه من المماليك الأشرفية وغيرهم وخاصكيته حتى نزل إلى الإسطبل السلطاني، وتناوش القوم بالنشاب، وعندما أرادوا المصادمة تشتتوا، وطلع إلى السلطان جماعة كبيرة[1] ممن كان أسفل، فوقع عليهم من الله الخذلان وانكسروا من غير قتال في أسرع وقت. فلما رأى جمع السلطان آراءهم المفلولة حطموا عليهم، ودخلوا بيت الأمير خشقدم وأخذوا الأمراء والخليفة، وطلعوا بهم إلى السلطان بعد أن جرح جماعة بالنشاب، ولم يمت أحد فيما نعلم، وانفض جمعهم، وساق كل واحد إلى إسطبله متنكراً بعد ما كاد أمرهم أن يتم.

وكل ما وقع لهؤلاء المماليك من عدم رئيس يدبر أمرهم من الأمراء، ولو كان كذلك لكان لهم شأن، فإن عسكر السلطان صار خلفهم مثل السلطان والطلبخانات[2] تضرب، وهؤلاء أقوام مجمعة بغير رأس ولا طلبخانات[3] ولا صنجق، غير أن جمعهم كان جمعاً هائلاً إلى الغاية.

وذلك وقوفهم ولبسهم السلاح ومسكهم الأمراء وقتالهم، كل ذلك من باكر النهار إلى قبل الظهر من يوم الثلاثاء المذكور.

ولما تبدد جمعهم ركب السلطان وطلع إلى الدهيشة، وأمر بالخليفة فحبس بقاعة البحرة من الحوش السلطاني، ورسم عليه، ونودي في القاهرة بالأمان

---

(١) في «أ»: «كثيراً».

(٢) في «أ»: «الطبلخاناه».

(٣) نفسه.

والإطمئنان (١) بالبيع والشراء، ودقت البشائر بطبلخانات السلطان ، وبأبواب الأمراء ثلاثة أيام .

وأصبح السلطان من الغد في يوم الأربعاء، وهو ثاني الشهر المذكور، جلس على الدكة بالحوش من القلعة، وطلع إليه الأمير خشقدم أمير سلاح بعدما عدى النيل من مخيمه ببر منبابة ومعه الأمير قرقماس رأس نوبة النوب، وهنأ كل منهما السلطان بالنصر، وافتتح السلطان الكلام مع // الأمراء في حق الخليفة، ولهج [٣٣٨] بخلعه من الخلافة، واستشار الجمالي ناظر الجيش والخاص فيمن يجعله خليفة، ومن هو من إخوته أهل للخلافة؟ فلم يتكلم الجمالي بشيء، ثم كلم السلطان الأمير خشقدم في ذلك، فأعاد عليه خشقدم الجواب بأن الخاطر خاطر مولانا السلطان، فقال الأمير يونس الدوادار: يا مولانا السلطان أخو الخليفة سيدي يوسف هو فيه أهلية كذلك، ثم انطلقت ألسنة الأشرفية في الوقيعة في المماليك الظاهرية وحرّضوا السلطان عليهم بكل أمر، وعرفوه عاقبة العفو عنهم، وحذّروه من ذلك، فمن جملة ما قال له بعضهم: يا مولانا السلطان، إن كانت روح السلطان عنده هينة فنحن أرواحنا ليست علينا هينة، ومتى ظفروا بنا هؤلاء الظاهرية وضعوا فينا السيف وأمعنوا في ذلك إلى أن انحرف السلطان على الظاهرية ومال إلى كلامهم، ثم تكلّم مع الأمير يونس الدوادار وناظر الخاص وكاتب السر كلاماً طويلاً بسبب الظاهرية سراً ، فعلم كل أحد بميل السلطان إلى الأشرفية وانحرافه على الظاهرية، ونزل الأمير خشقدم وقرقماس كل منهما إلى داره ومخيمه مضروب ببر منبابة، وقد رسم السلطان بتفرقة الجمال على المماليك السلطانية المعينين إلى تجريدة البحيرة صحبة الأمير خشقدم، ففرقت. ثم نزل الأمير يونس الدوادار إلى بيته وبين يديه وجوه الأمراء والخاصكية.

وأما ما كان من أمر المماليك الجلبان، فإنهم صاروا فرقتين، فرقة تقاتل أخرى وتمنعهم من الطلوع إلى الأطباق، والتي تقاتل هم مشتراوات السلطان في أيام سلطنته، والذين يقاتلونهم هم الذين اشتراهم من كتابية الملك الظاهر جقمق والملك المنصور عثمان ، ولا زالوا بهم حتى منعوهم من الطلوع إلى

(١) في « أ » : « والأطمان » .

الأطباق ، وقالوا لهم : سودتم وجوهنا عند أستاذنا بقبح فعالكم . وأعجب السلطان ذلك لما بلغه .

ثم سأل الأمراء الأشرفية السلطان في إطلاق الأمير تمراز الدوادار الثاني الأشرفي من سجن المرقب، فأجابهم إلى ذلك بشرط // أن يتوجه إلى غزة [٣٣٩] يعمل ما يحتاجه ويسافر إلى الحجاز .

ثم سألوا السلطان ثانياً في الطواشي لؤلؤ الأشرفي المعزول عن تقدمه المماليك قبل تاريخه في الرضاعنه، وأنه يطلع إلى الخدمة، فأجابهم بأن يركب وينزل حيث شاء ولا يطلع إلى الخدمة .

وفي يوم الخميس ثالثه ، فيه كان عزل الخليفة القائم بأمر الله حمزة بسبب مجيئه مع المماليك السلطانية إلى بيت قوصون تجاه القلعة ، ومطاوعته لهم حسب ما تقدم ذكره .

فلما كان يوم الخميس جمع السلطان القضاة الأربعة[١] بالقصر السلطاني من قلعة الجبل، وأحضر الجمالي يوسف ابن المتوكل على الله محمد أخو الخليفة القائم بأمر الله حمزة المذكور، وجلس الجمالي يوسف المذكور عن يسار السلطان الملك الأشرف (إينال)، فوق قاضي القضاة الحنفي، وحضر جميع أعيان الأمراء ومباشري الدولة، ولم يحضر المجلس أحد من الفقهاء غير القضاة الأربعة[٢] وجماعة من موقعي الحكم ليشهدوا على السلطان بما يفعله من خلع الخليفة حمزة وولاية أخيه يوسف، فلما تم المجلس وقف القاضي محب الدين ابن الأشقر كاتب السر بين يدي السلطان وقال: نشهد عليك يا مولانا السلطان أنك خلعت أمير المؤمنين القائم بأمر الله حمزة ووليت أخاه المتوكل على الله يوسف. فقال السلطان: نعم. فشهد عليه الموقعون بذلك، وقام الجمالي يوسف من وقته ولبس خلعة الخلافة على العادة، وعاد إلى السلطان وسلّم عليه، وانفض المجلس، ولم يتكلم القضاة في شيء من ولايته ولا خلع أخيه، بل قيل: إن

(١) في « ا » : الأربع

(٢) نفسه .

القاضي الشافعي علم الدين صالح البلقيني ذكر عن علماء مذهبه أن للسلطان أن يعزل الخليفة ويولي غيره، وما أدري ما حجة من قال هذا القول مع ما ورد أن النبي ﷺ قال: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»، أخرجه مسلم في صحيحه.

ولقب (الجمالي يوسف) بالمتوكل على الله على لقب أبيه، ثم غير بعد أيام بالمستنجد، ونزل إلى داره وبين يديه القضاة وجماعة من أعيان الفقهاء، ولم ينزل أحد من الأمراء حتى ولا مباشري الدولة لشغلهم مع السلطان في أمر المماليك الظاهرية وغيرهم.

ولم يقع في عزل القائم شيء غير ما ذكرناه، لأنه لما أخذ من بيت قوصون وطلع به // إلى القلعة وافاه السلطان عند الرديني وقال له: أف عليك، وكررها [٣٤٠] ثلاث مرار، ولم يتكلم الخليفة القائم بأمر الله لمسكة في لسانه تمنعه من سرعة الجواب إلاّ بعد ساعة، حتى قال: قالوا لي كلم السلطان، فظننت ذلك عن حقيقة، وقمت معهم. فقال له السلطان: هل جاءك أحد من حجاب السلطان أو من أمراء السلطان، تسمع كلام الصغار؟ ثم افترقا.

واستمر القائم بالبحرة من الحوش السلطاني محتفظاً به إلى ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

قلت: وفي خلع القائم هذا على هذه الصورة من الملك الأشرف عبرة لمن اعتبر، فإنه كان لما وثب الملك الأشرف إينال على الملك المنصور عثمان وافقه القائم المذكور على ذلك، وصار هو المتكلم في خلع الملك المنصور من الملك والمحرض على قتاله، وبه قويت شوكة الملك الأشرف إينال، فأخلع على القائم وأنعم عليه بزيادات على إقطاعه، وعظم أمره حتى تجاوز الحد، ونال من الحرمة ما لم ينله أحد من إخوته ولا أجداده من خلفاء مصر فيما فعله، حتى كان من أمره ما كان، فعومل من جنس فعله مع المنصور عثمان، والجزاء من جنس العمل.

ولا نعلم خليفة اسمه حمزة غير القائم هذا، ولا نعلم خامس أخ ولي الخلافة بعد إخوته غير يوسف المستنجد هذا المتولي، فإن أول من ولي من إخوته المستعين بالله العباسي الذي تسلطن بعد قتل الملك الناصر فرج، ثم خلع في

سنة خمس عشرة وثمانمائة من السلطنة، ودام في الخلافة محتفظاً به بقلعة الجبل إلى أن خلع منها في سنة ست[1] عشرة وثمانمائة بأخيه المعتضد داود، وكان خلع المستعين - أيضا - بصورة ملفقة وحيلة، فكان المستعين يزعم أنه باقٍ على خلافته إلى أن مات بسجن الإسكندرية في سنة ثلاث وثلاثين، وعهد لابنه يحيى بالخلافة فلم يلتفت إلى ذلك، ولما مات المعتضد بالله داود عهد إلى أخيه شقيقه المستكفي بالله سليمان، وولي الخلافة بعد المعتضد في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين بعد أن نازعه ابن أخيه يحيى بعهد أبيه // المستعين بالله إليه [٣٤١] وبالمال، فلم يلتفت إليه الملك الظاهر جقمق، ولم ينتج أمره، فكان المستكفي هو الثالث، ودام في الخلافة إلى أن مات في يوم الجمعة ثاني المحرم سنة خمس وخمسين، ولم يعهد لأحد من إخوته، فوقع اختيار الملك الظاهر جقمق[2] على تولية القائم بأمر الله حمزة، فولي الخلافة، فكان هو الرابع من أولاد المتوكل، ودام في الخلافة حتى خلع بأخيه يوسف هذا، فكان يوسف الخامس من أولاد المتوكل.

ولم يقع ذلك لأحد من الخلفاء، فهو من النوادر، ولا وقع لأحد من خلفاء بني العباس أن أربعة إخوة ولوا الخلافة، وإنما وقع ذلك لبني أمية، فإن عبد الملك بن مروان رأى في نومه أنه بال في محراب النبي ﷺ أربع بولات، فأولوه له المعبرون بأنه يلي الخلافة من ولده لصلبه أربعة، فكان كذلك، وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك المذكور، ولم يعرف أن أربعة إخوة ولوا الخلافة غيرهم، وأما ثلاثة إخوة: فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد، والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر، وأكثر الخلفاء ولداً عبد الرحمن بن الحكم، كان له خمسون ذكراً وخمسون أنثى، وأطولهم عمراً القادر، بلغ ثلاثاً وتسعين سنة، ولم يصح عن خليفة غيره أنه تجاوز السبعين، وأقصرهم عمراً معاوية بن يزيد، لم يجاوز العشرين سنة، وكانت ولايته أربعين يوماً.

---

(١) في «أ»: «سنة عشر».

(٢) في هامش «أ»: «حاشية: بواسطة قانباي الجاركسي أمير آخور كبير»

ومن نـوادر الخلفاء ـ أيضـاً ـ أن المستنجـد ابن المقتفي رأى في حيـاة والـده كأن ملكاً نزل من السماء فكتب في كفه أربع خاءات معجمات، فلما استيقظ عبرها له بعض العلماء بأنه يلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فكان كذلك ـ انتهى.

وأمـا السلطان الملك الأشرف إينـال (فـإنه) استمـر في هذا اليـوم جالسـاً بـالقصر السلطاني إلى قريب الـظهر بغـير العادة، ورسم لـلأمراء بقلع الكلفتـاه ولبس قماش الجلوس، ثم نزل كل أمير إلى بيته قبل الظهر من اليوم المذكـور، بعد أن قبض السلطان بحضرتهم على جماعة كثيرة من المماليك الظاهرية وحبسوا بالبرج من القلعة.

وفيه رجعت المماليك المجردون[1] إلى البحـرية من بـر منبابـة إلى القاهـرة [٣٤٢] بسبب حركة الوقعة//لعود الأمير خشقدم أمير سلاح وقرقماس رأس نوبة النوب إلى القـاهرة بسبب حـركة الـوقعة، عـلى أن خيامهم دامت[2] ببـر منبـابـة حتى يعودوا إلى سفرهم بعد خمود الفتنة.

وفي يوم الجمعة رابعه نودي بشوارع القاهرة بتهديد من أخفى من المماليك الظاهرية أحداً.

وتوالى قبض السلطان على المماليك الظاهرية.

وفي هذا اليوم ـ أيضاً ـ بشر بزيادة النيل بعد أن أخذ القاع، فجاءت القاعدة سبعة أذرع وخمسة أصابع.

ولم يمسك السلطان بعد يوم الخميس أحداً من المماليك، وسكن الحال.. على أن جماعة من أكابرهم اختفوا مدة أيام، ثم ظهروا بعد ذلك.

وفي يوم الاثنين سابعه أنزل أمير المؤمنين القائم بـأمر الله حمـزة ـ المخلوع عن الخلافة بأخيه يوسف ـ من قلعة الجبل على فرس من غير أن يـركب معه عليـه أحد من الأوجاقية على عادة الأمراء المقبوض عليهم. وهو بقماش جلوسه ومعه

---

(١) في «أ»: «المجردين».

(٢) في «أ»: «دام».

حاجب الحجاب ووالي القاهرة لا غير إلى أن أوصلاه إلى جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية ، وأنزلوه من تجاه بولاق التكروري إلى حراقة أعدت له ، وسافر إلى الإسكندرية من وقته ، وكان وقت نزوله إلى الحراقة بين الظهر والعصر ، وكثر أسف الناس عليه ، وبكوا عليه كثيراً رأفة له .

وفيه ـ أيضاً ـ قبض السلطان على سودون أمير آخور الظاهري ، أحد الأمراء آخورية الصغار .

وفي يوم الجمعة حادي عشره وصل الأمير بردبك الدوادار الثاني وصهر السلطان من البلاد الشامية إلى القاهرة، وصحبته ولده ابن بنت السلطان، بعد أن قلّد الأمير جانم الأشرفي نائب حلب، وصالح على موجود الأمير جلبان نائب الشام، وجمع لنفسه من الأموال والهدايا ما يستحيي من ذكر كثرته؛ لما في نفسه من الشره والطمع في جمع الأموال، بحيث إنه كان الشخص هناك يأتيه بالهدية الهائلة فيقبلها ثم يقول لمهديها: هذه الهدية لي أم لابن بنت السلطان ؟ يعني ولده، فيستحيي الرجل ويجعلها لأحدهما، ثم يأخذ في تجهيز هدية أخرى للآخر، وعلى هذا المنوال سلك من حين خروجه من الديار المصرية إلى أن وصل إلى حلب، وإلى أن عاد إلى الديار المصرية أيضاً، هذا مع علم الناس بمكانته عند أستاذه الملك الأشرف وصهارته منه وانقياده إليه، فلذلك لم // [٣٤٣] يتأخر أحد عن خدمته من أرباب الحوائج وغيرهم.

ووصل معه الأمير زين الدين يحيى الأستادار بطلب من السلطان، وطلع معه إلى القلعة ـ أيضاً ـ في اليوم المذكور، وقبل الأرض، وأخلع عليه السلطان فوقاني مخمل أحمر بوجه أخضر بطرز زركش يلبغاوي، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، واستقر به آستاداراً على عادته أولاً، وعزل قاسم الكاشفُ عن الأستادارية، ونزل زين الدين من القلعة إلى داره التي كان باعها في أيام مصادرته لبعض التجار بمبلغ له جرم، وتصرّف التاجر في الدار المذكورة، وهدم المقعد الذي بها وجعله قاعة، فلما وصل زين الدين في هذه المرة إلى القاهرة واستقر على عادته آستاداراً أنزل إلى داره على قماش التاجر ومتاعه، واستولى على ذلك بطريق غصبي، وألزم التاجر بإعادة المقعد المذكور على ما كان عليه

أولاً ، بعد أن قاسى هذا التاجر من الذل والإخراق والبهدلة من[1] حاشية الأمير زين الدين ما لعله يتذكره إلى أن يموت ويبعث .

وفي يوم الاثنين رابع عشره أدير المحمل بالقاهرة ، ولعبت الرماحة على العادة في كل سنة ، وكان الناس في وجل بسبب دورانه وأيام زينة القاهرة من أجل المماليك الأجلاب ، فلم يقع شيء مما ظنوه .

وسببه أنهم كانوا قبل تاريخه أثاروا تلك الفتنة مع الأمير يونس الدوادار حسبما قدمناه آنفاً، حتى عظم الأمر وخرج عن الحد، وصار الهزل جداً، وأمسك السلطان فيها جماعة من المماليك الظاهرية وغيرهم، ثم أنزل السلطان من مماليكه جماعة كثيرة من الأطباق من قلعة الجبل، ممن كان اشتراهم من تركة الملك الظاهر جقمق لميلهم إلى المماليك الظاهرية، ولما بلغه عن بعضهم أنه يقول: نحن عتقاء الملك الظاهر وتربيته ولا أصير عتيق الملك الأشرف إينال بقطعة ورقة، يعنون بذلك عتاقة الملك الأشرف لهم، فنزلت هذه الطائفة منهم إلى إصطبلاتهم وانضموا على الظاهرية، وأوقع السلطان بجماعة من أعيان المماليك الظاهرية، فتخوفت الجلبان // من السلطان فانكفوا عن الفحش [٣٤٤] والتعرض للعامة ولله الحمد.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره خرج الأمير خشقدم أمير سلاح ورفيقه الأمير قرقماس رأس نوبة النوب بمن انضاف إليهم من المماليك السلطانية والأمراء إلى بر منبابة، وسافروا يوم الجمعة إلى جهة البحيرة، وكانت خيامهم مضروبة ببر منبابة من سلخ جمادي الأخرة حسبما تقدم ذكره.

وفي يوم الخميس سابع عشره أفرج الأمير زين الدين الأستادار عن الناصري محمد بن أبي الفرج المعزول عن الأستادارية قبل تاريخه، بعد أن ألزمه بحمل ثلاثة آلاف دينار، وذلك بعد أن أقام عنده في الترسيم أياماً، وبعد معاتبات خشنة وتهاديد وأمور، ومن أساء لا يستوحش، مع أن الأمير زين الدين

---

(١) في «أ»: ما.

لو عامل ابن أبي الفرج هذا بما يستحقه منه لأهلكه، لكنه صفح عنه صفحاً جميلاً ، وعامله بطباعات الرؤساء .

وفي اليوم المذكور كتب السلطان بالأمان لأربعة من المماليك الظاهرية المختفين بعد الوقعة، ورسم لهم بالخروج إلى البلاد الشامية على إقطاع هين، وهم: يشبك القرمي، وقاني باي المشطوب، وسودون البجمقدار، وشخص آخر، فخرجت الثلاثة ولم يظهر سودون، وسافروا الثلاثة، واستمر سودون مختفياً .

وفي هذه الأيام أخلع بكشف الجيزية على الزيني قاسم المعزول عن الأستادارية بزين الدين.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه عزل قطب الدين الخيضري عن كتابة سر دمشق بالقاضي نور الدين علي ابن القاضي صلاح الدين محمد بن السابق.

شعبان

أوله الخميس.

ففي يوم الخميس ثامنه رسم السلطان بإخراج من في سجن القلعة بالبرج من المماليك الظاهرية، وهم: الأمير قوزي الساقي الظاهري، ونحو عشرين نفراً، ورسم بتوجههم إلى البلاد الشامية، فسافروا من الغد في يوم الجمعة تاسعه.

وفي يوم السبت سابع عشره ـ الموافق لتاسع مسري ـ أوفى النيل المبارك ستة عشر ذراعاً ، وزاد ستة أصابع من الذراع السابع عشر ، ونزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من القلعة وبين يديه وجوه الدولة حتى خلق المقياس وفتح خليج السد // على العادة في كل سنة . [٣٤٥]

وفي هذا المعنى يقول الشيخ بدر الدين ابن الصاحب :

النيل ألبس حلة حمراء في تخليقه
وله أصابع زينت وتختمت بعقيقه

[مجزوء الكامل]

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه وصل نجاب من طرابلس يخبر بالقبض على نائبها الأمير يشبك النوروزي. وكان السيفي إينال الجلباني القجقي الخاصكي توجه قبل تاريخه إلى طرابلس، وعلى يده مثالات في الباطن لأمراء طرابلس بالقبض عليه، فقبض عليه من دار السعادة، وأخرج ماشياً مع الحاجب والأمراء إلى بيت الأمير مغلباي البجاسي حاجب حجاب طرابلس بعد أن امتنعت مماليكه من تسليمه حتى نهرهم استاذهم المذكور ؛ لعلمه أن ذلك لا فائدة فيه ، وقيد وحمل إلى سجن المرقب .

ثم في يوم الخميس ثاني عشرينه رسم بنقل الأمير حاج إينال اليشبكي نائب حماه إلى نيابة طرابلس عوضاً عن يشبك المذكور، وحمل إليه التقليد والتشريف على يد الأمير يشبك من سليمان شاه الفقيه المؤيدي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، ونقل نائب صفد الأمير إياس الناصري الطويل إلى نيابة حماه عوضاً عن حاج إينال المذكور، ومسفره الأمير قانصوه المحمدي الساقي الأشرفي أحد أمراء العشرات، ونقل الأمير جانبك التاجي المؤيدي نائب غزة إلى نيابة حماه عوضاً عن إياس، ومسفره الأمير تمرباي الحسني الناصري أحد أمراء العشرات، وهو أحد من بقي من أمراء الأتراك في زماننا هذا لا غير، ورسم بإعادة خيربك النوروزي أحد أمراء صفد إلى نيابة غزة كما كان في الدولة الظاهرية، ومسفره سنقر الخاصكي الدوادار الأشرفي المعروف بقرق شبق .

وكل ما ذكرناه من انتقال هؤلاء بالبذل ، من إينال إلى خيربك ، وأخلع على هؤلاء المتوجهين بالتقاليد المذكورة في هذا اليوم جملة واحدة ، وصولح الجميع ، ما خلا يشبك الفقيه فإنه سافر إلى حاج إينال ، فصولح قانصوه بأربعة آلاف دينار ، وتمرباي بنحو ذلك ، وسنقر قرق شبق بألفي دينار .

وكثر الكلام بالقاهرة في قبض يشبك النوروزي هذا، واختلفت الأقاويل، ولهج الناس بأنه عزله بسبب ممالأته في الباطن إلى الأمير قاني باي الحمزاوي - نائب // الشام. [٣٤٦]

وترقب الناس خروج قاني باي المذكور عن الطاعة، فلم يقع شيء من ذلك، واستقر الحال على أن السلطان لا يطلب قاني باي المذكور إلى الديار

المصرية، وقاني باي ما لم يطلبه السلطان هو قانع بنيابة دمشق، وبما هو فيه من الانهماك بلذاته ولا يطلب زيادة على ذلك، وكل منهما يغالط الآخر، فالسلطان مطمئن بأن قاني باي في طاعته ويمتثل مراسيمه وهو الواقع، وقاني باي في طاعة السلطان ومتى طلبه حضر وفي الباطن بخلاف ذلك.

ثم رسم السلطان في هذه الأيام بانتقال يشبك السيفي قاني باي البهلوان من نيابة المرقب إلى حجوبية الحجاب بطرابلس، عوضاً عن مغلباي البجاسي، بحكم انتقال مغلباي إلى أتابكية طرابلس عوضاً عن سودون من سيدي بك الناصري المعروف بالقرماني، بحكم انتقاله إلى أتابكية حلب بعد ولاية الأمير أقبردي الساقي الظاهري نيابة ملطية، بعد عزل الأمير قاني باي الناصري.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه انقطع جسر بحر منجا[1] وغرق ما تحتها من البلاد، ثم عظمت المصيبة بأن الماء لما سار على الأراضي استند على سد جبيين القصر فلم يثبت سد جبيين - أيضاً - وطغي الماء حتى غرق الأراضي، وضر سد جبيين أن بحر منجا انفتح قبل ميعاده[2] بنحو ستة عشر يوماً، فلم يلبثوا إلا والماء قد أتاهم طوفان، فغرقهم وغرق للناس من الزرع والغلال ما لا يحصى، ويئس الناس من عود النيل إلى ما كان، وخرج الأمير زين الدين يحيى الأستادار والمقطعون بجبيين القصر وغيرهم، وأقاموا على سد جبيين أياما حتى سدوا من قناطر جبيين البعض، وأما منجا فلا سبيل إلى تعويقه، وراح على من راح ولا انتطحت في ذلك شاتان، فسبحان الحليم على عباده. ونقص البحر نقصاً فاحشاً، وتحرّك سعر الغلال، وأخذ الناس في شراء الغلال، ونفق سوقها بعد الكساد، وخزنت الخزانون شيئاً كثيراً، ومع ذلك لم يزد سعر الإردب القمح على مائة وخمسين وسبعين درهماً وما دونها، والفول بمائة وعشرة وما دونها، والشعير بمائة وثلاثين وما دونها، ثم عن قليل تراجع البحر بإذن الله تعالى إلى زيادته كأحسن ما يكون، وانحط سعر كل صنف من الغلة، حتى أبيع القمح بمائة

---

(١) المقصود بذلك بحر أبي المنجا، وهو خليج حفره «الأفضل ابن أمير الجيوش» سنة ست وخمسمائة للهجرة.
راجع المقريزي. الخطط ج ١ ص ٧١ - ٧٢.

(٢) في الأصل: «ميجاله».

[٣٤٧] وأربعين وما دونها // والفول بتسعين وما دونها، والشعير بمائة وخمسة وما دونها، ولله الحمد.

شهر رمضان

أوله الجمعة.

ففي يوم السبت ثانيه ـ الموافق لثالث عشرين مسرى ـ نودي على البحر بزيادة أربعة أصابع من النقص، فسكن حينئذٍ روع الناس قليلاً، ولم ينحط سعر الغلال إذ ذاك.

وفي يوم الأحد ثالثه استقر شخص من أصاغر الكتبة يعرف بابن وجيه في نظر جيش حلب، عوضاً عن سراج الدين عمر بن السفاح.

ثم في يوم الاثنين رابعه[1] نودي على النيل ـ أيضاً ـ بزيادة إصبعين، وذلك لتتمة سبعة أصابع من الذراع السابع عشر[2]، وهذا هو القدر الذي كان نقصه البحر بعد قطع بحر منجا، وأخلع السلطان على منادي البحر.

وفيه قدم الأمير زين الدين يحيى الأستادار من ترميم سد جيبين القصر، وأخلع عليه السلطان.

وفيه ـ أيضاً ـ أخرج سنطباي الظاهري جقمق الخاصكي رأس نوبة الجمدارية ـ كان ـ في دولة أستاذه إلى طرابلس منفياً. وهذه نفيته الثانية بعد موت أستاذه الظاهر جقمق.

وفي يوم الأحد عاشره قدم الخبر على السلطان بموت الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة، وتولى بعده ابنه محمد على ما يأتي ذكره في وفيات هذه السنة.

وفيه رسم بنفي الناصري محمد بن أبي الفرج المعزول عن الأستادارية،

---

(١) في هامش « أ »: « يوم الأحد ثالثه ».

(٢) في هامش « أ »: « صوابه الثامن عشر ».

فتسحب واختفى مخافة من الأمير زين الدين يحيى الأستادار .

وفي يوم السبت سادس عشره ـ الموافق ليوم النوروز أول توت ـ نودي على النيل بزيادة ثلاثة أصابع من الذراع التاسع عشر .

وفيه وصل الأمير جانبك الظاهري المتكلم علي بندر جدة منها إلى القاهرة، وأخلع عليه وعلى رفقته على العادة، واستقر مسفر الشريف محمد ابن الشريف بركات باستقراره في إمرة مكة، وأمر بنقل التقليد والتشريف بعد ذلك مع أحد مماليكه ولم يسافر هو.

وكانت ولاية الشريف محمد إمرة مكة على مال بذله نحو خمسين ألف دينار، وسألت الأمير جانبك المتكلم علي بندر جدة ـ وهو الساعي للشريف محمد هذا ـ عن ذلك فقال: نعم، لكن يحمل في هذه السنة عشرين ألف دينار، ثم ما بقي على نقدات متفرقة، ولخوند وولدها خمسة آلاف دينار، وليونس الدوادار ثلاثة آلاف دينار. قلت: فماذا يحمل لعظيم الدولة ـ أعني ناظر الخواص ـ ولبردبك؟ قال: مهما أرادا.

[٣٤٨] // وفي يوم السبت ثالث عشرينه وصل إلى القاهرة الأمراء المجردون إلى البحيرة بمن معهم من المماليك السلطانية، وهم الأمير خشقدم الناصري المؤيدي أمير سلاح ، والأمير قرقماس الأشرفي الجلب رأس نوبة النوب ، وعدة من أمراء العشرات .

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه استقر الناصري محمد بن أبي الفرج المعزول عن الأستادارية قبل تاريخه في ولاية قطيا بسعي في ذلك ـ قلت : وهذه عادته ، يرتفع إلى السها ، ثم ينزل إلى البهموت ، فتوجه إليها وباشرها .

وفيه ـ أيضاً ـ كتب بعزل القاضي جلال الدين أبي السعادات الشافعي عن قضاء مكة، وكتب باستقرار قاضي القضاة محب الدين محمد الطبري إمام مقام إبراهيم بالحرم الشريف في قضاء الشافعية عوضاً عن أبي السعادات المذكور ، وكتب ـ أيضاً ـ باستقرار الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن نور الدين

على ابن ظهيرة في نظر الحرم الشريف، بعد استعفاء طوغان شيخ الأشرفي في ذلك.

شوال

أوله الأحد.

في يوم الثلاثاء عاشره [كان] انتهاء الكسوة التي أمر السلطان للمقر الجمالي ناظر الجيوش والخواص بعملها برسم القبر الشريف النبوي محمد ﷺ ، وحملت على رءوس عدة كبيرة من الحمالين إلى القلعة في أبهج زي وأحسن منظر ، حتى عرضت على السلطان ، وخلع على الصاحب جمال الدين المذكور كاملية خضراء بمقلب سمور ، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة .

وفي يوم الجمعة ثالث عشره - الموافق لسابع عشرين توت - نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة أربعة عشر إصبعاً من عشرين ذراعاً، وهذا منتهى زيادة النيل في هذه السنة، وأخذ في النقص كما زاد، وتماسك إلى أواخر بابه.

وفي يوم الأحد خامس عشره أمر السلطان بعبد العزيز بن محمد الصغير نقيب الجيوش ومحتسب القاهرة فضرب بين يدي السلطان ضرباً مبرحاً ، تجاوز فيه عن الحد حتى أشفى على الهلاك .

وسبب ذلك أنه كان قبل تاريخه في يوم فتنة المماليك الظاهرية مع الأمير يونس الدوادار - المتقدم ذكرها - قد نقل للسلطان أنه دخل متنكراً إلى بيت يونس الدوادار المذكور فوجده قد تهيأ // للركوب على السلطان، فلم يلتفت [٣٤٩]
السلطان إلى كلامه لعلمه بجنه وخفة دماغه وكذبه، وأمر بكتم ذلك، ثم أخذ في الفحص عن يونس المذكور ظاهراً وباطناً فلم يجد لما قاله عبد العزيز المذكور صحة ، ثم وقع من عبد العزيز - أيضاً - ما أوجب غضب السلطان عليه حتى كان من أمره ما كان ، ثم رسم بنفيه ، فنفي إلى دمياط على أقبح وجه ، وأشيع موته لعظم ما به من الضرب والنكال .

قلت: وما هذه بأول واقعة وقعت له لأنه مخمول الحركات من مبدء أمره إلى منتهاه، وقد حبس بالبرج بقلعة الجبل في أوائل دولة الظاهر، ثم أمر بنفيه مع

أبيه غير مرة، وأما ما وقع له من السب والبهدلة من أرباب الديون والنقباء فلا يعد ولا يحصى، أضربنا عن ذلك لكونه لم يكن من أعيان الناس لتشكر أفعاله أو تذم، وإنما والده المعروف بمحمد الصغير كان من أولاد الناس الغازانية، وكان في مبادىء أمره يركب حماراً إلى أن عرف بحسن رمي النشاب، فترقى وركب فرساً، وصار كآحاد أجناد الحلقة، وتربى عبد العزيز هذا في الأزقة، وكان على وجهه قبول لجماله، حتى تسلطن الملك الظاهر جقمق وقرب أباه ونادمه، فصار عبد العزيز هذا يسعى في الخدم والوظائف ويبذل فيها الأموال، ويتحمل من الديون ما شاء الله إلى أن يأخذ بغير رضى والده، حتى كان من أمره ما حكيناه.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره برز أمير حاج المحمل الأمير بردبك البجمقدار الظاهري جقمق، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة بالمحمل إلى بركة الحاج، وأمير الركب الأول الناصري محمد ابن الأمير جرباش المحمدي الناصري الأمير آخور الكبير المعروف بكرت، والناصري محمد هذا سبط الملك الناصر فرج بن برقوق، وحجت والدته خوند شقراء بنت الملك الناصر فرج صحبة ولدها بتجمل زائد إلى الغاية، وسافر - أيضا - الأمير بيبرس الأشرفي أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة، وخال الملك العزيز يوسف بن الملك الأشرف برسباي إلى الحجاز ومقدم المماليك السلطانية المقيمين بمكة المشرفة.

[٣٥٠] وفي يوم الثلاثاء هذا أخلع // على الشيخ علي ابن نصرالله الخراساني الطويل بإعادته إلى حسبة القاهرة، واستقر السيفي خشكلدي السيفي قجقار جغتاي الزردكاش نقيب الجيوش المنصورة، كلاهما عوضاً عن عبد العزيز بن محمد الصغير بعد نفيه إلى دمياط حسبما تقدم.

وفي يوم الجمعة، العشرين منه رحل الأمير بيبرس بالمماليك من بركة الحاج، ثم رحل أمير (الركب) الأول في يوم السبت، وأمير الحاج في يوم الأحد.

وفي أواخر هذا الشهر ورد الخبر بأن الملك خلف ابن السلطان محمد ابن

السلطان الملك العادل سليمان الأيوبي ملك قلعة حصن كيفا ومدينتها من ابن أخيه الملك الكامل أحمد ابن الملك الكامل صلاح الدين خليل ابن الملك العادل سليمان . [وهو الذي] قتل[1] ابن عمه الملك حسن ابن السلطان عثمان ابن الملك العادل سليمان ، وهرب الملك الكامل أحمد إلى حال سبيله ، وتلقبْ الملك خلف بالملك (العادل) [2] .

ذو القعدة

أوله الاثنين .

فيه نودي على الذهب بالقاهرة بأن لا يتعامل به أحد بأكثر من ثلاثمائة درهم الدينار، وهدد من زاد على ذلك بأنواع الضرب والنكال.

وفي أوائل هذا الشهر برز المرسوم الشريف باستقرار القاضي جمال الدين يوسف الباعوني الشافعي في قضاء دمشق، بعد عزل القاضي سراج الدين عمر الحمصي، وتوجهه إلى حمص بطالاً. وولاية الباعوني هذا على مال كبير بذله في ذلك.

وفي هذا الشهر رسم السلطان بهدم الإيوان القبلي من تربته التي بناها بالصحراء في أيام إمرته خارج باب النصر بالقرب من تربة كوكاي، وأمر أن تعمر مدرسته بأربعة[3] أواوين ويجعلها خانقاه ، وخلع على الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص باستقراره في نظر عمارتها .

وفي يوم الجمعة سادس عشرينه ـ الموافق لعاشر هاتور ـ لبس السلطان القماش الصوف الملون ، وألبس الأمراء على العادة في كل سنة .

---

(١) في «أ»: قبل.

(٢) مزيد من « ب » .

(٣) في الأصل : « بأربع » .

ذو الحجة

أوله الثلاثاء.

ففي يوم الخميس ثالثه استقر علي بن إسكندر في نقابة الجيوش المنصورة بعد عزل خشكلدي السيفي قجقار جغتاي الزردكاش.

وعلي بن إسكندر هذا يعرف بابن الفيسي لكون والده// كان ابن أخت [٣٥١] زوجة كمشبغا الفيسي.

وفي يوم الخميس عاشره، وهو يوم عيد الأضحية صلى السلطان الملك الأشرف إينال بجامع القلعة الناصري صلاة العيد، وخرج عائدا إلى الحوش السلطاني من قلعة الجبل، ونحر ضحاياه به خوفاً من المماليك الجلبان الذين بالأطباق، لما وقع منهم في العام الماضي من الإخراق وكسر الحرمة.

وكانت العادة أن السلطان إذا خرج من الجامع جلس بالإيوان وبين يديه الأمراء وينحر به ضحاياه، ثم يتوجه إلى باب الستارة وينحر به - أيضاً - ثم يدخل بعد ذلك إلى الحوش وينحر به، وكلما نحر بمكان من هذه المواضع تفرقته الخدام والمماليك ومن له عادة بالأخذ، فبطل ذلك كله، ونحر السلطان دفعة واحدة بالحوش، وهذا شيء لم يعهد مثله فيما مضى، وأظن ذلك صار عادة إلى الأبد.

وفي يوم الأحد العشرين منه نودي بالقاهرة وشوارعها: من ظلم من قهر فعليه بالأبواب الشريفة، وقد شرع السلطان ينزل في يومي السبت والثلاثاء إلى الإسطبل السلطاني للحكم بين الناس.

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه وصل مبشر الحاج سنقر الأشرفي أحد الدوادارية المعروف بقرق شبق وأخبر بالأمن والسلامة، وأخبر - أيضاً - بأن الناس وقفوا بعرفات يوم الخميس، ووقف أمير الركب الأول الأربعاء والخميس احتياطاً، ووقف أمير المحمل الأمير بردبك الظاهري الخميس لا غير.

قلت : فهذا يدل على أن هلال ذي الحجة أُرِّخ[1] بمكة ليلة الأربعاء بخلاف الديار المصرية ، فإنه أُرِّخ[1] بها الثلاثاء على اختلاف المطالع ، لكن وقوف أمير (الركب) الأول مرتين يدل على اضطراب الناس في رؤيته بمكة .

وورد الخبر - أيضاً - بموت العلامة محب الدين الأقصرائي الحنفي في يوم الجمعة ثالث ذي الحجة على حسب تأريخ مكة، ورابع ذي الحجة على حسب ما أُرِّخ[1] بديار مصر، وصلى عليه بالحرم الشريف، وكانت جنازته مشهودة، ومات - رحمه الله - محرما بعد السعي وطواف القدوم، وكثر أسف الناس عليه بالديار المصرية؛ لأنه كان من محاسن الدنيا ديناً وعلماً وفضلاً وعبادة، رحمه الله.

وفي هذه السنة وقع بدمشق حريق عظيم في عدة أماكن منها، احترق فيها دور كثيرة، وحوانيت وأملاك، وتداول ذلك شيئاً// بعد شيء، ولم يعلم أحد [٣٥٢]
من هو فاعل ذلك، واختلف الناس فيه، فمنهم من قال: إنهم النصارى الذين أمر بهدم كنائسهم، ومنهم من قال: الغرباء الذين نودي بدمشق بخروجهم منها، ومنهم من قال غير ذلك. وبعد قليل أخبرني بعض الناس أنه مسك منهم جماعة ونكل بهم غاية النكال.

وفرغت هذه السنة وقد عز وجود الحطب جداً، حتى إنه أبيع الحمل منه بنحو المائة وعشرين درهماً، وهو الحطب الطرفاء، وأما الكاري فلم يوجد أصلاً من أواخر رمضان إلى الآن، وقد أضر ذلك بحال الناس كثيراً، وقد صارت المماليك تفتح الشون ومخازن الحطب وتهجم بيوت الناس ببولاق ومصر وتأخذه من غير رضى أصحابه - أميراً كان صاحبه أو فقيراً - بثمن وغير ثمن ، وهذا - أيضاً - من الأشياء التي لم يعهد مثلها من قلة وجود الحطب بالديار المصرية .

أمر النيل في هذه السنة

كان الماء القديم سبعة أذرع وخمسة أصابع، (و) مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً، والله - تعالى - أعلم.

---

(١) في « أ » : « ورخ » .

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكرهم رحمة الله - تعالى - عليهم

(١) توفي الأمير سيف الدين مغلباي[1] بن عبد الله الشهابي الناصري، أحد أمراء العشرات بديار مصر - بطالاً - في يوم الخميس في ليلة عاشر المحرم.

وكان أصله من مماليك الشهابي أحمد ابن جمال الدين يوسف البيري الأستادار، ثم أخذه الملك الناصر فرج وجعله من جملة مماليكه، فاستمر من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصكياً بعد موت الملك المؤيد شيخ، ثم صار رأس نوبة الجمدارية في دولة الملك الظاهر جقمق، ودام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر بإمرة عشرة في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، فدام على ذلك إلى أن كانت الوقعة بين الملك المنصور وبين الأمير الكبير إينال العلائي صار مغلباي هذا عند المنصور، فلما تملك الملك الأشرف إينال أخرج إقطاعه، فدام بطالاً حتى مات في التاريخ المذكور من غير مرض، لكن شبه الفجاءة، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(٢) وتوفي الشهابي أحمد ابن الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد البيري[2]،

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى: الدليل الشافي ج ٢ ص ٧٣٧ تر ٢٥١٧، المنهل الصافي مج ٣ ق ٢٤٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٤، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٦٥ تر ٦٧٦.

(٢) هو «أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم»، له ترجمة في: السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٨٣ تر ٢٤٧.

أحد الحجاب بالقاهرة ، المعروف بابن أخي جمال الدين الأستادار ، في صبيحة يوم الاثنين / / ثاني عشرين صفر ، وله سبعون سنة تخميناً ، ودفن بتربة عمه [٣٥٣] جمال الدين الأستادار بالصحراء خارج القاهرة ، رحمه الله .

(٣) وتوفي الأمير سيف الدين جلبان[١] بن عبد الله نائب الشام بها في يوم الثلاثاء سادس عشر صفر ، وله نحو ثمانين سنة تخميناً .

وكان يعرف بالأمير آخور ، وفي معتقه أقوال ، أحدها : أنه من مماليك الأمير تنبك الأمير آخور الظاهري المتوفى في سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، واشتراه بعده سودون طاز الظاهري الأمير آخور وأعتقه ، وتنقل في الخدم حتى صار بخدمة الأمير جاركس القاسمي المصارع ، ثم اتصل بخدمة الملك المؤيد أيام إمرته ، فجعله من جملة أمراء آخوريته ، وهذا القول أحسن الأقوال وأصحها في معتقه .

ودام جلبان بخدمة الملك المؤيد شيخ إلى أن تسلطن ، جعله من جملة الأمير آخورية ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم جعله أمير آخوراً ثانياً ، وهذا كان لا يعرف إلا بالأمير آخور ، ثم نقله الملك المؤيد إلى تقدمة ألف في حدود سنة عشرين وثمانمائة ، واستقر بعده في الأمير آخورية الثانية الأمير آقبغا التمرازي ، ودام جلبان على تقدمة ألف إلى أن أخرج الملك المؤيد عسكراً إلى الشام في سنة ثلاث وعشرين ، وجعل مقدم العسكر الأتابك ألطنبغا القرمشي الظاهري ، وأضاف إليه عدة من مقدمي الألوف ، فكان جلبان هذا ممن انضاف إليه ، وساروا إلى البلاد الشامية ، ومات الملك المؤيد في محرم سنة أربع وعشرين وهم بتلك البلاد ، ولازالوا بها حتى توجه الأمير ططر بالملك المظفر أحمد إلى الشام ، وقبض على القرمشي ورفقته ، فكان جلبان هذا ممن قبض عليه ، وحمل إلى قلعة صفد فحبس بها إلى أن أطلقه إينال نائب صفد ، لما خرج عن طاعة الملك الأشرف برسباي ، فهرب جلبان المذكور من إينال وقدم دمشق داخلاً في طاعة الملك الأشرف ، فرسم الملك الأشرف بالقبض عليه ثانياً وحبسه ، فوقع ذلك إلى

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ تر ٨٥٤ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٣ ، النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ١٧٤ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٧ - ٧٨ تر ٣٠٢ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

أن أطلقه الملك الأشرف - أيضاً - بعد مدة يسيرة، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، ثم نقله إلى نيابة حماه بعد الأمير جارقطلو، في يوم العشرين من شهر رجب سنة ست وعشرين، وانتقل جارقطلو إلى نيابة حلب بحكم انتقال تنبك البجاسي إلى نيابة الشام بعد موت الأمير تنبك // ميق العلائي الظاهري [1] [٣٥٤]
بعد موته فدام جلبان في نيابة حماه سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إلى نيابة طرابلس. بعد موت الأتابك طرباي في العشر الأوسط من شعبان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، وتولى بعده نيابة حماه الأمير قاني باي الحمزاوي أحد مقدمي الألوف بديار مصر، فاستمر في نيابة طرابلس إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة حلب، بعد عصيان حسين بن أحمد المدعو تغري برمش التركماني في سلخ شهر رمضان من سنة اثنتين وأربعين، فلم تطل مدته في نيابة حلب ونقل إلى نيابة دمشق، بعد موت الأمير آقبغا التمرازي في شهر ربيع الآخر، وحمل إليه التقليد والتشريف دولات باي المحمودي المؤيدي، وعاد منه بأموال كثيرة إلى الغاية، فدام جلبان في نيابة الشام من يومئذ، وتردد إلى القاهرة غير مرة، واستمر في نيابته إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان أميراً جليلاً، عاقلاً، سيوساً، عارفاً بمداراة الملوك، وباشر وقائع، وحضر حروباً، وقاسى خطوب الدهر ألواناً، في أيام خدمته للملك المؤيد شيخ أيام إمرته، وكان متجملاً في مركبه ومماليكه وحشمه، غير أنه كان قصيراً جداً، ومع هذا وقع له ما لم يقع لغيره من أبناء جنسه، منها أنه أقام أميراً بمصر والشام نحواً من ثلاث[2] وأربعين سنة، وهذا لم يقع لغيره إلا نادراً جداً، ومنها أنه طالت مدة ولايته لبلاد الشام[3] منتقلاً من بلد إلى أعظم منها نحوا من ثلاث[4] وثلاثين سنة، وهذا - أيضاً - لم يقع لغيره، ومنها أنه أقام نائباً بدمشق نحو خمس[5] عشر [ة] سنة، وهذا شيء لم يقع لغيره - أيضاً - من أيام تنكز الناصرى، ومنها

(١) في « أ » : « بعد موت الأمير ميق العلائي الظاهري بعد موته »
(٢) في « أ » : « ثلاثة »
(٣) في «أ»: « لبلاد بالشامية »
(٤) في « أ » : « ثلاثة » .
(٥) في « أ » : « خمسة » .

أنه لم ينتقل من بلد إلى غيرها إلا والأمير قاني باي الحمزاوي يلي تلك البلد التي خرج منها عوضه، حتى إن قاني باي - المذكور - ولي نيابة الشام - أيضاً - بعد موته، وهذا - أيضاً - من الاتفاقات الغريبة، ومنها أنه باشر نيابة دمشق في ثلاث دول، وهذا - أيضاً - لم يقع لغيره.

وبالجملة إنه كان من بقية الأمراء، وممن رأى تلك الأعصار - رحمه الله تعالى.

(٤) وتوفي ألأمير سيف الدين يشبك الناصري[١] أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ثاني بعد مرض طويل، في يوم الأحد ثامن عشر صفر وقد ناهز السبعين تخميناً.

وكان أصله من مماليك الملك الناصر فرج، ثم انحط قدره، وخدم في بيوت الأمراء مدة طويلة، إلى أن رده الملك الظاهر ططر إلى بيت السلطان، وجعله من جملة الخاصكية، فدام على ذلك دهراً طويلاً إلى أن// أنعم عليه الملك الظاهر [٣٥٥]
جقمق في أوائل أمره بإمرة عشرة، وجعله من جملة رءوس النوب، واستمر على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك المنصور عثمان بإمرة طبلخاناه، عوضاً عن جانبك القرماني، بحكم انتقال جانبك القرماني إلى طبلخانات يونس المشد، بحكم انتقال يونس إلى تقدمة ألف بديار مصر، ثم صار رأس نوبة ثانياً في دولة الملك الأشرف إينال، إلى أن مرض ومات في التاريخ المذكور.

وكان مهملاً، مسرفاً على نفسه، لم يعرف بشجاعة ولا كرم ولا دين، عفا الله - تعالى - عنه.

(٥) وتوفي الوزير الصاحب أمين الدين إبراهيم ابن الرئيس مجد الدين عبد الغني بن الهيصم[٢] وزير الديار المصرية ورئيسها بطالاً في ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الآخر.

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٨٠ تر ١٠٩٩، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى: الدليل الشافي ج ١ ص ٢١ تر ٤٩، المنهل الصافي ج ١ ص ١١٣ - ١١٦ تر ٥٠، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٥ - ١٧٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٦٧ تر ٦٨، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٣.

وكان مولده في أوائل القرن تخميناً بالديار المصرية، (و) نشأ في الرياسه تحت كنف والده، ثم عمه الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم إلى أن كبر وعرف الحساب،وكتب الخط المنسوب وباشر في عدة جهات إلى أن نقل إلى نظر الدولة بعد القاضي كريم الدين عبد الكريم بن كاتب جكم، بحكم انتقاله إلى نظر الخاص بعد الصاحب بدر الدين حسن بن نصرالله، في يوم الاثنين ثاني عشر جمادي الأولى سنة ثمان وعشرين، ودام في وظيفة نظر الدولة إلى سنة سبع وثلاثين أخلع عليه باستقراره وزيراً بعد عزل الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ، واستقل بوظيفة الأستادارية، فباشر الصاحب أمين الدين - هذا - الوزر مدة أشهر، فلم ينتج أمره وتسحب واختفى أشهراً، ثم ظهر بشفاعة الأمير إينال الأبو بكري الخازندار فيه، ثم ولي بعد ذلك نظر المفرد، ثم أعيد إلى نظر الدولة ثانياً، ودام فيها - أيضاً - سنين إلى يوم الاثنين ثامن جمادي الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة أخلع عليه الملك الظاهر جقمق باستقراره وزيراً، عوضاً عن الصاحب كريم الدين ولزومه الفراش. وهذه ولايته الثانية، فباشر الوزر في هذه المرة مباشرة جيدة لا سيما لما وقع الشراقي والغلاء بديار مصر في سنة أربع وخمسين وسنة خمس وخمسين، ودام في الوزر إلى أن عجز واستعفى فأعفى، واستقر عوضه تغري بردي القلاوي في يوم الخميس رابع شوال سنة ست وخمسين، فدام معزولاً إلى أن استعفى القلاوي وأعيد الصاحب أمين الدين إلى الوزر// من قبل الملك المنصور عثمان في يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة [٣٥٦] سبع وخمسين، فدام في الوزر إلى أن عجز واختفى في يوم الأربعاء أول شهر رمضان من سنة سبع وخمسين وثمانمائة، واستقر عوضه في الوزر كاتب المماليك السلطانية، فدام الصاحب أمين الدين في أختفائه مدة ثم ظهر بأمان، وأعيد إلى الوزر بعد عزل فرج بن النحال المذكور في يوم الاثنين حادي عشرين جمادي الأولى سنة ثمان وخمسين، فلم تطل مدته - أيضاً - في الوزر، وأظهر العجز واستعفى فلم يعف. فاختفى في يوم السبت حادي عشر ذي القعدة من سنة ثمان وخمسين، وأعيد فرج بن النحال في الوزر من بعده، فدام في اختفائه مدة إلى أن مرض ومات.

وكان بمعزل عن الأقباط، وتزوج من المسلمين، وكان يحب الفقراء

والصالحين ، وله فيهم اعتقاد عظيم ، وحج .

وفي الجملة، إنه كان أصلح الموجودين من أبناء جنسه الأقباط، وأخفهم طلماً، وأكثرهم تجملاً في ملبسه ومركبه، وكان ترفاً إلى الغاية - رحمه الله - تعالى - وعفا عنه .

(٦) وتوفي الأمير سيف الدين خيربك بن عبد الله المؤيدي(١) - أحد مقدمي الألوف بديار مصر - في يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الآخر بداره التي تجاه مصلاة المؤمني، ولم يحضر السلطان الصلاة عليه ولا ولده المقام الشهابي أحمد، ومات وهو في حدود الستين سنة .

وأصله من مماليك الملك المؤيد شيخ ، وصار خاصكياً من بعده مدة طويلة ، إلى أن وقع بينه وبين جانبك اليشبكي المعروف (بـ) جحا - بتقديم الجيم - فتنة ، وشكاه جانبك المذكور إلى الملك الأشرف برسباي فنفاه الأشرف إلى الشام ، ثم انعم عليه بعد ذلك بإمرة، فدام خيربك المذكور من جملة أمراء دمشق سنين، إلى ان جعله الملك الظاهر جقمق أمير مائة ومقدم ألف بدمشق، ثم نقله بعد سنين إلى الأتابكية بها بعد موت إينال الششماني في حدود سنة خمسين وثمانمائة ، فدام أتابك دمشق إلى سنة ست وخمسين - رسم الملك الظاهر جقمق بمسكه وحبسه لأمر اقتضى ذلك، وصار الأمير يشبك من جانبك المؤيدي المعروف بالصوفي أتابكاً عوضه//، فاستمر خيربك هذا محبوساً إلى أن أطلقه الملك [٣٥٧]
الأشرف إينال في أوائل سلطنته، واستقدمه إلى الديار المصرية في شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين، وبعد أيام أخلع عليه بنيابة طرسوس، فلبس الخلعة على كره، ثم استعفى فأعفي، وأقام بطالا أياما إلى أن مات الأمير دولات باي المؤيدي الدوادار - كان - فأنعم بتقدمته على خير بك هذا .

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ تر ١٠٩ ، المنهل الصافي مج ٢ ق ٥٦ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٠٩ - ٢١٠ تر ٧٨٤ .

قلت : بئس البديل ، والفرق بينهما واضح ؛ هما طرفا[1] نقيض في الشكل والفعل .

فدام خيربك هذا من جملة أمراء الألوف بالقاهرة إلى أن مرض، وطال مرضه وأراد أن يتعافى غصباً غير مرة فلم يقدر على ذلك؛ فإنه لما طال مرضه بلغه أن السلطان أنعم بإقطاعه على الأمير قانم التاجر المؤيدي، فلما سمع ذلك لبس قماشه وركب وطلع إلى القلعة بعد العصر في بعض ليالي الخدم وهو يتجلد لما به من شدة المرض، فحال جلوسه تقيأ وأغمي عليه، فحمل وأنزل إلى داره، ومكث أياماً وترجح قليلاً، وأشيع - أيضاً - ما ذكرناه من خروج إقطاعه، فلبس ثيابه وركب فرسه وسير بحوشه فأغمي عليه، وأنزل من على فرسه على أقبح حال، ولزم الفراش أياماً أخر، ووجد في نفسه خفة، وبلغه القول - أيضاً - فلبس ثيابه وركب فرسه وخرج من داره وبين يديه مماليكه على خيولهم، وسير حتى وصل إلى ساحل بولاق، وعلى رأسه تخفيفة كبيرة وعليه سلاري وشق، ورأيته ذلك اليوم بالجزيرة الوسطى وسلمت عليه فلم أر فيه أثر ضعف؛ لأن وجهه كان قديماً أصفر، وهو أجرود، وفي حنكه شعيرات قليلة، قلت: هذا هو على حاله. ثم عاد إلى بيته ولم أدر ما وقع له، غير أني ركبت بعد أيام قليلة إلى سوق الخيل، فقال لي شخص: خيربك مات، فظننته يستفهم مني حاله، فقلت: لا، بل طيب، ورأيته طاب وركب الفرس وسير. فبينما أنا أحادثه، قبل تمام الكلام تحرك جماعة من الأمراء الوقوف بسوق الخيل، فالتفت فإذا بنعشه قد خرج من باب داره، فسرت نحوه مسرعاً حتى وافيت نعشه وقد وصل إلى مصلاة المؤمني، فصلى عليه ودفن بالصحراء من يومه.

ومات قهراً على رغم أنفه ، واستراح وأراح ؛ لأنه كان لا ذات ولا أدوات ، ولا دين // ولا دنيا ، وأنعم بإقطاعه على الأمير قانم التاجر . [٣٥٨]

(٧) وتوفي الشيخ الإمام الأديب الفقيه شمس الدين محمد بن حسن بن

---

(١) في « أ » : « طرفي » .

علي النواجي[1] الشافعي الشاعر المشهور ، في يوم الأربعاء سادس عشرين جمادي الأولى بداره بالقاهرة .

ومولده بقرية نواج بالغربية، بالوجه البحري، من أعمال القاهرة، سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، ونشأ بالقاهرة، واشتغل وقرأ ودأب وسمع الحديث الكثير حتى برع في العربية والأدب، وقال الشعر الفائق الرائق، ومدح الأكابر، وكتب الكثير بخطه، وقرأ بنفسه، واستجاز وأجاز، واستجزته أنا في استدعاء ، فكتب إليّ بعد أن عدد مسموعاته وأسماء مشايخه يقول:

لك الله المهيمن كم أبانت ... خلال اليوسفية عن معال
وسقت حديث وصلك عن يراع ... تسلسل عنه أخبار العوالي

[الوافر]

قلت : وأنشدني الشيخ شمس الدين - المذكور - كثيراً من شعره لطول تردداه إليّ في مدة السنين ، فمن ذلك قوله :

طلبت وصاله فدنا لحربي ... يهز من القوام اللدن رمحا
وسل من اللواحظ مشرفياً ... ليضرب ، قلت: لا بالله صفحا

[الوافر]

ومن ذلك قصيدة يمدح النبي - ﷺ - منها:

لله كم في حي ليلى فتاه ... شاهدها المضني عيانا فتاه
غزالة الحسن ولكنها ... تقنص باللحظ أسود الشراه
لو برزت للشمس في ضحوها ... لفت حياء وجهها في ملاه

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ٢ ص ٦١٥ - ٦١٦ تر ٢١١٤، المنهل الصافي مج ٣ ق ٩٨ أ - ٩٩ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٧، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٢٩ - ٢٣٢ تر ٥٧١، السيوطي. نظم العقيان ص ١٤٤ - ١٤٨ تر ١٤٤، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

ومـا رنت للبـدر إلا لكي تبصـر منه وجههـا في مـراه
قـد حير النظام من ثغرهـا در أجـاد الجـوهـري منتقـاه
وزان طرس الخد صدغان قد زاداه حسناً عندمـا رق ماه
يـا من لصب في مبادي الصبا قـد بلغ العشق بـه منتهـاه
شب هـواه إذ مضى عمـره وشاب وجداً رأسه في صباه
كـالقلم المشـوق وهنـا فـما زال بـه السقـم إلى بـراه
// مضني معنى القلب ما قصده إلا لمى ثغـر حبيـب وفـاه [٣٥٩]
أو شفـة تشفى جـواه عسى تـروي أحاديث هـواه شفـاه
حاشاه يصحو من هوى بعدما قد ملأ الوجد شجوناً حشاه
يا كعبة الحسن البديع التي لنحـوهـا تسجـد غـر الجبـاه
يا ربة[1] الخدر ومن سترها أسبل فوق الخلق طراً غطاه
ويـلاه إن مت غـرامـاً ومـا رشفت من ريقك ماء الحياه
وكيف يخشى الموت من موته في حب من يهواه أقصى مناه
مـستـسلماً لله مـستـشـفـعـاً بالمصطفى الهادي رسول الإله
صفوة باري الخلق كهف النهى عصمة دين الحق ذخر العصاه
غيث ندى الأفضال بحر العطا معـدن در الجود كنـز العفاه
مـن خـصـه الله بـقـرآنـه فضـلاً وبالسبـع المثاني حباه
أرسـل للخلق شفيعـاً فعم الإنس والجن جميعـاً دعـاه
وفـاه بـالحـق فـلله مـن حقق معنى قـوله واقتفـاه[2]
فشد أزر الدين واستوسق الشر ع وزدت بـعـد فصـم عـراه
وانجاب غيم الشك عن غيهب الـ شـرك وجـلى بهـداه دجـاه
لله مـا أولاه لـلبـر مـن بر يفوق البحر جوداً عطـاه
أغـر وضـاح جبـين كـريم الأصـل سهل حسن ملتقـاه
[السريع]

وهي أطول من هذا، حذفنا أكثرها خشية الإطالة والملل.

---

(١) في «أ»: يا ربت.
(٢) في هامش «أ»: «وقت فاه».

ومن نظمه اكتفاء بحرف مع بديع التورية:

خليلي هذا ربع عزة فاسعيا … إليه وإن سالت به أدمعي طوفان
فجفني جفا طيب المنام وجفنها … جفاني، فيالله من شرك الأجفان

[الطويل]

ومن نظمه ـ أيضاً ـ قوله:

لئن أفرطت في حسن ابتدائي … ورمت تخلصي يوم الزحام
فبالمختار أرجو عفو ربي … ليرشدني إلى حسن الختام

[الوافر]

واستوعبنا كثيراً من شعره في ترجمته في تاريخنا المسمى بالمنهل الصافي، فمن أراد ذلك فليراجعه، لأن التاريخ المذكور جدير بالتطويل، لأنه بصدد ذكر التراجم// خاصة، بخلاف هذا الكتاب، فإنه محل ذكر الحوادث، وهو جدير بالاختصار على العادة، والله الموفق بمنه وكرمه. [٣٦٠]

(٨) وتوفي الشيخ المعتقد محمد المغربي المجذوب[(١)]، في صبيحة يوم الجمعة خامس جمادي الآخرة، ودفن من يومه قبل صلاة الجمعة، وصلى عليه بمصلاة باب النصر ـ أحد أبواب القاهرة ـ ورسم السلطان الملك الأشرف إينال أن يدفن الشيخ محمد هذا في تربته التي أنشأها بالصحراء خارج باب النصر بجوار تربة كوكاي، فدفن بها.

وكان الشيخ محمد مقيماً على قاعدة البغاددة تحت الساباط تجاه الربع المعروف قديماً بدار الجوالي بالقرب من جامع الحاكم داخل باب النصر، (و) أقام في الموضع المذكور سنين طويلة، ومن عمري أعرفه هناك لا يتحرك صيفاً ولا شتاء، ليلاً ولا نهاراً، وهو جالس على مكان عال، وتحته حجارة مرصوصه، والناس تأتيه بالمآكل والمشرب، وله أناس تخدمه، وللناس فيه اعتقاد كبير، وكنت أزوره على بعد، لدناسة مكانه وثيابه، فإن حاله كان حال المجاذيب.

وذكر بعض الناس أنه ظهر له بعض ما يدل على الصلاح، غير أنني بلغني أنه وجد بعد موته مكان جلوسه جملة كبيرة من الفضة والذهب، نحو خمسة

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٧ ـ ١٧٨، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٢٥ تر ٥٢٣، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٥.

وعشرين ألف درهم، فهذا من العجائب؛ لكونه كان من المجاذيب المستغرقة، ويعرف تحصيل الدراهم .

قلت: لعله كان يحب الجمع بالطبع على قاعدة المغاربة، والله أعلم.

(٩) وتوفي القاضي الرئيس صلاح الدين محمد المعروف بابن السابق الحموي[1] الشافعي ـ كاتب سر دمشق ـ بها بطالاً بعد مرض طويل ، في يوم الأحد ثامن عشرين جمادي الآخرة ، عن أربع وثمانين سنة.

ومولده بحماه، وبها نشأ في الرياسة إلى أن ولي في أوائل الدولة الظاهرية جقمق كتابة سر حلب، ثم نقل إلى كتابة سر دمشق، فباشرها سنين عديدة، وشكرت سيرته وحمدت طريقته، إلى أن عزل بقطب الدين محمد الخيضري في سنة سبع وخمسين ، فلزم داره مكباً على العبادة والانقطاع عن الناس ، إلى أن توفي بدمشق في التاريخ المذكور .

وكان من محاسن الدنيا ، لما اشتمل عليه من الحشمة والرياسة والتواضع والبشاشة والدين ، مع حسن الشكل ـ رحمه الله تعالى .

وخلف ولداً نجيباً.

(١٠) وتوفي محب الدين محمد ابن الشيخ العلامة // زين الدين أبي [٣٦١] بكر ابن عمر بن عرفات القمني[2] الشافعي ، في يوم الاثنين رابع عشر رجب ـ رحمه الله تعالى.

(١١) وتوفيت خوند شاه[3] زاده بنت الأمير أرخن بك بن محمد كرشجي بن يلدرم بايزيد بن عثمان ، الرومية الأصل والمولد ، المصرية الدار والمنشأ والوفاة ـ في أواخر شهر رجب.

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٨ ، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٢) هو « محمد بن أبي بكر بن عمر بن عرفات » ، له ترجمة في :
ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٨ ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ تر ٤٤٢.

(٣) لها ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٨.

وكانت قدمت مع أخيها سليمان من بلاد الروم إلى الديار المصرية، فأكرمها الملك الأشرف برسباي وأنزلها بقلعة الجبل في الدور السلطاني سنين إلى أن حسن بعض الأروام لمتولي تربيتها الهرب بهما إلى بلاد الروم واستعدوا لذلك، وحضر شيني إلى ثغر رشيد مشحون بالزاد والمقاتلة لأخذهم في الباطن، وفي الظاهر في زي التجار، ولا زال اللالا يترقب الفرصة حتى أمكنه ذلك، وأخذهما من وسط القلعة وذهب بهما إلى الثغر المذكور، ولم يبق إلا نزولهما في الشيني وسفرهما. وكان عند نزولهما بلغ السلطان الملك الأشرف ذلك، فعظم عليه هروبهما على هذا الوجه، فإن مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم أرسل إلى الأشرف يطلبها غير مرة، فامتنع الأشرف من إرسالها لئلا يقتل سليمان هذا خوفاً على مملكته على جاري عادتهم من قتل أخوتهم وأقاربهم، وكان ابن عثمان يخاف من سليمان هذا ليأخذه أعداؤه ويقاتلونه به، فوقع ذلك من غير رضا الأشرف، وصار الأشرف متحيراً؛ هل الذي أخذهما من أعداء ابن عثمان أم مكيدة من ابن عثمان حتى يظفر بسليمان هذا وأخته شاه زاده المذكورة؟ فندب الأشرف في الحال عسكراً من خاصكيته في أثر القوم إلى أن أدركوهم بثغر رشيد وقد منعوا من السفر لعدم الريح، فوقع بين الطائفتين قتال عظيم انتصر فيه عسكر السلطان، وأخذت الأروام وسليمان وأخته شاه زاده المذكورة، وعادوا بالجميع إلى الديار المصرية، فأبدع الملك الأشرف في الأروام، وقتل منهم جماعة، وقطع أيدي جماعة كبيرة، وأعاد سليمان وأخته هذه إلى مكانها، إلى أن مات سليمان بالطاعون في سنة إحدى وأربعين.

وأما شاه زاده هذه، فإنها لما كبرت أراد تزويجها ببعض أكابر الأمراء لكونها من أولاد الملوك، ثم تزوجها هو، ودامت عنده من جملة الخوندات مدة يسيرة، ومات الأشرف// فتزوجها بعده الملك الظاهر جقمق، واستولدها عدة [٣٦٢]
أولاد، ثم طلقها بعد سنة ثلاث وخمسين، ونزلت دارها بالجودرية إلى أن تزوجها الأمير برسباي البجاسي - أحد مقدمي الألوف بالقاهرة - فدامت عنده إلى أن مرضت وطال مرضها حتى ماتت في التاريخ المذكور، وسنها نيف على ثلاثين سنة، وخلفت مالاً كثيراً من أنواع الأقمشة، من جملة ذلك: شد جبين مرصع

قيمته خمسة عشر ألف دينار مصرية ، وقس على هذا ، وخلفت من الورثة والدتها وزوجها لا غير ، مع ابن عمها محمد بك بن عثمان متملك بلاد الروم ، رحمهما الله تعالى .

(١٢) وتوفي السيد الشريف بركات[١] بن حسن بن عجلان بن رميثة، واسم رميثة محمد بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن أبي عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب المكي الحسني. زين الدين ابو زهير، أمير مكة المشرفة وابن أميرها بدر الدين حسن - في بطن مَرّ[٢] خارج مكة، في يوم الاثنين تاسع شعبان، فحمل إلى مكة ليلاً وغسل وكفن وأخرج إلى الحرم الشريف في نعشه في يوم الثلاثاء، وطيف به أسبوعاً، وصلى عليه عند باب الكعبة، ثم دفن (بالمعلاة [٣])، وكان له مشهد عظيم إلى الغاية.

ومولده بمكة في سنة إحدى وثمانمائة، وأمه أم كامل بنت النصيح من دور عمر.

ولي إمرة مكة شريكاً لوالده ولأخيه أحمد سنة عشر[٤]وثمانمائة، ثم استقل بها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة من قبل الملك الأشرف برسباي سلطان الديار المصرية، بعد وفاة والده بديار مصر، فدام بركات - المذكور - في إمرة مكة إلى سنة خمس وأربعين - عزله الملك الظاهر جقمق بأخيه علي بن حسن، فخرج بركات من مكة وتسلمها علي من غير قتال، ثم وقع بينهما بعد ذلك أمور

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . الدليل الشافي ج ١ ص ١٨٨ - ١٨٩ تر ٦٥٧، المنهل الصافي ج ٣ ص ٣٤٢ - ٣٤٦ تر ٦٥٨، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٩ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ١٣ - ١٤ تر ٥٠، السيوطي . نظم العقيان ص ١٠٠ تر ٥٩، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٢٩.

(٢) في « أ » : « مرو » .

(٣) مكان ما بين القوسين بياض في «أ»، والمثبت من النجوم ج ١٦ ص ١٧٩ .

(٤) في « أ » : « عشرة » .

ووقائع، وعزل الشريف علي بأخيه أبي القاسم بن حسن، ودام بركات نازحاً عن مكة إلى أن طلب بركات الأمان من السلطان الملك الظاهر جقمق مع ولده محمد، فأرسل إليه السلطان الأمان، فأخذه الشريف// بركات وتوجه قادماً إلى [٣٦٣] القاهرة حتى وصل إليها في شهر رجب من سنة خمسين، ونزل السلطان إلى لقائه وأكرمه غاية الإكرام، حتى إنه قام له ومشى إليه خطوات كثيرة، وجلس معه من غير مرتبة مراعاة لسلفه الطاهر، ثم أخلع عليه بإمرة مكة، ودام بركات بالقاهرة مقيماً والرواتب السنية تصل إليه إلى أن سافر يوم عاشر شعبان إلى مكة المشرفة، فدام بها إلى أن مات في التاريخ المذكور، وتولى بعده إمرة مكة ولده محمد، على أنه يحمل إلى الخزانة الشريفة خمسين ألف دينار على نقدات متفرقة، على طول.

وكان الشريف بركات رجلاً طوالاً حسن الشكل، عادلاً في أحكامه، مدبراً سيوساً شجاعاً مقداماً، وفيه سكينة، وعليه حشمة ووقار، وخلف شيئاً كثيراً من المواشي والسلاح، فكان ما خلفه من النقد نحو ثلاثين ألف دينار، ومن النياق الخاص نحو عشرة آلاف ناقة، ومن الخيل نحو ستمائة فرس، ومن السلاح والخيم والأغنام والقماش شيئاً كثيراً.

ومات وهو أرأس بني عجلان بلا مدافعة، عفا الله عنه.

(١٣) وتوفي الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الشمسي[١] المؤيدي - أحد أمراء الطبلخانات بدمشق - في أواخر ذي القعدة أو في أوائل ذي الحجة بدمشق.

وكان أصله من مماليك الملك المؤيد شيخ، اشتراه في أيام أتابكيته، وترقى من بعده حتى صار من أمراء طرابلس، ثم ولي حجوبية حجاب حلب، ثم عزل وتوجه إلى دمشق، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بها إلى أن مات في التاريخ المذكور، وكان قد قدم إلى الديار المصرية غير مرة.

ولم يكن من أعيان الأمراء لتعرف أحواله، وأنعم بإقطاعه على ألماس

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٩، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٧ تر ٢٢٩

الأشرفي أحد أمراء حلب ودوادار السلطان بها.

(١٤) وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة محب الدين محمد ابن الشيخ الإمام العالم العلامة زادة أحمد بن أبي يزيد بن محمد السيرامي[(١)] ، الحنفي ، المصري المولد والمنشأ ، المكي الوفاة، المعروف بابن مولانا زاده .

مولده بالديار المصرية في شهور سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ونشأ بالقاهرة، وحفظ القرآن العزيز وعدة مختصرات، وتفقه بمشايخ عصره كالعلامة عز الدين محمد بن جماعة، وقاضي القضاة شمس الدين البساطي وغيرهما من علماء عصره، إلى أن برع في الفقه والأصلين والعربية والمعاني والبيان وعلم الحديث، وتصدر للتدريس، وتولى عدة وظائف جليلة من التصديرات وغيرها// ٣٦٤١]
كتدريس الصرغتمشية والجانبكية والأيتمشية والمارداني، وتدريس الحديث بالمؤيدية، وانتفع به الطلبة كثيراً إلى أن طلبه الملك الأشرف برسباي في حدود سنة ثلاثين وولاه إمامته، ونالته بذلك السعادة والشهامة، وباشر ذلك إلى صدر من دولة الملك الظاهر جقمق، ثم استعفى وأكب على العبادة والإشغال والتدريس، ثم طلبه الملك الأشرف إينال في أوائل دولته، واستقر به إماماً على ما كان، فباشر مدة يسيرة امتثالاً للمرسوم، ثم استعفى ولزم داره على الحالة الأولى من الإقراء والتدريس والعبادة إلى أن حج، (و) تجهز للحج في هذه السنة [(٢)]، وهي غير حجة الفرض، لأنه حج قبلها غير مرة، فمرض بالبطن في أثناء الطريق بالقرب من مكة، وطلب من أمير الحاج أن يرسله في أناس ليسرع إلى دخول مكة ففعل، واجتهد إلى أن وصل إلى مكة المشرفة قبل الحاج بأيام، فطاف طواف القدوم وسعى، ودام محرماً إلى أن مات في يوم الجمعة ثالث ذي الحجة الحرام على حسب ما أرخوا[(٣)] بمكة ، ورابع ذي الحجة على حسب ما أرخوا[(٤)] بديار مصر .

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٠ .
(٢) أي سنة تسع وخمسين وثمانمائة من الهجرة .
(٣) في الأصل : « ورخوا » .
(٤) نفسه .

وكان ـ رحمه الله ـ فقيهاً إماماً ، عالماً بارعاً ، مفنناً ، ذكياً ، ديناً خيراً ، من بيت علم وفضل ورياسة . وهو ابن أخت العلامة أمين الدين يحيى الأقصرائي ، والشيخ بدر الدين الأقصرائي .

وكان بيني وبينه محبة أكيدة ومودة وصداقة قديمة . وبالجملة كان من محاسن الدنيا : ديناً، وعفة، ومروءة، وهمة عالية، وعصبية، وشهامة ـ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(١٥) وتوفي الأمير سيف الدين أقبردي[١] بن عبد الله الساقي الظاهري ـ نائب ملطية ـ بها يوم الخميس خامس عشرين ذي الحجة، وحمل من ملطية إلى حلب فدفن بتربته التي عمرها بها. ومات وسنه نحو ثلاثين سنة تخميناً.

وأصله من مماليك الملك الظاهر جقمق، اشتراه في سلطنته وجعله في الأطباق مع مماليكه الجلبان إنِّيًا لقاني باي الجاركسي، حتى جعله خاصكياً، ثم ساقياً، كل ذلك في مدة يسيرة من السنين، ثم ندبه إلى إمرة بحلب تتعلق بالسلطنة، فلما وصلها بعث إليه خلعة بنيابة قلعة حلب دفعة واحدة، وهو ماطَرٌ شاربه ، فدام في نيابة قلعة حلب سنين إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى أتابكية حلب في سنة ثمان وخمسين بعد الأمير سودون القرماني، بحكم توجه سودون ـ المذكور ـ إلى أتابكية طرابلس، ثم قدم آقبردي إلى القاهرة في السنة المذكورة وأقام بها مدة، ثم خلع عليه وتوجه إلى حلب، وأقام بها إلى أن نقل في سنة تسع وخمسين إلى نيابة ملطية، فتوجه إليها ودام بها إلى أن مرض في أثناء السنة ، ومات بها في التاريخ المذكور .

وكان عفيفاً، عاقلاً، ساكناً، بالنسبة إلى أبناء جنسه، رحمه الله تعالى.

* * *

---

(١) له ترجمة في : ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٠ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١٥ تر ١٠٠٤ .

سنة ستين وثمانمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال العلائي الظاهري ثم الناصري، والخليفة المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف، والقاضي الشافعي قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، والحنفي قاضي القضاة سعد الدين ابن الديري، والمالكي قاضي القضاة ولي الدين محمد السنباطي، والحنبلي قاضي القضاة عز الدين أحمد الكناني، والأمير الكبير تنبك البردبكي الظاهري برقوق، وأمير سلاح خشقدم من ناصر الدين المؤيدي، وأمير مجلس طوخ من تمراز الناصري، والأمير // آخور الكبير جرباش [٣٦٥] المحمدي المعروف بكرد، والدوادار الكبير يونس السيفي آقباي المؤيدي نائب الشام، وحاجب الحجاب جانبك القرماني الظاهري برقوق، ورأس نوبة النوب قرقماس الأشرفي المعروف بالجلب وبقريب الملك الأشرف برسباي، وبقية مقدمي الألوف المقام الشهابي أحمد ولد المقام الشريف، وهو رأس ميسرة، وبرسباي السيفي تنبك البجاسي، ويونس العلائي الناصري، وقانم من صفر خجا المؤيدي المعروف بالتاجر.

ومباشرو الدولة: كاتب السر القاضي محب الدين محمد بن الأشقر، وناظر الجيش والخاص جمال الدين يوسف بن كاتب جكم، وإليه أمر المملكة وتدبيرها، والوزير فرج بن النحال القبطي، والأستادار الأمير زين الدين يحيى الأشقر قريب ابن أبي الفرج.

ونواب البلاد الشامية: نائب الشام قاني باي السيفي سودون الحمزاوي

الظاهري، ونائب حلب جانم الأمير آخور قريب الملك الأشرف برسباي، ونائب طرابلس حاج إينال السيفي يشبك الجكمي الأميرآخور، ونائب حماه إياس الطويل الناصري، ونائب صفد جانبك التاجي المؤيدي، ونائب غزة خيربك السيفي نوروز الحافظي، ونائب الكرك يشبك طاز المؤيدي، ونائب ملطية الأمير آقبردي الساقي الظاهري جقمق، ونائب أبلستين ملك أصلان بن حمزة بك بن ناصر الدين بك بن دلغادر، وبقية نواب القلاع بالبلاد الشامية والسواحل والقدس والرملة فكثير، والعمدة على ما ذكرنا.

ونائب الإسكندرية جانبك النوروزي المعروف بنائب بعلبك. . .(١) وأمير مكة المشرفة الشريف محمد بن بركات الحسني، وأمير المدينة النبوية الشريف زبيري بن قيس الحسيني، وأمير الينبع الشريف هجان بن محمد.

وملوك الشرق التتار مع خانات ثلاثة: محمد خان الكبير، ومحمد خان الصغير، وأبو الخير. وممالك العجم والعراقين، فملوك ما وراء النهر والعجم أولاد باي سنقر بن شاه رخ بن تيمور، وهم: بابور صاحب سمرقند، وعلاء الدولة، وأعظمهم بابور، وصاحب العراقين: عراق العرب وعراق العجم وأذربيجان وغيرها جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد، وقد اتسعت ممالكه من حدود أرزن إلى شيراز.

[٣٦٦] وأما ديار بُكر ففيها عدة ملوك كثيرة، أشهرهم // وأجلهم الملك العادل خلف الأيوبي صاحب حصن كيفا ـ وقد ملكها في العام الماضي ـ وجهان كير بن علي بك بن قرايلك صاحب ماردين، وأخوه الشيخ حسن بن علي بك صاحب آمد وغيرها، وعدة ملوك أخر، كل واحد منهم مستقل بعدة قلاع.

وبلاد الروم بها ملوك ثلاثة، أعظمهم وأجلهم خوندكار محمد بك بن مراد بك بن عثمان صاحب برصا وأدرنا بولي وما والاهما إلى إسطنبول، وإسماعيل بن إسبنديار متملك طرف من بلاد الروم إلى البحر الغربي، وسلطان إبراهيم بن محمد بن قرمان صاحب قونية ولارندة وغيرهما.

---

(١) بياض في نهاية السطر السابع عشر وبداية الثامن عشر من نسخة «أ».

وملوك الغرب كثير، فالمشهور منهم السلطان عثمان بن أبي عبد الله بن أبي فارس بتونس، والسلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني بفاس، والسلطان أحمد بن أبي حمو بتلمسان .

المحرم

أوله الخميس .

في يوم الاثنين خامسه نزلت المماليك السلطانية الجلبان من أطباقهم بالقلعة إلى بيت الوزير فرج بن النحال ونهبوا ما فيه ، وكأنه كان قد حس بالأمر ، فلم يجدوا إلاّ شيئاً يسيراً ، فخرجوا من داره ونهبوا جماعة كبيرة من جيرانه ، فأضرّ ذلك بحال المذكورين إلى الغاية ، وكل ذلك لعجزه عن القيام بالكلف السلطانية .

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه ورد الخبر بموت الأمير آقبردي الساقي الظاهري نائب ملطية، واستقر عوضه في نيابة ملطية الأمير جانبك الحكمي نائب طرسوس، وكان وليها قبل ذلك، واستقر في نيابة طرسوس آقباي السيفي جار قطلو أحد أمراء دمشق. وكان آقباي ـ أيضاً ـ ولي نيابة طرسوس قبل ذلك.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه وصل الناصري محمد بن جرباش المحمدي الأمير آخور الكبير المعروف بكرد أمير حاج [الركب] الأول بالركب الأول من الحاج، وأخلع عليه السلطان على العادة، وقدم من الغد أمير الحاج بالمحمل، وهو بردبك البجمقدار الظاهري جقمق أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة، وأخلع عليه ـ أيضاً ـ ولم تحمد سيرة بردبك المذكور في الحاج، ولم يحج أحد في هذه السنة من المغاربة والتكاررة لما وقع بهم في العام الماضي من النهب والأسر من قطاع الطريق ـ حسبما ذكرناه في السنة الماضية في محله ـ وأيضاً لم يحج أحد من العراق في هذه// السنة ولا الماضية خوفاً من الأعرابي المسمى بالشعشاع. [٣٦٧]

وشعشاع هذا له أزيد من عشرين سنة يدعو للقيام معه، ويزعم أنه شريف، وأنه المهدي، واجتمع عليه خلائق كثيرة، وعجز عنه ملوك الشرق، وهو أنه متى قصدوه بالعساكر هرب في مراكب واختفى بالجزائر، وليس له دأب

إلّا هذا مع قطع الطريق وإخافة السبيل، وقتل من ظفر به من أهل السنة، وهو شيخ كبير رافضي خبيث، بل كافر لا يقتدى بدين، وقيل: إنه مات، والقائم بهذا الأمر بعده ، يأتي تحرير ذلك في أول سنة إحدى وستين وثمانمائة.

وكان أمير حاج دمشق في هذه السنة الأمير علان المؤيدي المعروف بجلق أحد مقدمي الألوف بدمشق ، وأمير حاج حلب الأمير يشبك : البجاسي الأشرفي إينال أحد مقدمي الألوف بحلب .

صفر

أوله الجمعة.

في يوم الأربعاء ثالث عشره أخرق المماليك الجلبان بعظيم الدولة الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم ناظر الجيش والخاص، وأخذوا عمامته من على رأسه حتى نجده مقدم المماليك مرجان ونائبه عنبر الطنبدي، فأخرقوا بالمذكورين - ايضاً - واشتغلوا بهم، فهرب ناظر الجيش المذكور.

وسبب هذا الأمر أن شخصاً من الدوادارية الصغار يسمى سنقر قرق شبق ضرب بعض إنِيَّاتِه الذين بالأطباق، فاجتمع عليه بقية إنياته عصبة للمضروب، وأرادوا قتله، فهرب منهم واشتكاهم إلى السلطان، فأحضر السلطان منهم جماعة وضربهم ضرباً مبرحاً ، فنزلت أصحابهم من الأطباق ووقفوا عند باب القلعة، فصادف ذلك خروج ناظر الجيش - المذكور - من الخدمة ، فأوقعوا به من غير سبب.

ثم أصبح في يوم الخميس رابع عشره هرب الوزير فرج بن النحال ، ولم يحمل في ذلك اليوم أحد رواتب اللحم المقرر للمماليك السلطانية القرانيص - أعني غير الجلبان - وطلع غلام كل واحد أو عبده لأخذ راتب أستاذه من اللحم فلم يجد شيئاً ، وبلغهم أن المماليك الذين بالأطباق حضروا وأخذوا رواتبهم[1] ، فعز ذلك على الغلمان والعبيد ونزلوا من فورهم من القلعة ، وعاثوا بشوارع القاهرة ، ونهبوا عدة حوانيت ، حتى وصلوا إلى سوق أمير

(١) في « أ »: «الذين بالأطباق حضر رواتبهم».

الجيوش بقرب باب الفتوح ، ولم يمنعهم مانع ، ثم عادوا بعد أن خطفوا عدة عمائم وشدود وغير ذلك ، فكان ذلك أقبح من // فعل المماليك بكثير ، ولم [٣٦٨] نعهد بمثل هذه الحادثة في سائر الأعصار.

وطلع الوزير فرج من اختفائه في يوم الأحد سابع عشره، وأخلع عليه كاملية سمور ـ خلعة الاستمرار على الوزر ـ بعد أن عمل له دائرة على جماعة من الأعيان حصل فيها جملة كبيرة، وزاده السلطان من الذخيرة حتى صار له في كل يوم أربعين ألف درهم يأخذها من الذخيرة، كل ذلك وهو يظهر العجز، هذا مع ما للدولة من الإقطاعات والمكوس، وأيضاً مع الظلم وقبح السيرة وعدم التجمل في أموره وحواشيه، حتى إنه يسير في الوزر كسير أولاد الأقباط، وما أظن ذلك كله إلّا كذباً وبهتاناً(١) .

وفي يوم الخميس حادي عشرينه أمر السلطان الأمير يونس العلائي ـ أحد مقدمي الألوف ـ أن يخرج إلى المنصورية بالجيزية، لحفظ خيول السلطان والعساكر من عرب البحيرة الخارجة عن الطاعة، فخرج من يومه إلى المنصورية، وأقام بها، وألزم السلطان ـ أيضاً ـ جماعة من الأمير آخورية بالتوجه إلى بر الجيزية والإقامة بها لهذا المعنى.

شهر ربيع الأول

أوله الأحد، ويوافقه ثالث عشر أمشير.

في أوائل هذا الشهر ارتفع سعر الغلال، حتى أبيع القمح بمائتين وسبعين درهماً الإردب ، بعد أن كان بمائة وعشرين الإردب ، وعز وجوده بساحل مصر وبولاق ، وأبيع الشعير والفول بمائة وسبعين درهماً وما دونها ، وليس لهذه الزيادة في سعر المغل سبب؛ فإن الزروع كثيرة والأراضي مغلقة بالزرع، وهي في نتاج، وقد قرب أوان الحصاد . غير أن البلاد الشامية ، وأيضاً جزائر الفرنج كان بها في السنة الماضية ، وأيضاً في هذه السنة غلاء وقحط ، حتى شمل ذلك جميع البلاد الشامية من العريش إلى الفرات ، فحمل الناس من غلال مصر إلى

---

(١) في « أ » : « كذب وبهتان » .

الجهات المذكورة شيئاً كثيراً في البر والبحر بسبب التجارة ، وأمعنوا في ذلك ، حتى إنهم حملوا من مغل ديار مصر إلى هذه البلاد مئين ألوف من الأرادب ، فضر ذلك بحال الناس ، فهذا هو كبير الأسباب ، وأيضاً تداول الهواء[1] المريسي[2] في هذه السنة .

أخبرني من أثق بقوله أنه حدثه شخص من رؤساء المراكب ببحر النيل، ويسمى محمد الصلف وسنه نيف على ثمانين سنة : أن له في رياسة البحر فوق ستين سنة // وما رأى الريح المريسى تداول هبوبه أكثر من ستين يوماً غير في [٣٦٩] هذه السنة . فلهذا قل الواصل من المراكب بساحل مصر وبولاق .

وفي يوم الأحد ثامنه عمل السلطان المولد النبوي بالحوش من قلعة الجبل على العادة .

(و) فيه أمطرت القاهرة وغالب قراها كالمطر المعتاد في كل سنة، وسر الناس بذلك، فلما كان من الغد ورد الخبر بأنها أمطرت حصىً على عدة بلاد من القليوبية من ضواحي القاهرة، زنة الواحدة خمسون درهماً بالمصري وما دونها، فأهلكت زروعهم عن آخره، وكان ذلك ببلاد يسيرة مثل نوي وسنديون ونامول وغيرها. وأما باقي بلاد القليوبية وغيرها فإنهم انتفعوا بالمطر كما هي العادة.

وبلغني ـ أيضاً ـ أن هذا المطر الحصي، وهي البرد الذي أمطر على الناس المقدم ذكره قتل جماعة من الناس بالقرى المذكورة، لكنني لم أثق بقول القائل ولا أستبعد ذلك.

وفي يوم الأربعاء حادي عشره غيب الوزير فرج بن النحال، وأصبح من الغد في يوم الخميس طلع العبيد موالي أرباب الرواتب لأخذ اللحم، فلم يجدوا الوزير ذبح شيئاً ولا طلع في اليوم المذكور رطلاً من اللحم لجميع المماليك الجلبان والقرانيص، فنزلوا العبيد والغلمان إلى شوارع القاهرة وفعلوا بها

---

(١) في «أ»: الهوى.

(٢) الريح أو الهواء المريسى نسبة إلى « مريسْ »، أدنى بلاد النوبة مما يلي أسوان. راجع ابن منظور. لسان العرب ص ٤١٨٠ .

أضعاف ما فعلوه في تلك المرة، وأخذوا عمائم الناس من على رءوسهم وشدودهم من على أكتافهم، وأفحشوا غاية الإفحاش.

وأصبحوا يوم الجمعة الحال بالحال، لم يطلع إلى القلعة من رواتب اللحم شيء[1]، ولم تأكل المماليك فيه إلاّ فول حار، فاستغاثت المماليك وأرادوا الوثوب والنزول مع العبيد، فمنعوهم بغلق باب القلعة، ونزلت العبيد على عادتهم وعاثوا بالشوارع حتى وصلوا إلى باب اللوق، فقاموا عليهم أهل باب اللوق وقاتلوهم حتى هزموهم أقبح هزيمة وضربوهم وعروهم، فعادوا على أقبح وجه.

ثم ظهر الوزير فرج في آخر يوم الجمعة المذكورة، وطلع إلى القلعة يوم السبت رابع عشره، فخلع عليه السلطان كاملية بسمور ـ خلعة الاستمرار في الوزر ـ بعد أن أضاف السلطان إليه جميع المسامح التي[2] للأمراء وغيرهم الذين[3] كان لهم المكوس والمذابح والإقطاعات، ومتحصل // ذلك شيء كثير، حتى [٣٧٠]
صار بهذا الذي أضيف إليه يحمل إليه في اليوم خمسة وسبعون ألف درهم تفصيلها: من الذخيرة أربعون ألف درهم، الذي كان يأخذها قبل ذلك، ومن هذا الوجه الذي ذكرناه من المسامح خمسة وثلاثون ألف درهم، هذا غير إقطاعات الدولة وحماياتها والهوائيات من المواريث والمكوس وغير ذلك، وهو مع هذا كله يتشكى ويقول: أحمل في كل يوم ثمانية عشر ألف رطل لحم غير الصرر والكلف السلطانية من الأسمطة والإسطبلات السلطانية وغير ذلك. وهو يكذب في شكواه ودعواه، غير أنه كما قاله الله عز وجل: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ (٥٤: الزخرف).

ثم إن السلطان لما أضاف له ذلك هدده إن هرب أو عجز بعد ذلك بالتوسيط. قلت: اللهم ثبت مولانا السلطان على قوله، فإن فرج المذكور يعجز عن قريب ويطلب الزيادة، فإنه بورك له في الشكوى، وتكون القاصية عليه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في «أ»: «شيئاً».

(٢) في «أ»: «الذي».

(٣) ب «أ»: «الذي كان لهم».

وفي يوم الخميس تاسع عشره أخلع السلطان على شادبك دوادار الأمير جلبان نائب الشام - كان - باستقراره في دوادارية السلطان بدمشق، عوضاً عن خشكلدي الزيني عبد الرحمن بن الكويز، بحكم انتقال خشكلدي إلى دوادارية السلطان بحلب، بعد موت محمد والي الحجر قبل مباشرته دوادارية حلب، وشادبك هذا هو الذي صودر بعد موت أستاذه وأخذوا منه جملاً كثيرة، فلما عرف شادبك المذكور أن القوم تحققوا كثرة ماله، علم أنه لا بد له من وزن المال في كل قليل بمندوحة سعى في الدوادارية وبذل فيها حتى وليها، واستراح من الطمعة فيه وفي ماله - انتهى.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه أخلع السلطان علي فخر الدين المعروف بابن السكر والليمون، المعزول عن نظر ديوان المفرد قبل تاريخه باستقراره ناظر الدولة، وكانت وظيفة نظر الدولة شاغر (ة) من مدة أشهر.

شهر ربيع الآخر

أوله الاثنين.

فيه رخص سعر سائر الغلال حتى أبيع القمح بمائتيّ درهم الإردب وما دونها، وأبيع الفول والشعير بمائة وخمسين درهماً الإردب وما دونها، ولله الحمد.

[٣٧١] وفي العشر الأول من // هذا الشهر عيّن السلطان جماعة من الأمراء وصحبتها جماعة كبيرة من المماليك السلطانية للسفر إلى الجون في البحر بسبب مجيبته الأخشاب، وغزو الفرنج إن صدفوهم في طريقهم.

وفي أوائل هذا الشهر أخذ السلطان الربعين والحوانيت التي[١] بسوق الدجاجين[٢] بالقاهرة من عند حمام البيسري[٣] إلى تجاه جامع الوزير أبي عبد

---

(١) في « أ » : « الذي ».

(٢) سوق الدجاجين : كانت سوقاً لبيع مختلف الطيور في شارع الأمشاطية بالقرب من الجامع الأقمر.

راجع المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٩٦، علي مبارك. الخطط ج ٢ ص ٨٨.

(٣) نسبة إلى الأمير « بيسري الصالحي النجمي » (ت ٦٩٨ هـ)، وكانت تقع أول شارع السمك.

راجع علي مبارك. الخطط ج ٦ ج ٦٩.

الله بن البطائحي الملقب بالمأمون، وزير الآمر بأحكام الله العبيدي، المعروف بجامع الأقمر[1] ، الذي على يسرة الخارج من القاهرة إلى باب الفتوح ، استبدل السلطان جميع هذه الحوانيت والربعين بمبلغ معين ، وأذن له بعض القضاة أن يصرف المبلغ المذكور في عمارة ربع ما سيكون من العمارة التي ينشئها مكان الربعين والحوانيت المذكورة .

وحاصل الأمر أن السلطان اشترى هذه الأماكن المذكورة على أن يهدمها ويعمرها لنفسه ثانياً، ويكون لأربابها قديماً الربع في البناء الجديد، ووجد تاريخ بناء هذه الحوانيت والأرباع التي هدمت من سنة سبع وعشرين وستمائة، أعني في سلطنة الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، ووقع الهدم في هذه الأماكن المذكورة في أوائل هذا الشهر .

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه عرض السلطان جماعة من المماليك السلطانية ، وعينّ منهم ثمانين نفراً إلى الجهاد - أعني مضافاً لمن عين من الأمراء قبل تاريخه لسفر الجون - ووعد أنه يكملهم ثلاثمائة مملوك في عرض آخر .

ثم في يوم الأحد ثامن عشرينه عرض السلطان - أيضاً - المماليك السلطانية ، وعين منهم جماعة أخر مضافاً لمن تقدم ذكره .

وفيه عينّ جماعة من أمراء العشرات مع هؤلاء المذكورين أيضاً.

جمادى الأولى

أوله الأربعاء.

في يوم الخميس ثانيه أبطل السلطان العرض، وسفر الأمراء والمماليك المعينة قبل تاريخه لسفر الجون، وسببه أن المماليك والأمراء تكلموا بأن هذا السفر ليس هو بسبب الجهاد، وإنما هو لمصالح الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص لإحضار الأخشاب من الجون، واحتجوا - أيضاً - بأن المراكب المعينة للسفر قديمة قد عتقت، ويخاف الركوب فيها من الغرق، وكثر الكلام في

---

(1) هذه النسبة إلى الوزير خطأ، إذ البناء تنفيذاً لأمر الخليفة الفاطمي « الآمر بأحكام الله ».
راجع المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩٣، علي مبارك . الخطط ج ٢ ص ٨٦.

ذلك وأشباهه، فحسم السلطان المادة وأبطل السلطان الجهاد بالكلية، فكان هذا أعظم // وهن[1] وقع في الدولة من إشاعة الغزو ثم إبطاله . [٣٧٢]

وفي يوم الجمعة عاشره ـ الموافق لحادي عشرين برمودة، أحد شهور القبط ـ لبس السلطان القماش الأبيض البعلبكي المعد لأيام الصيف على العادة في كل سنة.

وفي يوم الاثنين ثالث عشره نودي بأمر السلطان أن لا يتوجه أحد من المماليك السلطانية في يوم السبت والثلاثاء إلى تفرقة العليق السلطاني، ومن كانت نوبته في أخذ العليق يرسل غلامه لأخذ راتبه، وكانوا قبل ذلك يتوجهون إلى بولاق إلى جهة الشون السلطانية من الليل، ويحصل بتوجههم بعض فساد منهم ومن غلمانهم في حق الناس والبيعة.

وفي يوم السبت وصل إلى القاهرة المحروسة الخواجا جمال الدين عبدالله بن القابوني، قاصد السلطان محمد بن مراد بك بن عثمان متملك بلاد الروم بعدما احتفل أهل الدولة لملاقاته، ونزل بدار الأمير قراجا الظاهري، بالقرب من الجامع الأزهر.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه طلع القاصد المذكور إلى القلعة وتمثل بين يدي السلطان ، وقبل الأرض ، وأوصل إلى السلطان كتاب مرسله وهديته ، وكانت الهدية تشتمل على ثلاثين مملوكاً أو نحوها ، وعدة كبيرة من الفراء والسمور والوشق والحرير والصوف على رءوس الحمالين من كل صنف تسعة[2] من الحمالين على قاعدة ملوك الشرق ، فإن العادة عندهم العدة تسعة تسعة .

ونص كتاب ابن عثمان المذكور:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، واشترى من المؤمنين أنفسهم

---

(١) في «أ» : «وهنا» .

(٢) في «أ» : «تسع» .

وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون (ويقتلون)، والصلاة على من سن في سنائن الشرائع بسننه سنناً سنياً ، ورفع بيت الإسلام بدعائم الفطرة الخمس مكاناً علياً ، والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ، وعلى أصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم صراطاً سوياً ، صلاة منتظمة بغرر درر الدوام في قلائد مغاور الليالي والأيام ، ما طلع نجم في الخضراء ، ونجم طلع في الغبراء ، زين الله سماء الجلال بكواكب مواكب إقبال ، المعيني المغيثي ، المثاغري ، المجاهدي ، // فلكي الهمم ، ملكي الشيم ، سيف الله [٣٧٣]
القاطع بزمان الله القاطع، شعر:

يا من يراه ملوك الأرض فوقهم ... كما يرون على أبراجها الشهبا
وكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ... والليث لو لم يصل والبحر ولو عذبا

[البسيط]

اتضحت بطبعه رقائق النعمان ، وافتضحت بأزمان لطفه شقائق النعمان .

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدي إلي عينيك نوراً ثاقباً
كالبحر(١) يقذف للقريب جواهراً ... جوداً ويبعث للبعيد سحائباً
كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشي البلاد مشارقاً ومغارباً

[الكامل]

ناشراً ألوية ولاية الإسلام، محيي عظام الملوك العظام، باسط بساط جناح النجاح بأمن في الأمان ، المتلى بمصداق(٢) : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ ، قاص قصر القياصرة ، كاسر جماجم الأكاسرة ، إمام الثقلين ، سلطان الحرمين ، قهرمان الماء والطين ، ظل الله تعالى في الأرضين ، جعل الله خيام مجده المؤيد مضروبة على سمك السماك ، وأعلام عزه الأمثل منصوبة فوق الأفلاك ، ما دارت مدارات(٣) القباب الدوارة ، وسارت ثواقب الكواكب

---

(١) ساقط من الأصل .
(٢) في « أ » : « بمنطاء » .
(٣) في « أ » : « مدرات » .

السيارة ، وأشرق شوارق مطالبه بازغة[1] مسفرة ، وأسفر مسافر مآربه ضاحكة مستبشرة ، ما مسك جرم[2] القرطاس بغالية الأقلام ، وطرز رداء نهاره بطراز الظلام ، ولا زال مصر الإقبال ، ممرعة الرياض ، بنيل شامل أفضاله ، وصل نية الآمال ، مترعة الحياض ، بنيل وابل نواله ، ما تغازل نسيم الأسحار مع أغصان الأشجار ، وركن السعادة ركيناً بأركان دولته ، ومتن السيادة متيناً بأعوان شوكته ، ما لمع آل وملع زال.

بعد إيصال تحف تحيات تقررها مصاقع الأنفس القدسية، وتصيح لها الأرواح العلويه، ويتهلل بها وجه الابتهاج. وينشرح صدر السرور، وتلألأ خلال الولاء كأنها: «شعر»:

تحية بشموم الود فائحة ... كأن أذيالها حمالة العطر

[البسيط]

وغب إرسال هدايا تسليمات تقصر عدد العدد عن إحصائها، ويضيق نطاق الطاقة عن استقصائها، وتصبح أطيب من حديقة ضاحكة الخزامى والبهار، مفتوقة الأكمام والأزهار، بنسيم مهبها من جنات تجري من تحتها الأنهار «شعر»:

[٣٧٤] / / سلام ارتدى برداء شوق ... يحاكي عرفه نفثات مسك

[الوافر]

وأثر دعوات خالصة أفرغت في قالب الإخلاص، وألبست من الصدق حلة الاختصاص، مرشحة بمحيا الفلج، موشحة برياء الفرج، ترمي ظلام الخطب بالضياء ، بمصداق نعم السلاح الدعاء، ينهي إلى المقام الشريف والموقف المنيف، أنه إن استكشف المولى الكريم بلطفه العميم، لا زال موفقاً بمناد فوق ما يتمناه، عن أحوال محبة المخلص ، وحبه المتخصص ، وعن أوضاع المجاهدين لارتفاع راية الدين ، واتساع ساحة اليقين ، فإننا من إبان أمرنا وريعان عمرنا ، نحفد بالأحفاد الجياد ، على الصافنات الجياد ، إلى إراء

---

(١) في «أ» : «بارعه» .

(٢) في «أ» : «حرم» .

زناد الجهاد ، على ديادن[1] من آبائنا الكرام ، وشناشن[2] أسلافنا العظام ، رغبة فيما نطق به الكتاب الحكيم والقرآن الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلكم خير لكم إن كنت تعلمون﴾ (١٠ ـ ١١ : الصف) ، وفيما حرّض النبي ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ حين قيل : يا رسول الله ، أي الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله » . وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « مثل المجاهد في سبيل الله ـ وهو أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم القائم ، وتكفل الله تعالى للمجاهد بأن يتوفاه أو يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة » .

ومن الأحوال الواقعة في حولنا هذا وما قبلها أن متملك مملكة لان المسمى بتوركي ما فتئ تصالح معنا ويتبصبص لنا ، ويظهر الصداقة، ويؤكد مع شيطانه العلاقة، ويجهز أبطال مكرهم بكيد الإنفاق، وينبذ العروة الوثقى، ويستمسك بسلسلة النفاق، بل بجل صناعته، وكل بضاعته، أراه أضعف أعدائنا فرياً وأجبن أضدادنا جرياً، فلما عايناه سداً يسد منهج السداد، وشد الحجر صوب صواب الجهاد، على بني الأصفر، عليهم الموت الأحمر، فأنسناه // أنتن من ريح [٣٧٥]
الجورب، وأضل من تراب في مهنب، وأذنا أنه لا تقبل الحمر لأدب ، ولا يثمر الشوك العنب، لا جرم نبذناه، مراعياً مصالح دين الله الذي من توكل عليه كفاه، ومن وثق به أغناه، وعزمنا على الانطلاق، وعقدنا للرحيل حبل النطاق، وتوجهنا تلقاء مدائنهم لتصطاد ليوثنا في عرائنهم، ونزلنا دارهم، وسرنا على قربهم ببؤس عظيم وهوش يريم، كرياح مشتدة الهبوب، ونيران مشطتة الألهوب، يشرح ألسنة ألسنتهم في جدالة المجادلة مثوى الطحون، وتفتح أيدي سيوفهم من عيون الدروع دماء كالعيون، تفرقوا ثلاث فرق راكبين طبقاً على طبق، هربت فرقة من بينهم إلى أقصى بلاد إبليسهم، كأنهم حمر مستنفرة، فرت

---

(١) في «أ»: «دباده».

(٢) في «أ»: «وشاتن».

من قسورة، ورضيت فرقة بأن يعطوا الجزية، وتشبثت فرقة بأذيال شامخات بقاع لا يلين لواحد عريكتها، وتحصنت بقلل راسخات، قلاع لا تنقاد لقاصد قرونتها، ومن جملتها القلعة المسماة بنوبردي، التي هي أحسن القلاع وأصعب البقاع، فهجمنا عليها كقطع الليل ودفع السيل، وأمطرنا عليهم حجارة وأخذناهم بغتة بالنهب والإغارة، ففتحناها في ثلاثة أيام، ونصبنا عليها أعلام الإسلام «شعر»:

قد جاء نصر الله والفتح الذي تزهى بكتبة وصفه الأقلام
بأجل أحوال وأيمن مقدم وأتم إقبال يليه دوام
[الكامل]

وارتحلنا منها إلى القلعة المسماة بتربجة، ذات سور زلت على موازاتها أجنحة النسور، علت ببنيانٌ مرصوص على فنن الأخاشب، حتى عرجت عن عروج بروجها عوارم السحائب، التي لم يسكنها غير كافر، ولم يطأها للإسلام خف ولا حافر، ونزلنا بساحتهم وقت الصباح، «فساء صباح المنذرين»، وفتحناها قبل طلوع الشمس بعناية رب العالمين، وجعلنا عاليها سافلها ﴿ فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ :

تجري الجياد من القتلى على جبل [و] من دمائهم يدحضن في وحل
ومن جماجمهم يصعدن في نشز [و] من ذوائبهم يقمصن في شكل
[البسيط]

[٣٧٦] أحرز المجاهدون في سبيل الله المتعال نفائس الخزائن وكرائم الأموال، // يسبون الأساري أفواجا، ويتموجون بذخائر أموالهم امواجا، يخربون بيوتهم وضياعهم[1] ، ويكسرون أعلامهم وأصنامهم ، بحيث لم يبق عام ولا شام ، ولم نترك أنيس ولا سام .

ومن القلاع التي فتحناها قلعة أمول ، وسفر بحه حصار ، وبيهور ، وبزردين ، استقبل بعض أهاليها بمفاتيح صاحبها ، وبعضهم أحرقوا أوطانهم بأيديهم وتفرقوا .

---

(١) في « ا » : « وصيعهم » .

وبالجملة ما بقي من الفرقة الثالثة أحد قطعاً إلّا دخل تحت حكمنا كرهاً وطوعاً، ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين﴾ (٥٤: الأنعام).

فلما نشر الله علينا ـ بيمن همتك العلية ـ أعلام الحسنات، وأقر عيون آمالنا بأنوار المكرمات، خطر في خاطرنا تذييل حلة فرض الجهاد بسنة الختان، الذي قرره نبينا على سنة خليل الرحمن ـ عليهما السلام ـ من دار[1] السلام، والرحمة والرضوان، للبدرين الأزهرين في درجة الوفاء، والدرتين الأنورين في برج الصفاء، بايزيد ومصطفى ـ متع الله المسلمين بطول بقائهما ـ فأردنا تحلية مسامعكم الكريمة بدرر بشارة الغزوة الكبرى، وتجليلة صفاء صبح منيرة الوليمة بشموس همتكم العليا، فبعث لهذا المرام العظيم، رسول كريم صدر المحافل، بدر الأفاضل، المعروف بالأمانة، المحفوف بالديانة، المخصوص بعناية رب العالمين، الأمير جمال الدين القابوني، ضاعف الله أجره ويسر أمره، بهدية يسرة من الأساري والغلمان، والأقمشة وغيرها، ذكرها في تفصيلها، والمرجو من أكرم الكرام، حسن القبول والاهتمام، والدعاء معاد والله الموفق للرشاد.

محرراً في ثاني ذي الحجة سنة تسع وخمسين وثمانمائة».

انتهى كتاب ابن عثمان بنصه، وأظن منشئه غير كاتبه، لأنه ارتج عليه في كثير من السجع، فكتبه غير محرر، فتعب وأتعب.

جواب كتاب ابن عثمان ـ المذكور ـ من إنشاء القاضي معين الدين عبد اللطيف بن العجمي نائب كاتب السر الشريف بالديار المصرية.

قال بعد البسملة:

«... أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالي الكبيري العالمي العادلي المؤيدي العوني الغياثي الممهدي المشيدي الظهيري الناصري عز الإسلام والمسلمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، ملجأ الفقراء والمساكين، زعيم // [٣٧٧] جيوش الموحدين، ممهد الدول ومشيد الممالك، عون الأمة، غياث الملة، ظهير

---

(١) في «أ»: «آدار».

الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين، ولازالت بشائر غزواته المبرورة تسري إلينا وتسر بأطيب الخير، وعزماته المؤيد(ة) مقرونة من فضل الله بالنصر والظفر، وفتوحاته بحمد الله قد زادت الإسلام قوة وتمكيناً، ولسان الحال يتلو عليه : ﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ [١ : الفتح].

فتوحاته مشهودة بملائك   له كم بنصر الله فيها مشاهد

[الطويل]

ولا برحت سيوف جهاده راكعة في محاريب الأضلع بنصره ، وأقلام النعم ساجدة في صدور الطروس لأمره، وعساكره المؤيدة قائمة بفرض الجهاد تحت لوائه، على السنن القويم، تالية: ﴿وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم ﴾ [٢٦ : آل عمران]، ولا فتئت أعداء الدين لأسود أسنة رماحه فرائس، ومعابد[1] الشرك بفتكات سيوفه لابسة شعار الإسلام، فتصبح البيع مساجد ، والصوامع مآذن، والكنائس مدارس، فإنه بحمد الله قد طهر ديار الإسلام من الأدناس، وتلا قوله تعالى: ﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس﴾ (٣٨ : يوسف)، شعر:

له عزمات في الجهاد صوادع   عداها ومن فوق النجوم صواعد

[الطويل]

أصدرنا هذه المفاوضة إلى المقر الكريم، وشاهد مودتنا قد وضع رسم شهادته وكتب، وأثبت مقدمات إخلاصنا، فحكم له قاضي المحبة بالموجب، يصف ما نحن منطوون عليه من الابتهاج بما جدده الله لكم لمن أنبأ إنباء السار، وتعدد هذه الفتوحات الذي صار الشفق مخلقاً بخبره السار، وتهدي إليه سلاماً يعطر الأكوان نشره، ويسفر في وجوه المحامد بشره، وتكمل صلات المودة بتحياته، ويعترف له المسك بالعبودية، إذا كاتبه في النسيم برسالة من نفحاته، وتبدي لعلمه الكريم ورود مكاتبته التي ملأت الدنيا عرفاً أرجاً، والعيون منظراً بهجاً على يد المجلس السامي الأميري الكبيري المؤيدي المؤتمني المقربي الجمالي

---

(١) كتبت في «أ»: «ومعا بعد»، هكذا وقد توهم الناسخ وجود سقط، فبيض له.

يوسف القابوني الناصري، أحسن الله وفادته، ويسر بخير إلى مقركم الكريم إعادته، فشممنا من ظاهرها نشر ولائها العاطر، ولاح لنا من عنوانها وجه معناها الذي هو عن صدق المحبة سافر، وتحققنا أنها بحر وفاء لما أطلعنا على ألفاظها الجواهر، وشاهدنا منها الجنة التي أزلفت، والرياض // التي زينت [٣٧٨]
بالأزهار وزخرفت، والفضائل التي فرقت فضائلها على المحاسن التي تألفت، فسرحنا النظر في زهر الخمائل من تلك السطور، وشرحنا الخواطر فيما حوته من بديع الترصيع، والتوشيح الذي أزري بالدر في المنظوم والمنثور، وأمعنا التأمل في ذلك الأفق، فإذا الشهب وأضواؤها، والسحب وأنوارها، والبروق وقد خفق على رءوس ملوك الكلام لواؤها، وقالت فصاحتها وتلك البلاغة التي جاءت بسحر البيان: هل يفتى لنا بصدق المحبة ؟ فقال لهما القلب: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان، ووجدنا ما أشرتم إليه من تجريد عزماتكم المؤيدة لغزو أعداء الله براً وبحراً، ونثر ما اجتمع من شملهم قتلاً وأسراً، فزلزلتم ـ بعون الله ـ أقدامهم، وأزلتم إقدامهم، وقدحتم عليهم من بيض صفاحكم، وسمر رماحكم ناراً، وتلا لسان نصركم : ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ (٢٦ : نوح)، وسلكتم في ذلك سنن أسلافكم الكرام المجاهدين، الذين أصبحوا في درج المتقين مرتقين ، سقى الله عهدهم صوب الرحمة والرضوان ، وأسكنهم أعلى غرف الجنان ، فقد فاز المقر الكريم وجيوشه الموحدون بقوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ (٢٠ : التوبة) ، وبما يحصل به غاية السعادة يوم العرض، بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض » .

وانتهينا إلى ما أشار إليه من أن اللعين متملك لان سولت له نفسه وشيطانه سلوك سبيل الغدر، فخاب به مكره، وخربت أوطانه، وأنه كان يظهر لكم الصداقة ويبطن مع اعداء الدين الاتفاق، وتمسك بسلسلة النفاق، وأن المقر الكريم توجه تلقاء مدائنهم بعزم لا يفتر عن المسير، وجيش أقسم النصر أن لا يفارقه، وأنه يصير معه حيث يصير، وصار بين عساكره ـ أعز الله أنصاره ـ

كالبدر بين النجوم، والملائكة لكرام تحمي[1] جيوشه المؤيدة بإذن الله، والنصر عليها يحوم، يتلا: ﴿ربنا // أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ (٢٥٠: البقرة)، وأخذل عدونا فقد بايعناك على المضاربة، والله مع الصابرين، وابتهل إلى الله في طلب التأييد، وتضرع إليه في ذلك الموقف الذي ما رآه إلاّ من هو في الأخرى شهيد وفي الدنيا سعيد، هذا والسيوف قد فارقت الأغماد، والأسنة أقسمت أنها لا تخطر إلاّ في فؤاد، فلا ترى إلاّ بحراً من حديد، ولا تشاهد إلاّ لمع أسنة أو بروق سيوف تصيب الصيد، وهو ـ أدام الله تأييده ـ قد أرهف ظباه ليسعر بها في قلوب العدى جمراً وإلا إنه لا يورد سيوفه في نحور المشركين بيضاً إلاّ ويصدرها حمراً، فضربت عليهم الذلة، وصار بحمد الله جمعهم جمع قلة، وأصبح من كان يحميهم يتحاماهم، وقيل لسيوفه الناصرية: دونك وإياهم. وأقامت عساكره تقتل فيهم وتأسر، وتكشف عنهم ستر النجاة وتحسر، وتفتك وتنهب، وتذهب في استرقاقهم كل مذهب، إلى أن نصر الله دينه، وأذل الشرك وشياطينه، فمنهم من تحصن بتلك الجبال، وولى الأدبار، ومنهم من هال عليه الأمر فعاجل بالفرار، ومنهم من قيل فيه: [٣٧٩]

شرى نفسه منه وقر وجزية عليه، بها قد عاد وهو معاهد
[الطويل]

ثم لما أمكنته من قلاع المشركين الفرصة، أخذها بعون الله بالعزيمة دون الرخصة، وسار عليها بجيوشه الموحدة كالسيل إذا طما، والسحاب إذا همي، والليل ونجومه، والليث وهجومه، فتسلمتها سيوفه التي هي لما استعصى من الحصون مفاتح، ولما استسلم إليها أقفال، ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال﴾ (٢٥: الأحزاب).

وأما ما عزمتم عليه من ختان النجلين الكريمين الأصيلين العريقين،

---

(١) في «أ»: «تحصي».

فرعي الأصول الملوكية، طرازي العصابة الإسلامية، أقر الله بهما العيون، وبلغ فيهما أجمل الظنون، اتباعاً للسنة ورغبة في الأجور الحسان، وعملاً بقوله ﷺ : «الفطرة خمس»، وبدأ بالختان، فقد علمنا ذلك وقابلنا ما أشرتم إليه من البشارة بالشكر لله الذي ايدكم ونصركم، وملككم رقاب المشركين وظفركم، ﴿وجعل كلمة // الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾ (٤٠ : التوبة) ، ونجوم [٣٨٠]
الضلال آفلة ، ومواطن الكفر بالإسلام آهلة ، وأصوات جيوشكم بالتكبير والتهليل بها عالية ، فالحمد لله ثم الحمد لله الذي منحكم بهذا النصر الجديد ، والفتح الذي هو في كل وقت للأعداء مبيد ، والغزوات التي صارت في جيد الدهر كالعقد النظيم ، فقد أيدتم هذا الدين المحمدي بعزمات لا تفتر طرفة عين ولا سنة ، وفزتم بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : « مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستين سنة »

وقد أنشد شاعر حضرتنا مهنئاً لمقركم الكريم ، ومادحاً لما منحتم به من هذا الفتح العظيم :

هنيئاً بما خولت من عاجل النصر ... هي النعمة العظمى تجل عن الحصر
فيا ملك الإسلام بشراك هذه ... فتوح توالت مثل منتظم الدر
فقد جاءك النصر العزيز كما تشا ... وأصبح من عاداك في قبضة الأسر
ولو أنهم كالبحر حالة مدة ... لقابلتهم من حد سيفك بالجزر
وكل الورى يدعو ويسأل ربه ... لك النصر والتأييد والبسط في العمر
فلازلت يا نجل الملوك مؤيداً ... سعيداً شهيداً رأيه دائم النصر
[الطويل]

وأما أنواع الهدية التي اتحف بإرسالها فقد وصلت، وشكرنا محبة مهديها، وأثنينا على حسن موالاته التي لم يزل يبديها، وقد أعدنا المجلس السامي الجمالي قاصدكم المشار إليه، بعد ان عاملناه بمزيد الإكرام، ووافر الإحسان والإنعام، وجهزنا صحبته المجلس السامي الأميري الكبيري الأعزى الأخصى الأكملي المقربي السيفي قاني باي المهمندار الأشرفي - ادام الله سعادته، وكتب سلامته - ليشافه عنا المقر الكريم بالتهنئة بختان النجلين السعيدين والبدرين النيرين،

أطلعها الله نبات الكمال، وبلغها غاية الجمال، وجعله ختاناً مباركاً موصولاً بسرور الأبد، ونمو العدد، وتوالي الخيرات، وتضاعف المسرات، وتواصل السعادات، وشد بهما عضد الإسلام والمسلمين، // وجعلهما من عباده الصالحين. [٣٨١]

وقد جهزنا هذا الجواب الشريف على يد الأمير قاني باي المهمندار صحبته هدية تؤكد أسباب الوداد، وتوثق عمد[١] الاتحاد، وحملناه وهي من السلام ما يتبسم ثغر الزهر عند أدائه، ويسفر وجه البشر عند إبدائه، والله تعالى يؤيده بملائكته وجنده، وينصره، وما النصر إلا من عنده».

تم الجواب، وتسلمه قاني باي اليوسفي المهمندار المذكور أعلاه ليتوجه به رسولاً إلى ابن عثمان المذكور، وتهيأ للسفر، وقبل خروجه بيوم أو يومين ورد الخبر من الإسكندرية بموت السلطان محمد المذكور وقاصد ابن عثمان جمال الدين القابوني ـ أيضاً ـ بديار مصر، وقد نجز أمره وتهيأ للخروج من مصر، فلما وصل هذا الخبر أبطل السلطان سفر قاني باي المهمندار وجمال الدين القابوني إلى أن يتحقق من أمر ابن عثمان حسبما يأتي ذكر ذلك في محله من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وفي هذا الشهر طلع في السماء نجم ذو[٢] ذؤابة شمالي المشرق بمقدار علو الشمس في الساعة الثالثة من النهار، وكان طلوعه في الثلث الأخير من الليل، وأقام على ذلك إلى العشر الأوسط من شهر رجب، انتقل وصار يطلع بعد المغرب من شمالي المغرب بمقدار علو الشمس فيما بين العصر والمغرب، ثم يغرب بعد العشاء بساعة، واستمر على ذلك إلى ما سيأتي ذكره.

وكثر الكلام في طلوع هذا النجم، واختلفوا في أمره على أقوال كثيرة، وقد سألت عنه بعض أهل التقويم فقالوا: ليس هذا نجم معروف، وإنما هو منعقد من شعاع الشمس في فلك النهار.

وكتب إليّ ـ أيضاً ـ بعض علماء هذا الفن ما صورته:

---

(١) في «أ»: عمر.

(٢) في «أ»: «ذات».

إبتداء ظهور الكوكب ذو[1] الذؤابة كان عند طلوعه في أواخـر برج الثـور في العشر الأخـر من شهر جمادي الآخر سنة ستين وثمانمائة، ثم انتقل إلى برج الجـوزاء فأقام بها أياماً قليلة، ثم اختفى من جهة المشرق وظهر بجهة المغرب في برج السرطان، وهو عن قليل ينتقل إلى الأسد، ونسأل الله تعالى أن يكفينا شره - انتهى.

قلت: وكان صورة هذا الكوكب أنه كهيئة النجوم وله ذنب طويل إلى فوق طول رمح وأكثر، وليس // الذنب رقيقاً[2]، وإنما هو صفة جريان الصارخ [٣٨٢] من النفط عند إفلاته إلى جهة السماء على هيئته وعرضه، وفي الذنب ميلة إلى جهة الشمال، في أول طلوعه من الشرق، ثم لما طلع من شمالي المغرب صارت ميلته إلى جهة المغرب، وكان له ضوء ونور بحيث يراه من قصد رؤيته ومن لم يقصده.

جمادى الآخر

أوله الخميس.

في يوم السبت ثالثه أضاف السلطان قاصد ابن عثمان بقلعة الجبل في حضرته.

وفي ليلة الاثنين خامسه ركب الأمير يونس الدوادار من بيته تجاه الكبش إلى قاعة ابن قطينة المطلة على بحر النيل ببولاق، والقاعة المذكورة على ملك أم زوجته خوند زينب بنت ابن خصبك زوجة السلطان الملك الأشرف إينال، وتوجه يونس إلى القاعة المذكورة للنزهة بها من مرض تمادى به، وتردد إليه بها أعيان المملكة من المقام الشهابي أحمد ولد السلطان إلى من دونه.

وفي ليلة الخميس ثامنه سـافر الأمـير جانبـك الظاهـري أحد أمـراء الطبلخانات والمتكلم علي بندر جدة إليها على عادته كل سنة.

وفي يوم الخميس خامس عشره تعوقت فيه جوامك المماليك السلطانية، ولم ينفق لأحد منهم شيء، فعند طلوع الأستادار زين الدين يحيى إلى القلعة

---

(١) نفسه.
(٢) في «أ»: «رقيق».

تشغبت عليه المماليك السلطانية، ففاتهم، فلما دخل إلى السلطان عرفه بذلك، وأظهر العجز عن حمل الجامكية، فاستشاط السلطان غيظاً، وأمر به في الحال فضرب نحو العشرين عصاة، فلما أقيم أمره السلطان أن يستمر على وظيفته، فلم[1] يبش لذلك، فأمر به السلطان ثانياً فحط إلى الارض، لكنه لم يضرب شيئاً، وجعل في عنقه جنزير وحبس بالقلعة عند الأمير فيروز الخازندار، وكل ذلك كان بقاعة الدهيشة.

وفي الحال رسم السلطان للوزير زين الدين فرج بن النحال باستقراره أستاداراً عوضاً عن زين الدين المذكور، ولعلاء الدين علي بن الأهناسي المعزول قبل تاريخه عن الأستادارية باستقراره وزيراً عوضاً عن فرج المذكـور، وخلع على
كل منهما كاملية بمقلب سمور، ووعدهما بأنه يخلع // عليهما في يوم السبت كل [٣٨٣]
واحد بخلعة وظيفته المعتادة.

وأما المماليك السلطانية فإنهم لما تعوقت[2] جوامكهم نـزلوا من وقتهم إلى بيت زين الدين المذكور لينهبوه، فأغلقت مماليكه الدروب ورموا عليهم ومنعوهم من الدخول إلى جهة بيت زين الدين ومدرسته، فلما عجز المماليك عن الدخول إلى بيت زين الدين المذكور وحارته نهبوا بيوت الناس من جوانب بيت زين الدين إلى قنطرة أمير حسين[3] وغيرها، حتى مدرسة فخر الدين بن أبي الفـرج، فإنهم دخلوها ونهبوا ما فيها من تعلقات المدرسة وقماش الصوفية وغيرهم، فما عفوا ولا كفوا، ثم إنهم ظفروا ببيت زين الدين المذكور لما كثر جمعهم وفعلوا في داره ومدرسته ورباطه ودور جيرانه ما لا تفعله الكفرة في المسلمين، وأخذوا للناس من الأقمشة والمتاع والأواني وغير ذلك حمل مستكثرة لا تدخل تحت حصر، واستمروا في النهب من باكر النهار إلى قريب العصر، ولم يستجر أحد أن يمد يده إليهم بسوء، بل صاروا يأخذون ما قدروا على أخذه ويحملونه على

(١) في «أ»: «فلم ينبش».

(٢) في «أ»: «تعوق».

(٣) قنطرة أمير حسين: كانت تقع على الخليج الناصري، أنشأها الأمير «سيف الدين حسين بن أبي بكر بن إسماعيل بن حيدر بك الرومي» ليتوصل بها إلى جامعه في حكر جوهر النوبي.
راجع المقريزي. الخطط ج ٢ ص ١٤٧.

الخيول والبغال والحمير، ويسخرون الناس في حمله، وعيون أربابها تنظر إليهم في الملأ من الناس، ولم يرسل السلطان لكفهم عن ذلك أحداً[1] من الأمراء ولا غيرهم. فكانت هذه الحادثة من أقبح الأمور وأبشعها، ولم ينتطح في ذلك عنزان.

وفي يوم السبت سابع عشره أخلع السلطان على زين الدين فرج المذكور خلعة الأستادارية عوضاً عن زين الدين المقبوض عليه قبل تاريخه، وعلى علاء الدين علي بن الأهناسي خلعة الوزر عوضاً عن فرج المذكور.

وفي يوم السبت هذا ورد الخبر بموت شهاب الدين أحمد المحلي الشافعي قاضي الإسكندرية بقرية إدكو من المزاحميتين متوجهاً إلى الإسكندرية، وولى ابنه بعده قضاء الإسكندرية ببذل مال كثير، وهو شاب حدث السن، جاهل، يأتي ذكر والده في وفيات هذه السنة، والتعريف بحاله في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه حدث بالقاهرة واقعة عجيبة مضحكة، وهو أن الناس بقوا من يوم نهب بيت زين الدين الأستادار وجيرانه في رجيف عظيم من جهة المماليك، واتفق في هذا اليوم خروج جهاز بنت المرحوم ناصر الدين محمد بن الثلاج الأمير آخور إلى // بيت زوجها الأمير جانبك قرا الأشرفي [٣٨٤]
على رءوس الحمالين والبغال على العادة، فجفل فرس جندي من الأجناد من الحمالين المذكورين، فحنق الجندي على فرسه وساقه، فرآه بعض العامة فلم يشك أن المماليك نزلت لنهب القاهرة، فأشاع ذلك، فأغلقت القاهرة بتمامها، وانزعجت الناس غاية الانزعاج، وتعطلت المعايش من غلق حوانيت القاهرة، فكانت هذه الواقعة من غريب ما وقع بديار مصر.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه رسم السلطان بعمل مدة[2] وقراءة ختمة شريفة بمدرسته التي أنشأها بالصحراء لفراغ عمارتها، وحضر فيها أعيان الدولة من القضاة والأمراء وغيرهم، وكان السلطان أوعد أنه ينزل لرؤيتها فلم يتهيأ له

---

(١) في «أ»: «أحد»

ذلك لأمر من الأمور. وكان السلطان قد أنشأ هذه المدرسة أولاً تربة في أيام أتابكيته، فلما تسلطن بدا له أن يخرب ما عمره قديماً وأن يجعلها مدرسة، ففعل ذلك، وباشر عمارتها عظيم الدولة الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص الشريف إلى أن كملت.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه ركب الأمير يونس الدوادار من قاعة ابن قطينة بساحل بولاق، بعد أن أقام بها مدة أيام لتوعك كان به، وتوجه إلى بيته تجاه الكبش على بركة الفيل، وزينت بولاق لركوبه وتخلق حواشيه بالزعفران.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه استقر قاسم الكاشف المعزول قبل تاريخه عن الأستادارية في كشف الغربية من الوجه البحري من أعمال القاهرة على عادته قديماً، واستقر عوضه في كشف الجيزية يوسف شاه العلمي.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه، فيه طلع الأمير يونس الدوادار إلى القلعة، وأخلع السلطان عليه كاملية بمقلب سمور خلعة العافية، واحتفل أهل الصليبة إلى نزوله بالزينة الهائلة والطبول والزمور والتهاني.

شهر رجب

أوله السبت.

في يوم الاثنين ثالثه أطلق السلطان الأستادار زين الدين يحيى من محبسه بقلعة الجبل، ونزل إلى دار عظيم الدولة الجمالي ناظر الجيوش والخاص الشريف
[٣٨٥]على أنه يغلق ما بقي عليه مما ألزمه السلطان // بحمله إلى الخزانة الشريفة، وهو مبلغ عشرة آلاف دينار، ثم ينفي بعد تغليقها إلى حيث يرسم السلطان من البلاد.

وفي يوم الاثنين عاشره أدير المحمل، ولعبت الرماحة على العادة في كل سنة، وشاهده قاصد خوندكار ابن عثمان الأمير جمال الدين عبد الله القابوني، وتخوّف الناس من المماليك السلطانية الجلبان، فلم يقع منهم ما يكره.

وفي يوم الخميس ثالث عشره نزل السلطان من قلعة الجبل بقماش الموكب إلى الصحراء، ونزل بمدرسته التي أنشأها، وأقام بها ساعة ثم ركب من المدرسة

المذكورة ودخل من باب النصر، وشق القاهرة، وخرج من بابي زويلة، وطلع إلى القلعة في موكبه والصنجق على رأسه .

وفيه توفيت ملكباي الأشرفية أم محمد ولد الملك الأشرف برسباي، زوجة الأمير قرقماس رأس نوبة النوب ، ولهجت العامة بتوجه ولدها محمد ابن الملك الأشرف إلى عند أخيه الملك العزيز يوسف بثغر الإسكندرية .

وفي يوم الأحد سادس عشره ـ الموافق لسادس عشرين بئونة ـ أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة ـ أعني الماء القديم ـ سبعة أذرع وستة عشر إصبعاً.

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه، فيه ورد الخبر بموت السلطان محمد بن عثمان متملك بلاد الروم بالطاعون، وبلغ ذلك قاصده جمال الدين عبد الله القابوني وهو بالقاهرة وقد تهيأ إلى السفر، وعيّن السلطان صحبته قاني باي اليوسفي المهمندار رسولاً إلى ابن عثمان المذكور.

شعبان

أوله الاثنين.

فيه سافر زين الدين يحيى الأستادار من سبيل ابن قيماز إلى الحجاز من طريق الطور في البحر المالح منفياً من مصر، ومأموراً بالتوجه إلى المدينة الشريفة للإقامة بها.

وفي أوائل هذا الشهر ترادفت الأخبار بعدم موت السلطان محمد بن عثمان متملك الروم، ودقت البشائر لذلك بقلعة الجبل ثلاثة أيام.

وفي هذه الأيام وردت عدة مطالعات من الأمير قاني باي الحمزاوي نائب الشام وغيره بأن الفرنج في استعداد كبير للتوجه إلى سواحل البلاد الشامية.

وفي هذه الأيام ـ أيضاً ـ غاب النجم ذو[1] الذنب // المقدم ذكره . [٣٨٦]

وفي يوم الجمعة خامسه سافر الأمير جمال الدين عبدالله القابوني قاصد السلطان محمد بن عثمان إلى جهة مرسله ، وصحبته قاني باي اليوسفي المهمندار قاصداً برد جوابه من قبل السلطان .

---

(١) في « أ » : « ذات » .

وفيه ورد الخبر على السلطان بأن الصارمي إبراهيم بن قرمان متملك لارنده وغيرها من بلاد الروم طرق معاملة السلطان، واستولى على مدينة طرسوس وأدنة وكولك، فأمر السلطان بخروج تجريدة إلى قتاله، وعيّن أربعة أمراء من مقدمي الألوف وعدة طبلخانات وعشرات مع ما يضاف إليهم من المماليك السلطانية، وأمرهم بالإسراع في السفر، والذين[1] عينهم السلطان من مقدمي الألوف، وهم: الأمير خشقدم المؤيدي أمير سلاح، وجانبك القرماني الظاهري برقوق حاجب الحجاب، وقرقماس الأشرفي برسباي رأس نوبة النوب، ويونس العلائي الناصري، ودام هذا الأمر إلى يوم الأحد سادس عشره أبطل السلطان التجريدة المذكورة، وأخر السفر إلى بعد الربيع، خوفاً من هجوم الشتاء، فإن الوقت آخر أبيب أحد شهور القبط.

وفي يوم الجمعة سادس عشرينه - الموافق لسادس مسرى - أوفى النيل ستة عشر ذراعاً وخمسة أصابع من الذراع السابع عشر، ونزل المقام الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال في وجوه أمراء الدولة حتى عدى النيل وخلق المقياس، ثم عاد وفتح الخليج على العادة، ثم طلع إلى القلعة وخلع عليه السلطان.

وفي معنى النيل يقول الشيخ صلاح الدين الصفدي:

قالوا علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت: هذا عجيب في بلادكم ... أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما
[البسيط]

وفي هذا الشهر وصل إلى الديار المصرية مملوك الأمير جانم الأشرفي نائب حلب، وأخبر السلطان أن جماعة من عوام[2] حلب وثبوا عليه وأخذوا من مباشرينه ثلاثة نفر ذبحوهم باليد العادية، ثم أحرقوهم، وأنه منتظر ما يرد عليه من

---

(١) في « أ »: « والذي ».
(٢) في « أ »: « أعوام ».

الجواب الشريف في أمرهم، وذكر أشياء محصولها أن السلطان إذا لم // ينصفه [٣٨٧] ممن فعل ذلك وإلّا ليس له حاجة بنيابة حلب. فلما سمع السلطان ذلك طيب خاطر المملوك، ورسم أن يجهز على يده خلعة لأستاذه الأمير جانم المذكور باستمراره على نيابة حلب، ورسم بأن تكتب مراسيم شريفة لحكام حلب بتحصيل الغرماء المذكورين وحبسهم بقلعة حلب حتى يرد عليهم ما يعتمدونه من أمر هؤلاء.

وسبب هذه الفتنة أن جماعة من الحلبيين تقربوا إلى الأمير جانم المذكور وباشروا ببابه، وساءت سيرتهم، وهم ابن الرقيق، وولده، وابن الحصوني، فشكا أهل حلب من هؤلاء ومن كثرة ظلمهم وأفعالهم القبيحة، فحبس الأمير جانم أحد الثلاثة المشكو عليهم، فلم يقنع (أهل حلب)[1] ذلك لما في نفوسهم منهم، ومضوا في الحال إلى واحد منهم في بيته، فهرب الرجل من بيته واستجار برجل من الحلبيين مشهور بالصلاح والدين، فحماه الرجل المذكور، فألح الحلبيون عليه في أخذه منه، قال الرجل الصالح: قد تاب عن المباشرة. فقالوا: يخرج ويحلف لنا على ذلك بحضرتك، فلما خرج إليهم أخذوه من يد الرجل وذبحوه ثم أحرقوه، ثم توجهوا في الحال إلى الذي في الحبس فأخرجوه من الحبس، وفعلوا به كذلك هو وولده، وبلغ النائب ذلك فلم يحرك ساكناً، وكتب يعرف السلطان بما وقع، والذين أحرقوهم: ابن الرقيق، وابن الحصوني وولد واحد منهما - انتهى.

وكان هذا الخبر زيادة في النكاية على السلطان لما كان بلغه من استيلاء ابن قرمان على طرسوس وغيرها حسبما تقدم ذكره.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه طلع إلى القلعة قاصد الأمير بير بضع بن جهان شاه بن قرا يوسف متملك بغداد والعراق من قبل أبيه جهان شاه المذكور، وتمثل بين يدي السلطان وأدى رسالة مرسله، وقرىء كتابه، ولم يتضمن كتابه كبيراً من غير التودد والسلام.

(١) ساقط من (أ)، مبيض له.

شهر رمضان

أوله الثلاثاء.

في يوم الجمعة رابعه وصل السيفي خشقدم دوادار الأمير قاني باي الحمزاوي نائب الشام إلى القاهرة وهو مريض، فأحضر السلطان // الكتب [٣٨٨]
الواصلة على يده من قبل أستاذه وأمر بقراءتها، فإذا هي تتضمن أمر ابن قرمان، وأخذه لطرسوس وغيرها. ثم سأل السلطان في عدم إخراج تجريدة من الديار المصرية إلى البلاد الحلبية بسبب ابن قرمان المذكور، وأنه يتوجه بعد الربيع هو وجماعة النواب بالبلاد الشامية إلى جهة ابن قرمان المذكور، ويكفي السلطان أمره، ويسترجع منه ما أخذه من البلاد الحلبية، فسرّ السلطان بذلك، وتزايد شكره على نائب الشام لهذه المقالة.

وفي يوم الأحد عشرينه وصل الأمير سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش ثاني رأس نوبة النوب ، وهو ومن معه من المماليك السلطانية من إقليم البحيرة بعد أن أقام بها نحو الشهر ونصف لأمر اقتضى ذلك ، وأخلع عليه السلطان في يوم الخميس رابع عشرينه خلعة السفر .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه نودي بالقاهرة من قبل السلطان بعدم تعرض المماليك الجلبان إلى الناس والتجار والبيعة، فلم يلتفتوا إلى مناداته، واستمروا على ما هم عليه من أخذ بضائع الناس بأبخس الأثمان، وأفعالهم القبيحة، وقد تغير غالب خاطر الرعية على السلطان بسببهم، فإنه زاد بسبب ذلك أسعار أشياء كثيرة من المأكولات والعلوفات والغلال، فإنهم صاروا يخرجون إلى ظاهر القاهرة ويأخذون ما لقوا من الشعير والدريس والتبن بأقل ثمن إن سمحوا بذلك ، ومنهم من لا يزن شيئاً(٢) ثم شرعوا في نهب حواصل البطيخ وغيره ، وعز وجود أشياء كثيرة بسبب ذلك ، حتى أبيع الشعير بمائتين وأربعين درهماً الإردب ، بعد أن كان بثمانين درهماً الإردب ، وأما التبن فإنه عز وجوده بالكلية ، وزاد سعر البطيخ الصيفي أضعاف ما كان ، هذا مع ما

(١) في « أ » : « ساكن » .

(٢) في « أ » : « شيء » .

يأخذونه من التجار والسوقة والبيعة من سائر الأصناف بأرخص ثمن ، فضر ذلك بحال الناس قاطبة ، والسلطان مع ذلك لا يزداد في مماليكه المذكورين إلاَّ محبة ، والقيام بنصرتهم بما تصل قدرته إليه ، فلا قوة إلاَّ بالله .

وفي يوم الأحد سابع عشرينه // وصل إلى القاهرة الأمر جانبك الظاهري أحد امراء الطبلخانات نائب بندر جدة منها، وأخلع السلطان عليه، ونزل إلى داره ف وجوه الناس. [٣٨٩]

وفي يوم الأحد هذا ـ الموافق له من اشهر القبط أول توت ، وهو يوم النوروز ـ نودي على النيل فيه بزيادة إصبعين من عشرين ذراعاً .

وفرغ هذا الشهر وسعر الذهب الدينار الأشرفي ثلاثمائة وستين درهماً في المعاملة، وثلاثمائة وخمسون في الصرف، وهو في زيادة. وسعر القمح الإردب بمائتين(١) وستين درهماً إلى ما دونها ، والفول والشعير بمائتين(٢) وعشرين درهماً الإردب إلى ما دونها، والجميع في انحطاط لكثرة الغلات بالساحل وعظم زيادة النيل.

شوال

أوله الخميس.

في يوم الجمعة ثانية ـ الموافق لسادس توت ـ انتهى زيادة النيل إلى اثنتي عشرة أصبعاً من عشرين ذراعاً ، وأخذ في النقص والزيادة والثبات إلى آخر توت .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره أمر السلطان بتوسيط عشرة نفر من الزعر ما بين عبيد وأحرار، وكان الوالي قد قبض عليهم في شهر رمضان وحبسهم بأمر السلطان فداموا في السجن إلى هذا اليوم، فطلبهم السلطان وأمر بتوسيطهم، فوسطوا عن آخرهم ببركة الكلاب خارج سور القاهرة، بالقرب من باب المحروق، ثبت على أحدهم قتل نفس في الظاهر.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره برز أمير حاج المحمل بالمحمل من القاهرة

---

(١) في « أ » : بماتي ».

(٢) نفسه.

إلى بركة الحاج. وهو الأمير قانم من صفر خجا المؤيدي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، المعروف بقانم التاجر، وأمير الركب الأول عبد العزيز ابن المعلم محمد الصغير، أحد أجناد الحلقة، وعليه (من) الديون جمل مستكثرة.

وفي يوم السبت رابع عشرينه ضرب السلطان خيربك القصروي والي القاهرة أزيد من مائتي عصاة، لشكوى الأمير قرماس الأشرفي الجلب رأس نوبة النوب عليه أنه أخذ من بابه بعض الشكاة.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه ركب الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخاص الشريف من داره وطلع إلى القلعة وقبل // الأرض، وأخلع عليه السلطان كاملية مخمل أخضر بمقلب سمور خلعة العافية، فإنه كان انقطع عن الخدمة ملازماً الفراش من العشر الأول من شهر رمضان إلى هذا اليوم، واشتد مرضه حتى خيف عليه. وكان الذي اعتراه الذرب، ونزل إلى داره في وجوه الناس. بعد أن احتفل الناس لنزوله خارجاً عن الحد احتفالاً زائداً، وزينت شوارع القاهرة حيث ممره بأفخر الزينة، ووقدت الشموع بين يديه بالحوانيت، وعلقت فيها القناديل الموقودة، وعظم فرح الناس بعافيته، وتخلقوا بالزعفران، وأكثروا من الابتهاج والسرور والتهاني من الطبول والزمور وغيرهما، وازدحم الناس لرؤيته، فكان هذا النهار من الأيام المشهودة التي قل أن يقع مثلها.

ذو القعدة

أوله السبت.

في أوائل هذا الشهر رسم السلطان برد قاصد الصارمي إبراهيم بن قرمان فرد من قريب مدينة قطيا، وكان قدوم القاصد - المذكور - ليترضى خاطر السلطان على مرسله ابن قرمان المذكور، وسبب رد هذا القاصد أنه بلغ السلطان أن ابن قرمان أرسل يسأل السلطان في القلاع التي استولى عليها قبل تاريخه باليد العادية أن يكون فيها نائباً عن السلطان، فلم يرض السلطان ذلك، وأمر بعوده واوعد بخروج تجريدة إلى قتاله في أوائل فصل الربيع.

وفي يوم الخميس سادسه فعلت المماليك الجلبان بالناس والأعيان تلك الأفعال القبيحة ، من خطف العمائم وأخذ الخيول من تحت الفقهاء ، وأفحشوا وأمعنوا في ذلك إلى الغاية حتى كثر الكلام في ذلك ، وترامى الناس على حمل القضاة والفقهاء في أن يتكلموا مع السلطان ، فلم يجبهم إلا جماعة من أعيان الحنفية ، فكلموه في كفهم عن الناس وخشن له بعضهم في القول، فتأثر السلطان لذلك ، وأصبح من الغد جلس على الدكة من الحوش السلطاني ، وضرب منهم جماعة ووبخ الأمير مرجان العادلي مقدم المماليك وخشن له في القول بسبب أفعال هؤلاء المماليك ، ثم طلب السلطان منهم جماعة وأوسعهم سباً // وأكثر [٣٩١] لهم من الوعيد ، وحبس بعضهم بالبرج من القلعة .

ثم في يوم الأربعاء ثاني عشره طلب السلطان شخصاً خارجاً عن الحد، وأمر بنفيه إلى طرسوس، ثم فعل ذلك مع جماعة أخر من المماليك البطالة وغيرهم،فارتدع القوم وانكفوا عن المساوىء والقبائح، فشكر الناس علماء الحنفية وأكثروا من الثناء عليهم.

وفي يوم الأحد سادس عشره نودي بمصر والقاهرة بخروج المماليك البطالة من الديار المصرية، وهدد من أقام بعد ذلك ثلاثة أيام بها.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه توفي الأمير قاني باي الناصري نائب قلعة الجبل حسبما يأتي ذكره في وفيات هذه السنة، وأنعم السلطان بإمرة وهي إمرة عشرة على ولده الصغير، وأخلع على الأمير سودون النوروزي المعروف بالسلاح دار أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة باستقراره في نيابة قلعة الجبل، عوضاً عن قاني باي المذكور.

وفي العشر الأخير من هذا الشهر كان عرس ابن الأمير بردبك الأشرفي الدوادار الثاني على بنت الأمير دولات باي الدوادار، وقام بمهم العرس المذكور جده الملك الأشرف إينال، وعمل السلطان السماط للأمراء بالحوش السلطاني أياماً، وكان المهم ـ أيضاً ـ عند جدته خوند زينب بنت ابن خصبك في الدور السلطانية، ولم يقع بالمهم المذكور ما يتحاكاه الناس من كثرة المآكل

والأشربة [1]، والفواكه، وإنما كان المهم المذكور مثل أفراح الأمراء والأعيان، غير أن الوزاء كانت كثيرة من دون المشارب لا غير.

ذو الحجة

أوله الأحد.

في يوم الجمعة سادسه - الموافق لتاسع هاتور - لبس السلطان القماش الصوف برسم الشتاء، وألبس أمراء الألوف على العادة.

وفي يوم الاثنين تاسعه أخلع السلطان علي الزيني أبي بكر بن مزهر ناظر الإسطبل السلطاني باستقراره في نظر الجوالي، بعد عزل محمد بن أصيل مضافاً على نظر الإسطبل.

وفي هذه الأيام ورد الخبر بموت الأمير جانبك المحمودي المؤيدي أحد أمراء الطبلخاناه بطرابلس، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير تمراز الإينالي الأشرفي الدوادار الثاني - كان - وهو يومئذ أحد الأمراء البطالين بالقدس الشريف،
٣٩٢] وقد توجعت لفلاحي هذا الإقطاع// لوقوعهم في يد جانبك المتوفي قبل تاريخه، ثم ما حل بهم من قدوم تمراز هذا عليهم، فإنها أعني جانبك المتوفي وتمراز هذا من أقبح الناس سيرة وأسوئهم سريرة لما اشتملا عليه من المساوىء. وقد ذكرنا أمر تمراز هذا عندما نفاه السلطان في سنة ثمان وخمسين إلى القدس نبذة، ويعرف منها حاله، ويأتي ذكر جانبك في وفيات هذه السنة مفصلاً كما هي عادة هذا الكتاب.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، فيه طلع قاصد جهان شاه بن قرا يوسف متملك غالب بلاد الشرق (و) العراقين وغيرهما، وقبل الأرض بين يدي السلطان، وأدى رسالة مرسله بعد السلام، فكان ما يتضمنه كتابه وسؤاله أن جهان شاه يسأل صدقات السلطان في إرسال الأمير حسن بك بن سالم الدوكاري نائب عجلون إليه، ومنها ما معناه أن عنده بعض عتب كون السلطان من يوم تسلطن لم يكاتبه، ومنها أن الشيخ حسن بن علي بك بن قرايلك صاحب آمد

(١) في «أ»: «والماكل ولأشربة» مع إسقاط الألف.

يقع منه أمور قبيحة في حق جهان شاه وعماله من ضرب أطراف بلاده، وأن الشيخ حسن المذكور قد انتمى إلى السلطان. فأجابه السلطان بما معناه: أما إرسال حسن بك بن سالم الدوكاري إليه فإنه يرسل إلينا عربشاه أحد أمرائه، ونحن نرسل إليه حسن بك، وأما عدم مكاتبتنا له فإننا جلسنا على تخت الملك وكان الأولى أنه هو يبدأ بالمكاتبة والتهنئة، وأما شكواه من الشيخ حسن صاحب آمد فما كان يحتاج أن يكلمنا في أمره. ولو كاتب بعض نوابنا بالبلاد الشامية لكان كفاه أمره ، وأشياء أخر من هذه المقولة ، والذي ذكرناه معنى مقالة السلطان ، واللفظ لنا . انتهى .

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه نزل السلطان الملك الأشرف إينال من قلعة الجبل بقماش الخدمة ، وتوجه إلى مطعم الطير بقبة النصر خارج القاهرة ، ونزل على المصطبة ، وطعمت طيور الصيد بحضرته على العادة ، ومد السماط فأكل الناس، وركب وعاد إلى القلعة بعدما شق القاهرة ودخل من باب النصر وخرج من باب زويلة في موكب هائل.

ولما كان بالمصطبة وافاه مبشر الحاج السيفي // جانبك الظاهري المعروف [٣٩٣] بالأبلق، وأخبر بسلامة الحاج.

أمر النيل

في هذه السنة (كان) الماء القديم سبعة أذرع وستة عشر إصبعاً، (وكان) مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً واثني عشر إصبعاً.

* * *

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

(١) وفيها توفي القاضي شهاب الدين أحمد المحلي[1] الشافعي، قاضي قضاة الإسكندرية ، في قرية إدكو بالمزاحميتين في ليلة الثلاثاء ثالث عشر جمادي الآخرة، ودفن برشيد، وهو في عشر السبعين تخميناً.

وشهاب الدين هذا أحد من ولى قضاء الإسكندرية من الشافعية بالسعي وبذل المال، وكانت بضاعته مزجاة من العلم كثيرة من المال.

ومولده ومنشئوه بالمحلة الغربية بالوجه البحري من أعمال القاهرة، ثم تنقل حتى ولى قضاء الإسكندرية بعد سنة أربعين وثمانمائة، ودام على ذلك إلى هذه السنة ، عزم على الحج لأجل المتجر، فقدم القاهرة وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الإسكندرية لإصلاح شأنه ، فتوجه وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى القاهرة فمرض بها بالبطن مدة طويلة إلى أن عوفي ودخل الحمام ، وثنى عزمه عن سفر الحجاز وعاد إلى الإسكندرية ، فمات في طريقه بإدكو حسبما تقدم ذكره .

ولم يكن من أعيان الدولة لتحمد سيرته أو تذم، وكان به صمم غير فاحش. انتهى.

---

(١) هو « أحمد بن محمد بن علي بن هارون بن علي »، له ترجمة في :
ابن تغري بردى . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١ ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ١٥٢ - ١٥٣ تر ٤٣٤ ، ابن اياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣٢ .

(٢) وفيها توفي القاضي ظهير الدين محمد ابن قاضي القضاة أمين الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أبي بكر الطرابلسي[١] الأصل، المصري المولد والوفاة، الحنفي، المعروف بابن الطرابلسي، أحد نواب الحكم الحنفية، في يوم الجمعة سادس عشرين شعبان، ودفن من الغد بتربة الصوفية خارج باب النصر ـ رحمه الله.

ومولده في أوائل القرن تخميناً، ونشأ بالقاهرة تحت كنف والده، وقرأ بعض متون في مذهبه، إلى أن تولى والده في سنة تسع عشرة وثمانمائة ـ ناب بعد ذلك في نيابة الحكم عن قضا[ة] الحنفية عدة سنين.

وكان لا بأس به في أحكامه، على أنه كان قليل العلم، ثم ترك الحكم في أواخر عمره واعتراه أمراض دامت به مدة طويلة إلى أن مات في التاريخ المذكور ـ رحمه الله تعالى.

وكان من أعيان الناس، وعنده رياسة وحشمة، عفا الله تعالى عنه.

(٣) وفيها توفي الأمير آسنباي بن عبد الله الجمالي // الظاهري، [٣٩٤] المعروف بالساقي[٢] في شعبان بالقدس الشريف بطالاً وسنه دون الأربعين سنة.

وأصله من مماليك الملك الظاهر جقمق، اشتراه في أوائل سلطنته وأعتقه، ثم جعله خاصكياً، ثم سلاح دارا، ثم ساقياً، فدام على ذلك سنين إلى أن أنعم عليه بإمرة عشرة في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بعد موت إينال أخي قشتم، فاستمر على ذلك إلى أن توفي الملك الظاهر جقمق، وأمسك الملك المنصور الأمير دولات باي المحمودي الدوادار مع من أمسك، ونقل الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني إلى الدوادارية الكبرى عوضاً عن دولات باي المذكور، استقر

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١. السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ تر ٣١٤.

(٢) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ١ ص ١٣١ تر ٤٥٨، المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٣٥ تر ٤٦٠، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣١١ تر ٩٨١.

أسنباي هذا دواداراً ثانياً عوضاً عن تمربغا، وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة، فلم تطل أيامه في الدوادارية الثانية، ووقعت الفتنة بين الملك المنصور والأتابك إينال العلائي في يوم الاثنين أول شهر ربيع الأول من السنة، فكان آسنباي هذا ممن انضم على ابن أستاذه الملك المنصور عثمان، ودام عنده بقلعة الجبل إلى أن انكسر في يوم الأحد سابع ربيع الأول المذكور، وتفرق عنه أصحابه - اختفى آسنباي هذا ونزل من القلعة، ودام في اختفائه أياماً إلى أن أصلح الأمير جانبك القجماسي المشد أمره مع السلطان وظهر، فرسم له بالتوجه إلى القدس بطالاً، فسار إليه بعد أيام ودام به إلى أن مات في التاريخ المذكور.

وكان شاباً طوالاً عاقلاً، وفيه سكينة ووقار، وعفة عن المنكرات، مع لين وعدم شهرة بالشجاعة، وكان من أخصاء الملك الظاهر جقمق، ولم تطل أيامه في السعادة لتشكر أفعاله أو تذم، رحمه الله تعالى.

(٤) وفيها توفي الأمير سيف الدين قاني باي الناصري المعروف بالأعمش(١)، أحد أمراء العشرات ونائب قلعة الجبل، في ليلة الخميس سابع عشرين ذي القعدة من السنة، ودفن في بكرة يوم الخميس.

واصل قاني باي هذا من مماليك الملك الناصر فرج، وترقى في دولة الملك [٣٩٥] الأشرف برسباي، وصار من جملة// الخاصكية، ثم تأمر عشرة في دولة الملك الظاهر جقمق، وصار من جملة رءوس النوب دهراً طويلاً إلى أن أخلع عليه الملك الأشرف إينال في أوائل سلطنته بنيابة قلعة الجبل، عوضاً عن يونس العلائي، بحكم انتقاله إلى نيابة الإسكندرية بعد قرا جانبك الظاهري، فاستمر قاني باي هذا مدة يسيرة وأنعم عليه السلطان بإقطاع يونس المذكور، بحكم انتقال يونس إلى إقطاع جانبك اليشبكي والي القاهرة بحكم وفاته. والإقطاع الذي أنعم به

---

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى. الدليل الشافي ج ٢ ص ٥٣٢ تر ١٨٢٤، المنهل الصافي مج ٣ ق ٧ أ، النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨١ - ١٨٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ١٩٧ تر ٦٦٨، ابن أياس. بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣.

على قاني باي المذكور إمرة عشرة، وكذلك الذي خرج عنه، لكن شيء أحسن من شيء، وكل ما وقع استقرار قاني باي في نيابة القلعة وتغيير الإقطاع في شهر واحد وهو شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسين، ودام قاني باي على إقطاعه ووظيفته إلى أن مات في التاريخ المذكور، وسنه نيف (علي) نحو السبعين سنة.

وكان مهملاً في الدولة، وما وقع له من الترقي فهو بواسطة الجنسية وكونه من الحزقة.

(٥) وفيها توفي الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله المحمودي(١) المؤيدي أحد أمراء الطبلخاناه بطرابلس، في أواخر ذي القعدة بها، وقد ناهز الستين سنة من العمر تخميناً.

وأصل جانبك من مماليك المؤيد شيخ، اشتراه هو وأخاه الأمير قانبك المحمودي وأعتقهما وجعلهما من جملة المماليك السلطانية.

قلت: وقانبك ـ المذكور ـ هو الأسن فيما أظن، وهو الآن أحد مقدمي الألوف بدمشق، وهو وارث جانبك هذا ـ انتهى.

واستمر جانبك ـ المذكور ـ من جملة المماليك السلطانية إلى أن صار خاصكياً بعد موت أستاذه الملك المؤيد، ودام على ذلك دهراً طويلاً لا يؤبه إليه، إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق بعد خلع الملك العزيز يوسف في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمره عشرة وجعله من جملة رءوس النوب، لكونه كان ممن ثار معه على الملك العزيز وحرض على القيام مع الملك الظاهر جقمق وخوفهم عاقبة المماليك الأشرفية إن دام ابن أستاذهم الملك العزيز المذكور في السلطنة حتى تم له ذلك؛ فلهذا أمره الملك الظاهر وقربه وأدناه، وصار له كلمة في الدولة//، مع طيش وخفة وعدم احتشام، فأخذ في [٣٩٦]
القبض على الأشرفية وتتبعهم من الأماكن، وبالغ في أذاهم، ووجد المجال فجال، والسلطان مطاوع له ولخشداشيته كما هي عادة أوائل الدول، ثم لما

(١) له ترجمة في: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٦٠ تر ٢٤١.

هرب الملك العزيز يوسف من سجنه بقلعة الجبل واختفى بالقاهرة أخذ جانبك هذا في الفحص عليه، وهجم بيوت الناس هو وجماعة من خشداشيته. وأفحش أيضاً وبالغ في أذى الناس، وتسبب عند السلطان في عقوبة جماعة كثيرة من الأشرفية وغيرهم، وحرض السلطان على طوغان الأشرفي الزردكاش وخايربك الأشرفي حتى وسطهما بعد عقوبات مهولة، ثم لما عصى الأمير إينال الجكمي نائب الشام والأمير حسين بن أحمد بن المصري البهسني المدعو تغري برمش نائب حلب سافر إلى البلاد الشامية ليقلد بعض نوابها وعاد، ثم سافر إلى (أن) خرجت التجريدة لقتال إينال الجكمي ولقتال حسين بن أحمد نائب حلب المقدم ذكرهما، وانتصر عسكر السلطان عليهما وقتلا، وعاد العسكر إلى ديار مصر، وجانبك هذا صحبته أو قبله بمدة يسيرة، واستمر على إمرته ووظيفته فركضت ريحه لسكون الفتنة، وصار من جملة الأمراء، ليس يتكلم إلا فيما يتعلق به، وهو مع ذلك يتقرب من السلطان ويتكلم معه فيما لا يعنيه، وقد ظهر على السلطان الملل منه في الباطن، غير أنه لم يسعه إلا الاحتمال، وكان يقال: «من حبك لشيء ملك عند انقضاه» . واستمر بعد ذلك إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة قبض عليه السلطان وسجنه بالبرج من قلعة الجبل، بعد أن تحقق إعراض المؤيدية عنه لقبضه على جانبك المذكور، وربما يثير بعضهم فتنة بسببه، فلم ينتطح في ذلك شاتان، وقبض عليه وحبسه، وأنعم بإقطاعه على السيفي خيربك المؤيدي الأشقر أحد الدوادارية الصغار.

قلت : وحساب الملك الظاهر في ذلك على قدر شهامته ورجولته[1] فحسب ، إن في السويداء رجال ، والقوم أجانب عن ذلك .

ثم نقل جانبك من البرج إلى الإسكندرية، ثم نقل إلى البلاد الشامية، وبعد مدة // أنعم عليه السلطان بإمرة مائة وتقدمة ألف بحلب، فعندما توجه [٣٩٧] جانبك المذكور إلى حلب وأقام بها مدة يسيرة، وأثار فتنة عظيمة، ووثب على الأمير قاني باي الحمزاوي نائب حلب، ولبس السلاح، فلم ينتج له أمر، وقبض عليه

(١) في « أ » : « ورجلته » .

وسجن بالبلاد الشامية من يوم تاريخه في عدة سجون إلى أن أفرج عنه الملك الأشرف إينال في أوائل سلطنته أو الملك الظاهر في أواخر عمره، ثم أنعم عليه الملك الأشرف بإمرة طبلخاناه بعد انتقال الأمير حطط عنها إلى أتابكية طرابلس، فدام جانبك هذا على الإقطاع نحو سنتين ، ومات في التاريخ المذكور .

وكان جانبك هذا مربوع القامة، أصفر الوجه، صغير اللحية، عبوساً، عديم البشاشة، سيء الخلق، حاد[1] المزاج، سريع الحركة، كثير الشر قديماً وحديثاً، كان أولاً في أيام قصر يده يتخاصم مع شركائه في الإقطاعات فلا يزال يتحاكم معهم عند الحكام، فقل أن يجده الشخص في بيته للراحة، وإنما كان شأنه الركوب والدوران لشرور الناس، فلما طالت يده ما عف ولا كف، حتى قبض ووقع له ما ذكرناه، فاستراح وأراح، وأنعم بإقطاعه على تمراز الأشرفي الدوادار - كان - أحد البطالين بالقدس.

ولله در أبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي حيث يقول:

بذا قضت الأيام[2] ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

[الطويل]

* * *

(١) في « أ » : « حد » .

(٢) في « أ »: « الدنيا ».

وفي هذه السنة كان الفراغ من المدرسة التي أنشأها الملك الأشرف إينال بالصحراء.

وفي هذه السنة زالت دولة بني رسول[1] من ممالك اليمن بعد أن ملكوها نحواً من مائتين وثلاثين سنة ـ حسبما يأتي بيانه ـ وآخر ملوكهم الملك المسعود، اختلف عليه في أوائل هذه السنة عساكره وعبيده، فضعف أمره وتسحب من بلاده ونزل عند جماعة من المشايخ والصلحاء، وهو إلى الآن مقيم عندهم، وملك بلاد اليمن رجل عربي من العرب يقال له: طاهر ـ وهو من القرشية ـ وهو يدعى بالجودة والصلاح، وملك البلاد بالمال، وسكن عدن، وبلاد القرشية تزرع الفوه التي يزرع بها. انتهى.

وأول من ملك اليمن من بني رسول الملك المنصور نور الدين أبو الفتح
عمر بن علي بن رسول، وقيل: اسم رسول محمد بن// هارون بن أبي الفتح [٣٩٨]
ابن نوحي بن رستم التركماني الغساني من ذرية جبلة بن الأيهم، قيل: إن جده محمد المعروف برسول كان انضم لبعض الخلفاء العباسية، فاختصه بالرسالة إلى الشام وغيرها، فعرف بالرسول وغلب عليه ذلك، ثم انتقل من العراق إلى الشام ثم إلى مصر، وانضم هارون هو وأولاده لبعض بني أيوب لما ملكوا مصر، وهو مع ذلك له حاشية وحفدة إلى أن أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك المعظم تورانشاه إلى اليمن، أرسل الملك المنصور عمر هذا معه

(١) أشار إلى ذلك إجمالاً في النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٨٢ .

كالوزير، واستحلفه على المناصحة لبني أيوب، فسار معه إلى اليمن، فلما ملك الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بعد تورانشاه اليمن قرب عمر هذا وزاد في تعظيمه وولاه الحصون الوصابية، ثم ولاه مكة المشرفة، ورتب معه فيها ثلاثمائة فارس، وحصل بين المنصور هذا وبين حسن بن قتادة أمير مكة وقعة انكسر الشريف حسن المذكور فيها ورجع، ودخل المنصور مكة واستولى عليها، وعمر في ولايته مكة ـ المسجد الذي اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وذلك في سنة تسع عشرة وستمائة، وعمر ـ أيضاً ـ في ولايته مكة الدار التي[1] يقال لها دار سيدنا أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في الزقاق المعروف بزقاق الحجر، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ثم استناب الملك المسعود نور الدين هذا على بلاد اليمن لما توجه منها إلى الديار المصرية، واستناب بصنعاء بدر الدين حسن بن علي بن رسول أخا نور الدين المذكور.

ولما عاد الملك المسعود إلى اليمن قبض على نور الدين هذا، وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور، وعلى أخيه الآخر فخر الدين أبي بكر، وعلى شرف الدين موسى، تخوفاً منهم لما ظهر من نجابتهم في غيبته، وأرسلهم إلى الديار المصرية محتفظاً بهم ما خلا نور الدين صاحب الترجمة، فإنه أطلقه من يومه لأنه كان يأنس إليه، ثم استحلفه وجعله أتابك عساكره.

فلما عزم الملك المسعود إلى التوجه إلى مصر ثانياً استنابه ـ أيضاً ـ على جميع بلاد اليمن، وقال له: إن مت فأنت أولى بالملك من إخوتي لخدمتك لي، وإن عشت// فأنت على حالك، وإياك أن تترك أحداً من أهلي يدخل اليمن، ولو [٣٩٩] جاءك الملك الكامل.

ثم سار الملك المسعود إلى مكة فمات بها قبل دخوله مصر، فلما بلغ نور الدين هذا خبر موته أضمر الاستقلال بمملكة اليمن، وأظهر غير ذلك، واستوثق أمره، واستولى على غالب بلاد اليمن وحصونها، فعند ذلك دعا لنفسه بالملك (المنصور)[2]، وذلك بعد موت الملك المسعود في سنة تسع وعشرين وستمائة

---

(١) في «أ»: «الذي».

(٢) بياض بأصل «أ»، مثبت من ابن علي، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ص ٤٢٠، ومن قوله بعد: «ثم قوى أمر المنصور هذا».

ثم ارسل إلى الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي في خلعةوتقليد، فأجيب بعد مدة، واستمر في الملك، ولم تزل ممالكه تتسع حتى ملك من عدن إلى عيذاب.

وجرى بينه وبين الملك الكامل والد الملك المسعود حروب، ثم مات الملك الكامل وتسلطن ولده الملك الصالح بالديار المصرية، وجرى بينهما - أيضاً - حروب وخطوب يطول شرحها بسبب مكة المشرفة، وصار تارة يولي إمرة مكة الملك المنصور هذا، وتارة الملك الصالح صاحب مصر، واستمر ذلك سنين، وقدم مكة مراراً.

ثم قوى أمر المنصور هذا، واشترى قلعة ينبع من صاحبها أبي سعد، وأمر بخرابها حتى لا يبقى قرار المصريين فيها، واستولى على مكة، وأبطل منها سائر المكوس والمظالم، ولم يزل مستولياً[1] عليها إلى أن قتل في ليلة السبت تاسع ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة، قتله مماليكه باتفاق من ابن أخيه أسد الدين محمد ابن بدر الدين حسن .

وملك بعده ابنه الملك المظفر يوسف، فحكم بلاد اليمن ستة وأربعين سنة، ومات في يوم الثلاثاء ثالث عشرين شهر رمضان (سنة أربع وتسعين وستمائة) [2].

وملك بعده ابنه الملك الأشرف نجم الدين عمر، ومات بعد سنة.

وملك بعده أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يوسف في محرم سنة ست وتسعين وستمائة، وملك نيفاً وعشرين سنة إلى أن مات في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

وملك بعده ابنه الملك المجاهد، واضطربت مملكة اليمن مدة، ووقع له أمور إلى أن مات في يوم السبت خامس عشرين جمادي الأولى سنة أربع وستين وسبعمائة بعدن.

---

(١) في «أ»: «مستولي».

(٢) ساقط من «أ»: مثبت من ابن علي. غاية الأماني ص ٤٧٥.

وملك بعده ابنه الملك الأفضل عباس في جمادي الأولى سنة // أربع [٤٠٠] وستين (وسبعمائة) إلى أن مات في شعبان سنة ثمان وسبعين وسبعمائة.

وملك بعده ابنه الملك الأشرف إسماعيل إلى أن مات في ليلة السبت ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانمائة بمدينة تعز.

وملك بعده ابنه الملك الناصر أحمد إلى أن مات في سادس عشر جمادي الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة من صاعقة سقطت على حصنه قوارير خارج مدينة زبيد، فارتاع من سقوطها وأقام أياماً مريضاً إلى أن مات .

وملك بعده ابنه الملك المنصور عبد الله إلى أن مات في جمادي الأولى سنة ثلاثين وثمانمائة.

وملك بعده أخوه الملك الأشرف إسماعيل، فلم يتم أمره وخلع بعد مدة يسيرة.

وأقيم بعده الملك الظاهر هزبر الدين يحيى ابن الملك الأشرف إسماعيل في ثالث شهر رجب من السنة ، إلى أن مات في يوم الخميس سلخ رجب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة . وضعفت ممالك اليمن في أيامه ، لقلة تجابي أموالها ، واستيلاء العربان على أعمالها .

وأقيم بعده ابنه الملك الأشرف إسماعيل وله من العمر نحو العشرين سنة، فأكثر من سفك الدماء وأخذ الأموال وغير ذلك من أنواع الفساد، وقتل الأمير برقوق القائم بدولتهم في عدة أخر من الأتراك، ووقع له أمور في أيامه، وتلاشت اليمن من بعده، وملكها جماعة اختلف في ولاياتهم لقصر مدتهم ولاضطراب دولتهم، ولا زال أمرهم في إدبار من هذه السنة، وهي سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة إلى أن زال ملكهم من ممالك اليمن في هذه السنة، وهي سنة ستين وثمانمائة في أيام الملك المسعود.

وقد تقدم أن الملك المسعود هذا ترك ممالك اليمن لما ضعف أمره وخرج هارباً إلى الصالحين، وأقام عندهم إلى يومنا هذا، وملك اليمن بعده رجل من الأعراب القرشية يسمى طاهر.

قلت: نادرة، كان ابتداء ملك بني رسول لبلاد اليمن على يد الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب، وكان زوال ملكهم من بلاد اليمن على يد الملك المسعود هذا، فكان إقبال سعدهم من مسعود وإدبار// [١٠ سعدهم من مسعود.

انتهى، والله أعلم، والحمد لله وحده.

* * *

تم الجزء الأول المسمى بحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، على يد تلميذ مؤلفه ونشو صدقاته، وعبد إحسانه، العبد الفقير إلى الله تعالى، الحقير الراجي عفو ربه الكريم، وشفاعة نبيه محمد ـ ﷺ ـ محمد بن أحمد بن محمد الطندتائي الشافعي، غفر الله له ولوالديه، ولمن قرأ فيه أو نظر فيه، ودعا له بالتوبة والمغفرة، وللمسلمين أجمعين آمين .

وكان الفراغ من كتابته في يوم الخميس المبارك، حادي عشرين شهر ربيع الآخرة سنة إحدى وستين وثمانمائة، ونقلت من ثاني نسخة كتبت من خط المؤلف في حياته، حفظه الله تعالى، ورحم سلفه الكريم بمحمد وآله .

وذلك تأليف الجناب الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري العالمي الفاضلي الرئيسي العريقي الجمالي أبو المحاسن سيدي يوسف ، ولد المقر المرحوم السيفي الأتابكي أتابك العساكر بالديار المصرية ، وكافل المملكتين[1] الشامية والحلبية ـ كان ـ عظم الله شأنه ، ورحم سلفه الكريم بمحمد وآله وصحبه وسلم ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كتب هذا الجزء المبارك لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده العبد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير، الراجي عفو ربه العفو القدير، محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الوهاب، البهاء بن علي بن شافع

(١) في الأصل : « المملكتي » .

الإخميمي الانصاري، الخزرجي الحنفي، عامله الله تعالى والمسلمين بلطفه الجلي والخفي، ورحم والديه وأولاده وإخوته وأخوانه وأقاربه والمسلمين بمنه وكرمه، آمين.

وكان الفراغ منه في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر شعبان المكرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة، حامداً لله ـ تعالى ـ ومصلياً على رسوله المصطفى، ومسلماً ومحسبلاً ومحوقلاً ومهللاً.

* * *

آخر الجزء الثاني

يتلوه ـ بإذن الله ـ الجزء الثالث:

الفهارس العلمية ومصادر التحقيق

فهرس الجزء الأول
مـــن
حوادث الدهور

الموضوع **الصفحة**

الإهداء ٥
مقدمة التحقيق ٧
تمهيد ٩
ابن تغري بردي ـ دراسة حياة ١٣
مؤلفاته ٢٧
حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ٣٢
النص المحقق ٤٧
مقدمة المؤلف ٥١
سنة خمس وأربعين وثمانمائة ٥٣
ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة ٦١
سنة ست وأربعين وثمانمائة ٦٩
ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ٧٨
سنة سبع وأربعين وثمانمائة ٨٩
ذكر من مات في هذه السنة من الأعيان ٩٨
سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ١٠٣
ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة ١١٣
سنة تسع وأربعين وثمانمائة ١١٧
ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة ١٢٦

سنة خمسين وثمانمائة ١٣٢
ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان ١٣٨
سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ١٤٩
ذكر من توفي في الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكرهم ١٥٩
سنة أثنتين وخمسين وثمانمائة ١٦٤
ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكره
على سبيل الاختصار ١٨٦
سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ٢٠٠
ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان ٢٢٩
سنة أربع وخمسين وثمانمائة ٢٤٦
ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان المقدم ذكرهم
رحمهم الله ـ تعالى ـ وعفا عنهم ٣٠٤

فهرس الجزء الثاني

مـــن

حوادث الدهور

الموضوع **الصفحة**

سنة خمس وخمسين وثمانمائة ٣١٧
ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة ٣٤٤
سنة ست وخمسين وثمانمائة ٣٥٦
ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ٣٨٤
سنة سبع وخمسين وثمانمائة ٣٩٧
سلطنة السلطان الملك المنصور فخر الدين أبي السعادات عثمان .. ٤٠٠
ذكر سلطنة السلطان الملك الأشرف، سيف الدين أبي النصر،
إينال العلائي الظاهري ، ثم الناصري ٤٢٣
ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ٤٦٠
سنة ثمان وخمسين وثمانمائة ٤٧٨
ذكر من مات من الأعيان في هذه السنة ٥٠٧
سنة تسع وخمسين وثمانمائة ٥١٥
ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ممن تقدم ذكرهم
رحمة الله ـ تعالى ـ عليهم ٥٤٩
سنة ستين وثمانمائة ٥٦٥
ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ٥٩٨